الميزان في تفسير القرآن

للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

المجلد العشرون

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

الميزان فی تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسین طباطبایی

نشرت فی الطباعة:

علامه طباطبایی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تفسیر المیزان المجلد ۲۰

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، سیدمحمدحسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدیدآور : تفسیر المیزان/ محمدحسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی ؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجا: امیرکبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ریال(دوره کامل)

یادداشت : جلد۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمدباقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج.۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج.۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵م ۴۱ ۹۰ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص :۱

اشاره

(٧٠) سوره المعارج مكيه و هى أربع و أربعون آيه(۴۴)

[سوره المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٨]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ (١) لِلْكٰافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دٰافِعٌ (٢) مِنَ اَللّٰهِ ذِي اَلْمَعٰارِجِ (٣) تَعْرُجُ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ اَلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ (۴) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً (۵) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (۶) وَ نَرٰاهُ قَرِيباً (٧) يَوْمَ تَكُونُ اَلسَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ اَلْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَ لاٰ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ اَلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ اَلَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (١۴) كَلاّٰ إِنَّهٰا لَظىٰ (١۵) نَزّٰاعَهً لِلشَّوىٰ (١۶) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ (١٨)

بيان

الذى يعطيه سياق السوره أنها تصف يوم القيامه بما أعد فيه من أليم العذاب للكافرين.تبتدئ السوره فتذكر سؤال سائل سأل عذابا من الله للكافرين فتشير إلى أنه واقع ليس له دافع قريب غير بعيد كما يحسبونه ثم تصف اليوم الذى يقع فيه و العذاب الذى أعد لهم فيه و تستثنى المؤمنين الذين قاموا بوظائف الاعتقاد الحق و العمل الصالح.

و هذا السياق يشبه سياق السور المكيه غير أن المنقول عن بعضهم أن قوله:

« وَ الَّذِينَ فِي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ »مدنى و الاعتبار يؤيده لأن ظاهره الزكاه و قد شرعت بالمدينه بعد الهجره،و كون هذه الآيه مدنيه يستتبع كون الآيات الحافه بها الواقعه تحت الاستثناء و هى أربع عشره آيه(قوله: إِلاَّ الْمُصَلِّينَ -إلى قوله- فِي

جَنّاتٍ مُكْرَمُونَ)مدنيه لما فى سياقها من الاتحاد و استلزام البعض للبعض.

و مدنيه هذه الآيات الواقعه تحت الاستثناء تستدعى ما استثنيت منه و هو على الأقل ثلاث آيات(قوله: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً - إلى قوله- مَنُوعاً).

على أن قوله:« فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ »متفرع على ما قبله تفرعا ظاهرا و هو ما بعده إلى آخر السوره ذو سياق واحد فتكون هذه الآيات أيضا مدنيه.

و من جهه أخرى مضامين هذا الفصل من الآيات تناسب حال المنافقين الحافين حول النبى ص عن اليمين و عن الشمال عزين و هم الرادون لبعض ما أنزل الله من الحكم و خاصه قوله:« أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ »إلخ،و قوله:« عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ »إلخ على ما سيجىء،و موطن ظهور هذا النفاق المدينه لا مكه،و لا ضير فى التعبير عن هؤلاء بالذين كفروا فنظير ذلك موجود فى سوره التوبه و غيرها.

على أنهم رووا أن السوره نزلت فى قول القائل: «اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» :الأنفال:٣٢ و قد تقدم فى تفسير الآيه أن سياقها و التى بعدها سياق مدنى لا مكى.لكن المروى عن الصادق (ع)أن المراد بالحق المعلوم فى الآيه حق يسميه صاحب المال فى ماله غير الزكاه المفروضه.

و لا عبره بما نسب إلى اتفاق المفسرين أن السوره مكيه على أن الخلاف ظاهر و كذا ما نسب إلى ابن عباس أنها نزلت بعد سوره الحاقه.

قوله تعالى:« سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ »السؤال بمعنى الطلب و الدعاء،و لذا عدى بالباء كما فى قوله: «يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ» :الدخان:٥۵ و قيل:الفعل مضمن معنى الاهتمام و الاعتناء و لذا عدى بالباء،و قيل:الباء زائده للتأكيد،و مآل الوجوه واحد و هو طلب العذاب من الله كفرا و عتوا.

و قيل:الباء بمعنى عن كما فى قوله: «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» :الفرقان:٥٩،و فيه أن كونها فى الآيه المستشهد بها بمعنى عن ممنوع.على أن سياق الآيات التاليه و خاصه قوله:

« فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً »لا يلائم كون السؤال بمعنى الاستفسار و الاستخبار.

فالآيه تحكى سؤال العذاب و طلبه عن بعض من كفر طغيانا و كفرا،و قد وصف العذاب المسئول من الأوصاف بما يدل على إجابه الدعاء بنوع من التهكم و التحقير و هو قوله:« واقِعٍ »

و قوله:« لَيْسَ لَهُ دٰافِعٌ ».

و المعنى سأل سائل من الكفار عذابا للكافرين من الله سيصيبهم و يقع عليهم لا محاله و لا دافع له أى أنه واقع عليهم سأل أو لم يسأل ففيه جواب تحقيرى و إجابه لمسئوله تهكما.

قوله تعالى:« لِلْكٰافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دٰافِعٌ »للكافرين متعلق بعذاب و صفه له،و كذا قوله:« لَيْسَ لَهُ دٰافِعٌ »و قد مرت الإشاره إلى معنى الآيه.

قوله تعالى:« مِنَ اللّٰهِ ذِي الْمَعٰارِجِ »الجار و المجرور متعلق بقوله:« دٰافِعٌ »أى ليس له دافع من جانب الله و من المعلوم أنه لو اندفع لم يندفع إلا من جانب الله سبحانه،و من المحتمل أن يتعلق بقوله:« بِعَذٰابٍ ».

و المعارج جمع معرج و فسروه بالمصاعد و هى الدرجات و هى مقامات الملكوت التى يعرج إليها الملائكه عند رجوعهم إلى الله سبحانه على ما يفسره قوله بعد:« تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ »إلخ فله سبحانه معارج الملكوت و مقاماتها المترتبه علوا و شرفا التى تعرج فيها الملائكه و الروح بحسب قربهم من الله و ليست بمقامات وهميه اعتباريه.

و قيل:المراد بالمعارج الدرجات التى يصعد فيها الاعتقاد الحق و العمل الصالح قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّٰالِحُ يَرْفَعُهُ» :الفاطر ١٠،و قال: «وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ» :الحج:٣٧.

و قيل:المراد به مقامات القرب التى يعرج إليها المؤمنون بالإيمان و العمل الصالح قال تعالى: «هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ» :آل عمران:١٦٣ و قال: «لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» :الأنفال:۴ و قال: «رَفِيعُ الدَّرَجٰاتِ ذُو الْعَرْشِ» :المؤمن:١۵.

و الحق أن مآل الوجهين إلى الوجه الأول،و الدرجات المذكوره حقيقيه ليست بالوهميه الاعتباريه.

قوله تعالى:« تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » المراد بهذا اليوم يوم القيامه على ما يفيده سياق الآيات التاليه.

و المراد بكون مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنه على ما ذكروا أنه بحيث لو وقع فى الدنيا و انطبق على الزمان الجارى فيها كان مقداره من الزمان خمسين ألف سنه من سنى الدنيا

و المراد بعروج الملائكه و الروح إليه يومئذ رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكل إليه فإن يوم القيامه يوم بروز سقوط الوسائط و تقطع الأسباب و ارتفاع الروابط بينها و بين مسبباتها و الملائكه وسائط موكله على أمور العالم و حوادث الكون فإذا تقطعت الأسباب عن مسبباتها و زيل الله بينهم و رجع الكل إلى الله عز اسمه رجعوا إليه و عرجوا معارجهم فحفوا من حول عرش ربهم و صفوا قال تعالى: «وَ تَرَى الْمَلاٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» :الزمر-۷۵،و قال: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا» :النبأ:۳۸.

و الظاهر أن المراد بالروح الروح الذى هو من أمره تعالى كما قال: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» :إسراء:۸۵و هو غير الملائكه كما هو ظاهر قوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» :النحل:۲.

فلا يعبأ بما قيل:إن المراد بالروح جبرئيل و إن أطلق عليه الروح الأمين و روح القدس فى قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ» :الشعراء:۱۹۴ و قوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ» :النحل:۱۰۳ فإن المقيد غير المطلق.

قوله تعالى:« فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً »لما كان سؤال السائل للعذاب عن تعنت و استكبار و هو مما يشق تحمله أمر نبيه ص بالصبر و وصفه بالجميل-و الجميل من الصبر ما ليس فيه شائبه الجزع و الشكوى،و علله بأن اليوم بما فيه من العذاب قريب.

قوله تعالى:« إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرٰاهُ قَرِيباً »ضميرا« يَرَوْنَهُ »و« نَرٰاهُ »للعذاب أو ليوم القيامه بما فيه من العذاب الواقع و يؤيد الأول قوله فيما بعد:« يَوْمَ تَكُونُ السَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ »إلخ.

و المراد بالرؤيه الاعتقاد بنوع من العنايه المجازيه و رؤيتهم ذلك بعيدا ظنهم أنه بعيد من الإمكان فإن سؤال العذاب من الله سبحانه استكبارا عن دينه و ردا لحكمه لا يجامع الإيمان بالمعاد و إن تفوه به السائل،و رؤيته تعالى ذلك قريبا علمه بتحققه و كل ما هو آت قريب.

و فى الآيتين تعليل أمره(ص)بالصبر الجميل فإن تحمل الأذى و الصبر على المكاره يهون على الإنسان إذا استيقن أن الفرج قريب و تذكر ذلك فالكلام فى معنى قولنا فاصبر على تعنتهم و استكبارهم فى سؤالهم العذاب صبرا جميلا لا يشوبه جزع و شكوى فأنا نعلم أن

العذاب قریب علی خلاف ما یستبعدونه،و علمنا لا یتخلف عن الواقع بل هو نفس الواقع.

قوله تعالی:« یَوْمَ تَکُونُ السَّمٰاءُ کَالْمُهْلِ » المهل المذاب من المعدنیات کالنحاس و الذهب و غیرهما،و قیل:دردی الزیت،و قیل:عکر القطران (۱).

و الظرف متعلق بقوله:« وٰاقِعٍ »علی ما یفیده السیاق.

قوله تعالی:« وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ » العهن مطلق الصوف،و لعل المراد المنفوش منه کما فی قوله تعالی: «وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» :القارعه:۵.

و قیل:هو الصوف الأحمر،و قیل:المصبوغ ألوانا لأن الجبال ذات ألوان مختلفه فمنها جدد بیض و حمر و غرابیب سود (۲).

قوله تعالی:« وَ لاٰ یَسْئَلُ حَمِیمٌ حَمِیماً »الحمیم القریب الذی تهتم بأمره و تشفق علیه.

إشاره إلی شده الیوم فالإنسان یومئذ تشغله نفسه عن غیره حتی أن الحمیم لا یسأل حمیمه عن حاله لاشتغاله بنفسه.

قوله تعالی:« یُبَصَّرُونَهُمْ »الضمیران للأحماء المعلوم من السیاق و التبصیر الإراءه و الإیضاح أی یری و یوضح الأحماء للأحماء فلا یسألونهم عن حالهم اشتغالا بأنفسهم.

و الجمله مستأنفه فی معنی الجواب عن سؤال مقدر کأنه لما قیل:لا یسأل حمیم حمیما سئل فقیل:هل یری الأحماء یومئذ أحماءهم؟فأجیب:یبصرونهم و یمکن أن یکون « یُبَصَّرُونَهُمْ »صفه« حَمِیماً ».

و من ردیء التفسیر قول بعضهم:إن معنی قوله:« یُبَصَّرُونَهُمْ »یبصر الملائکه الکفار، و ما قیل:إن المعنی یبصر المؤمنون أعداءهم من الکفار و ما هم فیه من العذاب فیشمتون بهم،و ما قیل:إن المعنی یبصر اتباع الضلاله رؤساءهم.و هی جمیعا وجوه لا دلیل علیها.

قوله تعالی:« یَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ یَفْتَدِی مِنْ عَذٰابِ یَوْمِئِذٍ بِبَنِیهِ وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِیهِ وَ فَصِیلَتِهِ الَّتِی تُؤْوِیهِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ یُنْجِیهِ »قال فی المجمع،: الموده مشترکه بین التمنی و بین المحبه یقال:وددت الشیء أی تمنیته و وددته أی أحببته أود فیهما جمیعا.انتهی،و یمکن أن یکون استعماله بمعنی التمنی من باب التضمین.

۱- ۱) أی ردیه و خبیثه

۲- ۲) کما فی الآیه من سوره فاطر

و قال:و الافتداء الضرر عن الشیء ببدل منه انتهی،و قال: الفصیله الجماعه المنقطعه عن جمله القبیله برجوعها إلی أبوه خاصه عن أبوه عامه.انتهی،و ذکر بعضهم أن الفصیله عشیرته الأقربین الذین فصل عنهم کالآباء الأدنین.

و سیاق هذه الآیات سیاق الإضراب و الترقی بالنسبه إلی قوله:« وَ لاٰ یَسْئَلُ حَمِیمٌ حَمِیماً » فیفید أن المجرم یبلغ به شده العذاب إلی أن یتمنی أن یفتدی من العذاب بأحب أقاربه و أکرمهم علیه بنیه و صاحبته و أخیه و فصیلته و جمیع من فی الأرض ثم ینجیه الافتداء فیود ذلک فضلا عن عدم سؤاله عن حال حمیمه.

و المعنی« یَوَدُّ »و یتمنی« اَلْمُجْرِمُ »و هو المتلبس بالأجرام أعم من الکافر« لَوْ یَفْتَدِی مِنْ عَذٰابِ یَوْمِئِذٍ »و هذا هو الذی یتمناه،و الجمله قائمه مقام مفعول یود.« بِبَنِیهِ »الذین هم أحب الناس عنده« وَ صٰاحِبَتِهِ »التی کانت سکنا له و کان یحبها و ربما قدمها علی أبویه « وَ أَخِیهِ »الذی کان شقیقه و ناصره« وَ فَصِیلَتِهِ »من عشیرته الأقربین« اَلَّتِی تُؤْوِیهِ »و تضمه إلیها« وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً »من أولی العقل« ثُمَّ یُنْجِیهِ »هذا الافتداء.

قوله تعالی:« کَلاّٰ إِنَّهٰا لَظیٰ نَزّٰاعَهً لِلشَّویٰ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰی وَ جَمَعَ فَأَوْعیٰ »کلا للردع،و ضمیر« إِنَّهٰا »لجهنم أو للنار و سمیت لظی لکونها تتلظی و تشتعل،و النزاعه اسم مبالغه من النزع بمعنی الاقتلاع،و الشوی الأطراف کالید و الرجل یقال:رماه فأشواه أی أصاب شواه کذا قال الراغب،و إیعاء المال إمساکه فی وعاء.

فقوله:« کَلاّٰ »ردع لتمنیه النجاه من العذاب بالافتداء و قد علل الردع بقوله:« إِنَّهٰا لَظیٰ »إلخ و محصله أن جهنم نار مشتعله محرقه للأطراف شأنها أنها تطلب المجرمین لتعذبهم فلا تصرف عنهم بافتداء کائنا ما کان.

فقوله:« إِنَّهٰا لَظیٰ »أی نار صفتها الاشتعال لا تنعزل عن شأنها و لا تخمد،و قوله:

« نَزّٰاعَهً لِلشَّویٰ »أی صفتها إحراق الأطراف و اقتلاعها لا یبطل ما لها من الأثر فیمن تعذبه.

و قوله:« تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰی وَ جَمَعَ فَأَوْعیٰ »أی تطلب من أدبر عن الدعوه الإلهیه إلی الإیمان بالله و أعرض عن عبادته تعالی و جمع المال فأمسکه فی وعائه و لم ینفق منه للسائل و المحروم.

و هذا المعنی هو المناسب لسیاق الاستثناء الآتی و ذکر الصلاه و الإنفاق فیه.

بحث روائی

فی المجمع،حدثنا السید أبو الحمد قال:حدثنا الحاکم أبو القاسم الحسکانی و ساق السند عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه(ع)قال*: لما نصب رسول الله ص علیا و قال:من کنت مولاه فعلی مولاه،طار ذلک فی البلاد-فقدم علی النبی ص النعمان بن الحارث الفهری.

فقال:أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله-و أنک رسول الله و أمرتنا بالجهاد- و الحج و الصوم و الصلاه و الزکاه فقبلناها-ثم لم ترض حتی نصبت هذا الغلام-فقلت:من کنت مولاه فعلی مولاه،فهذا شیء منک أو أمر من عند الله؟فقال:و الله الذی لا إله إلا هو أن هذا من الله.

فولی النعمان بن الحارث و هو یقول:اللهم إن کان هذا هو الحق من عندک-فأمطر علینا حجاره من السماء-فرماه الله بحجر علی رأسه فقتله-و أنزل الله تعالی:« سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ ».

أقول:و هذا المعنی مروی بغیر طریق من طرق الشیعه،و قد رد الحدیث بعضهم بأنه موضوع لکون سوره المعارج مکیه،و قد عرفت الکلام فی مکیه السوره.

و فی الدر المنثور،أخرج الفاریابی و عبد بن حمید و النسائی و ابن أبی حاتم و الحاکم و صححه و ابن مردویه عن ابن عباس "*فی قوله:« سَأَلَ سٰائِلٌ »قال هو النضر بن الحارث-قال:اللهم إن کان هذا هو الحق من عندک-فأمطر علینا حجاره من السماء.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن السدی ":فی قوله:« سَأَلَ سٰائِلٌ »قال.نزلت بمکه فی النضر بن الحارث-و قد قال:« اَللّٰهُمَّ إِنْ کٰانَ هٰذٰا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ »الآیه-و کان عذابه یوم بدر.

أقول:و هذا المعنی مروی أیضا عن غیر السدی،و فی بعض روایاتهم أن القائل:

اَللّٰهُمَّ إِنْ کٰانَ هٰذٰا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ الآیه هو الحارث بن علقمه رجل من عبد الدار، و فی بعضها أن سائل العذاب هو أبو جهل بن هشام سأله یوم بدر و لازمه مدنیه السوره و المعتمد علی أی حال نزول السوره بعد قول القائل: اَللّٰهُمَّ إِنْ کٰانَ هٰذٰا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ الآیه و قد تقدم کلام فی سیاق الآیه.

و فی أمالی الشیخ،بإسناده إلی أبی عبد الله(ع)فی حدیث: ألا فحاسبوا أنفسکم قبل

أن تحاسبوا-فإن فی القیامه خمسین موقفا-کل موقف مثل ألف سنه مما تعدون-ثم تلا هذه الآیه« فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ »:.

أقول:و روی هذا المعنی فی روضه الکافی،عن حفص بن غیاث عنه(ع) .

و فی المجمع،روی أبو سعید الخدری قال: قیل لرسول الله ص:ما أطول هذا الیوم-فقال:و الذی نفس محمد بیده-إنه لیخف علی المؤمن-حتی یکون أخف علیه من صلاه مکتوبه یصلیها فی الدنیا:.

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن عده من الجوامع عن أبی سعید عنه(ص) .

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« یَوْمَ تَکُونُ السَّمٰاءُ کَالْمُهْلِ »قال:الرصاص الذائب و النحاس کذلک تذوب السماء.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« یُبَصَّرُونَهُمْ »یقول:

یعرفونهم ثم لا یتساءلون.

و فیه،:فی قوله تعالی:« نَزّٰاعَهً لِلشَّویٰ »قال:تنزع عینه و تسود وجهه.

و فیه،:فی قوله تعالی:« تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰی »قال:تجره إلیها.

[سوره المعارج (٧٠): الآیات ١٩ الی ٣٥]

اشاره

إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذٰا مَسَّهُ اَلشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَ إِذٰا مَسَّهُ اَلْخَیْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلاَّ اَلْمُصَلِّینَ (٢٢) اَلَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ (٢٣) وَ اَلَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسّٰائِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ (٢٥) وَ اَلَّذِینَ یُصَدِّقُونَ بِیَوْمِ اَلدِّینِ (٢۶) وَ اَلَّذِینَ هُمْ مِنْ عَذٰابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَیْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ (٢٩) إِلاّٰ عَلیٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ (٣٠) فَمَنِ اِبْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْعٰادُونَ (٣١) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ (٣٢) وَ اَلَّذِینَ هُمْ بِشَهٰادٰاتِهِمْ قٰائِمُونَ (٣٣) وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلاٰتِهِمْ یُحٰافِظُونَ (٣۴) أُولٰئِکَ فِی جَنّٰاتٍ مُکْرَمُونَ (٣۵)

ص: ١٢

بیان

تشیر الآیات إلی السبب الأولی الذی یدعو الإنسان إلی رذیله الإدبار و التولی و الجمع و الإیعاء التی تؤدیه إلی دخول النار الخالده التی هی لظی نزاعه للشوی علی ما تذکره الآیات.

و ذلک السبب صفه الهلع التی اقتضت الحکمه الإلهیه أن یخلق الإنسان علیها لیهتدی بها إلی ما فیه خیره و سعادته غیر أن الإنسان یفسدها علی نفسه و یسیء استعمالها فی سبیل سعادته فتسلک به إلی هلکه دائمه إلا الذین آمنوا و عملوا الصالحات فهم فی جنات مکرمون.

قوله تعالی:« إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً » الهلوع صفه مشتقه من الهلع بفتحتین و هو شده الحرص،و ذکروا أیضا أن الهلوع تفسره الآیتان بعده فهو الجزوع عند الشر و المنوع عند الخیر و هو تفسیر سدید و السیاق یناسبه.

و ذلک أن الحرص الشدید الذی جبل علیه الإنسان لیس حرصا منه علی کل شیء خیرا کان أو شرا أو نافعا أو ضارا بل حرصا علی الخیر و النافع و لا-حرصا علی کل خیر أو نافع سواء ارتبط به أو لم یرتبط و کان له أو لغیره بل حرصا منه علی ما یراه خیرا لنفسه أو نافعا فی سبیل الخیر،و لازم هذا الحرص أن یظهر منه التزعزع و الاضطراب عند مس الشر و هو خلاف الخیر و أن یمتنع عن ترک الخیر عند مسه و یؤثر نفسه علی غیره إلا-أن یری الترک أکثر خیرا و أنفع بحاله فالجزع عند مس الشر و المنع عند مس الخیر من لوازم الهلع و شده الحرص.

و لیس الهلع و شده الحرص المجبول علیه الإنسان-و هو من فروع حب الذات-فی حد نفسه من الرذائل المذمومه کیف؟و هی الوسیله الوحیده التی تدعو الإنسان إلی بلوغ سعادته و کمال وجوده،و إنما تکون رذیله مذمومه إذا أساء الإنسان فی تدبیرها

فاستعملها فیما ینبغی و فیما لا ینبغی و بالحق و بغیر حق کسائر الصفات النفسانیه التی هی کریمه ما لزمت حد الاعتدال و إذا انحرفت إلی جانب الإفراط أو التفریط عادت رذیله ذمیمه.

فالإنسان فی بدء نشأته و هو طفل یری ما یراه خیرا لنفسه أو شرا لنفسه بما جهز به من الغرائز العاطفه و هی التی تهواه نفسه و تشتهیه قواه من غیر أن یحده بحد أو یقدره بقدر فیجزع إذا مسه ألم أو أی مکروه،و یمنع من یزاحمه فیما أمسک به بکل ما یقدر علیه من بکاء و نحوه.

و هو علی هذه الحال حتی إذا رزق العقل و الرشد أدرک الحق و الباطل و الخیر و الشر و اعترفت نفسه بما أدرک و حینئذ یتبدل عنده کثیر من مصادیق الحق و الباطل و الخیر و الشر فعاد کثیر مما کان یراه خیرا لنفسه شرا عنده و بالعکس.

فإن أقام علی ما کان علیه من اتباع أهواء النفس و العکوف علی المشتهیات و اشتغل بها عن اتباع الحق و غفل عنه،طبع علی قلبه فلم یواجه حقا إلا دحضه و لا ذا حق إلا اضطهده و إن أدرکته العنایه الإلهیه عاد ما کان عنده من الحرص علی ما تهواه النفس حرصا علی الحق فلم یستکبر علی حق واجهه و لا منع ذا حق حقه.

فالإنسان فی بادئ أمره و هو عهد الصبی قبل البلوغ و الرشد مجهز بالحرص الشدید علی الخیر و هو صفه کمالیه له بحسب حاله بها ینبعث إلی جلب الخیر و اتقاء الشر قال تعالی: «وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَیْرِ لَشَدِیدٌ» :العادیات:۸.

ثم إذا رزق البلوغ و الرشد زاد تجهیزا آخر و هو العقل الذی بها یدرک حقائق الأمور علی ما هی علیها فیدرک ما هو الاعتقاد الحق و ما هو الخیر فی العمل،و یتبدل حرصه الشدید علی الخیر و کونه جزوعا عند مس الشر و منوعا عند مس الخیر من الحرص الشدید علی الخیر الواقعی من الفزع و الخوف إذا مسه شر أخروی و هو المعصیه و المسابقه إلی مغفره ربه إذا مسه خیر أخروی و هو مواجهه الحسنه،و أما الشر و الخیر الدنیویان فإنه لا یتعدی فیهما ما حده الله له من الصبر عند المصیبه و الصبر علی الطاعه و الصبر عن المعصیه و هذه الصفه صفه کمالیه لهذا الإنسان.

و أما إذا أعرض الإنسان عما یدرکه عقله و یعترف به فطرته و عکف علی اتباع الهوی و اعتنق الباطل و تعدی إلی حق کل ذی حق و لم یقف فی حرصه علی الخیر علی حد

فقد بدل نعمه الله نقمه و أخذ صفه غريزيه خلقها الله وسيله له يتوسل بها إلى سعاده الدنيا و الآخره وسيله إلى الشقوه و الهلكه تسوقه إلى الإدبار و التولى و الجمع و الإيعاء كما فى الآيات.

و قد بان مما تقدم أنه لا ضير فى نسبه هلع الإنسان فى الآيات إلى الخلقه و الكلام مسوق للذم و قد قال تعالى: «الَّذِی أَحْسَنَ كُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ» :السجده ۷،و ذلك أن ما يلحقه من الذم إنما هو من قبل الإنسان و سوء تدبيره لا من قبله تعالى فهو كسائر نعمه تعالى على الإنسان التى يصيرها نقما بسوء اختياره.

و ذكر الزمخشرى فرارا من الإشكال أن فى الكلام استعاره،و المعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع و المنع و تمكنهما منه كأنه مجبول مطبوع عليهما،و كأنه أمر مخلوق فيه ضرورى غير اختيارى فالكلام موضوع على التشبيه لا لإفاده كونه مخلوقا لله حقيقه لأن الكلام مسوق للذم و الله سبحانه لا يذم فعل نفسه،و من الدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم فنجوا عن الجزع و المنع جميعا.

و فيه أن الصفه مخلوقه نعمه و فضيله و الإنسان هو الذى يخرجها من الفضيله إلى الرذيله و من النعمه إلى النقمه و الذم راجع إلى الصفه من جهه سوء تدبيره لا من حيث إنها فعله تعالى.

و استثناء المؤمنين ليس لأجل أن الصفه غير مخلوقه فيهم بل لأجل أنهم أبقوها على كمالها و لم يبدلوها رذيله و نقمه.

و أجيب أيضا عن الاستثناء بأنه منقطع و هو كما ترى.

قوله تعالى:« إِلاَّ الْمُصَلِّينَ »استثناء من الإنسان الموصوف بالهلع،و فى تقديم الصلاه على سائر الأعمال الصالحه المعدوده فى الآيات التاليه دلاله على شرفها و أنها خير الأعمال.

على أن لها الأثر البارز فى دفع رذيله الهلع المذموم و قد قال تعالى: «إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ» :العنكبوت ۴۵.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ »فى إضافه الصلاه إلى الضمير دلاله على أنهم مداومون على ما يأتون به من الصلاه كائنه ما كانت لا أنهم دائما فى الصلاه،و فيه إشاره إلى أن العمل إنما يكمل أثره بالمداومه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ »فسره بعضهم بالزكاه المفروضه،

و فى الحديث عن الصادق(ع): أن الحق المعلوم ليس من الزكاه-و إنما هو مقدار

معلوم ينفقونه للفقراء،و السائل هو الفقير الـذى يسأل،و المحروم الفقير الـذى يتعفف و لا يسأل و السـياق لا يخلو من تأييـده فإن للزكاه موارد مسـماه فى قوله: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَ الْمَسٰاكِينِ وَ الْعٰامِلِينَ عَلَيْهٰا وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقٰابِ وَ الْغٰارِمِينَ وَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّٰهِ» :التوبه ۶۰ و ليست مختصه بالسائل و المحروم على ما هو ظاهر الآيه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ »الـذى يفيـده سـياق عـد الأعمال الصالحه أن المراد بتصـديقهم يوم الـدين التصديق العملى دون التصـديق الاعتقـادى و ذلـك بـأن تكون سـيرتهم فى الحيـاه سـيره من يرى أن مـا يأتى به من عمل سـيحاسب عليه فيجازى به إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا.

و فى التعبير بقوله:« يُصَدِّقُونَ »دلاله على الاسـتمرار فهو المراقبه الدائمه بذكره تعالى عند كل عمل يواجهونه فيأتون بما يريده و يتركون ما يكرهه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذٰابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ »أى خائفون،و الكلام فى إشفاقهم من عذاب ربهم نظير الكلام فى تصديقهم بيوم الدين فهو الإشفاق العملى الظاهر من حالهم.

و لازم إشفاقهم من عذاب ربهم مع لزومهم الأعمال الصالحه و مجاهدتهم فى الله أن لا يثقوا بما يأتون به من الأعمال الصالحه و لا يأمنوا عذاب الله فإن الأمن لا يجامع الخوف.

و الملاك فى الإشـفاق من العذاب أن العذاب على المخالفه فلا منجى منه إلا بالطاعه من النفس و لا ثقه بالنفس إذ لا قدره لها فى ذاتها إلا ما أقدرها الله عليه و الله سبحانه مالك غير مملوك،قال تعالى: «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً» :المائده ۱۷.

على أن الله سـبحانه و إن وعد أهل الطاعه النجاه و ذكر أنه لا يخلف الميعاد لكن الوعد لا يقيد إطلاق قدرته فهو مع ذلك قادر على ما يريـد و مشـيته نافذه فلا أمن بمعنى انتفاء القـدره على ما يخالف الوعد فالخوف على حاله و لذلك نرى أنه تعالى يقول فى ملائكته:« يَخٰافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ »فيصـفهم بـالخوف و هو يصـرح بعصـمتهم،و يقول فى أنبيـائه: «وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لاٰ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ» :الأحزاب:۳۹، و يصف المؤمنين فى هـذه الآيه بالإشـفاق و هو يعدهم فى آخر الآيات بقول جازم فيقول:

« أُولٰئِكَ فِى جَنّٰاتٍ مُكْرَمُونَ ».

قوله تعالى:« إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ »تعليل لإشـفاقهم من عذاب ربهم فيتبين به أنهم مصـيبون فى إشـفاقهم من العذاب و قد تقدم وجهه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ -إلى قوله- هُمُ العادُونَ »تقدم تفسير الآيات الثلاث فى أول سوره المؤمنون.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ »المتبادر من الأمانات أنواع الأمانه التى يؤتمنون عليها من المال و سائر ما يوصى به من نفس أو عرض و رعايتهم لها أن يحفظوها و لا يخونوها قيل:و لكثره أنواعها جىء بلفظ الجمع بخلاف العهد.

و قيل:المراد بها جميع ما كلفهم الله من اعتقاد و عمل فتعم حقوق الله و حقوق الناس فلو ضيعوا شيئا منها فقد خانوه.

و قيل:كل نعمه أعطاها الله عبده من الأعضاء و غيرها أمانه فمن استعمل شيئا منها فى غير ما أعطاه الله لأجله و أذن له فى استعماله فقد خانه.

و ظاهر العهد عقد الإنسان مع غيره قولا أو فعلا على أمر و رعايته أن يحفظه و لا ينقضه من غير مجوز.

و قيل: العهد كل ما التزم به الإنسان لغيره فإيمان العبد لربه عهد منه عاهد به ربه أن يطيعه فى كل ما كلفه به فلو عصاه فى شىء مما أمره به أو نهاه عنه فقد نقض عهده.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ »الشهاده معروفه،و القيام بالشهاده عدم الاستنكاف عن تحملها و أداء ما تحمل منها كما تحمل من غير كتمان و لا تغيير،و الآيات فى هذا المعنى كثيره.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ »المراد بالمحافظه على الصلاه رعايه صفات كمالها على ما ندب إليه الشرع.

قيل:و المحافظه على الصلاه غير الدوام عليها فإن الدوام متعلق بنفس الصلاه و المحافظه بكيفيتها فلا تكرار فى ذكر المحافظه عليها بعد ذكر الدوام عليها.

قوله تعالى:« أُولئِكَ فِي جَنّاتٍ مُكْرَمُونَ »الإشاره إلى المصلين فى قوله:« إِلاَّ الْمُصَلِّينَ »و تنكير جنات للتفخيم،و« فِي جَنّاتٍ »خبر و« مُكْرَمُونَ »خبر بعد خبر أو ظرف لقوله:« مُكْرَمُونَ ».

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":« إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً »قال:الشر هو الفقر و الفاقه« وَ إِذٰا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً »قال:الغنى و السعه.

و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال*: ثم استثنى فقال« إِلاَّ الْمُصَلِّينَ » فوصفهم بأحسن أعمالهم« اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ »يقول:إذا فرض على نفسه شيئا من النوافل دام عليه.

أقول:قوله:إذا فرض على نفسه«إلخ»استفاد(ع)هذا المعنى من إضافه الصلاه إلى ضمير« هُمْ »و قد أشرنا إليه فيما مر.

و فی الکافی،بإسناده إلى الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر(ع)عن قول الله عز و جل:« وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ يُحٰافِظُونَ »قال:هی الفريضه.قلت:« اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ »قال:هی النافله.

و فی المجمع،:فی قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ فِي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ »:و

روی عن أبی عبد الله(ع) أنه قال: الحق المعلوم ليس من الزكاه-و هو الشیء الذی تخرجه من مالك-إن شئت كل جمعه و إن شئت كل يوم،و لكل ذی فضل فضله.

قال:و روی عنه أيضا أنه قال: هو أن تصل القرابه و تعطی من حرمك و تصدق على من عاداك.

أقول:و روی هذا المعنى فی الكافی،عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع)بعده طرق و رواه فی المحاسن عن أبی جعفر(ع).

و فی الکافی،بإسناده عن صفوان الجمال عن أبی عبد الله(ع) *فی قول الله عز و جل « لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ »قال:المحروم المحارف-الذی قد حرم كد يمينه فی الشراء و البيع.

قال:و فی روایه أخرى عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع)أنهما قالا*: المحروم الرجل الذی ليس بعقله بأس-و لم يبسط له فی الرزق و هو محارف.

و فی المجمع،:فی قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ يُحٰافِظُونَ »:

روی محمد بن الفضيل

عن أبی الحسن(ع)أنه قال*: أولئک أصحاب الخمسین صلاه من شیعتنا.

أقول:و لعله مبنی علی ما ورد عنهم((ع))أن تشریع النوافل الیومیه لتتمیم الفرائض.

[سوره المعارج (۷۰): الآیات ۳۶ الی ۴۴]

اشاره

فَمٰا لِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا قِبَلَکَ مُهْطِعِینَ (۳۶) عَنِ اَلْیَمِینِ وَ عَنِ اَلشِّمٰالِ عِزِینَ (۳۷) أَ یَطْمَعُ کُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِیمٍ (۳۸) کَلاّٰ إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا یَعْلَمُونَ (۳۹) فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ اَلْمَشٰارِقِ وَ اَلْمَغٰارِبِ إِنّٰا لَقٰادِرُونَ (۴۰) عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَیْراً مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ (۴۱) فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَ یَلْعَبُوا حَتّٰی یُلاٰقُوا یَوْمَهُمُ اَلَّذِی یُوعَدُونَ (۴۲) یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً کَأَنَّهُمْ إِلیٰ نُصُبٍ یُوفِضُونَ (۴۳) خٰاشِعَهً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ ذٰلِکَ اَلْیَوْمُ اَلَّذِی کٰانُوا یُوعَدُونَ (۴۴)

بیان

لما ذکر سبحانه فی الفصل الأول من آیات السوره فی ذیل ما حکی من سؤالهم العذاب أن لهم عذابا واقعا لیس له دافع و هو النار المتلظیه النزاعه للشوی التی تدعو من أدبر و تولی و جمع فأوعی.

ثم بین فی الفصل الثانی منها الملاک فی ابتلائهم بهذه الشقوه و هو أن الإنسان مجهز بغریزه الهلع و حب خیر نفسه و یؤدیه اتباع الهوی فی استعمالها إلی الاستکبار علی کل حق یواجهه فیورده ذلک النار الخالده،و لا ینجو من ذلک إلا الصالحون عملا المصدقون لیوم الدین المشفقون من عذاب ربهم.

انعطف فی هذا الفصل من الآیات-و هو الفصل الثالث-علی أولئک الکفار کالمتعجب

من أمرهم حيث يجتمعون على النبى ص:مهطعين عن اليمين و عن الشمال عزين مقبلين عليه بأبصارهم لا يفارقونه فخاطبه(ص):ما بالهم يحيطون بك مهطعين عليك يلازمونك؟ هل يريد كل امرئ منهم أن يدخل جنه نعيم و هو كافر و قد قدر الله سبحانه أن لا يكرم بجنته إلا من استثناه من المؤمنين فهل يريدون أن يسبقوا الله و يعجزوه بنقض ما حكم به و إبطال ما قدره كلا إن الله الذى خلقهم من نطفه مهينه قادر أن يبدلهم خيرا منهم و يخلق مما خلقهم منه،غيرهم ممن يعبده و يدخل جنته.

ثم أمر النبى ص أن يقطع خصامهم و يذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون.

قوله تعالى:« فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ »قال فى المجمع،:قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشىء لا يزايله و ذلك من نظر العدو، و قال أبو عبيده الإهطاع الإسراع،و عزين جماعات فى تفرقه،واحدتهم عزه.انتهى، و قبل الشىء بالكسر فالفتح الجهه التى تليه و الفاء فى«فما»فصيحه.

و المعنى:إذا كان الإنسان بكفره و استكباره على الحق مصيره إلى النار إلا من استثنى من المؤمنين فما للذين كفروا عندك مقبلين عليك لا يرفعون عنك أبصارهم و هم جماعات متفرقه عن يمينك و شمالك أ يطمعون أن يدخلوا الجنه فيعجزوا الله و يسبقوه فيما قضى به أن لا يدخل الجنه إلا الصلحاء من المؤمنين.

قوله تعالى:« أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ »،الاستفهام للإنكار أى-ما هو الذى يحملهم على أن يحتفوا بك و يهطعوا عليك؟-هل يحملهم على ذلك طمع كل منهم أن يدخل جنه نعيم و هو كافر فلا مطمع للكافر فى دخول الجنه.

و نسب الطمع إلى كل امرئ منهم و لم ينسب إلى جماعتهم بأن يقال:أ يطمعون أن يدخلوا«إلخ»كما نسب الإهطاع إلى جماعتهم فقيل:مهطعين لأن النافع من الطمع فى السعاده و الفلاح هو الطمع القائم بنفس الفرد الباعث له إلى الإيمان و العمل الصالح دون القائم بالجماعه بما أنها جماعه فطمع المجموع من حيث إنه مجموع لا يكفى فى سعاده كل واحد واحد.

و فى قوله:« أَنْ يُدْخَلَ »مجهولا من باب الإفعال إشاره إلى أن دخولهم فى الجنه ليس منوطا باختيارهم و مشيتهم بل لو كان فإنما هو إلى الله سبحانه فهو الذى يدخلهم الجنه

إن شاء و لن يدخل بما قدر أن لا يدخلها كافر.

قيل:إن النبى ص كان يصلى عند الكعبه و يقرأ القرآن فكان المشركون يجتمعون حوله حلقا حلقا و فرقا يستمعون و يستهزءون بكلامه،و يقولون إن دخل هؤلاء الجنه كما يقول محمد ص فلندخلها قبلهم فنزلت الآيات.

و هذا القول لا يلائمه سياق الآيات الظاهر فى تفرع صنعهم ذلك على ما مر من حرمان الناس من دخول الجنه إلا من استثنى من المؤمنين إذ من الضرورى على هذا أن اجتماعهم حوله(ص)و إهطاعهم عليه إنما حملهم عليه إفراطهم فى عداوته و مبالغتهم فى إيذائه و إهانته،و أن قولهم:سندخل الجنه قبل المؤمنين-و هم مشركون مصرون على إنكار المعاد غير معترفين بنار و لا جنه-إنما كان استهزاء و تهكما.

فلا مساغ لتفريع عملهم ذاك على ما تقدم من حديث النار و الجنه و السؤال-فى سياق التعجيب-عن السبب الحامل لهم عليه ثم استفهام طمعهم فى دخول الجنه و إنكاره عليهم.

فبما تقدم يتأيد أن يكون المراد بالذين كفروا فى قوله:« فَمٰا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا »قوما من المنافقين آمنوا به(ص)ظاهرا و لازموه ثم كفروا برد بعض ما نزل عليه كما يشير إليه أمثال قوله تعالى: «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ» :المنافقون ۳،و قوله: «لاٰ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكُمْ» :التوبه ۶۶،و قوله: «فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِي قُلُوبِهِمْ» :التوبه ۷۷.

فهؤلاء قوم كانوا قد آمنوا و دخلوا فى جماعه المؤمنين و لازموا النبى ص مهطعين عليه عن اليمين و عن الشمال عزين ثم كفروا ببعض ما نزل إليه لا يبالون به فقرعهم الله سبحانه فى هذه الآيات أنهم لا ينتفعون بملازمته و لا لهم أن يطمعوا فى دخول الجنه فليسوا ممن يدخلها و ليسوا بسابقين و لا معجزين.

و يؤيده قوله الآتى:« إِنّٰا لَقٰادِرُونَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ »إلخ على ما سنشير إليه.

قوله تعالى:« كَلاّٰ إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا يَعْلَمُونَ »ردع لهم عن الطمع فى دخول الجنه مع كفرهم.

و قوله:« إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا يَعْلَمُونَ »المراد بما يعلمون النطفه فإن الإنسان مخلوق منها.

و الكلام مرتبط بما بعده و المجموع تعليل للردع،و محصل التعليل أنا خلقناهم من النطفه

-و هم يعلمون به-فلنا أن نذهب بهم و نخلق مكانهم قوما آخرين يكونون خيرا منهم مؤمنين غير رادين لشیء من دين الله،و لسنا بمسبوقين حتى يعجزنا هؤلاء الكفار و يسبقونا فندخلهم الجنه و ينتقض به ما قدرنا أن لا يدخل الجنه كافر.

و قيل:«من»فی قوله:« مِمّا يَعْلَمُونَ »تفيد معنى لام التعليل، و المعنى أنا خلقناهم لأجل ما يعلمون و هو الاستكمال بالإيمان و الطاعه فمن الواجب أن يتلبسوا بذلك حتى ندخلهم الجنه فكيف يطمعون فی دخولها و هم كفار؟و إنما علموا بذلك من طريق إخبار النبی ص.

و قيل:«من»لابتداء الغايه،و المعنى:أنا خلقناهم من نطفه قذره لا تناسب عالم القدس و الطهاره حتى تتطهر بالإيمان و الطاعه و تتخلق بأخلاق الملائكه فتدخل و أنى لهم ذلك و هم كفار.

و قيل:المراد بما فی« مِمّا يَعْلَمُونَ »الجنس،و المعنى أنا خلقناهم من جنس الآدميين الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون لا من جنس الحيوانات التی لا تعقل و لا تفقه فالحجه لازمه لهم تامه عليهم،و الوجوه الثلاثه سخيفه.

قوله تعالى:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ إِنّٰا لَقٰادِرُونَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ »المراد بالمشارق و المغارب مشارق الشمس و مغاربها فإن لها فی كل يوم من أيام السنه الشمسيه مشرقا و مغربا لا يعود إليهما إلى مثل اليوم من السنه القابله،و من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم و مغاربها.

و فی الآيه على قصرها وجوه من الالتفات ففی قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ »التفات من التكلم مع الغير فی« إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ »إلى التكلم وحده،و الوجه فيه تأكيد القسم بإسناده إلى الله تعالى نفسه.

و فی قوله:« بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ »التفات من التكلم وحده إلى الغيبه،و الوجه فيه الإشاره إلى صفه من صفاته تعالى هی المبدأ فی خلق الناس جيلا بعد جيل و هی ربوبيته للمشارق و المغارب فإن الشروق بعد الشروق و الغروب بعد الغروب الملازم لمرور الزمان دخلا تاما فی تكون الإنسان جيلا بعد جيل و سائر الحوادث الأرضيه المقارنه له.

و فی قوله:« إِنّٰا لَقٰادِرُونَ »التفات من الغيبه إلى التكلم مع الغير،و الوجه فيه الإشاره

إلی العظمه المناسبه لذکر القدره،و فی ذکر ربوبیته للمشارق و المغارب إشاره إلی تعلیل القدره فإن الذی ینتهی إلیه تدبیر الحوادث فی تکونها لا یعجزه شیء من الحوادث التی هی أفعاله عن شیء منها و لا یمنعه شیء من خلقه من أن یبدله خیرا منه و إلا شارکه المانع فی أمر التدبیر و الله سبحانه واحد لا شریک له فی ربوبیته فافهم ذلک.

و قوله:« إِنّا لَقادِرُونَ عَلی أَنْ نُبَدِّلَ خَیْراً مِنْهُمْ »« عَلی »متعلق بقوله:« لَقادِرُونَ » و المفعول الأول لنبدل ضمیر محذوف راجع إلیهم و إنما حذف للإشاره إلی هوان أمرهم و عدم الاهتمام بهم،و« خَیْراً »مفعوله الثانی و هو صفه أقیمت مقام موصوفها،و التقدیر إنا لقادرون علی أن نبدلهم قوما خیرا منهم،و خیریتهم منهم أن یؤمنوا بالله و لا یکفروا به و یتبعوا الحق و لا یردوه.

و قوله:« وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ »المراد بالسبق الغلبه علی سبیل الاستعاره،و کونه تعالی مسبوقا هو أن یمنعه خلقهم أن یذهب بهم و یأتی بدلهم بقوم خیر منهم.

و سیاق الآیه لا یخلو من تأیید ما لما تقدم من کون المراد بالذین کفروا قوما من المنافقین دون المشرکین المعاندین للدین النافین لأصل المعاد فإن ظاهر قوله:« خَیْراً مِنْهُمْ »لا یخلو من دلاله أو إشعار بأن فیهم شائبه خیریه و لله أن یبدل خیرا منهم،و المشرکون لا خیر فیهم لکن هذه الطائفه من المنافقین لا یخلو تحفظهم علی ظواهر الدین مما آمنوا به و لم یردوه من خیر للإسلام.

فقد بان بما تقدم أن قوله:« إِنّا خَلَقْناهُمْ مِمّا یَعْلَمُونَ »إلی آخر الآیات الثلاث تعلیل للردع بقوله:« کَلاّ »،و أن محصل مضمون الآیات الثلاث أنهم مخلوقون من نطفه-و هم یعلمون ذلک-و هی خلقه جاریه و الله الذی هو رب الحوادث الجاریه التی منها خلق الإنسان جیلا بعد جیل و المدبر لها قادر أن یذهب بهم و یبدلهم خیرا منهم یعتنون بأمر الدین و یستأهلون لدخول الجنه،و لا یمنعه خلق هؤلاء أن یبدلهم خیرا منهم و یدخلهم الجنه بکمال إیمانهم من غیر أن یضطر إلی إدخال هؤلاء الجنه فلا ینتقض تقدیره أن الجنه للصالحین من أهل الإیمان.

قوله تعالی:« فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَ یَلْعَبُوا حَتّی یُلاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی یُوعَدُونَ »أمر للنبی ص أن یترکهم و ما هم فیه،و لا یلح علیهم بحجاج و لا یتعب نفسه فیهم بعظه،و قد سمی ما هم علیه بالخوض و اللعب دلاله علی أنهم لا ینتفعون به انتفاعا حقیقیا علی ما لهم

فیه من الإمعان و الإصرار کاللعب الذی لا نفع فیه وراء الخیال فلیترکوا حتی یلاقوا الیوم الذی یوعدون و هو یوم القیامه.

و فی إضافه الیوم إلیهم إشاره إلی نوع اختصاص له بهم و هو الاختصاص بعذابهم.

قوله تعالی:« یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً کَأَنَّهُمْ إِلیٰ نُصُبٍ یُوفِضُونَ »بیان لیومهم الذی یوعدون و هو یوم القیامه.

و الأجداث جمع جدث و هو القبر،و سراعا جمع سریع،و النصب ما ینصب علامه فی الطریق یقصده السائرون للاهتداء به،و قیل:هو الصنم المنصوب للعباده و هو بعید من کلامه تعالی،و الإیفاض الإسراع و المعنی ظاهر.

قوله تعالی:« خٰاشِعَهً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ ذٰلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کٰانُوا یُوعَدُونَ » الخشوع تأثر خاص فی القلب عن مشاهده العظمه و الکبریاء،و یناظره الخضوع فی الجوارح، و نسبه الخشوع إلی الأبصار لظهور آثاره فیها،و الرهق غشیان الشیء بقهر.

و قوله:« ذٰلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کٰانُوا یُوعَدُونَ »الإشاره إلی ما مر من أوصافه من الخروج من الأجداث سراعا و خشوع الأبصار و رهق الذله.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید عن عباده بن أنس قال*: دخل رسول الله ص المسجد فقال:ما لی أراکم عزین حلقا حلق الجاهلیه قعد رجل خلف أخیه.

أقول:

و رواه عن ابن مردویه عن أبی هریره و لفظه: خرج رسول الله ص و أصحابه جلوس حلقا حلقا-فقال:ما لی أراکم عزین ،و روی هذا المعنی أیضا عن جابر بن سمره.

و فی تفسیر القمی،":و قوله:« کَلاّٰ إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا یَعْلَمُونَ »قال:من نطفه ثم علقه، و قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ »أی أقسم« بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ »قال:مشارق الشتاء و مشارق الصیف-و مغارب الشتاء و مغارب الصیف.

و فی المعانی،بإسناده إلی عبد الله بن أبی حماد رفعه إلی أمیر المؤمنین(ع)قال: لها ثلاثمائه و ستون مشرقا و ثلاثمائه و ستون مغربا-فیومها الذی تشرق فیه لا تعود فیه إلا من قابل.

و فی تفسیر القمی،":و قوله:« یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً »قال:من القبر« کَأَنَّهُمْ إِلیٰ نُصُبٍ یُوفِضُونَ »قال:إلی الداعی ینادون،و قوله:« تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ »قال:تصیبهم ذله.

(۷۱) سوره نوح مکیه و هی ثمان و عشرون آیه(۲۸)

[سوره نوح (۷۱): الآیات ۱ الی ۲۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ

إِنّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱) قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲) أَنِ اُعْبُدُوا اَللّهَ وَ اِتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (۳) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اَللّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴) قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً (۵) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاّ فِراراً (۶) وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اِسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اِسْتَكْبَرُوا اِسْتِكْباراً (۷) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (۸) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (۹) فَقُلْتُ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً (۱۰) يُرْسِلِ اَلسَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (۱۱) وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً (۱۲) ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقاراً (۱۳) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (۱۴) أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اَللّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (۱۵) وَ جَعَلَ اَلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ اَلشَّمْسَ سِراجاً (۱۶) وَ اَللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ نَباتاً (۱۷) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (۱۸) وَ اَللّهُ جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ بِساطاً (۱۹) لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً (۲۰) قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اِتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّ خَساراً (۲۱) وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً (۲۲) وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (۲۳) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لا تَزِدِ اَلظّالِمِينَ إِلاّ ضَلالاً (۲۴)

ص: ۲۵

بيان

تشير السوره إلى رساله نوح(ع)إلى قومه و إجمال دعوته و عدم استجابتهم له ثم شكواه إلى ربه منهم و دعائه عليهم و استغفاره لنفسه و لوالديه و لمن دخل بيته مؤمنا و للمؤمنين و المؤمنات ثم حلول العذاب بهم و إهلاكهم بالإغراق و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ »« أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ »إلخ،تفسير لرسالته أي أوحينا إليه أن أنذر«إلخ».

و في الكلام دلاله على أن قومه كانوا عرضه للعذاب بشركهم و معاصيهم كما يدل عليه ما حكى من قوله(ع)في الآيه التاليه:« اُعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ »و ذلك أن الإنذار تخويف و التخويف إنما يكون من خطر محتمل لا دافع له لو لا التحذر،و قد أفاد قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ »إنه متوجه إليهم غير تاركهم لو لا تحذرهم منه.

قوله تعالى:« قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ »بيان لتبليغه رسالته إجمالا بقوله:« إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ »و تفصيلا بقوله:« أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ »إلخ.

و في إضافته اليوم إلى نفسه إظهار إشفاق و رحمه أي أنكم قومي يجمعكم و إياي مجتمعنا القومي تسوؤني ما أساءكم فلست أريد إلا ما فيه خيركم و سعادتكم إني لكم نذير إلخ.

و في قوله:« أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ »دعوتهم إلى توحيده تعالى في عبادته فإن القوم كانوا وثنيين يعبدون الأصنام،و الوثنيه لا تجوز عباده الله سبحانه لا وحده و لا مع غيره، و إنما يعبدون أرباب الأصنام بعباده الأصنام ليكونوا شفعاء لهم عند الله،و لو جوزوا

عبادته تعالی لعبدوه وحده فدعوتهم إلی عباده الله دعوه لهم إلی توحیده فی العباده.

و فی قوله:« وَ اتَّقُوهُ »دعوتهم إلی اجتناب معاصیه من کبائر الإثم و صغائره و هی الشرک فما دونه،و فعل الأعمال الصالحه التی فی ترکها معصیه.

و فی قوله:« وَ أَطِیعُونِ »دعوه لهم إلی طاعه نفسه المستلزم لتصدیق رسالته و أخذ معالم دینهم مما یعبد به الله سبحانه و یستن به فی الحیاه منه(ع)ففی قوله:« اُعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِیعُونِ »ندب إلی أصول الدین الثلاثه:التوحید المشار إلیه بقوله:

« اُعْبُدُوا اللّٰهَ »و المعاد الذی هو أساس التقوی (۱)و التصدیق بالنبوه المشار إلیه بالدعوه إلی الطاعه المطلقه.

قوله تعالی:« یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ »مجزوم فی جواب الأمر و کلمه« مِنْ »للتبعیض علی ما هو المتبادر من السیاق،و المعنی أن تعبدوه و تتقوه و تطیعونی یغفر لکم بعض ذنوبکم و هی الذنوب التی قبل الإیمان:الشرک فما دونه،و أما الذنوب التی لم تقترف بعد مما سیستقبل فلا معنی لمغفرتها قبل تحققها،و لا معنی أیضا للوعد بمغفرتها إن تحققت فی المستقبل أو کلما تحققت لاستلزام ذلک إلغاء التکالیف الدینیه بإلغاء المجازاه علی مخالفتها.

و یؤید ذلک ظاهر قوله تعالی: «یٰا قَوْمَنٰا أَجِیبُوا دٰاعِیَ اللّٰهِ وَ آمِنُوا بِهِ یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ» :الأحقاف ۳۱،و قوله: «یَدْعُوکُمْ لِیَغْفِرَ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ» :إبراهیم ۱۰ و قوله: «قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَنْتَهُوا یُغْفَرْ لَهُمْ مٰا قَدْ سَلَفَ» :الأنفال ۳۸.

و أما قوله تعالی یخاطب المؤمنین من هذه الأمه: «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلیٰ تِجٰارَهٍ تُنْجِیکُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِیمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ یُدْخِلْکُمْ جَنّٰاتٍ» الصف ۱۲ فهو و إن کان ظاهرا فی مغفره جمیع الذنوب لکن رتبت المغفره فیه علی استمرار الإیمان و العمل الصالح و إدامتهما ما دامت الحیاه فلا مغفره فیه متعلقه بما لم یتحقق بعد من المعاصی و الذنوب المستقبله و لا وعد بمغفرتها کلما تحققت.

و قد مال بعضهم اعتمادا علی عموم المغفره فی آیه الصف إلی القول بأن المغفور بسبب الإیمان فی هذه الأمه جمیع الذنوب و فی سائر الأمم بعضها کما هو ظاهر قول نوح لأمته:

ص :۲۷

۱- ۱) إذ لو لا المعاد بما فیه من الحساب و الجزاء لم یکن للتقوی الدینی وجه،منه.

« يَغْفِرْ لَكَمْ مِنْ ذُنُوبِكَمْ »و قول الرسل:كما فى سوره إبراهيم« يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكَمْ مِنْ ذُنُوبِكَمْ »و قول الجن كما فى سوره الأحقاف لقومهم:« يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ».

و فيه أن آيه الصف موردها غير مورد المغفره بسبب الإيمان فقط كما أشرنا إليه.على أن آيه الأنفال صريحه فى مغفره ما قد سلف،و المخاطب به كفار هذه الأمه.

و ذهب بعضهم إلى كون« مِنْ »فى قوله:« مِنْ ذُنُوبِكُمْ »زائده،و لم تثبت زياده «من»فى الإثبات فهو ضعيف و مثله فى الضعف قول من ذهب إلى أن« مِنْ »بيانيه، و قول من ذهب إلى أنها لابتداء الغايه.

قوله تعالى:« وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »تعليق تأخيرهم إلى أجل مسمى على عباده الله و التقوى و طاعه الرسول يدل على أن هناك أجلين أجل مسمى يؤخرهم الله إليه إن أجابوا الدعوه،و أجل غيره يعجل إليهم لو بقوا على الكفر،و إن الأجل المسمى أقصى الأجلين و أبعدهما.

ففى الآيه وعدهم بالتأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا و فى قوله:« إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ »تعليل للتأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا فالمراد بأجل الله إذا جاء مطلق الأجل المقضى المتحتم أعم من الأجل المسمى و غير المسمى فلا راد لقضائه تعالى و لا معقب لحكمه.

و المعنى:أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعونى يؤخركم الله إلى أجل مسمى هو أقصى الأجلين فإنكم إن لم تفعلوا ذلك جاءكم الأجل غير المسمى بكفركم و لم تؤخروا فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر،ففى الكلام مضافا إلى وعد التأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا،تهديد بعذاب معجل إن لم يؤمنوا.

و قد ظهر بما تقدم عدم استقامه تفسير بعضهم لأجل الله بالأجل غير المسمى و أضعف منه تفسيره بالأجل المسمى.

و ذكر بعضهم:أن المراد بأجل الله يوم القيامه و الظاهر أنه يفسر الأجل المسمى أيضا بيوم القيامه فيرجع معنى الآيه حينئذ إلى مثل قولنا:إن لم تؤمنوا عجل الله إليكم بعذاب الدنيا و إن آمنتم أخركم إلى يوم القيامه أنه إذا جاء لا يؤخر.

و أنت خبير بأنه لا يلائم التبشير الذى فى قوله:« يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ».

و قوله:« لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »متعلق بأول الكلام أى لو كنتم تعلمون أن لله أجلين و أن أجله إذا جاء لا يؤخر استجبتم دعوتى و عبدتم الله و اتقيتموه و أطعتمونى هذا فمفعول « تَعْلَمُونَ »محذوف يدل عليه سابق الكلام.

و قيل:إن« تَعْلَمُونَ »منزل منزله الفعل اللازم،و جواب لو متعلق بأول الكلام، و المعنى:لو كنتم من أهل العلم لاستجبتم دعوتى و آمنتم،أو متعلق بآخر الكلام، و المعنى:لو كنتم من أهل العلم لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

قوله تعالى:« قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاّ فِراراً » القائل هو نوح(ع)و الذى دعا إليه هو عباده الله و تقواه و طاعه رسوله،و الدعاء ليلا و نهارا كنايه عن دوامه من غير فتور و لا توان.

و قوله:« فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاّ فِراراً »أى من إجابه دعوتى فالمراد بالفرار التمرد و التأبى عن القبول استعاره،و إسناد زياده الفرار إلى دعائه لما فيه من شائبه السببيه لأن الخير إذا وقع في محل غير صالح قاومه المحل بما فيه من الفساد فأفسده فانقلب شرا،و قد قال تعالى فى صفه القرآن: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلاّ خَساراً» :إسراء ٨٢.

قوله تعالى:« وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ »إلخ ذكر مغفرته تعالى غايه لدعوته و الأصل(دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم)»لأن الغرض الإشاره إلى أنه كان ناصحا لهم فى دعوته و لم يرد إلا ما فيه خير دنياهم و عقباهم.

و قوله:« جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ »كنايه عن استنكافهم عن الاستماع إلى دعوته، و قوله:« وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ »أى غطوا بها رءوسهم و وجوههم لئلا يرونى و لا يسمعوا كلامى و هو كنايه عن التنفر و عدم الاستماع إلى قوله.

و قوله:« وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً »أى و ألحوا على الامتناع من الاستماع و استكبروا عن قبول دعوتى استكبارا عجيبا.

قوله تعالى:« ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً »« ثُمَّ »للتراخى بحسب رتبه الكلام و الجهار النداء بأعلى الصوت.

قوله تعالى:« ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً »الإعلان و الإسرار متقابلان

و هما الإظهار و الإخفاء،و ظاهر السياق أن مرجع ضمير لهم فى الموضعين واحد فالمعنى دعوتهم سرا و علانيه فتاره علانيه و تاره سرا سالكا فى دعوتى كل مذهب ممكن و سائرا فى كل مسير مرجو.

قوله تعالى:« فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كٰانَ غَفّاراً -إلى قوله- أَنْهٰاراً »علل أمرهم بالاستغفار بقوله:« إِنَّهُ كٰانَ غَفّاراً »دلاله على أنه تعالى كثير المغفره و هى مضافا إلى كثرتها منه سنه مستمره له تعالى.

و قوله:« يُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً »مجزوم فى جواب الأمر،و المراد بالسماء السحاب، و المدرار كثير الدرور بالأمطار.

و قوله:« وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ » الأمداد إلحاق المدد و هو ما يتقوى به الممد على حاجته،و الأموال و البنون أقرب الأعضاد الابتدائيه التى يستعين بها المجتمع الإنسانى على حوائجه الحيويه.

و قوله:« وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰاراً »هما من قسم الأموال غير أنهما لكونهما من أبسط ضروريات المعاش خصا بالذكر.

و الآيات-كما ترى-تعد النعم الدنيويه و تحكى عنه(ع)أنه يعد قومه توافر النعم و تواترها عليهم أن استغفروا ربهم فلمغفره الذنوب أثر بالغ فى رفع المصائب و النقمات العامه و انفتاح أبواب النعم من السماء و الأرض أى إن هناك ارتباطا خاصا بين صلاح المجتمع الإنسانى و فساده و بين الأوضاع العامه الكونيه المربوطه بالحياه الإنسانيه و طيب عيشه و نكده.

كما يدل عليه قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِي النّٰاسِ» الروم ۴۱،و قوله: «وَ مٰا أَصٰابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» :الشورى ۳۰، و قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ» الأعراف ۹۴،و قد تقدم فى تفسير الآيات ما لا يخلو من نفع فى هذا المقام.

قوله تعالى:« مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰاراً »استفهام إنكارى و الوقار -كما فى المجمع،- بمعنى العظمه اسم من التوقير بمعنى التعظيم،و الرجاء مقابل الخوف و هو الظن بما فيه مسره، و المراد به فى الآيه مطلق الاعتقاد على ما قيل،و قيل:المراد به الخوف للملازمه بينهما.

و المعنى:أى سبب حصل لكم حال كونكم لا تعتقدون أو لا تخافون لله عظمه توجب أن تعبدوه.

و الحق أن المراد بالرجاء معناه المعروف و هو ما يقابل الخوف و نفيه كنايه عن اليأس فكثيرا ما يكنى به عنه يقال:لا أرجو فيه خيرا أى أنا آيس من أن يكون فيه خير، و الوقار الثبوت و الاستقرار و التمكن و هو الأصل فى معناه كما صرح به فى المجمع،و وقاره تعالى ثبوته و استقراره فى الربوبيه المستتبع لألوهيته و معبوديته.

كان الوثنيين طلبوا ربا له وقار فى الربوبيه لعبدوه فيئسوا منه تعالى فعبدوا غيره و هو كذلك فإنهم يرون أنه تعالى لا يحيط به أفهامنا فلا سبيل للتوجه العبادى إليه، و العباده أداء لحق الربوبيه التى يتفرع عليها تدبير الأمر و تدبير أمور العالم مفوض إلى أصناف الملائكه و الجن فهم أربابنا الذين يجب علينا عبادتهم ليكونوا شفعاء لنا عند الله، و أما هو تعالى فليس له إلا الإيجاد إيجاد الأرباب و مربوبيهم جميعا دون التدبير.

و الآيه أعنى قوله:« مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰاراً »و ما يتلوها إلى تمام سبع آيات مسوقه لإثبات وقاره تعالى فى الربوبيه و حجه قاطعه فى نفى ما لفقوه لوجوب عباده غيره من الملائكه و غيرهم لاستناد تدبير العالم إليهم،و يتبين به إمكان التوجه العبادى إليه تعالى.

و محصل الحجه:ما الذى دعاكم إلى نفى ربوبيته تعالى المستتبع للألوهيه و المعبوديه و اليأس عن وقاره؟و أنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم و خلق العالم الذى تعيشون فيه طورا من الخلق لا ينفك عن هذا النظام الجارى فيه،و ليس تدبير الكون و من فيه من الإنسان إلا التطورات المخلوقه فى أجزائه و النظام الجارى فيه فكونه تعالى خالقا هو كونه مالكا مدبرا فهو الرب لا رب سواه فيجب أن يتخذ إلها معبودا.

و يتبين به صحه التوجه إليه تعالى بالعباده فإنا نعرفه بصفاته الكريمه من الخلق و الرزق و الرحمه و سائر صفاته الفعليه فلنا أن نتوجه إليه بما نعرفه من صفاته (۱).

۱- ۱) و إنما أخذناه بما نعرفه من صفاته الفعليه لأن من المنسوب إليهم أنهم ينكرون صفاته الذاتيه و يفسرونها بسلب النقائص فمعنى كونه حيا قديرا عليما عندهم أنه ليس بميت و لا عاجز و لا جاهل على أن الآيات أيضا تصفه بالصفات الفعليه،منه.

قوله تعالى:« وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوٰاراً »حال من فاعل« لاٰ تَرْجُونَ »و الأطوار جمع طور و هو حد الشیء و حاله التی هو علیها.

و محصل المعنى-لا ترجون لله وقارا فی ربوبیه-و الحال أنه أنشأكم طورا بعد طور یستعقب طورا آخر فأنشأ الواحد منكم ترابا ثم نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم جنینا ثم طفلا ثم شابا ثم شیخا و أنشأ جمعكم مختلفه الأفراد فی الذكوره و الأنوثه و الألوان و الهیئات و القوه و الضعف إلى غیر ذلك،و هل هذا إلا التدبیر فهو مدبر أمركم فهو ربكم.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَوْا كَیْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً »مطابقه السماوات السبع بعضها لبعض كون بعضها فوق بعض أو تطابقهن و تماثلهن على الاحتمالین المتقدمین فی تفسیر أوائل سوره الملك.

و المراد بالرؤیه العلم،و توصیف السماوات السبع-و الكلام مسوق سوق الحجه- یدل على أنهم كانوا یرون كونها سبعا و یسلمون ذلك فاحتج علیهم بالمسلم عندهم.

و كیف كان فوقوع حدیث السماوات السبع فی كلام نوح دلیل على كونه مأثورا من الأنبیاء((ع))من أقدم العهود.

قوله تعالى:« وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرٰاجاً »الآیات-كما یشهد به سیاقها-مسوقه لبیان وقوع التدبیر الإلهی على الإنسان بما یفیض علیه من النعم حتى تثبت ربوبیته فتجب عبادته.

و على هذا فكون الشمس سراجا هو كونها مضیئه لعالمنا و لولاها لانغمرنا فی ظلمه ظلماء،و كون القمر نورا هو كونه منورا لأرضنا بنور مكتسب من الشمس فلیس منورا بنفسه حتى یعد سراجا.

و أما أخذ السماوات ظرفا للقمر فی قوله:« وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً »فالمراد به كما قیل كونه فی حیزهن و إن كان فی واحده منها كما تقول:إن فی هذه الدور لبئرا و إن كانت فی واحده منها لأن ما كان فی إحداهن كان فیهن و كما تقول:أتیت بنی تمیم و إنما أتیت بعضهم.

قوله تعالى:« وَ اللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبٰاتاً »أی أنبتكم إنبات النبات و ذلك أن

الإنسان تنتهی خلقته إلی عناصر أرضیه ترکبت ترکبا خاصا به یغتذی و ینمو و یولد المثل،و هذه حقیقه النبات،فالکلام مسوق سوق الحقیقه من غیر تشبیه و استعاره.

قوله تعالی:« ثُمَّ یُعِیدُکُمْ فِیهٰا وَ یُخْرِجُکُمْ إِخْرٰاجاً »الإعاده فیها بالإماته و الإقبار، و الإخراج للجزاء یوم القیامه فالآیه و التی قبلها قریبتا المعنی من قوله تعالی: «فِیهٰا تَحْیَوْنَ وَ فِیهٰا تَمُوتُونَ وَ مِنْهٰا تُخْرَجُونَ» :الأعراف:۲۵.

و فی قوله:« وَ یُخْرِجُکُمْ »دون أن یقول:ثم یخرجکم إیماء إلی أن الإعاده و الإخراج کالصنع الواحد و الإعاده مقدمه للإخراج،و الإنسان فی حالتی الإعاده و الإخراج فی دار الحق کما أنه فی الدنیا فی دار الغرور.

قوله تعالی:« وَ اللّٰهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِسٰاطاً »أی کالبساط یسهل لکم التقلب من جانب إلی جانب،و الانتقال من قطر إلی قطر.

قوله تعالی:« لِتَسْلُکُوا مِنْهٰا سُبُلاً فِجٰاجاً »السبل جمع سبیل بمعنی الطریق و الفجاج جمع فج بمعنی الطریق الواسعه،و قیل:الطریق الواقعه بین الجبلین.

قوله تعالی:« قٰالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِی وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مٰالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّٰ خَسٰاراً » رجوع منه(ع)إلی شکواه من قومه إلی ربه بعد ما ذکر تفصیل دعوته لهم و ما ألقاه من القول إلیهم من قوله:« ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهٰاراً »إلی آخر الآیات.

و شکواه السابق له قوله:« فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعٰائِی إِلاّٰ فِرٰاراً »بعد ما أخبر بإجمال دعوته بقوله:« رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهٰاراً ».

و فی الآیه دلاله علی أن العظماء المترفین من قومه(ع)کانوا یصدون الناس عنه و یحرضونهم علی مخالفته و إیذائه.

و معنی قوله:« لَمْ یَزِدْهُ مٰالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّٰ خَسٰاراً »-و قد عد المال و الولد فی سابق کلامه من النعم-أن المال و الولد اللذین هما من نعمک و کان یجب علیهم شکرهما لم یزیداهم إلا کفرا و أورثهم ذلک خسرانا من رحمتک.

قوله تعالی:« وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبّٰاراً » الکبار اسم مبالغه من الکبر.

قوله تعالی:« وَ قٰالُوا لاٰ تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ وَ لاٰ تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لاٰ سُوٰاعاً وَ لاٰ یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً »توصیه منهم بالتمسک بآلهتهم و عدم ترک عبادتها.

و ود و سواع و يغوث و يعوق و نسر خمس من آلهتهم لهم اهتمام تام بعبادتهن و لذا خصوها بالذكر مع الوصيه بمطلق الآلهه،و لعل تصدير ود و ذكر سواع و يغوث بلا المؤكده للنفى لكونها أعظم أمرا عندهم من يعوق و نسر و الله أعلم.

قوله تعالى:« وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ ضَلاٰلاً »ضمير« أَضَلُّوا »للرؤساء المتبوعين و يتأيد به أنهم هم المحدث عنهم فى قوله:« وَ مَكَرُوا »« وَ قٰالُوا لاٰ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ »و قيل:الضمير للأصنام فهم المضلون،و لا يخلو من بعد.

و قوله:« وَ لاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ ضَلاٰلاً »دعاء من نوح على الظالمين بالضلال و المراد به الضلال مجازاه دون الضلال الابتدائى فهو دعاء منه أن يجازيهم الله بكفرهم و فسقهم مضافا إلى ما سيحكى عنه من دعائه عليهم بالهلاك.

بحث روائى

فى نهج البلاغه،: و قد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق-و رحمه الخلق فقال سبحانه:« اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كٰانَ غَفّٰاراً- يُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ »فرحم الله امرأ استقبل توبته،و استقال خطيئته،و بادر منيته أقول:و الروايات فى استفاده سببيه الاستغفار لسعه الرزق و الأمداد بالأولاد من هذه الآيات كثيره.

و فى الخصال،عن على(ع)فى حديث الأربعمائه*: أكثر الاستغفار تجلب الرزق.

و فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) *فى قوله تعالى:« لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰاراً »قال؟لا تخافون لله عظمه.:

أقول:و قد روى هذا المعنى من طرق أهل السنه عن ابن عباس .

و فيه،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) *فى قوله تعالى:« سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً » يقول بعضها فوق بعض.

و فيه،:فى قوله تعالى:« رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي-وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مٰالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّٰ خَسٰاراً » قال:اتبعوا الأغنياء.

و فی الـدر المنثور،أخرج البخاری و ابن المنذر و ابن مردویه عن ابن عباس قال"*:صارت الأصـنام و الأوثان التی کانت فی قوم نوح فی العرب بعد.

أما ود فکانت لکلب فی دومه الجنـدل،و أما سواع فکانت لهذیل،و أما یغوث فکانت لمراد ثم لبنی غطیف عند سـبإ،و أما یعوق فکانت لهمدان،و أما نسر فکانت لحمیر لآل ذی الکلاع.

و کانوا أسـماء رجال صالحین من قوم نوح-فلما هلکوا أوحی الشـیطان إلی قومهم-أن انصـبوا إلی مجالسهم التی کانوا یجلسون أنصابا-و سموها بأسمائهم ففعلوا-فلم تعبد حتی إذا هلک أولئک و نسخ العلم عبدت.

أقول:لعل المراد بصیروره تلک الأصنام التی کانت لقوم نوح إلی العرب مطابقه ما عند العرب لما کان عندهم فی الأسماء أو فی الأوصاف و الأسماء،و أما انتقال تلک الأصنام بأشخاصهن إلی العرب فبعید غایته.

و روی القصه أیضا فی علل الشرائع،بإسناده عن جعفر بن محمد(ع)کما فی الروایه

و فی روضه الکافی،بإسناده عن المفضل عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث: فعمل نوح سفینته فی مسجد الکوفه بیده-فأتی بالخشب من بعد حتی فرغ منها.

قال:فالتفت عن یساره-و أشار بیـده إلی موضع دار الداریین-و هو موضع دار ابن حکیم، و ذاک فرات الیوم،فقال لی یا مفضل و هنا نصبت أصنام قوم نوح:یغوث و یعوق و نسر.

[سوره نوح (۷۱): الآیات ۲۵ الی ۲۸]

اشاره

مِمّا خَطِیئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَنْصاراً (۲۵) وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَی اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْکافِرِینَ دَیّاراً (۲۶) إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لاٰ یَلِدُوا إِلاّٰ فاجِراً کَفّاراً (۲۷) رَبِّ اِغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمُؤْمِناتِ وَ لاٰ تَزِدِ اَلظّٰالِمِینَ إِلاّٰ تَباراً (۲۸)

بیان

تتضمن الآیات هلاک القوم و تتمه دعاء نوح(ع)علیهم.

قوله تعالی:« مِمَّا خَطِیئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً »إلخ« مِنْ »لابتداء الغایه تفید بحسب المورد التعلیل و« مِمَّا »زائده لتأکید أمر الخطایا و تفخیمه،و الخطیئات المعاصی و الذنوب،و تنکیر النار للتفخیم.

و المعنی:من أجل معاصیهم و ذنوبهم أغرقوا بالطوفان فأدخلوا-أدخلهم الله-نارا لا یقدر عذابها بقدر،و من لطیف نظم الآیه الجمع بین الإغراق بالماء و إدخال النار.

و المراد بالنار نار البرزخ التی یعذب بها المجرمون بین الموت و البعث دون نار الآخره، و الآیه من أدله البرزخ إذ لیس المراد أنهم أغرقوا و سیدخلون النار یوم القیامه،و لا یعبأ بما قیل:إن من الجائز أن یراد بها نار الآخره.

و قوله:« فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْصَاراً »أی ینصرونهم فی صرف الهلاک و العذاب عنهم.تعریض لأصنامهم و آلهتهم.

قوله تعالی:« وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکَافِرِینَ دَیَّاراً » الدیار نازل الدار،و الآیه تتمه دعائه(ع)علیهم،و کان قوله:« مِمَّا خَطِیئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا »إلخ معترضا واقعا بین فقرتی الدعاء للإشاره إلی أنهم أهلکوا لما عد نوح من خطیئاتهم و لتکون کالتمهید لسؤاله الهلاک فیتبین أن إغراقهم کان استجابه لدعائه،و أن العذاب استوعبهم عن آخرهم.

قوله تعالی:« إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبَادَکَ وَ لاَ یَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً کَفَّاراً »تعلیل لسؤال إهلاکهم عن آخرهم مفاده أن لا فائده فی بقائهم لا لمن دونهم من المؤمنین فإنهم یضلونهم،و لا فیمن یلدونه من الأولاد فإنهم لا یلدون إلا فاجرا کفارا-و الفجور الفسق الشنیع و الکفار المبالغ فی الکفر.

و قد استفاد(ع)ما ذکره من صفتهم من الوحی الإلهی علی ما تقدم فی تفسیر قصه نوح من سوره هود.

قوله تعالی:« رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوَالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ »

ص: ۳۶

«إلخ»المراد بمن دخل بيته مؤمنا المؤمنون به من قومه،و بالمؤمنين و المؤمنات عامتهم إلى يوم القيامه.

و قوله:« وَ لاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ تَبٰاراً » التبار الهلاك،و الظاهر أن المراد بالتبار ما يوجب عذاب الآخره و هو الضلال و هلاك الدنيا بالغرق،و قد تقدما جميعا في دعائه، و هذا الدعاء آخر ما نقل من كلامه(ع)في القرآن الكريم.

(۷۲) سوره الجن مكيه و هي ثمان و عشرون آيه(۲۸)

[سوره الجن (۷۲): الآيات ۱ الى ۱۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اِسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ اَلْجِنِّ فَقٰالُوا إِنّٰا سَمِعْنٰا قُرْآناً عَجَباً (۱) يَهْدِي إِلَى اَلرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنٰا أَحَداً (۲) وَ أَنَّهُ تَعٰالىٰ جَدُّ رَبِّنٰا مَا اِتَّخَذَ صٰاحِبَةً وَ لاٰ وَلَداً (۳) وَ أَنَّهُ كٰانَ يَقُولُ سَفِيهُنٰا عَلَى اَللّٰهِ شَطَطاً (۴) وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ تَقُولَ اَلْإِنْسُ وَ اَلْجِنُّ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً (۵) وَ أَنَّهُ كٰانَ رِجٰالٌ مِنَ اَلْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجٰالٍ مِنَ اَلْجِنِّ فَزٰادُوهُمْ رَهَقاً (۶) وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اَللّٰهُ أَحَداً (۷) وَ أَنّٰا لَمَسْنَا اَلسَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۸) وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً (۹) وَ أَنّٰا لاٰ نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي اَلْأَرْضِ أَمْ أَرٰادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (۱۰) وَ أَنّٰا مِنَّا اَلصّٰالِحُونَ وَ مِنّٰا دُونَ ذٰلِكَ كُنّٰا طَرٰائِقَ قِدَداً (۱۱) وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اَللّٰهَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (۱۲) وَ أَنّٰا لَمّٰا سَمِعْنَا اَلْهُدىٰ آمَنّٰا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاٰ يَخٰافُ بَخْساً وَ لاٰ رَهَقاً (۱۳) وَ أَنّٰا مِنَّا اَلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا اَلْقٰاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (۱۴) وَ أَمَّا اَلْقٰاسِطُونَ فَكٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (۱۵) وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقٰامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً (۱۶) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذٰاباً صَعَداً (۱۷)

بیان

تشیر السوره إلی قصه نفر من الجن استمعوا القرآن فآمنوا به و أقروا بأصول معارفه، و تتخلص منها إلی تسجیل نبوه النبی ص،و الإشاره إلی وحدانیته تعالی فی ربوبیته و إلی المعاد،و السوره مکیه بشهاده سیاقها.

قوله تعالی:« قُلْ أُوحِیَ إِلَیَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً یَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ »أمر للنبی ص أن یقص القصه لقومه،و الموحی هو الله سبحانه، و مفعول« اِسْتَمَعَ »القرآن حذف لدلاله الکلام علیه،و النفر الجماعه من ثلاثه إلی تسعه علی المشهور،و قیل:بل إلی أربعین.

و العجب بفتحتین ما یدعو إلی التعجب منه لخروجه عن العاده الجاریه فی مثله،و إنما وصفوا القرآن بالعجب لأنه کلام خارق للعاده فی لفظه و معناه أتی به رجل أمی ما کان یقرأ و لا یکتب.

و الرشد إصابه الواقع و هو خلاف الغی،و هدایه القرآن إلی الرشد دعوته إلی عقائد و أعمال تتضمن للمتلبس بها سعادته الواقعیه.

و المعنی:یا أیها الرسول قل للناس: أُوحِیَ -أی أوحی الله-إلی أنه استمع القرآن جماعه من الجن فقالوا-لقومهم لما رجعوا إلیهم-إنا سمعنا کلاما مقروا خارقا للعاده یهدی إلی معارف من عقائد و أعمال فی التلبس بها إصابه الواقع و الظفر بحقیقه السعاده.

كلام فی الجن

الجن نوع من الخلق مستورون من حواسنا يصدق القرآن الكريم بوجودهم و يذكر أنهم بنوعهم مخلوقون قبل نوع الإنسان،و أنهم مخلوقون من النار كما أن الإنسان مخلوق من التراب قال تعالى: «وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ» :الحجر ٢٧.

و أنهم يعيشون و يموتون و يبعثون كالإنسان قال تعالى: «أُولٰئِکَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ» :الأحقاف ١٨.

و أن فيهم ذكورا و إناثا يتكاثرون بالتوالد و التناسل قال تعالى: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ» :الجن ۶.

و أن لهم شعورا و إراده و أنهم يقدرون على حركات سريعه و أعمال شاقه كما فی قصص سليمان(ع)و تسخير الجن له و قصه ملكه سبإ.

و أنهم مكلفون كالإنسان،منهم مؤمنون و منهم كفار،و منهم صالحون و آخرون طالحون،قال تعالى: «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ» :الذاريات ۵۴ و قال تعالى: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِی إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» :الجن:٢ و قال: «وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ» :الجن ١۴ و قال: «وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذٰلِکَ» :الجن ١١ و قال تعالى: «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِی إِلَى الْحَقِّ وَ إِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِیَ اللّٰهِ» :الأحقاف ٣١ إلى غير ذلك من خصوصيات أحوالهم التی تشير إليها الآيات القرآنيه.

و يظهر من كلامه تعالى أن إبليس من الجن و أن له ذريه و قبيلا قال تعالى: «كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» :الكهف ۵٠ و قال تعالى: «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِی» :الكهف:۵٠ و قال تعالى: «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ» الأعراف ٢٧.

[بيان]

قوله تعالى:« فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِکَ بِرَبِّنَا أَحَداً »إخبار عن إيمانهم بالقرآن و تصديقهم بأنه حق،و قوله:« وَ لَنْ نُشْرِکَ بِرَبِّنَا أَحَداً »تأكيد لمعنى إيمانهم به أن إيمانهم بالقرآن إيمان بالله الذی أنزله فهو ربهم،و أن إيمانهم به تعالى إيمان توحيد لا يشركون به أحدا أبدا.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً »فسر الجد بالعظمه و فسر بالحظ،و الآيه فى معنى التأكيد لقولهم:« وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً ».

و القراءه المشهوره« أَنَّهُ »بالفتح،و قرئ بالكسر فى هذه الآيه و فيما بعدها من الآيات -اثنا عشر موردا-إلى قوله:« وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا »فبالفتح و هو الأرجح لظهور سياق الآيات فى أنها مقوله قول الجن.

و أما قراءه الفتح فوجهها لا يخلو من خفاء،و قد وجهها بعضهم بأن الجمله« وَ أَنَّهُ » «إلخ»معطوفه على الضمير المجرور فى قوله« فَآمَنّا بِهِ »و التقدير و آمنا بأنه تعالى جد ربنا إلخ فهو إخبار منهم بالإيمان بنفى الصاحبه و الولد منه تعالى على ما يقول به الوثنيون.

و هذا إنما يستقيم على قول الكوفيين من النحاه بجواز العطف على الضمير المتصل المجرور،و أما على قول البصريين منهم من عدم جوازه فقد وجهه بعضهم كما عن الفراء و الزجاج و الزمخشرى بأنها معطوفه على محل الجار و المجرور و هو النصب فإن قوله:

« فَآمَنّا بِهِ »فى معنى صدقناه،و التقدير و صدقنا أنه تعالى جد ربنا إلخ،و لا يخفى ما فيه من التكلف.

و وجهه بعضهم بتقدير حرف الجر فى الجمله المعطوفه و ذلك مطرد فى أن و أن،و التقدير آمنا به و بأنه تعالى جد ربنا«إلخ».

و يرد على الجميع أعم من العطف على الضمير المجرور أو على محله أو بتقدير حرف الجر أن المعنى إنما يستقيم حينئذ فى قوله:« وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا »إلخ،و قوله:« وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا »إلخ،و أما بقيه الآيات المصدره بأن كقوله:« وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ »إلخ، و قوله:« وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ »إلخ،و قوله:« وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ »فلا يصح قطعا فلا معنى لأن يقال:آمنا أو صدقنا أنا ظننا أن لن تقول الإنس و الجن على الله شططا، أو يقال:آمنا أو صدقنا أنه كان رجال من الإنس يعوذون إلخ،أو يقال:آمنا أو صدقنا أنا لمسنا السماء إلخ.

و لا يندفع الإشكال إلا بالمصير إلى ما ذكره بعضهم أنه إذا وجه الفتح فى الآيتين الأوليين بتقدير الإيمان أو التصديق فليوجه فى كل من الآيات الباقيه بما يناسبها من التقدير.

و وجه بعضهم الفتح بأن قوله:« وَ أَنَّهُ تَعالى »إلخ و سائر الآيات المصدره بأن

معطوفه على قوله:« أَنَّهُ اسْتَمَعَ »إلخ.

و لا يخفى فساده فإن محصله أن الآيات فى مقام الإخبار عما أوحى إلى النبى ص من أقوالهم و قد أخبر عن قولهم:إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به بعنوان أنه إخبار عن قولهم ثم حكى سائر أقوالهم بألفاظها فالمعنى أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا كذا و كذا و أوحى إلى أنه تعالى جد ربنا«إلخ»و أوحى إلى أنه كان يقول سفيهنا إلى آخر الآيات.

فيرد عليه أن ما وقع فى صدر الآيات من لفظه« أَنَّهُ »و« أَنَّهُمْ »و« أَنّا »إن لم يكن جزء من لفظهم المحكى كان زائدا مخلا بالكلام،و إن كان جزء من كلامهم المحكى بلفظه لم يكن المحكى من مجموع أن و ما بعدها كلاما تاما و احتاج إلى تقدير ما يتم به كلاما حتى تصح الحكايه،و لم ينفع فى ذلك عطفه على قوله:« أَنَّهُ اسْتَمَعَ » شيئا فلا تغفل.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللّهِ شَطَطاً » السفه -على ما ذكره الراغب-خفه النفس لنقصان العقل،و الشطط القول البعيد من الحق.

و الآيه أيضا فى معنى التأكيد لقولهم:« لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً »و مرادهم بسفيههم من سبقهم من مشركى الجن،و قيل:المراد إبليس و هو من الجن،و هو بعيد من سياق قوله:« كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا »إلخ.

قوله تعالى:« وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللّهِ كَذِباً »اعتراف منهم بأنهم ظنوا أن الإنس و الجن صادقون فيما يقولون و لا يكذبون على الله فلما وجدوهم مشركين و سمعوهم ينسبون إليه تعالى الصاحبه و الولد أذعنوا به و قلدوهم فيما يقولون فأشركوا مثلهم حتى سمعوا القرآن فانكشف لهم الحق،و فيه تكذيب منهم للمشركين من الإنس و الجن.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً » قال الراغب: العوذ الالتجاء إلى الغير،و قال: رهقه الأمر غشيه بقهر انتهى.و فسر الرهق بالإثم،و بالطغيان،و بالخوف،و بالشر،و بالذله و الضعف،و هى تفاسير بلازم المعنى.

و المراد بعوذ الإنس بالجن-على ما قيل:إن الرجل من العرب كان إذا نزل الوادى فى سفره ليلا قال:أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهاء قومه،و نقل عن مقاتل أن أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفه ثم فشا فى العرب.

و لا يبعد أن يكون المراد بالعوذ بالجن الاستعانه بهم فى المقاصد من طريق الكهانه، و إليه يرجع ما نقل عن بعضهم أن المعنى كان رجال من الإنس يعوذون برجال من أجل الجن و من معرتهم و أذاهم.

و الضميران فى قوله:« فَزٰادُوهُمْ »أولهما لرجال من الإنس و ثانيهما لرجال من الجن و المعنى فزاد رجال الإنس رجال الجن رهقا بالتجائهم إليهم فاستكبر رجال الجن و طغوا و أثموا،و يجوز العكس بأن يكون الضمير الأول لرجال الجن و الثانى لرجال الإنس، و المعنى فزاد رجال الجن رجال الإنس رهقا أى إثما و طغيانا أو ذله و خوفا.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَداً »ضمير«أنهم»لرجال من الإنس،و الخطاب فى« ظَنَنْتُمْ »لقومهم من الجن،و المراد بالبعث بعث الرسول بالرساله فالمشركون ينكرون ذلك،و قيل:المراد به الإحياء بعد الموت،و سياق الآيات التاليه يؤيد الأول.

و عن بعضهم أن هذه الآيه و التى قبلها ليستا من كلام الجن بل كلامه تعالى معترضا بين الآيات المتضمنه لكلام الجن،و عليه فضمير« أَنَّهُمْ »للجن و خطاب« ظَنَنْتُمْ » للناس،و فيه أنه بعيد من السياق.

قوله تعالى:« وَ أَنّٰا لَمَسْنَا السَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً »لمس السماء الاقتراب منها بالصعود إليها،و الحرس -على ما قيل-اسم جمع لحارس و لذا وصف بالمفرد و المراد بالحرس الشديد الحفاظ الأقوياء فى دفع من يريد الاستراق منها و لذا شفع بالشهب و هى سلاحهم.

قوله تعالى:« وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً » يفيد انضمام صدر الآيه إلى الآيه السابقه أن ملء السماء بالحرس الشديد و الشهب مما حدث أخيرا و أنهم كانوا من قبل يقعدون من السماء مقاعد لاستماع كلام الملائكه و يفيد ذيل الآيه بالتفريع على جميع ما تقدم أن من يستمع الآن منا بالقعود منها مقعدا للسمع يجد له

شهابا من صفته أنه راصد له يرميه به الحرس.

فيتحصل من مجموع الآيتين الإخبار بأنهم عثروا على حادثه سماويه جديده مقارنه لنزول القرآن و بعثه النبى ص و هى منع الجن من تلقى أخبار السماء باستراق السمع.

و من عجيب الاستدلال ما عن بعضهم أن فى الآيتين ردا على من زعم أن الرجم حدث بعد مبعث رسول الله ص لظهور قوله:« مُلِئَتْ حَرَساً »فى أن الحادث هو الملء و كثره الحرس لا أصل الحرس،و ظهور قوله:« نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ »فى أنا كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليا من الحرس و الشهب،و الآن ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا.

و يدفعه أنه لو كان المراد بالآيتين هو الإخبار عن ملء السماء بالحرس و تكثير عددهم بحيث لا يوجد فيها مقاعد خاليه منهم و قد كانت توجد قبل ذلك كان الواجب أن يتوجه النفى فى قوله:« فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً »إلى السمع عن جميع المقاعد قبال إثبات السمع من بعض تلك المقاعد لا نفى مجرد السمع.

سلمنا أن المراد نفى السمع على الإطلاق و هو يكفى فى ذلك لكن تعلق الغرض فى الكلام بالإخبار عن الامتلاء بالحرس مع كون بعض المقاعد خاليه عنهم قبل ذلك،و كذا تقييد قوله:« فَمَنْ يَسْتَمِعِ »إلخ،بقوله:« اَلْآنَ »يدل على حدوث أمر جديد فى رجم الجن و هو استيعاب الرجم لهم فى أى مقعد قعدوا و المنع من السمع مطلقا بعد ما كانوا يستمعون من بعض المقاعد من غير منع،و هذا المقدار كاف للمدعى فيما يدعيه.

و ليتنبه أن مدلول الآيه حدوث رجم الجن بشهاب رصد و هو غير حدوث الشهاب السماوى و هو ظاهر فلا ورود لما قيل:إن الشهب السماويه كانت من الحوادث الجويه الموجوده قبل زمن النبى ص و نزول القرآن.

وجه عدم الورود أن الذى يظهر من القرآن حدوث رجم الشياطين من الجن بالشهب من غير تعرض لحدوث أصل الشهب،و قد تقدم فى تفسير أول سوره الصافات بعض ما يتعلق بهذا المقام.

قوله تعالى:« وَ أَنّا لا نَدْرِی أَ شَرٌّ أُرِیدَ بِمَنْ فِی الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً »

الرشد بفتحتين و الرشد بالضم فالسكون خلاف الغی و تنکیر« رَشَداً »لإفاده النوع أی نوعا من الرشد.

هـذا منهم إظهار للجهل و التحیر فیما شاهـدوه من أمر الرجم و منع شـیاطین الجن من الاطلاع علی أخبار السـماء غیر أنهم تنبهوا علی أن ذلک لأمر ما یرجع إلی أهل الأرض إما خیر أو شـر و إذا کان خیرا فهو نوع هـدی لهم و سـعاده و لـذا بدلوا الخیر و هو المقابل للشر من الرشد،و یؤیده قولهم:« أَرٰادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ »المشعر بالرحمه و العنایه.

و قد صرحوا بالفاعل لإراده الرشد و حذفوه فی جانب الشر أدبا و لا یراد شر من جانبه تعالی إلا لمن استحقه.

قوله تعالی:« وَ أَنّٰا مِنَّا الصّٰالِحُونَ وَ مِنّٰا دُونَ ذٰلِکَ کُنّٰا طَرٰائِقَ قِدَداً » الصلاح مقابل الطلاح،و المراد بدون ذلک ما یقرب منه رتبه-علی ما قیل-،و الظاهر أن دون بمعنی غیر،و یؤیـده قوله:« کُنّٰا طَرٰائِقَ قِدَداً »الـدال علی التفرق و التشـتت و الطرائق جمع طریقه و هی الطریـق المطروقه المسـلوکه،و القـدد القطع جمع قـده بمعنی قطعه من القـد بمعنی القطع و صـفت الطرائق بالقـدد لأـن کل واحـده منها مقطوعه عن غیرها تنتهی بسالکها إلی غایه غیر ما ینتهی به إلیه غیرها،و إلی هذا المعنی یرجع تفسـیر القدد بالطرائق المتفرقه المتشتته.

و الظاهر أن المراد بقوله:« اَلصّٰالِحُونَ »الصالحون بحسب الطبع الأولی فی المعاشره و المعامله دون الصالحین بحسب الإیمان،و لو کان المراد صلاح الإیمان لکان الأنسب أن یذکر بعد ما سیجیء من حدیث إیمانهم لما سمعوا الهدی.

و ذکر بعضـهم أن قوله:« طَرٰائِقَ قِدَداً »منصوب علی الظرفیه أی فی طرائق قدد و هی المذاهب المتفرقه المتشتته،و قال آخرون إنه علی تقـدیر مضاف أی ذوی طرائق،و لا یبعد أن یکون من الاسـتعاره بتشبیههم أنفسـهم فی الاختلاف و التباین بالطرق المقطوع بعضها من بعض الموصله إلی غایات متشتته.

و المعنی:و أنـا منا الصالحون طبعا و منا غیر ذلک کنا فی مـذاهب مختلفه أو ذوی مـذاهب مختلفه أو کالطرق المقطوعه بعضـها عن بعض.

قوله تعالی:« وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللّٰهَ فِی الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً »الظن هو

العلم اليقينى،و الأنسب أن يكون المراد بقوله:« لَنْ نُعْجِزَ اللّٰهَ فِي الْأَرْضِ »إعجازه تعالى بالغلبه عليه فيما يشاء فيها و ذلك بالإفساد فى الأرض و إخلال النظام الذى يجرى فيها فإن إفسادهم لو أفسدوا من القدر،و المراد بقوله:« وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً »إعجازه تعالى بالهرب منه إذا طلبهم حتى يفوتوه فلا يقدر على الظفر بهم و قيل:المعنى لن نعجزه تعالى كائنين فى الأرض و لن نعجزه هربا إلى السماء أى لن نعجزه لا فى الأرض و لا فى السماء هذا و هو كما ترى.

قوله تعالى:« وَ أَنّٰا لَمّٰا سَمِعْنَا الْهُدىٰ آمَنّٰا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاٰ يَخٰافُ بَخْساً وَ لاٰ رَهَقاً » المراد بالهدى القرآن باعتبار ما يتضمنه من الهدى،و البخس النقص على سبيل الظلم، و الرهق غشيان المكروه.

و الفاء فى قوله:« فَمَنْ يُؤْمِنْ »للتفريع و هو من تفريع العله على المعلول لإفاده الحجه فى إيمانهم بالقرآن من دون ريث و لا مهل.

و محصل المعنى:أنا لما سمعنا القرآن الذى هو الهدى بادرنا إلى الإيمان به من دون مكث لأن من آمن به فقد آمن بربه و من يؤمن بربه فلا يخاف نقصانا فى خير أو غشيانا من مكروه حتى يكف عن المبادره و الاستعجال و يتروى فى الإقدام عليه لئلا يقع فى بخس أو رهق.

قوله تعالى:« وَ أَنّٰا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقٰاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً » المراد بالإسلام تسليم الأمر لله تعالى فالمسلمون المسلمون له الأمر المطيعون له فيما يريده و يأمر به،و القاسطون هم المائلون إلى الباطل قال فى المجمع،: القاسط هو العادل عن الحق و المقسط العادل إلى الحق،انتهى.

و المعنى:أنا معشر الجن منقسمون إلى من يسلم لأمر الله مطيعين له،و إلى من يعدل عن التسليم لأمر الله و هو الحق.

و قوله:« فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً » تحرى الشىء توخيه و قصده،و المعنى فالذين أسلموا فأولئك قصدوا إصابه الواقع و الظفر بالحق.

قوله تعالى:« وَ أَمَّا الْقٰاسِطُونَ فَكٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً »فيعذبون بتسعرهم و اشتعالهم بأنفسهم كالقاسطين من الإنس قال تعالى: «فَاتَّقُوا النّٰارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّٰاسُ» :البقره ٢۴.

ص :۴۵

و قد عد كثير منهم قوله:« فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ »-إلى قوله- لِجَهَنَّمَ حَطَباً تتمه لكلام الجن يخاطبون به قومهم و قيل:إنه من كلامه تعالى يخاطب به النبى ص.

قوله تعالى:« وَ أَنْ لَوِ اسْتَقٰامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ »:

« أَنْ »مخففه من الثقيله،و المراد بالطريقه طريقه الإسلام،و الاستقامه عليها لزومها و الثبات على ما تقتضيه من الإيمان بالله و آياته.

و الماء الغدق الكثير منه،و لا يبعد أن يستفاد من السياق أن قوله:« لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً »مثل أريد به التوسعه فى الرزق،و يؤيده قوله بعده:« لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ».

و المعنى:و أنه لو استقاموا أى الجن و الإنس على طريقه الإسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لنمتحنهم فى رزقهم فالآيه فى معنى قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ» :الأعراف ۹۶.

و الآيه من كلامه تعالى معطوف على قوله فى أول السوره:« أَنَّهُ اسْتَمَعَ »إلخ.

قوله تعالى:« وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذٰاباً صَعَداً »العذاب الصعد هو الذى يتصعد على المعذب و يغلبه،و قيل:هو العذاب الشاق.

و الإعراض عن ذكر الله لازم عدم الاستقامه على الطريقه و هو الأصل فى سلوك العذاب،و لذا وضع موضعه ليدل على السبب الأصلى فى دخول النار.

و هو الوجه أيضا فى الالتفات عن التكلم مع الغير إلى الغيبه فى قوله:« ذِكْرِ رَبِّهِ » و كان مقتضى الظاهر أن يقال:ذكرنا و ذلك أن صفه الربوبيه هى المبدأ الأصلى لتعذيب المعرضين عن ذكره تعالى فوضعت موضع ضمير المتكلم مع الغير ليدل على المبدإ الأصلى كما وضع الإعراض عن الذكر موضع عدم الاستقامه ليدل على السبب.

قيل:و قوله:« يَسْلُكْهُ »مضمن معنى يدخله و لذا عدى إلى المفعول الثانى، و المعنى ظاهر.

بحث روائى

فى المجمع،روى الواحدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال": ما قرأ رسول الله ص على الجن و ما رآهم،انطلق رسول الله ص فى طائفه من أصحابه-عامدين إلى

سوق عكاظ،و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء-فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا:ما لكم:قالوا:حيل بيننا و بين خبر السماء-و أرسلت علينا الشهب-قالوا:ما ذاك إلا من شيء حدث-فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها.

فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامه بالنبى ص-عامدين إلى سوق عكاظ-و هو يصلى بأصحابه صلاه الفجر-فلما سمعوا القرآن استمعوا له و قالوا:هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء-فرجعوا إلى قومهم و قالوا:« إِنّٰا سَمِعْنٰا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ- وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنٰا أَحَداً »فأوحى الله إلى نبيه ص:« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ »":.

و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح .

أقول:و روى القمى فى تفسيره ما يقرب منه و قد أوردنا الروايه فى تفسير سوره الأحقاف فى ذيل قوله:« وَ إِذْ صَرَفْنٰا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ »إلخ.

لكن ظاهر روايته أن النفر الذين نزلت فيهم آيات سوره الأحقاف هم النفر الذين نزلت فيهم هذه السوره و ظاهر آيات السورتين لا يلائم ذلك فإن ظاهر قولهم المنقول فى سوره الأحقاف:« إِنّٰا سَمِعْنٰا كِتٰاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ(مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ)يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ »الآيه أنهم كانوا مؤمنين بموسى و مصدقين للتوراه و ظاهر آيات هذه السوره أنهم كانوا مشركين لا يرون النبوه و لازم ذلك تغاير الطائفتين اللهم إلا أن يمنع الظهور.

و فيه،عن علقمه بن قيس قال": قلت لعبد الله بن مسعود:من كان منكم مع النبى ص ليله الجن؟فقال:ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليله و نحن بمكه-فقلنا:اغتيل رسول الله ص أو استطير-فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء-فقلنا:

يا رسول الله أين كنت؟لقد أشفقنا عليك،و قلنا له:بتنا الليله بشر ليله بات بها قوم حين فقدناك،فقال لنا:إنه أتانى داعى الجن فذهبت أقرئهم القرآن-فذهب بنا و أرانا آثارهم و آثار نيرانهم-فأما أن يكون صحبه منا أحد فلا.

و فيه،و عن الربيع بن أنس قال": ليس لله تعالى جد و إنما قالته الجن بجهاله-فحكاه الله سبحانه كما قالت:، و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) .

أقول:المراد بالجد المنفى عنه تعالى الحظ و البخت.

و فى الاحتجاج،عن على(ع)فى حديث: فأقبل إليه الجن و النبى ص ببطن

النخل-فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا،و لقد أقبل إليه أحد و سبعون ألفا منهم-فبايعوه على الصوم و الصلاه و الزكاه-و الحج و الجهاد و نصح المسلمين- فاعتذروا بأنهم قالوا على الله شططا.

أقول:بيعتهم للنبى ص على الصوم و الصلاه إلخ،يصدقها قولهم المحكى فى أول السوره:« فَآمَنّا بِهِ »و قولهم:« وَ أَنّا لَمّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنّا بِهِ »،و أما كيفيه عملهم بها و خاصه بالزكاه و الجهاد فمجهوله لنا،و اعتذارهم الأول المذكور لا يخلو من خفاء.

و فى تفسير القمى،بإسناده إلى زراره قال: سألت أبا جعفر عن قول الله:« وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ-يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً »قال:كان الرجل ينطلق إلى الكاهن-الذى يوحى إليه الشيطان-فيقول:قل للشيطان:فلان قد عاذ بك.

و فيه،:فى قوله تعالى:« فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً »قال:البخس النقصان،و الرهق العذاب.

:و سئل العالم عن مؤمنى الجن أ يدخلون الجنه؟فقال:لا-و لكن لله حظائر بين الجنه و النار-يكون فيها مؤمنوا الجن و فساق الشيعه.

أقول:لعل المراد بهذه الحظائر هى بعض درجات الجنه التى هى دون جنه الصالحين.

و اعلم أنه ورد فى بعض الروايات من طرق أئمه أهل البيت(ع)تطبيق ما فى الآيات من الهدى و الطريقه على ولايه على(ع)و هى من الجرى و ليست من التفسير فى شىء.

[سوره الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٨]

اشاره

وَ أَنَّ اَلْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اَللّهِ أَحَداً (١٨) وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اَللّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (١٩) قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّى وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً (٢٠) قُلْ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اَللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٢) إِلاّ بَلاغاً مِنَ اَللّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً (٢٣) حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً (٢٥) عالِمُ اَلْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلاّ مَنِ اِرْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (٢٨)

بیان

فی الآیات تسجیل للنبوه و ذکر وحدانیته تعالی و المعاد کالاستنتاج من القصه و تختتم بالإشاره إلی عصمه الرساله.

قوله تعالی:« وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً »معطوف علی قوله:« أَنَّهُ اسْتَمَعَ »إلخ،و جمله« أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ »فی موضع التعلیل لقوله:« فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً »و التقدیر لا تدعوا مع الله أحدا غیره لأن المساجد له.

و المراد بالدعاء العباده و قد سماها الله دعاء کما فی قوله: «وَ قالَ رَبُّکُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ» :المؤمن ۶۰.

و قد اختلف فی المراد من المساجد فقیل:المراد به الکعبه،و قیل المسجد الحرام، و قیل:المسجد الحرام و بیت المقدس،و یدفعها کون المساجد جمعا لا ینطبق علی الواحد و الاثنین.

و قیل:الحرم،و هو تهکم لا دلیل علیه،و قیل:الأرض کلها

لقوله(ص): جعلت لی الأرض مسجدا و طهورا ،و فیه أنه لا یدل علی أزید من جواز العباده فی أی بقعه من

بقاع الأرض خلافا لما هو المعروف عن اليهود و النصارى من عدم جواز عبادته تعالى فى غير البيع و الكنائس،و أما تسميه بقاعها مساجد حتى يحمل عليها عند الإطلاق فلا.

و قيل:المراد به الصلوات فلا يصلى إلا لله،و هو تهكم لا دليل عليه.

و عن الإمام الجواد(ع): أن المراد بالمساجد الأعضاء السبعه-التى يسجد عليها فى الصلاه-و هى الجبهه و الكفان و الركبتان و أصابع الرجلين ،و ستوافيک روايته فى البحث الروائى التالى إن شاء الله،و نقل ذلک أيضا عن سعيد بن جبير و الفراء و الزجاج.

و الأنسب على هذا أن يكون المراد بكون مواضع السجود من الإنسان لله اختصاصها به اختصاصا تشريعيا،و المراد بالدعاء السجده لكونها أظهر مصاديق العباده أو الصلاه بما أنها تتضمن السجود لله سبحانه.

و المعنى:و أوحى إلى أن أعضاء السجود يختص بالله تعالى فاسجدوا له بها-أو اعبدوه بها-و لا تسجدوا-أو لا تعبدوا-أحدا غيره.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً » اللبد بالكسر فالفتح جمع لبده بالضم فالسكون المجتمعه المتراكمه،و المراد بعبد الله النبى ص كما تدل عليه الآيه التاليه،و التعبير بعبد الله كالتمهيد لقوله فى الآيه التاليه:« قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّى ».

و الأنسب لسياق الآيات التاليه أن يكون مرجع ضميرى الجمع فى قوله:« كادُوا يَكُونُونَ » المشركين و قد كانوا يزدحمون عليه(ص)إذا صلى و قرأ القرآن يستهزءون و يرفعون أصواتهم فوق صوته على ما نقل.

و المعنى:و أنه لما قام النبى ص يعبد الله بالصلاه كاد المشركون يكونون بازدحامهم لبدا مجتمعين متراكمين.

و قيل:الضميران للجن و أنهم اجتمعوا عليه و تراكموا ينظرون إليه متعجبين مما يشاهدون من عبادته و قراءته قرآنا لم يسمعوا كلاما يماثله.

و قيل:الضميران للمؤمنين بالنبى ص المجتمعين عليه اقتداء به فى صلاته إذا صلى و إنصاتا لما يتلوه من كلام الله.

و الوجهان لا يلائمان سياق الآيات التاليه تلک الملاءمه كما تقدمت الإشاره إليه.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّى وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً »أمر منه تعالى للنبى ص

أن يبين لهم وجه عبادته بيانا يزيل عنهم الحيره حيث رأوا منه ما لم يكونوا رأوه من أحد غيره،و يتعجبون حاملين له على نوع من المكيده و المكر بأصنامهم أو خدعه بهم لأغراض أخر دنيويه.

و محصل البيان:أنى لست أريد بما آتى به من العمل شيئا من المقاصد التى تحسبونها و ترموننى بها و إنما أدعو ربى وحده غير مشرك به أحدا و عباده الإنسان لمن عرفه ربا لنفسه مما لا ينبغى أن يلام عليه أو يتعجب منه.

قوله تعالى:« قُلْ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لاَ رَشَداً »الذى يفيده سياق الآيات الكريمه أنه(ص)يبين فيها بأمر من ربه موقع نفسه و بالنسبه إلى ربه و بالنسبه إلى الناس.

أما موقعه بالنسبه إلى ربه فهو أنه يدعوه و لا يشرك به أحدا و هو قوله:« قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّى وَ لاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ».

و أما موقعه بالنسبه إليهم فهو أنه بشر مثلهم لا يملك لهم ضرا و لا رشدا حتى يضرهم بما يريد أن يرشدهم من الخير إلى ما يريد بما عنده من القدره،و أنه مأمور من الله بدعوتهم أمرا ليس له إلا أن يمتثله فلا مجير يجيره منه و لا ملجأ يلتجئ إليه لو خالف و عصى كما ليس لهم إلا أن يطيعوا الله و رسوله و من يعص الله و رسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا،و سيعلمون إذا رأوا ما يوعدون.

و لازم هذا السياق أن يكون المراد بملك الضر القدره على إيقاع الضر بهم فيوقعه بهم إذا أراد،و المراد بملك الرشد القدره على إيصال النفع إليهم بإصابه الواقع أى إنى لا أدعى أنى أقدر أن أضركم أو أنفعكم،و قيل:المراد بالضر الغى المقابل للرشد تعبيرا باسم المسبب عن السبب.

قوله تعالى:« قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً إِلاّ بَلاَغاً مِنَ اللّهِ وَ رِسَالاَتِهِ » الإجاره إعطاء الجوار و حكمه حمايه المجير للجار و منعه ممن يقصده بسوء،و الظاهر أن الملتحد اسم مكان و هو المكان الذى يعدل و ينحرف إليه للتحرز من الشر،و قيل:المدخل و يتعلق به قوله:« مِنْ دُونِهِ »و هو كالقيد التوضيحى و الضمير لله و البلاغ التبليغ.

و قوله:« إِلاّ بَلاَغاً »استثناء من قوله:« مُلْتَحَداً »و قوله:« مِنَ اللّهِ »متعلق بمقدر

أی کائنا من الله و لیس متعلقا بقوله:« بَلاٰغاً »لأنه یتعدی بعن لا بمن و لذا قال بعض من جعله متعلقا ببلاغا:إن«من»بمعنی عن،و المعنی علی أی حال إلا تبلیغ ما هو تعالی علیه من الأسماء و الصفات.

و قوله:« وَ رِسٰالاٰتِهِ »قیل:معطوف علی« بَلاٰغاً »و التقدیر إلا بلاغا من الله و إلا رسالاته و قیل:معطوف علی لفظ الجلاله و من بمعنی عن،و المعنی إلا بلاغا عن الله و عن رسالاته.

و فیما استثنی منه بلاغا قول آخر و هو أنه مفعول« لاٰ أَمْلِکُ »و المعنی لا أملک لکم ضرا و لا رشدا إلا تبلیغا من الله و رسالاته،و یبعده الفصل بین المستثنی و المستثنی منه بقوله:« لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللّٰهِ أَحَدٌ »إلخ و هو کلام مستأنف.

و معنی الآیتین علی ما قدمنا:قل لن یجیرنی من الله أحد فیمنعنی منه و لن أجد من دونه مکانا التجئ إلیه إلا تبلیغا کائنا منه و رسالاته أی إلا أن أمتثل ما أمرنی به من التبلیغ منه تعالی ببیان أسمائه و صفاته و إلا رسالاته فی شرائع الدین.

قوله تعالی:« وَ مَنْ یَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً »إفراد ضمیر « اَللّٰهِ »باعتبار لفظ« مِنَ »کما أن جمع« خٰالِدِینَ »باعتبار معناها.

و عطف الرسول علی الله فی قوله:« وَ مَنْ یَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ »لکون معصیته معصیه لله تعالی إذ لیس له إلا رساله ربه فالرد علیه فیما أتی به رد علی الله سبحانه و طاعته فیما یأمر به طاعه لله قال تعالی: «مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ» :النساء ۸۰.

و المراد بالمعصیه-کما یشهد به سیاق الآیات السابقه-معصیه ما أمر به من التوحید أو التوحید و ما یتفرع علیه من أصول الدین و فروعه فلا یشمل التهدید و الوعید بخلود النار إلا الکافرین بأصل الدعوه دون مطلق أهل المعصیه المتخلفین عن فروع الدین فالاحتجاج بالآیه علی تخلید مطلق العصاه فی النار فی غیر محله.

و الظاهر أن قوله:« وَ مَنْ یَعْصِ اللّٰهَ »إلی آخر الآیه من کلام الله سبحانه لا من تتمه کلام النبی ص.

قوله تعالی:« حَتّٰی إِذٰا رَأَوْا مٰا یُوعَدُونَ فَسَیَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نٰاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً » لقوله:« حَتّٰی »دلاله علی معنی مدخولها غایه له و مدخولها یدل علی أنهم کانوا یستضعفون النبی ص بعد ناصریه-و هم المؤمنون-ضعفاء و استقلال عدده بعد عددهم قلیلا

فالكلام يدل على معنى محذوف هو غايته كقولنا:لا يزالون يستضعفون ناصريك و يستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون إلخ.

و المراد بما يوعدون نار جهنم لأنها هى الموعوده فى الآيه،و الآيه من كلامه تعالى يخاطب النبى ص و لو كانت من كلامه و هى مصدره بقوله تعالى« قُلْ »لكان من حق الكلام أن يقال:حتى إذا رأيتم ما توعدون فستعلمون إلخ.

قوله تعالى:« قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً » الأمد الغايه التى ينتهى إليها،و الآيه بمنزله دفع دخل تقتضيه حالهم كأنهم لما سمعوا الوعيد قالوا:متى يكون ذلك فقيل له:« قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ »إلخ.

قوله تعالى:« عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً » إظهار الشىء على الشىء إعانته و تسليطه عليه،و« عَالِمُ الْغَيْبِ »خبر لمبتدإ محذوف،و التقدير هو عالم الغيب،و مفاد الكلمه بإعانه من السياق اختصاص علم الغيب به تعالى مع استيعاب علمه كل غيب،و لذا أضاف الغيب إلى نفسه ثانيا فقال:« عَلىٰ غَيْبِهِ »بوضع الظاهر موضع المضمر ليفيد الاختصاص و لو قال:فلا يظهر عليه لم يفد ذلك.

و المعنى هو عالم كل غيب علما يختص به فلا يطلع على الغيب و هو مختص به أحدا من الناس فالمفاد سلب كلى و إن أصر بعضهم على كونه سلبا جزئيا محصل معناه لا يظهر على كل غيبه أحدا و يؤيد ما قلنا ظاهر ما سيأتى من الآيات.

قوله تعالى:« إِلاّ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ »استثناء من قوله:« أَحَداً »و« مِنْ رَسُولٍ » بيان لقوله« مَنِ ارْتَضىٰ »فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به فالآيه إذا انضمت إلى الآيات التى تخص علم الغيب به تعالى كقوله: «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ» :الأنعام:۵۹،و قوله: «وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» :النحل:۷۷، و قوله: «قُلْ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّٰهُ» :النمل:۶۵ أفاد ذلك معنى الأصاله و التبعيه فهو تعالى يعلم الغيب لذاته و غيره يعلمه بتعليم من الله.

فهذه الآيات نظيره الآيات المتعرضه للتوفى كقوله: «اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ» :الزمر:۴۲ الدال على الحصر،و قوله: «قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» :الم السجده:۱۱،و قوله:

«حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا» :الأنعام:۶۱ فالتوفى منسوب إليه تعالى على

نحو الأصاله و إلى الملائكه على نحو التبعيه لكونهم أسبابا متوسطه مسخره له تعالى.

قوله تعالى:« فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً -إلى قوله- عَدَداً »ضمير « فَإِنَّهُ »لله تعالى،و ضميرا« يَدَيْهِ »و« خَلْفِهِ »للرسول، و الراصد المراقب للأمر الحارس له،و الرصد الراصد يطلق على الواحد و الجماعه و هو فى الأصل مصدر،و المراد بما بين يدى الرسول ما بينه و بين الناس المرسل إليهم،و بما خلفه ما بينه و بين مصدر الوحى الذى هو الله سبحانه و قد اعتبر فى هذا التصوير ما يوهمه معنى الرساله من امتداد متوهم يأخذ من المرسل-اسم فاعل-و ينتهى إلى المرسل إليه يقطعه الرسول حتى ينتهى إلى المرسل إليه فيؤدى رسالته،و الآيه تصف طريق بلوغ الغيب إلى الرسول و هو الرسالات التى توحى إليه كما يشير إلى ذلك قوله:« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ ».

و المعنى:فإن الله يسلك ما بين الرسول و من أرسل إليه و ما بين الرسول و مصدر الوحى مراقبين حارسين من الملائكه-و من المعلوم أن سلوك الرصد من بين يديه و من خلفه لحفظ الوحى من كل تخليط و تغيير بالزياده و النقصان يقع فيه من ناحيه الشياطين بلا واسطه أو معها.

و قوله:« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ »ضمير« لِيَعْلَمَ »لله سبحانه،و ضميرا« قَدْ أَبْلَغُوا »و« رَبِّهِمْ »لقوله:« مَنِ »باعتبار المعنى أو لرسول باعتبار الجنس،و المراد بعلمه تعالى بإبلاغهم رسالات ربهم العلم الفعلى و هو تحقق الإبلاغ فى الخارج على حد قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ» :العنكبوت:٣ و هو كثير الورود فى كلامه تعالى.

و الجمله تعليل لسلوك الرصد بين يدى الرسول و من خلفه،و المعنى ليتحقق إبلاغ رسالات ربهم أى لتبلغ الناس رسالاته تعالى على ما هى عليه من غير تغير و تبدل.

و من المحتمل أن يرجع ضميرا« بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ »إلى« غَيْبِهِ »فيكون الرصد الحرس مسلوكين بين يدى الغيب النازل و من خلفه إلى أن يبلغ الرسول،و يضعفه أنه لا يلائم قوله:« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ »بالمعنى الذى تقدم لعدم استلزام بلوغ الغيب للرسول سليما من تعرض الشياطين حصول العلم بإبلاغه إلى الناس.

و إلى هذا المعنى يرجع قول بعضهم إن الضميرين يرجعان إلى جبريل حامل الوحى.

و يضعفه مضافا إلى ما مر عدم سبق ذكره.

ص :۵۴

و قیل:ضمیر لیعلم للرسول و ضمیرا« قَدْ أَبْلَغُوا »و« رَبِّهِمْ »للملائکه الرصد و المعنی یرصد الملائکه الوحی و یحرسونه لیعلم الرسول أن الملائکه قد أبلغوا إلیه الوحی کما صدر فتطمئن نفسه أنه سلیم من تعرض الشیاطین فإن لازم العلم بإبلاغهم إیاه العلم ببلوغه.

و یبعده أن ظاهر السیاق-و یؤیده سبق ذکر الرسول-أن المراد بالرسالات الرسالات التی حملها الرسول لیبلغها إلی الناس لا ما حملها ملک الوحی فضمیر« رَبِّهِمْ » للرسل دون الملائکه،علی أن الآیه تشیر إلی الملائکه بعنوان الرصد و هو غیر عنوان الرساله و شأن الرصد الحفظ و الحراسه دون الرساله.

و قیل:المعنی لیعلم محمد ص أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم،و هو وجه سخیف لا دلیل علیه،و أسخف منه ما قیل:إن المعنی لیعلم مکذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم إلیهم.

و قوله:« وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ »ضمیر الجمع للرسل بناء علی ما تقدم من المعنی و الظاهر أن الجمله متممه لمعنی الحراسه المذکوره سابقا فقوله:« مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ »یشیر إلی رصد ما بین الرسول و المرسل إلیهم،و قوله:« وَ مِنْ خَلْفِهِ »إلی حفظ ما بینه و مصدر الوحی، و قوله:« وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ »یشیر إلی ظرف نفس الرسول و الإحاطه إحاطه علمیه فالوحی فی أمن من تطرق التغییر و التبدیل فیما بین مصدر الوحی و الرسول و فی نفس الرسول و فی ما بین الرسول و المرسل إلیهم.

و یمکن أن یکون المراد بما لدیهم جمیع ما له تعلق ما بالرسل أعم من مسیر الوحی أو أنفسهم کما أن قوله:« وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً »مسوق لإفاده عموم العلم بالأشیاء غیر أنه العلم بعددها و تمیز بعضها من بعض.

فقد تبین مما مر فی الآیات الثلاث:

أولا:أن اختصاصه تعالی بعلم الغیب علی نحو الأصاله بالمعنی الذی أوضحناه فهو تعالی یعلم الغیب بذاته و غیره یعلمه بتعلیم منه.

و به یظهر أن ما حکی فی کلامه تعالی من إنکارهم العلم بالغیب أرید به نفی الأصاله و الاستقلال دون ما کان بوحی کقوله تعالی: «قُلْ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللّهِ وَ لا

أَعْلَمُ الْغَيْبَ» :الأنعام:۵۰،و قوله: «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» الأعراف:۱۸۸ و قوله: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحىٰ إِلَيَّ» :الأحقاف:۹.

و ثانيا:أن عموم قوله:« فَلاَ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً »لما خصص بقوله:« إِلاَّ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ »عاد عاما مخصصا لا يأبى تخصيصا بمخصص آخر كما فى مورد الأنبياء فإن الآيات القرآنيه تدل على أنهم يوحى إليهم كقوله: «إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» :النساء:۱۶۳ و تدل على أن الوحى من الغيب فالنبى ينال الغيب كما يناله الرسول هذا على تقدير أن يكون المراد بالرسول فى الآيه ما يقابل النبى و أما لو أريد مطلق من أرسله الله إلى الناس و النبى ممن أرسله الله إليهم كما يشهد به قوله: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاَ نَبِيٍّ» XالآيهX:الحج:۵۲،و قوله: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ» الأعراف:۹۴ فالنبى خارج من عموم النفى من غير تخصيص جديد.

و كذا فى مورد الإمام بالمعنى الذى يستعمله فيه القرآن فإنه تعالى يصفه بالصبر و اليقين كما فى قوله: «وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ» :الم السجده ۲۴ و يعرفهم بانكشاف الغطاء لهم كما فى قوله: «وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» :الأنعام:۷۵،و قوله: «كَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» :التكاثر:۶ و قد تقدم كلام فى ذلك فى بعض المباحث السابقه.

و أما الملائكه فما يحملونه من الوحى السماوى قبل نزوله و كذا ما يشاهدونه من عالم الملكوت شهاده بالنسبه إليهم و إن كان غيبا بالنسبه إلينا.على أن قوله:« فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً »إنما يشمل أهل الدنيا ممن يعيش على بسيط الأرض و إلا لانتقض بالأموات المشاهدين لأمور الآخره و هى من الغيب بنص القرآن فلم يبق تحت عموم النفى حتى فرد واحد إذ ما من أحد إلا و هو مبعوث ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود،و كما أن الأموات نشأتهم غير نشأه الدنيا كذلك نشأه الملائكه غير نشأه الماده.

و ثالثا:أن قوله:« فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ »إلى آخر الآيتين يدل على أن الوحى الإلهى محفوظ من لدن صدوره من مصدر الوحى إلى بلوغه الناس مصون فى طريق نزوله إلى أن يصل إلى من قصد نزوله عليه.

أما مصونيته من حين صدوره من مصدره إلى أن ينتهى إلى الرسول فيكفى فى الدلاله عليه قوله« مِنْ خَلْفِهِ » (۱)و أما مصونيته حين أخذ الرسول إياه و تلقيه من ملك الوحى بحيث يعرفه و لا يغلط فى أخذه،و مصونيته فى حفظه بحيث يعيه كما أوحى إليه من غير أن ينساه أو يغيره أو يبدله،و مصونيته فى تبليغه إلى الناس من تصرف الشيطان فيه فالدليل عليه قوله:« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ »حيث يدل على أن الغرض الإلهى من سلوك الرصد أن يعلم إبلاغهم رسالات ربهم أى أن يتحقق فى الخارج إبلاغ الوحى إلى الناس،و لازمه بلوغه إياهم و لو لا مصونيه الرسول فى الجهات الثلاث المذكوره جميعا لم يتم الغرض الإلهى و هو ظاهر،و حيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض طريقا غير سلوك الرصد دل ذلك على أن الوحى محروس بالملائكه و هو عند الرسول كما أنه محروس بهم فى طريقه إلى الرسول حتى ينتهى إليه،و يؤكده قوله بعد:« وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ ».

و أما مصونيته فى مسيره من الرسول حتى ينتهى إلى الناس فيكفى فيه قوله:« مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ »على ما تقدم من معناه.

أضف إلى ذلك دلاله قوله:« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ »بما تقدم من تقريب دلالته.

و يتفرع على هذا البيان أن الرسول مؤيد بالعصمه فى أخذ الوحى من ربه و فى حفظه و فى تبليغه إلى الناس مصون من الخطإ فى الجهات الثلاث جميعا لما مر من دلاله الآيه على أن ما نزله الله من دينه على الناس من طريق الرساله بالوحى مصون فى جميع مراحله إلى أن ينتهى إلى الناس و من مراحله مرحله أخذ الرسول للوحى و حفظه له و تبليغه إلى الناس.

و التبليغ يعم القول و الفعل فإن فى الفعل تبليغا كما فى القول فالرسول معصوم من المعصيه باقتراف المحرمات و ترك الواجبات الدينيه لأن فى ذلك تبليغا لما يناقض الدين فهو معصوم من فعل المعصيه كما أنه معصوم من الخطإ فى أخذ الوحى و حفظه و تبليغه قولا.

و قد تقدمت الإشاره إلى أن النبوه كالرساله فى دورانها مدار الوحى فالنبى كالرسول فى خاصه العصمه،و يتحصل بذلك أن أصحاب الوحى سواء كانوا رسلا أو أنبياء

۱- ۱) هذا بناء على رجوع الضمير إلى الرسول و أما بناء على احتمال رجوع الضمير إلى الغيب فالدال عليه مجموع«من بين يديه و من خلفه»لكنه ضعيف كما تقدم.

معصومون فی أخذ الوحی و فی حفظ ما أوحی إلیهم و فی تبلیغه إلی الناس قولا و فعلا.

و رابعا:أن الذی استثنی فی الآیه من الإظهار علی الغیب إظهار الرسول علی ما یتوقف علیه تحقق إبلاغ رسالته أعم من أن یکون متن الرساله کالمعارف الاعتقادیه و شرائع الدین و القصص و العبر و الحکم و المواعظ أو یکون من آیات الرساله و المعجزات الداله علی صدق الرسول فی دعواه کالذی حکی عن بعض الرسل من الإخبار بالمغیبات کقول صالح لقومه: «تَمَتَّعُوا فِی دٰارِکُمْ ثَلاٰثَهَ أَیّٰامٍ ذٰلِکَ وَعْدٌ غَیْرُ مَکْذُوبٍ» :هود:۶۵،و قول عیسی لبنی إسرائیل: «وَ أُنَبِّئُکُمْ بِمٰا تَأْکُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لَکُمْ» آل عمران:۴۹،و کذا ما ورد من مواعد الرسل،و ما ورد فی الکتاب العزیز من الملاحم کل ذلک من إظهارهم علی الغیب.

بحث روائی

عن تفسیر العیاشی،عن أبی جعفر(ع): أنه سأله المعتصم عن السارق من أی موضع یجب أن یقطع؟فقال:إن القطع یجب أن یکون من مفصل أصول الأصابع-فتترک الکف.

فقال:و ما الحجه فی ذلک؟قال:قول رسول الله ص:السجود علی سبعه أجزاء:

الوجه و الیدین و الرکبتین و الرجلین-فإذا قطع من الکرسوع أو المرفق-لم یدع له یدا یسجد علیها و قال الله:« وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ »یعنی به هذه الأعضاء السبعه التی یسجد علیها- « فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً »و ما کان لله فلا یقطع. الحدیث.

و فی الکافی،بإسناده عن حماد بن عیسی عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث: و سجد یعنی أبا عبد الله(ع)علی ثمانیه أعظم:الکفین و الرکبتین و إبهامی الرجلین و الجبهه و الأنف، و قال:سبعه منها فرض یسجد علیها-و هی التی ذکرها الله فی کتابه فقال:« وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً »و هی الجبهه و الکفان و الرکبتان و الإبهامان-و وضع الأنف علی الأرض سنه.

و عن الخرائج و الجرائح،روی محمد بن الفضل الهاشمی عن الرضا(ع): أنه نظر إلی ابن هذاب فقال:إن أنا أخبرتک أنک ستبتلی فی هذه الأیام-بدم ذی رحم لک لکنت مصدقا لی؟قال:لا فإن الغیب لا یعلمه إلا الله تعالی.قال:أ و لیس أنه یقول:« عٰالِمُ

الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً- إِلاّٰ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ

»فرسول الله ص عند الله مرتضى،و نحن ورثه ذلك الرسول-الذى أطلعه الله على ما يشاء من غيبه-فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه.

أقول:و الأخبار فى هذا الباب فوق حد الإحصاء،و مدلولها أن النبى ص أخذه بوحى من ربه و أنهم أخذوه بالوراثه منه(ص).

(۷۳) سوره المزمل مكيه و هى عشرون آيه(۲۰)

[سوره المزمل (۷۳): الآيات ۱ الى ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

يٰا أَيُّهَا اَلْمُزَّمِّلُ (۱) قُمِ اَللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۲) نِصْفَهُ أَوِ اُنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (۳) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ اَلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (۴) إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (۵) إِنَّ نٰاشِئَةَ اَللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (۶) إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهٰارِ سَبْحاً طَوِيلاً (۷) وَ اُذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (۸) رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (۹) وَ اِصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اُهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (۱۰) وَ ذَرْنِي وَ اَلْمُكَذِّبِينَ أُولِي اَلنَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (۱۱) إِنَّ لَدَيْنٰا أَنْكٰالاً وَ جَحِيماً (۱۲) وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّةٍ وَ عَذٰاباً أَلِيماً (۱۳) يَوْمَ تَرْجُفُ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبٰالُ وَ كٰانَتِ اَلْجِبٰالُ كَثِيباً مَهِيلاً (۱۴) إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَيْكُمْ كَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (۱۵) فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ اَلرَّسُولَ فَأَخَذْنٰاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (۱۶) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ اَلْوِلْدٰانَ شِيباً (۱۷) اَلسَّمٰاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (۱۸) إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (۱۹)

بیان

السوره تأمر النبی ص بقیام اللیل و الصلاه فیه لیستعد بذلک لتلقی ثقل ما سیلقی علیه من القول الثقیل و القرآن الموحی إلیه،و تأمره أن یصبر علی ما یقولون فیه أنه شاعر أو کاهن أو مجنون إلی غیر ذلک و یهجرهم هجرا جمیلا،و فیها وعید و إنذار للکفار و تعمیم الحکم لسائر المؤمنین،و فی آخرها تخفیف ما للنبی ص و المؤمنین.

و السوره مکیه من عتائق السور النازله فی أول البعثه حتی قیل:إنها ثانیه السور النازله علی النبی ص أو ثالثتها.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ »بتشدید الزای و المیم و أصله المتزمل اسم فاعل من التزمل بمعنی التلفف بالثوب لنوم و نحوه،و ظاهره أنه(ص)کان قد تزمل بثوب للنوم فنزل علیه الوحی و خوطب بالمزمل.

و لیس فی الخطاب به تهجین و لا تحسین کما توهمه بعضهم،نعم یمکن أن یستفاد من سیاق الآیات أنه(ص)کان قد قوبل فی دعوته بالهزء و السخریه و الإیذاء فاغتم فی الله فتزمل بثوب لینام دفعا للهم فخوطب بالمزمل و أمر بقیام اللیل و الصلاه فیه و الصبر علی ما یقولون علی حد قوله تعالی: «اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ» :البقره:۱۵۳ فأفید بذلک أن علیه أن یقاوم الکرب العظام و النوائب المره بالصلاه و الصبر لا بالتزمل و النوم.

و قیل:المراد یا أیها المتزمل بعباءه النبوه أی المتحمل لأثقالها،و لا شاهد علیه من جهه اللفظ.

قوله تعالی:« قُمِ اللَّیْلَ إِلاّٰ قَلِیلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلاً أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً »المراد بقیام اللیل القیام فیه إلی الصلاه فاللیل مفعول به توسعا کما فی قولهم:

دخلت الدار،و قیل:معمول« قُمِ »مقدر و« اَللَّیْلَ »منصوب علی الظرفیه و التقدیر قم إلی الصلاه فی اللیل،و قوله:« إِلاّٰ قَلِیلاً »استثناء من اللیل.

و قوله:« نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ »ظاهر السياق أنه بدل من« اَللَّيْلَ إِلاّ قَلِيلًا »المتعلق به تكليف القيام،و ضميرا« مِنْهُ »و« عَلَيْهِ »للنصف،و ضمير « نِصْفَهُ »لليل،و المعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا أو زد على النصف قليلا،و الترديد بين الثلاثه للتخيير فقد خير بين قيام النصف و قيام أقل من النصف بقليل و قيام أكثر منه بقليل.

و قيل:« نِصْفَهُ »بدل من المستثنى أعنى« قَلِيلًا »فيكون المعنى قم الليل إلا نصفه أو انقص من النصف قليلا فقم أكثر من النصف بقليل أو زد على النصف فقم أقل من النصف،و تكون جمله البدل رافعا لإبهام المستثنى بالمطابقه و لإبهام المستثنى منه بالالتزام عكس الوجه السابق.

و الوجهان و إن اتحدا فى النتيجه غير أن الوجه السابق أسبق إلى الذهن لأن الحاجه إلى رفع الإبهام عن متعلق الحكم أقدم من الحاجه إلى رفع الإبهام عن توابعه و ملحقاته فكون قوله:«نصفه»إلخ بدلا من الليل و لازمه رفع إبهام متعلق التكليف بالمطابقه أسبق إلى الذهن من كونه بدلا من« قَلِيلًا ».

و قيل:إن نصفه بدل من الليل لكن المراد بالقليل القليل من الليالى دون القليل من أجزاء الليل،و المعنى قم نصف الليل أو انقص منه قليلا أو زد عليه إلا قليلا من الليالى و هى ليالى العذر من مرض أو غلبه نوم أو نحو ذلك،و لا بأس بهذا الوجه لكن الوجه الأول أسبق منه إلى الذهن.

و قوله:« وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على تواليها، و الجمله معطوفه على قوله:« قُمِ اللَّيْلَ »أى قم الليل و اقرأ القرآن بترتيل.

و الظاهر أن المراد بترتيل القرآن ترتيله فى الصلاه أو المراد به الصلاه نفسها و قد عبر سبحانه عن الصلاه بنظير هذا التعبير فى قوله: «أَقِمِ الصَّلاٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً» :إسراء:۷۸،و قيل:المراد إيجاب قراءه القرآن دون الصلاه.

قوله تعالى:« إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً » الثقل كيفيه جسمانيه من خاصته أنه يشق حمل الجسم الثقيل و نقله من مكان إلى مكان و ربما يستعار للمعانى إذا شق على النفس

تحملها أو لم تطقها فربما أضيف إلى القول من جهه معناه فعد ثقيلا لتضمنه معنى يشق على النفس إدراكه أو لا تطيق فهمه أو تتحرج من تلقيه كدقائق الأنظار العلميه إذا ألقيت على الأفهام العامه،أو لتضمنه حقائق يصعب التحقق بها أو تكاليف يشق الإتيان بها و المداومه عليها.

و القرآن قول إلهى ثقيل بكلا المعنيين:أما من حيث تلقى معناه فإنه كلام إلهى مأخوذ من ساحه العظمه و الكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهره من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه،و كتاب عزيز له ظهر و بطن و تنزيل و تأويل تبيانا لكل شىء، و قد كان ثقله مشهودا من حال النبى ص بما كان يأخذه من البرحاء و شبه الإغماء على ما وردت به الأخبار المستفيضه.

و أما من حيث التحقق بحقيقه التوحيد و ما يتبعها من الحقائق الاعتقاديه فكفى فى الإشاره إلى ثقله قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» :الحشر:٢١،و قوله تعالى:

«وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ» :الرعد ٣١.

و أما من حيث القيام بما يشتمل عليه من أمر الدعوه و إقامه مراسم الدين الحنيف، و إظهاره على الدين كله فيشهد به ما لقى(ص)من المصائب و المحن فى سبيل الله و الأذى فى جنب الله على ما يشهد به الآيات القرآنيه الحاكيه لما لقيه النبى ص من المشركين و الكفار و المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء و الهزء و الجفاء.

فقوله:« إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً »المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذهن من سياق هذه الآيات النازله فى أول البعثه،و به فسره المفسرون.

و الآيه فى مقام التعليل للحكم المدلول عليه بقوله:« قُمِ اللَّيْلَ »إلخ فتفيد بمقتضى السياق-و الخطاب خاص بالنبى ص-أن أمره بقيام الليل و التوجه فيه إليه تعالى بصلاه الليل تهيئه له و إعداد لكرامه القرب و شرف الحضور و إلقاء قول ثقيل فقيام الليل هى السبيل المؤديه إلى هذا الموقف الكريم و قد عد سبحانه صلاه الليل سبيلا إليه فى قوله الآتى:« إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ».

و قد زاد سبحانه وعدا على ما فى هذه الآيه فى قوله: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نٰافِلَةً

لَکَ عَسى أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً» :إسراء:۷۹ و قد تقدم معنى المقام المحمود فی تفسیر الآیه.

و إذ کان من ثقل القرآن ثقله من حیث التحقق بحقائقه و من حیث استجابته فیما ینـدب إلیه من الشـرائع و الأحکام فهو ثقیل على الأمه کما هو ثقیل علیه(ص)و معنى الآیه إنا سنوحی إلیک قولا یثقل علیک و على أمتک أما ثقله علیه(ص)فلما فی التحقق بحقائقه من الصعوبه و لما فیه من محنه الرساله و ما یتبعها من الأذى فی جنب الله و ترک الراحه و الدعه و مجاهده النفس و الانقطاع إلى الله مضافا إلى ما فی تلقیه من مصدر الوحی من الجهد،و أما ثقله على أمته فلأنهم یشارکونه(ص)فی لزوم التحقق بحقائقه و اتباع أوامره و نواهیه و رعایه حدوده کل طائفه منهم على قدر طاقته.

و للقوم فی معنى ثقل القرآن أقوال أخر:

منها:أنه ثقیل بمعنى أنه عظیم الشأن متین رصین کما یقال:هذا کلام له وزن إذا کان واقعا موقعه.

و منها:أنه ثقیل فی المیزان یوم القیامه حقیقه أو مجازا بمعنى کثره الثواب علیه.

و منها:أنه ثقیل على الکفار و المنافقین بما له من الإعجاز و بما فیه من الوعید.

و منها:أن ثقله کنایه عن بقائه على وجه الدهر لأن الثقیل من شأنه أن یبقى و یثبت فی مکانه.

و منها:غیر ذلک و الوجوه المذکوره و إن کانت لا بأس بها فی نفسها لکن ما تقدم من الوجه هو الظاهر السابق إلى الذهن.

قوله تعالى:« إِنَّ نٰاشِئَةَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلاً إِنَّ لَکَ فِی النَّهٰارِ سَبْحاً طَوِیلاً »الآیه الأولى فی مقام التعلیل لاختیار اللیل وقتا لهذه الصلاه،و الآیه الثانیه فی مقام التعلیل لترک النهار و الإعراض عنه کما أن الآیه السابقه أعنی قوله:« إِنّٰا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلاً ثَقِیلاً »فی مقام التعلیل لتشریع أصل هذه الصلاه.

فقوله:« إِنَّ نٰاشِئَةَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلاً » الناشئه إما مصدر کالعاقبه و العافیه بمعنى النشأه و هی الحدوث و التکون،و إما اسم فاعل من النشأه مضاف إلى موصوفه و کیف کان فالمراد بها اللیل و إطلاق الحادثه على اللیل کإطلاقها على سائر أجزاء

الخلقه و ربما قيل:إنها الصلاه فی الليل و وطء الأرض وضع القدم عليها،و كونها أشد وطأ كنايه عن كونها أثبت قدما لصفاء النفس و عدم تكدرها بالشواغل النهاريه و قيل:

الوطء مواطاه القلب اللسان و أيد بقراءه« أَشَدُّ وَطْئاً »و المراد بكونها أقوم قيلا كونها أثبت قولا و أصوب لحضور القلب و هدوء الأصوات.

و المعنی أن حادثه الليل أو الصلاه فی الليل هی أثبت قدما-أو أشد فی مواطاه القلب اللسان و أثبت قولا و أصوب لما أن الله جعل الليل سكنا يستتبع انقطاع الإنسان عن شواغل المعيشه إلی نفسه و فراغ باله.

و قوله:« إِنَّ لَكَ فِی النَّهٰارِ سَبْحاً طَوِيلًا » السبح المشی السريع فی الماء و السبح الطويل فی النهار كنايه عن الغور فی مهمات المعاش و أنواع التقلب فی قضاء حوائج الحياه.

و المعنی أن لك فی النهار مشاغل كثيره تشتغل بها مستوعبه لا تدع لك فراغا تشتغل فيه بالتوجه التام إلی ربك و الانقطاع إليه بذكره فعليك بالليل و الصلاه فيه.

و قيل:المعنی أن لك فی النهار فراغا لنومك و تدبير أمر معاشك و التصرف فی حوائجك فتهجد فی الليل.

و قيل:المعنی أن لك فی النهار فراغا فإن فاتك من الليل شیء أمكنك أن تتداركه فی النهار و تقضيه فيه فالآيه فی معنی قوله: «وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ خِلْفَهً لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرٰادَ شُكُوراً» :الفرقان:۶۲.

و الذی قدمناه من المعنی أنسب للمقام.

قوله تعالی:« وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا »الظاهر أنه يصف صلاه الليل فهو كالعطف التفسيری علی قوله:« وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا »و علی هذا فالمراد بذكر اسم الرب تعالی الذكر اللفظی بمواطاه من القلب و كذا المراد بالتبتل التبتل مع اللفظ.

و قيل:الآيه تعميم بعد التخصيص و المراد بالذكر دوام ذكره تعالی ليلا و نهارا علی أی وجه كان من تسبيح و تحميد و صلاه و قراءه قرآن و غير ذلك،و إنما فسر الذكر بالدوام لأنه(ص)لم ينسه تعالی حتی يؤمر بذكره،و المراد الدوام العرفی دون الحقيقی لعدم إمكانه.انتهی.

و فيه أنه إن أراد بالذكر الذكر اللفظی فعدم نسيانه(ص)ربه تعالی لا ينافی أمره

بالـذكر اللفظى،و إن أراد ما يعم الذكر القلبى فهو ممنوع و لو سـلم ففيه أولا أن عدم نسـيانه(ص)ربه إلى حين الخطاب لا ينافى أمره بذكره بعده و ثانيا أن عده الدوام الحقيقى غير ممكن و حمل الدوام على العرفى وهم ناش عن عدم تحصيل المعنى على ما هو عليه فـالله جـل ذكره مـذكور للإنسـان لاـ يغيب عنه و لا لحظه سواء تنبه عليه الإنسان أو غفل عنه.و من الممكن أن يعرفه الله نفسه بحيث لا يغفل عنه و لا فى حال قال تعالى:

«فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ» :حم السجده:۳۸ و قال:

«يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ» :الأنبياء:۲۰ و قد تقدم فى تفسير الآيتين و آخر سوره الأعراف أن ذلک لا يختص بالملائكه.

و بالجمله قوله:« وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّکَ »أمر بذكر اسم من أسمائه أو لفظ الجلاله خاصه و قيل:المراد به البسمله.

و فى قـوله:« رَبِّکَ »التفـات عن التكلم مـع الغير فى قـوله:« إِنّا سَنُلْقِي »إلى الغيبه و لعـل الوجه فيه إيقـاظ ذله العبوديه الـتى هى الرابطه بين العبد و ربه،بذكر صفه الربوبيه.

و قوله« وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً »فسر التبتل بالانقطاع أى و انقطع إلى الله،و من المروى عن أئمه أهل البيت(ع)أن التبتل رفع اليد إلى الله و التضرع إليه،و هذا المعنى أنسب بناء على حمل الذكر على الذكر اللفظى كما تقدم.

و« تَبْتِيلاً »مفعول مطلق ظاهرا و كان مقتضـى الظاهر أن يقال:و تبتل إليه تبتلا فالعـدول إلى التبتيل قيل:لتضـمين تبتل معنى بتل،و المعنى و قطع نفسک من غيره إليه تقطيعا أو احمل نفسک على رفع اليد إليه و التضرع حملا،و قيل:لمراعاه الفواصل.

قـوله تعـالى:« رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لاـ إِلهَ إِلاّـ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً »وصف مقطوع عن الوصـفيه و التقـدير هو رب المشرق و المغرب،و رب المشرق و المغرب فى معنى رب العالم كله فإن المشرق و المغرب جهتان نسبيتان تشملان جهات العالم المشهود كلها، و إنما اختصا بالذكر لمناسبه ما تقدم من ذكر الليل و النهار المرتبطين بالشروق و الغروب.

و إنمـا لم يقتصـر فى الإشـاره إلى ربوبيته تعـالى بقوله السابق:« رَبِّکَ »للإيـذان بأنه (ص)مأمور باتخاذه ربا لأنه ربه و رب العالم كله لا لأنه ربه وحده كما ربما كان الرجل

من الوثنيين يتخذ صنما لنفسه فحسب غير ما اتخذه غيره من الأصنام و لو كان اتخاذه (ص)له تعالى ربا من هذا القبيل أو احتمل ذلك لم تصح دعوته إلى التوحيد.

و ليكون قوله: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ -و هو فى معنى رب العالم كله-توطئه و تمهيدا لقوله بعده:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »يعلل به توحيد الألوهيه فإن الألوهيه و هى المعبوديه من فروع الربوبيه التى هى الملك و التدبير كما تقدم مرارا فهو تعالى الإله وحده لا إله إلا هو لأنه الرب وحده لا رب إلا هو.

و قوله:« فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً »أى فى جميع أمورك،و توكيل الوكيل هو إقامه الإنسان غيره مقام نفسه بحيث تقوم إرادته مقام إرادته و عمله مقام عمله فاتخاذه تعالى وكيلا أن يرى الإنسان الأمر كله له و إليه تعالى أما فى الأمور الخارجيه و الحوادث الكونيه فأن لا يرى لنفسه و لا-لشىء من الأسباب الظاهريه استقلالا فى التأثير فلا مؤثر فى الوجود بحقيقه معنى التأثير إلا الله فلا يتعلق بتأثير سبب من الأسباب برضى أو سخط أو سرور أو أسف و غير ذلك بل يتوسل إلى مقاصده و مآربه بما عرفه الله من الأسباب من غير أن يطمئن إلى استقلالها فى التأثير و يرجع الظفر بالمطلوب إلى الله ليختار له ما يرتضيه.

و أما الأمور التى لها تعلق بالعمل من العبادات و المعاملات فأن يجعل إرادته تابعه لإراده ربه التشريعيه فيعمل على حسب ما يريده الله تعالى منه فيما شرع من الشريعه.

و من هنا يظهر أن لقوله:« فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً »ارتباطا بقوله:« وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ »إلخ و ما تقدم عليه من الأوامر التشريعيه كما أن له ارتباطا بما تأخر عنه من قوله« وَ اصْبِرْ » و قوله« اُهْجُرْهُمْ »و قوله:« وَ ذَرْنِى ».

قوله تعالى:« وَ اصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً »معطوف هو و ما بعده على مدخول الفاء فى قوله:« فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً »فالمعنى اتخذه وكيلا و لازم اتخاذه وكيلا أن تصبر على ما يقولون مما فيه إيذاؤك و الاستهزاء بك و رميك بما ليس فيك كقولهم:

افترى على الله،كاهن شاعر،مجنون،أساطير الأولين و غير ذلك مما يقصه القرآن.

و أن تهجرهم هجرا جميلا،و المراد بالهجر الجميل على ما يعطيه السياق أن يعاملهم بحسن الخلق و الدعوه إلى الحق بالمناصحه،و لا يواجه قولهم بما فى وسعه من المقابله بالمثل، و الآيه لا تدافع آيه القتال فلا وجه لقول من قال:إنها منسوخه بآيه القتال.

قوله تعالى:« وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ أُولِی النَّعْمَهِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلًا »تهدید للکفار یقال:

دعنی و فلانا و ذرنی و فلانا أی لا تحل بینی و بینه حتی أنتقم منه.

و المراد بالمکذبین أولی النعمه الکفار المذکورون فی الآیه السابقه أو رؤساؤهم المتبوعون،و الجمع بین توصیفهم بالمکذبین و توصیفهم بأولی النعمه للإشاره إلی عله ما یهددهم به من العذاب فإن تکذیبهم بالدعوه الإلهیه و هم متنعمون بنعمه ربهم کفران منهم بالنعمه و جزاء الکفران سلب النعمه و تبدیلها من النقمه.

و المراد بالقلیل الذی یمهلونه الزمان القلیل الذی یمکثون فی الأرض حتی یرجعوا إلی ربهم فیحاسبهم و یجازیهم قال تعالی: «إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً وَ نَرٰاهُ قَرِیباً» :المعارج:۷، و قال: «مَتٰاعٌ قَلِیلٌ ثُمَّ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ» :آل عمران ۱۹۷.

و الآیه بظاهرها عامه،و قیل:وعید لهم بوقعه بدر و لیس بظاهر،و فی الآیه التفات عن الغیبه فی« رَبِّکَ »إلی التکلم وحده فی« ذَرْنِی »و لعل الوجه فیه تشدید التهدید بنسبه الأمر إلیه سبحانه نفسه ثم التفت فی قوله:« إِنَّ لَدَیْنٰا »إلی التکلم مع الغیر للدلاله علی العظمه.

قوله تعالی:« إِنَّ لَدَیْنٰا أَنْکٰالاً وَ جَحِیماً »تعلیل لقوله« ذَرْنِی »إلخ و الأنکال القیود،قال الراغب یقال:نکل عن الشیء ضعف و عجز،و نکلته قیدته و النکل -بالکسر فالسکون-قید الدابه و حدیده اللجام لکونهما مانعین،و الجمع الأنکال انتهی،و قال: الجحمه شده تأجج النار و منه الجحیم،انتهی.

قوله تعالی:« وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّهٍ وَ عَذٰاباً أَلِیماً »قال فی المجمع،: الغصه تردد اللقمه فی الحلق و لا یسیغها آکلها یقال:غص بریقه یغص غصصا،و فی قلبه غصه من کذا و هی کاللدغه التی لا یسوغ معها الطعام و الشراب،انتهی.

و الآیتان تذکران نقم الآخره التی بدلت منها نعم الدنیا جزاء لکفرانهم بنعم الله.

قوله تعالی:« یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلًا »ظرف للعذاب الموعود فی الآیتین السابقتین،قال الراغب،: الرجف الاضطراب الشدید یقال:

رجفت الأرض و البحر انتهی.و فی المجمع،: الکثیب الرمل المجتمع الکثیر،و هلت أهیله هیلا فهو مهیل إذا حرک أسفله فسال أعلاه انتهی،و المعنی ظاهر.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَيْكُمْ كَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً » إنذار للمكذبين أولى النعمه من قومه(ص)بعد ما أوعد مطلق المكذبين أولى النعمه بما أعد لهم من العذاب يوم القيامه بقياس حالهم إلى حال فرعون المستكبر على الله و رسوله المستذل لرسول الله و من آمن معه من قومه ثم قرع أسماعهم بما انتهى إليه أمر فرعون من أخذ الله له أخذا وبيلا فليتعظوا و ليأخذوا حذرهم.

و فى الآيه التفات عن الغيبه إلى الخطاب كان المتكلم لما أوعدهم بالعذاب على الغيبه هاج به الوجد على أولئك المكذبين بما يلقون أنفسهم بأيديهم إلى الهلاك الأبدى لسفاهه رأيهم فشافههم بالإنذار ليرتفع عن أنفسهم أى شك و ترديد و تتم عليهم الحجه و لعلهم يتقون،و لذا عقب قياسهم إلى فرعون و قياس النبى ص إلى موسى(ع)و الإشاره إلى عقابه أمر فرعون بقوله« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً »إلخ.

فقوله:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَيْكُمْ »إشاره إلى تصديق رساله النبى ص من قبله تعالى و شهادته على أعمالهم بتحملها فى الدنيا و تأديتها يوم القيامه،و قد تقدم البحث عن معنى شهاده الأعمال فى الآيات المشتمله عليها مرارا،و فى الإشاره إلى شهادته(ص)نوع زجر لهم عن عصيانه و مخالفته و تكذيبه.

و قوله:« كَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً »هو موسى بن عمران(ع).

قوله تعالى:« فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنٰاهُ أَخْذاً وَبِيلاً »أى شديدا ثقيلا.

إشاره إلى عاقبه أمر فرعون فى عصيانه موسى(ع)،و فى التعبير عن موسى بالرسول إشاره إلى أن السبب الموجب لأخذ فرعون مخالفته أمر رسالته لا نفس موسى بما أنه موسى،و إذا كان السبب هو مخالفه الرساله فليحذروا مخالفه رساله محمد ص.

كما أن وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله:« فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ »للإيماء إلى أن ما كان له من العزه و العلو فى الأرض و التبجح بكثره العده و سعه المملكه و نفوذ المشيه لم يغن عنه شيئا و لم يدفع عنه عذاب الله فما الظن بهؤلاء المكذبين؟و هم كما قال الله: «جُنْدٌ مٰا هُنٰالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزٰابِ» :_ص ١١.

قوله تعالى:« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدٰانَ شِيباً »نسبه الاتقاء إلى اليوم من المجاز العقلى و المراد اتقاء العذاب الموعود فيه،و عليه فيوما مفعول به لتتقون،

و قیل:مفعول« تَتَّقُونَ »محذوف و« یَوْماً »ظرف له و التقدیر فکیف تتقون العذاب الکائن فی یوم،و قیل:المفعول محذوف و« یَوْماً »ظرف للاتقاء و قیل غیر ذلک.

و قوله:« یَجْعَلُ الْوِلْدٰانَ شِیباً » الشیب جمع أشیب مقابل الشاب،و جعل الولدان شیبا کنایه عن شده الیوم لا عن طوله.

قوله تعالی:« اَلسَّمٰاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ کٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً »إشاره بعد إشاره إلی شده الیوم، و الانفطار الانشقاق و تذکیر الصفه لکون السماء جائز الوجهین یذکر و یؤنث،و ضمیر « بِهِ »للیوم،و الباء بمعنی فی أو للسببیه،و المعنی السماء منشقه فی ذلک الیوم أو بسبب ذلک الیوم أی بسبب شدته.

و قوله:« کٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً »استئناف لتسجیل ما تقدم من الوعید و أنه حتم مقضی و نسبه الوعد إلی ضمیره تعالی لعله للإشعار بأن لا یصلح لهذا الوعد إلا الله تعالی فیکفی فیه الضمیر من غیر حاجه إلی ذکره باسمه.

قوله تعالی:« إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً »الإشاره بهذه إلی الآیات السابقه بما تشتمل علیه من القوارع و الزواجر،و التذکره الموعظه التی یذکر بها ما یعمل علیه.

و قوله:« فَمَنْ شٰاءَ »مفعول« شٰاءَ »محذوف و المعروف فی مثل هذا المورد أن یقدر المفعول من جنس الجواب و السیاق یلائمه،و التقدیر فمن شاء أن یتخذ إلی ربه سبیلا اتخذ إلخ،و قیل:المقدر الاتعاظ،و المراد باتخاذ السبیل إلیه اتخاذ السبیل إلی التقرب منه،و السبیل هو الإیمان و الطاعه هذا ما ذکره المفسرون.

و من الممکن أن تکون هذه إشاره إلی ما تقدم فی صدر السوره من الآیات النادبه إلی قیام اللیل و التهجد فیه،و الآیه مسوقه لتوسعه الخطاب و تعمیمه لغیر النبی ص من المؤمنین بعد ما کان خطاب صدر الصوره مختصا به(ص)،و الدلیل علی هذا التعمیم قوله:« فَمَنْ شٰاءَ »إلخ.

و یؤید ما ذکرنا وقوع هذه الآیه« إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ »إلخ بعینها فی سوره الدهر بعد ما أشیر إلی صلاه اللیل بقوله تعالی:« وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً »و یستنتج من ذلک أن صلاه اللیل سبیل خاصه تهدی العبد إلی ربه.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج البزار و الطبرانی فی الأوسط و أبو نعیم فی الدلائل عن جابر قال*:

اجتمعت قریش فی دار الندوه فقالوا:سموا هذا الرجل اسما یصدر الناس عنه فقالوا:

کاهن.قالوا لیس بکاهن.قالوا:مجنون.قالوا:لیس بمجنون.قالوا ساحر.قالوا:لیس بساحر.قالوا:یفرق بین الحبیب و حبیبه-فتفرق المشرکون علی ذلک.

فبلغ ذلک النبی ص فتزمل فی ثیابه و تدثر فیها-فأتاه جبریل فقال:یا أیها المزمل یا أیها المدثر.

أقول:آخر الروایه لا یخلو من شیء حیث إن ظاهرها نزول السورتین معا.علی أن القرآن حتی فی سوره المدثر یحکی تسمیتهم له(ص)بألقاب السوء کالکاهن و الساحر و المجنون و الشاعر و لم یذکر فیها قولهم:یفرق بین الحبیب و حبیبه.

و فیه،أخرج عبد الله بن أحمد فی کتاب الزهد و محمد بن نصر فی کتاب الصلاه عن عائشه قالت*: کان النبی ص قلما ینام من اللیل لما قال الله له:« قُمِ اللَّیْلَ إِلاّٰ قَلِیلاً ».

و فی الکشاف،عن عائشه": أنها سألت:ما کان تزمیله؟قالت:کان مرطا طوله أربع عشره ذراعا-نصفه علی و أنا نائمه و نصفه علیه و هو یصلی.فسئلت:ما کان؟قالت:و الله ما کان خزا و لا قزا-و لا مرعزیا و لا إبریسما و لا صوفا.کان سداه شعرا و لحمته وبرا.

أقول:الروایه مرمیه بالوضع فإن السوره من العتائق النازله بمکه،و عائشه إنما بنی علیها النبی ص بالمدینه بعد الهجره.

و عن جوامع الجامع،روی: أنه قد دخل علی خدیجه و قد جئث فرقا (۱)فقال:زملونی فبینا هو علی ذلک إذ ناداه جبریل:« یٰا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ ».

و فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و ابن جریر و ابن أبی حاتم عن سعید بن جبیر قال"*: لما نزلت« یٰا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلاّٰ قَلِیلاً »مکث النبی ص علی هذه الحال عشر سنین-یقوم اللیل کما أمره الله-و کانت طائفه من أصحابه یقومون معه-فأنزل الله بعد عشر سنین« إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ -إلی قوله- وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ »فخفف الله عنهم بعد عشر سنین.

۱- ۱) جئث الرجل ثقل عند القیام أو عند حمل شیء ثقیل و الفرق:الفزع و الخوف.

أقول:و روی نزول آیه التخفیف بعد سنه و روی أیضا نزولها بعد ثمانیه أشهر،و لم یکن قیام اللیل واجبا علی غیر النبی ص کما أشیر إلیه بقوله تعالی« إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ » الآیه کما تقدم،و یؤیده ما فی الروایه من قوله:«و طائفه من أصحابه».

و فی التهذیب،بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبی جعفر(ع)قال*: سألته عن قول الله تعالی:« قُمِ اللَّیْلَ إِلاّٰ قَلِیلاً »قال:أمره الله أن یصلی کل لیله-إلا أن تأتی علیه لیله من اللیالی لا یصلی فیها شیئا.

أقول:الروایه تشیر إلی أحد الوجوه فی الآیه و فی المجمع،:و قیل:إن نصفه بدل من القلیل فیکون بیانا للمستثنی،و یؤید هذا القول

ما روی عن الصادق(ع)قال: القلیل النصف أو انقص من القلیل قلیلا-أو زد علی القلیل قلیلا.

و فی الدر المنثور،أخرج العسکری فی المواعظ عن علی(ع) *أن رسول الله ص سئل عن قول الله:« وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً »قال:بینه تبیینا،و لا تنثره نثر الدقل،و لا تهذه هذ الشعر،قفوا عند عجائبه،و حرکوا به القلوب،و لا یکن هم أحدکم آخر السوره.

أقول:و روی هذا المعنی فی أصول الکافی،بإسناده عن عبد الله بن سلیمان عن الصادق عن علی(ع) *و لفظ بینه تبیینا و لا تهذه هذ الشعر،و لا تنثره نثر الرمل،و لکن أفرغوا (۱)قلوبکم القاسیه-و لا یکن هم أحدکم آخر السوره.

و فیه،أخرج ابن أبی شیبه عن طاووس قال*: سئل رسول الله ص أی الناس أحسن قراءه-قال الذی إذا سمعته یقرأ رأیت أنه یخشی الله.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن علی بن أبی حمزه قال قال أبو عبد الله(ع)*: إن القرآن لا یقرأ هذرمه (۲)و لکن یرتل ترتیلا-فإذا مررت بآیه فیها ذکر الجنه فقف عندها-و اسأل الله عز و جل الجنه،و إذا مررت بآیه فیها ذکر النار فقف عندها-و تعوذ بالله من النار.

و فی المجمع،فی معنی الترتیل عن أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع)قال*: هو أن تتمکث فیه و تحسن به صوتک.

۱- ۱) أفرغ الإناء:أخلاه.

۲- ۲) الهذرمه:الإسراع فی القراءه.

و فیه،روی عن أم سلمه أنها قالت"*: کان رسول الله ص یقطع قراءته آیه آیه.

و فیه،عن أنس قال"*: کان(ص)یمد صوته مدا.

و فیه:،سأل الحارث بن هشام رسول الله ص فقال*:یا رسول الله کیف یأتیک الوحی؟فقال (ص):أحیانا یأتینی مثل صلصله الجرس-و هو أشد علی فیفصم (۱)عنی و قد وعیت ما قال-و أحیانا یتمثل الملک رجلا فأعی ما یقول.

قالت عائشه:إنه کان لیوحی إلی رسول الله ص-و هو علی راحلته فتضرب بجرانها.

قالت:و لقد رأیته ینزل علیه فی الیوم الشدید البرد-فیفصم عنه و إن جبینه لیرفض عرقا.

و عن تفسیر العیاشی،بإسناده عن عیسی بن عبید عن أبیه عن جده عن علی(ع) قال*: کان القرآن ینسخ بعضه بعضا،و إنما یؤخذ من أمر رسول الله ص بآخره.

و کان من آخر ما نزل علیه سوره المائده-نسخت ما قبلها و لم ینسخها شیء-لقد نزلت علیه و هو علی بغله شهباء-و ثقل علیها الوحی حتی وقفت-و تدلی بطنها حتی رأیت سرتها تکاد تمس الأرض.

أقول:إن صحت الروایه کان ظهور أثر ثقل الوحی علی الناقه أو البغله من قبیل تجسم المعانی و کثیرا ما یوجد مثله فیما نقل من المعجزات و کرامات الأولیاء،و أما اتصاف الوحی و هو کلام بالثقل المادی فغیر معقول.

و فی التهذیب،بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبد الله(ع) *فی قول الله عز و جل:

« إِنَّ نٰاشِئَهَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلًا »قال: یعنی بقوله:« وَ أَقْوَمُ قِیلًا »قیام الرجل عن فراشه یرید به الله عز و جل لا یرید به غیره:.

أقول:و رواه أیضا بسندین آخرین فی التهذیب و العلل عن هشام عنه(ع).

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« إِنَّ نٰاشِئَهَ اللَّیْلِ »الآیه:و

المروی عن أبی جعفر و أبی عبد الله (ع)أنهما قالا: هی القیام فی آخر اللیل.

۱- ۱) الفصم:القطع.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن حسین بن علی *أنه رئی یصلی بین المغرب و العشاء- فقیل له فی ذلک؟فقال:إنهما من الناشئه.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً »:و

روی محمد بن مسلم و زراره و حمران عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) *أن التبتل هذا رفع الیدین فی الصلاه.

و فی روایه أبی بصیر قال: هو رفع یدک إلی الله و تضرعک.

أقول:و ینطبق علی قنوت الصلاه،و فی روایه هو رفع الیدین و تحریک السبابتین، و فی روایه الإیماء بالإصبع و فی روایه الدعاء بإصبع واحده یشیر بها.

و فیه،": فی قوله تعالی:« وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّةٍ »الآیه":عن عبد الله بن عمر":أن النبی ص سمع قارئا یقرأ هذا فصعق.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله:« وَ كٰانَتِ الْجِبٰالُ كَثِيباً مَهِيلاً »قال:مثل الرمل ینحدر.

[سوره المزمل (٧٣): آیه ٢٠]

اشاره

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اَللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طٰائِفَةٌ مِنَ اَلَّذِينَ مَعَكَ وَ اَللّٰهُ يُقَدِّرُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ اَلْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي اَلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ آخَرُونَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ أَقْرِضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اِسْتَغْفِرُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

ص: ٧٣

بيان

آيه مبنيه على التخفيف فيما أمر به النبى ص فى صدر السوره من قيام الليل و الصلاه فيه ثم عمم الحكم لسائر المؤمنين بقوله:« إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ »الآيه.

و لسان الآيه هو التخفيف بما تيسر من القرآن من غير نسخ لأصل الحكم السابق بالمنع عن قيام ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه.

و قد ورد فى غير واحد من الأخبار أن الآيه مكيه نزلت بعد ثمانيه أشهر أو سنه أو عشر سنين من نزول آيات صدر السوره لكن يوهنه اشتمال الآيه على قوله تعالى:

« وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ وَ أَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً »فإن ظاهره أن المراد بالزكاه-و قد ذكرت قبلها الصلاه و بعدها الإنفاق المستحب-هو الزكاه المفروضه و إنما فرضت الزكاه بالمدينه بعد الهجره.

و قول بعضهم:إن الزكاه فرضت بمكه من غير تعيين الأنصباء و الذى فرض بالمدينه تعيين الأنصباء،تحكم من غير دليل،و كذا قول بعضهم:إنه من الممكن أن تكون الآيه مما تأخر حكمه عن نزوله.

على أن فى الآيه ذكرا من القتال إذ يقول:« وَ آخَرُونَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ »و لم يكن من مصلحه الدعوه الحقه يومئذ ذاك و الظرف ذلك الظرف أن يقع فى متنها ذكر من القتال بأى وجه كان،فالظاهر أن الآيه مدنيه و ليست بمكيه و قد مال إليه بعضهم.

قوله تعالى:« إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ »إلى آخر الآيه.الخطاب للنبى ص و فى التعبير بقوله:« رَبَّكَ »تلويح إلى شمول الرحمه و العنايه الإلهيه،و كذا فى قوله:« يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ »إلخ مضافا إلى ما فيه من لائحه الشكر قال تعالى: «وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً» :الدهر ۲۲.

و قوله:« تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ » أدنى اسم تفضيل من الدنو بمعنى القرب،و قد جرى العرف على استعمال أدنى فيما يقرب من الشىء و هو أقل فيقال:

إن عدتهم أدنى من عشره إذا كانوا تسعه مثلا دون ما لو كانوا أحد عشر فمعنى قوله:

« أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ »أقرب من ثلثيه و أقل بقليل.

و الواو العاطفه فی قوله:« وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ »لمطلق الجمع و المراد أنه یعلم أنک تقوم فی بعض اللیالی أدنی من ثلثی اللیل و فی بعضها نصفه و فی بعضها ثلثه.

و قوله:« وَ طائِفَهٌ مِنَ الَّذِینَ مَعَکَ »المراد المعیه فی الإیمان و« مِنْ »للتبعیض فالآیه تدل علی أن بعضهم کان یقوم اللیل کما کان یقومه النبی ص.و قیل«من»بیانیه،و هو کما تری.

و قوله:« وَ اللّهُ یُقَدِّرُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ »فی مقام التعلیل لقوله:« إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ »و المعنی و کیف لا یعلم و هو الله الذی إلیه الخلق و التقدیر ففی تعیین قدر اللیل و النهار تعیین ثلثهما و نصفهما و ثلثیهما،و نسبه تقدیر اللیل و النهار إلی اسم الجلاله دون اسم الرب و غیره لأن التقدیر من شئون الخلق و الخلق إلی الله الذی إلیه ینتهی کل شیء.

و قوله:« عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَیْکُمْ فَاقْرَؤُا ما تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » الإحصاء تحصیل مقدار الشیء و عدده و الإحاطه به،و ضمیر« لَنْ تُحْصُوهُ »للتقدیر أو للقیام مقدار ثلث اللیل أو نصفه أو أدنی من ثلثیه،و إحصاء ذلک مع اختلاف اللیالی طولا و قصرا فی أیام السنه مما لا یتیسر لعامه المکلفین و یشتد عسرا لمن نام أول اللیل و أراد القیام بأحد المقادیر الثلاثه دون أن یحتاط بقیام جمیع اللیل أو ما فی حکمه.

فالمراد بقوله:« عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ »علمه تعالی بعدم تیسر إحصاء المقدار الذی أمروا بقیامه من اللیل لعامه المکلفین.

و المراد بقوله:« فَتابَ عَلَیْکُمْ »توبته تعالی و رجوعه إلیهم بمعنی انعطاف الرحمه الإلهیه علیهم بالتخفیف فلله سبحانه توبه علی عباده ببسط رحمته علیهم و أثرها توفیقهم للتوبه أو لمطلق الطاعه أو رفع بعض التکالیف أو التخفیف قال تعالی: «ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ لِیَتُوبُوا» :التوبه ۱۱۸.

کما أن له توبه علیهم بمعنی الرجوع إلیهم بعد توبتهم و أثرها مغفره ذنوبهم،و قد تقدمت الإشاره إلیه.

و المراد بقوله:« فَاقْرَؤُا ما تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »التخفیف فی قیام اللیل من حیث المقدار لعامه المکلفین تفریعا علی علمه تعالی أنهم لن یحصوه.

و لازم ذلک التوسعه فی التکلیف بقیام اللیل من حیث المقدار حتی یسع لعامه المکلفین الشاق علیهم إحصاؤه دون النسخ بمعنی کون قیام الثلث أو النصف أو الأدنی من الثلثین

لمن استطاع ذلک بدعه محرمه و ذلک أن الإحصاء المذکور إنما لا یتیسر لمجموع المکلفین لا لجمیعهم و لو امتنع لجمیعهم و لم یتیسر لأحدهم لم یشرع من أصله و لا یکلف الله نفسا إلا وسعها.

علی أنه تعالی یصدق لنبیه(ص)و طائفه من الذین معه قیام الثلث و النصف و الأدنی من الثلثین و ینسب عدم التمکن من الإحصاء إلی الجمیع و هم لا محاله هم القائمون و غیرهم فالحکم إنما کان شاقا علی المجموع من حیث المجموع دون کل واحد فوسع فی التکلیف بقوله:« فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »و سهل الأمر بالتخفیف لیکون لعامه المکلفین فیه نصیب مع بقاء الأصل المشتمل علیه صدر السوره علی حاله لمن تمکن من الإحصاء و إراده،و الحکم استحبابی لسائر المؤمنین و إن کان ظاهر ما للنبی ص من الخطاب الوجوب کما تقدمت الإشاره إلیه.

و للقوم فی کون المراد بقیام اللیل الصلاه فیه أو قراءه القرآن خارج الصلاه،و علی الأول فی کونه واجبا علی النبی ص و المؤمنین أو مستحبا للجمیع أو واجبا علی النبی ص مستحبا لغیره ثم فی نسخ الحکم بالتخفیف بما تیسر بهذه الآیه أو تبدیل الصلاه من قراءه ما تیسر من القرآن أقوال لا کثیر جدوی فی التعرض لها و البحث عنها.

و قوله:« عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ مِنْکُمْ مَرْضیٰ وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی الْأَرْضِ یَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَ آخَرُونَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ »إشاره إلی مصلحه أخری مقتضیه للتخفیف فی أمر القیام ثلث اللیل أو نصفه أو أدنی من ثلثیه،وراء کونه شاقا علی عامه المکلفین بالصفه المذکوره أولا فإن الإحصاء المذکور للمریض و المسافر و المقاتل مع ما هم علیه من الحال شاق عسیر جدا.

و المراد بالضرب فی الأرض للابتغاء من فضل الله طلب الرزق بالمسافره من أرض إلی أرض للتجاره.

و قوله:« فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ وَ أَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً »تکرار للتخفیف تأکیدا،و ضمیر« مِنْهُ »للقرآن، و المراد الإتیان بالصلاه علی ما یناسب سعه الوقت الذی قاموا فیه.

و المراد بالصلاه المأمور بإقامتها الفریضه فإن کانت الآیه مدنیه فالفرائض الخمس الیومیه و إن کانت مکیه فبحسب ما کانت مفروضه من الصلاه،و المراد بالزکاه الزکاه

المفروضه،و المراد بإقراضه تعالى غير الزكاه من الإنفاقات الماليه فى سبيل الله.

و عطف الأمر بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه و الإقراض للتلويح إلى أن التكاليف الدينيه على حالها فى وجوب الاهتمام بها و الاعتناء بأمرها،فلا يتوهمن متوهم سريان التخفيف و المسامحه فى جميع التكاليف فالآيه نظيره قوله فى آيه النجوى: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّكاهَ وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ» :المجادله:١٣.

و قوله:« وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً » « مِنْ خَيْرٍ »بيان للموصول،و المراد بالخير مطلق الطاعه أعم من الواجبه و المندوبه، و« هُوَ »ضمير فصل أو تأكيد للضمير فى«تجدوه».

و المعنى:و الطاعه التى تقدمونها لأنفسكم-أى لتعيشوا بها فى الآخره-تجدونها عند الله-أى فى يوم اللقاء-خيرا من كل ما تعملون أو تتركون و أعظم أجرا.

و قوله:« وَ اسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »ختم الكلام بالأمر بالاستغفار،و فى قوله:« إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »إشعار بوعد المغفره و الرحمه،و لا يبعد أن يكون المراد بالاستغفار الإتيان بمطلق الطاعات لأنها وسائل يتوسل بها إلى مغفره الله فالإتيان بها استغفار.

بحث روائى

فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) *فى قوله تعالى:« إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ-أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ »ففعل النبى ص ذلك و بشر الناس به- فاشتد ذلك عليهم-و« عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ »و كان الرجل يقوم و لا يدرى متى ينتصف الليل-و متى يكون الثلثان،و كان الرجل يقوم حتى يصبح مخافه أن لا يحفظه.

فأنزل الله« إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ -إلى قوله- عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ »يقول:

متى يكون النصف و الثلث نسخت هذه الآيه« فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »، و اعلموا أنه لم يأت نبى قط إلا خلا بصلاه الليل،و لا جاء نبى قط بصلاه الليل فى أول الليل.

أقول:محصل الروايه أن صدر السوره توجب صلاه الليل و ذيلها تنسخها،و روى ما يقرب منه من طرق أهل السنه عن ابن عباس و غيره،و قد تقدم ما يتعلق به فى البيان السابق.

و فی المجمع،روی الحاکم أبو القاسم إبراهیم الحسکانی بإسناده عن الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس "*فی قوله تعالی:« وَ طائِفَةٌ مِنَ اَلَّذِینَ مَعَکَ »قال:علی و أبو ذر.

و فیه،:فی قوله تعالی:« فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ »:

روی عن الرضا عن أبیه عن جده(ع) قال*: ما تیسر منه لکم فیه خشوع القلب و صفاء السر.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه عن ابن عباس عن النبی ص *« فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ » قال:مائه آیه.

و فیه،أخرج ابن مردویه عن عبد الله بن مسعود قال*:قال رسول الله ص: ما من جالب یجلب طعاما إلی بلد من بلاد المسلمین-فیبیعه بسعر یومه-إلا کانت منزلته عند الله منزله الشهید.ثم قرأ رسول الله ص« وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی اَلْأَرْضِ یَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ-وَ آخَرُونَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ ».

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن زرعه عن سماعه قال*: سألته عن قول الله:« وَ أَقْرِضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً »قال:هو غیر الزکاه.

و فی الخصال،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث الأربعمائه: أکثروا الاستغفار تجلبوا الرزق،و قدموا ما استطعتم من عمل الخیر تجدوه غدا.

أقول:ذیله مأخوذ من قوله تعالی:« وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَیْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً ».

(۷۴) سوره المدثر مکیه و هی ست و خمسون آیه(۵۶)

[سوره المدثر (۷۴): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

یٰا أَیُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲) وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (۳) وَ ثِیٰابَکَ فَطَهِّرْ (۴) وَ اَلرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵) وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ (۶) وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ (۷)

بیان

تتضمن السوره أمر النبی ص بالإنذار فی سیاق یلوح منه کونه من أوامر أوائل البعثه ثم الإشاره إلی عظم شأن القرآن الکریم و جلاله قدره،و الوعید الشدید علی من یواجهه بالإنکار و الرمی بالسحر،و ذم المعرضین عن دعوته.

و السوره مکیه من العتائق النازله فی أوائل البعثه و ظهور الدعوه حتی قیل:إنها أول سوره نزلت من القرآن و إن کان یکذبه نفس آیات السوره الصریحه فی سبق قراءته(ص) القرآن علی القوم و تکذیبهم به و إعراضهم عنهم و رمیهم له بأنه سحر یؤثر.

و لذا مال بعضهم إلی أن النازل أولا هی الآیات السبع الواقعه فی أول السوره و لازمه کون السوره غیر نازله دفعه و هو و إن کان غیر بعید بالنظر إلی متن الآیات السبع لکن یدفعه سیاق أول سوره العلق الظاهر فی کونه أول ما نزل من القرآن.

و احتمل بعضهم أن تکون السوره أول ما نزل علی النبی ص عند الأمر بإعلان الدعوه بعد إخفائها مده فی أول البعثه فهی فی معنی قوله: «فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ» :الحجر ۹۴،و بذلک جمع بین ما ورد من أنها أول ما نزل،و ما ورد أنها نزلت بعد سوره العلق،و ما ورد أن سورتی المزمل و المدثر نزلتا معا،و هذا القول لا یتعدی طور الاحتمال.

و کیف کان فالمتیقن أن السوره من أوائل ما نزل علی النبی ص من السور القرآنیه، و الآیات السبع التی نقلناها تتضمن الأمر بالإنذار و سائر الخصال التی تلزمه مما وصاه الله به.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ » المدثر بتشدید الدال و الثاء أصله المتدثر اسم فاعل من التدثر بمعنی التغطی بالثیاب عند النوم.

و المعنی:یا أیها المتغطی بالثیاب للنوم خطاب للنبی ص و قد کان علی هذه الحال فخوطب بوصف مأخوذ من حاله تأنیسا و ملاطفه نظیر قوله:« یٰا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ ».

و قیل:.المراد بالتدثر تلبسه(ص)بالنبوه بتشبیهها بلباس یتحلی به و یتزین و قیل:

المراد به اعتزاله(ص)و غیبته عن النظر فهو خطاب له بما کان علیه فی غار حراء، و قیل:المراد به الاستراحه و الفراغ فکأنه قیل له(ص):یا أیها المستریح الفارغ قد

انقضى زمن الراحه و أقبل زمن متاعب التكاليف و هدايه الناس.

و هذه الوجوه و إن كانت فى نفسها لا بأس بها لكن الذى يسبق إلى الذهن هو المعنى الأول.

قوله تعالى:« قُمْ فَأَنْذِرْ »الظاهر أن المراد به الأمر بالإنذار من غير نظر إلى من ينذر فالمعنى افعل الإنذار،و ذكر بعضهم أن مفعول الفعل محذوف،و التقدير أنذر عشيرتك الأقربين لمناسبته لابتداء الدعوه كما ورد فى سوره الشعراء.

و ذكر آخرون أن المفعول المحذوف عام و هو جميع الناس لقوله: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً لِلنّٰاسِ» :سبأ:۲۸.

و لم يذكر التبشير مع الإنذار مع أنهما كالمتلازمين فى تمام الدعوه لأن السوره مما نزل فى ابتداء الدعوه و الإنذار هو الغالب إذ ذاك.

قوله تعالى:« وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ »أى أنسب ربك إلى الكبرياء و العظمه اعتقادا و عملا قولا و فعلا و هو تنزيهه تعالى من أن يعادله أو يفوقه شىء فلا شىء يشاركه أو يغلبه أو يمانعه،و لا نقص يعرضه،و لا وصف يحده.

و لذا ورد عن أئمه أهل البيت(ع)أن معنى التكبير:الله أكبر من أن يوصف،فهو تعالى أكبر من كل وصف نصفه به حتى من هذا الوصف،و هذا هو المناسب للتوحيد الإسلامى الذى يفوق ما نجده من معنى التوحيد فى سائر الشرائع السماويه.

و هذا الذى ذكرناه هو الفرق بين كلمتى التكبير و التسبيح-الله أكبر و سبحان الله-فسبحان الله تنزيه له تعالى عن كل وصف عدمى مبنى على النقص كالموت و العجز و الجهل و غير ذلك،و الله أكبر تنزيه مطلق له تعالى عن كل وصف نصفه به أعم من أن يكون عدميا أو وجوديا حتى من نفس هذا الوصف لما أن كل مفهوم محدود فى نفسه لا يتعدى إلى غيره من المفاهيم و هو تعالى لا يحيط به حد،فافهم ذلك.

و قيل:المراد الأمر بالتكبير فى الصلاه.

و التعبير عنه تعالى بربك لا يخلو من إشعار بأن توحيده تعالى يومئذ كان يختص به.

قال فى الكشاف،فى قوله:« فَكَبِّرْ »:و دخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل:و ما كان فلا تدع تكبيره.

قوله تعالی:« وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ »قیل:کنایه عن إصلاح العمل،و لا یخلو من وجه فإن العمل بمنزله الثیاب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن،و کثیرا ما یکنی فی کلامهم عن صلاح العمل بطهاره الثیاب.

و قیل:کنایه عن تزکیه النفس و تنزیهها عن الذنوب و المعاصی.

و قیل:المراد تقصیر الثیاب لأنه أبعد من النجاسه و لو طالت و انجرت علی الأرض لم یؤمن أن تتنجس.

و قیل:المراد تطهیر الأزواج من الکفر و المعاصی لقوله تعالی: «هُنَّ لِبٰاسٌ لَکُمْ» البقره ۱۸۷.

و قیل:الکلام علی ظاهره و المراد تطهیر الثیاب من النجاسات للصلاه و الأقرب علی هذا أن یجعل قوله:« وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ »إشاره إلی تکبیر الصلاه و تکون الآیتان مسوقتین لتشریع أصل الصلاه مقارنا للأمر بالدعوه.

و لا یرد علیه ما قیل:إن نزول هذه الآیات کان حیث لا صلاه أصلا و ذلک أن تشریع الفرائض الخمس الیومیه علی ما هی علیها الیوم و إن کان فی لیله المعراج و هی جمیعا عشر رکعات ثم زید علیها سبع رکعات إلا أن أصل الصلاه کان منذ أوائل البعثه کما یشهد به ذکرها فی هذه السوره و سورتی العلق و المزمل،و یدل علیه الروایات.

و قیل:المراد بتطهیر الثیاب التخلق بالأخلاق الحمیده و الملکات الفاضله.

و فی معنی تطهیر الثیاب أقوال أخر أغمضنا عن نقلها لإمکان إرجاعها إلی بعض ما تقدم من الوجوه،و أرجح الوجوه المتقدمه أولها و خامسها.

قوله تعالی:« وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ »قیل: الرجز بضم الراء و کسرها العذاب،و المراد بهجره هجر سببه و هو الإثم و المعصیه،و المعنی اهجر الإثم و المعصیه.

و قیل:الرجز اسم لکل قبیح مستقذر من الأفعال و الأخلاق فالأمر بهجره أمر بترک کل ما یکرهه الله و لا یرتضیه مطلقا،أو أمر بترک خصوص الأخلاق الرذیله الذمیمه علی تقدیر أن یکون المراد بتطهیر الثیاب ترک الذنوب و المعاصی.

و قیل:الرجز هو الصنم فهو أمر بترک عباده الأصنام.

قوله تعالى:« وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ »الذى يعطيه سياق الآيات و يناسب المقام أن يكون المراد بالمن تكدير الصنيعه بذكرها للمنعم عليه كما فى قوله تعالى: «لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ» :البقره:۲۶۴،و قوله: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» :الحجرات ۱۷ و المراد بالاستكثار رؤيه الشىء و حسبانه كثيرا لا طلب الكثره.

و المعنى:لا تمنن امتثالك لهذه الأوامر و قيامك بالإنذار و تكبيرك ربك و تطهيرك ثيابك و هجرك الرجز حال كونك ترى ذلك كثيرا و تعجبه-فإنما أنت عبد لا تملك من نفسك شيئا إلا ما ملكك الله و أقدرك عليه و هو المالك لما ملكك و القادر على ما عليه أقدرك فله الأمر و عليك الامتثال-.

و للقوم فى الآيه وجوه أخر من التفسير لا تلائم السياق تلك الملاءمه فقيل المعنى لا تعط عطيه لتعطى أكثر منها.

و قيل:المعنى لا تمنن ما أعطاك الله من النبوه و القرآن على الناس مستكثرا به الأجر.

و قيل:أى لا تمنن إبلاغ الرساله على أمتك.

و قيل:المعنى لا تضعف فى عملك مستكثرا لطاعاتك.

و قيل:المعنى لا تمنن بعطائك على الناس مستكثرا له.

و قيل:أى إذا أعطيت عطيه فأعطها لربك و اصبر حتى يكون هو الذى يثيبك.

و قيل:هو نهى عن الربا المحرم أى لا تعط شيئا طالبا أن تعطى أكثر مما أعطيت.

قوله تعالى:« وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ »أى لوجه ربك،و الصبر مطلق يشمل الصبر عند المصيبه و الصبر على الطاعه و الصبر عن المعصيه،و المعنى و لوجه ربك فاصبر عند ما يصيبك من المصيبه و الأذى فى قيامك بالإنذار و امتثالك هذه الأوامر و اصبر على طاعه الله و اصبر عن معصيته،و هذا معنى جامع لمتفرقات ما ذكروه فى تفسير الآيه كقول بعضهم:إنه أمر بنفس الفعل من غير نظر إلى متعلقه،و قول بعضهم:إنه الصبر على أذى المشركين،و قول بعضهم:إنه الصبر على أداء الفرائض،إلى غير ذلك.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج الطیالسی و عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حمید و البخاری و مسلم و الترمذی و ابن الضریس و ابن جریر و ابن المنذر و ابن مردویه و ابن الأنباری فی المصاحف عن یحیی بن أبی کثیر قال*: سألت أبا سلمه بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن- فقال:یا أیها المدثر قلت:یقولون: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ ؟فقال أبو سلمه:سألت جابر بن عبد الله عن ذلک،قلت له مثل ما قلت.قال جابر:لا أحدثک إلا ما حدثنا رسول الله ص.

قال:جاورت بحراء فلما قضیت جواری نودیت-فنظرت عن یمینی فلم أر شیئا-و نظرت عن شمالی فلم أر شیئا،و نظرت خلفی فلم أر شیئا-فرفعت رأسی فإذا الملک الذی جاءنی بحراء-جالس علی کرسی بین السماء و الأرض-فجثت منه رعبا فرجعت فقلت:دثرونی دثرونی-فنزلت:« یَا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ -إلی قوله- وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ ».

أقول:الحدیث معارض بالأحادیث الآخر الداله علی کون سوره اقرأ أول ما نزل من القرآن و یؤیدها سیاق سوره اقرأ،علی أن قوله:«فإذا الملک الذی جاءنی بحراء» یشعر بنزول الوحی علیه قبلا.

و فیه،أخرج ابن مردویه عن أبی هریره*: قلنا:یا رسول الله کیف نقول إذا دخلنا فی الصلاه؟فأنزل الله« وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ »فأمرنا رسول الله ص أن نفتتح الصلاه بالتکبیر.

أقول:و فی الروایه شیء فأبو هریره ممن آمن بعد الهجره بکثیر و السوره مما نزل فی أول البعثه فأین کان أبو هریره أو الصحابه یومئذ؟.

و فی الخصال،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث الأربعمائه: تشمیر الثیاب طهور لها قال الله تبارک و تعالی:« وَ ثِیَابَکَ فَطَهِّرْ »یعنی فشمر.

أقول:و فی المعنی عده أخبار مرویه فی الکافی،و المجمع،عن أبی جعفر و أبی عبد الله.

و أبی الحسن(ع).

و فی الدر المنثور،أخرج الحاکم و صححه و ابن مردویه عن جابر قال*:سمعت رسول الله ص یقول: « وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ »برفع الراء،و قال:هی الأوثان.

أقول:و قوله:«هی الأوثان»من کلام جابر أو غیره من رجال السند.

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ »:و فی روایه أبی الجارود یقول:

لا تعط تلتمس أکثر منها.

[سوره المدثر (۷۴): الآیات ۸ الی ۳۱]

اشاره

فَإِذٰا نُقِرَ فِی اَلنّٰاقُورِ (۸) فَذٰلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ (۹) عَلَی اَلْکٰافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ (۱۰) ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً (۱۱) وَ جَعَلْتُ لَهُ مٰالاً
مَمْدُوداً (۱۲) وَ بَنِینَ شُهُوداً (۱۳) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً (۱۴) ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ (۱۵) کَلاّٰ إِنَّهُ کٰانَ لِآیٰاتِنٰا عَنِیداً (۱۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً
(۱۷) إِنَّهُ فَکَّرَ وَ قَدَّرَ (۱۸) فَقُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ (۱۹) ثُمَّ قُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ (۲۰) ثُمَّ نَظَرَ (۲۱) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (۲۲) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اِسْتَکْبَرَ
(۲۳) فَقٰالَ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ یُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ قَوْلُ اَلْبَشَرِ (۲۵) سَأُصْلِیهِ سَقَرَ (۲۶) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سَقَرُ (۲۷) لاٰ تُبْقِی وَ لاٰ تَذَرُ
(۲۸) لَوّٰاحَهٌ لِلْبَشَرِ (۲۹) عَلَیْهٰا تِسْعَهَ عَشَرَ (۳۰) وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ اَلنّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِکَهً وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ
اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ وَ یَزْدٰادَ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِیمٰاناً وَ لاٰ یَرْتٰابَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ لِیَقُولَ اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ
اَلْکٰافِرُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً کَذٰلِکَ یُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ وَ مٰا یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّٰ هُوَ وَ مٰا هِیَ إِلاّٰ ذِکْریٰ
لِلْبَشَرِ (۳۱)

بیان

فی الآیات وعید شدید للطاعنین فی القرآن الرامین له بأنه سحر و المستهزءین لبعض ما فیه من الحقائق.

قوله تعالی:« فَإِذا نُقِرَ فِی النّاقُورِ » النقر القرع و الناقور ما ینقر فیه للتصویت، و النقر فی الناقور کالنفخ فی الصور کنایه عن بعث الموتی و إحضارهم لفصل القضاء یوم القیامه و الجمله شرطیه جزاؤها قوله«فذلک»إلخ.

قوله تعالی:« فَذٰلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ عَلَی الْکافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ »الإشاره بقوله « فَذٰلِکَ »إلی زمان نقر الناقور و لا یبعد أن یکون المراد بیومئذ یوم إذ یرجعون إلی الله للحساب و الجزاء أو یوم إذ یرجع الخلائق إلی الله فیکون ظرفا لیوم نقر الناقور فمن الجائز أن تعتبر قطعه من الزمان ظرفا لبعض أجزائه کالسنه تجعل ظرفا للشهر و الشهر یجعل ظرفا للیوم لنوع من العنایه أو یعتبر زمان متعددا مختلفا باختلاف صفاته أو الحوادث الواقعه فیه ثم یجعل باعتبار بعض صفاته ظرفا لنفسه باعتبار صفه أخری.

و المعنی فزمان نقر الناقور الواقع فی یوم رجوع الخلائق إلی الله زمان عسیر علی الکافرین أو زمان نقر الناقور زمان عسیر علی الکافرین فی یوم الرجوع-بناء علی کون قوله:« یَوْمَئِذٍ »قیدا لقوله:« فَذٰلِکَ »أو لقوله:« یَوْمٌ ».

و قال فی الکشاف،:فإن قلت:بم انتصب إذا و کیف صح أن یقع یومئذ ظرفا لیوم عسیر؟قلت:انتصب إذا بما دل علیه الجزاء لأن المعنی إذا نقر فی الناقور عسر الأمر علی الکافرین،و الذی أجاز وقوع یومئذ ظرفا لیوم عسیر أن المعنی فذلک وقت النقر وقوع یوم عسیر لأن یوم القیامه یأتی و یقع حین ینقر فی الناقور.انتهی.

و قال:و یجوز أن یکون یومئذ مبنیا مرفوع المحل بدلا من ذلک،و یوم عسیر خبر کأنه قیل:فیوم النقر یوم عسیر.انتهی.

و قوله:« غَیْرُ یَسِیرٍ »وصف آخر لیوم مؤکد لعسره و یفید أنه عسیر من کل وجه من وجه دون وجه.

قوله تعالی:« ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً »کلمه تهدید و قد استفاض النقل أن الآیه

و ما يتلوها إلى تمام عشرين آيه نزلت فى الوليد بن المغيره،و ستأتى قصته فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله تعالى.

و قوله:« وَحِيداً »حال من فاعل« خَلَقْتُ »و محصل المعنى:دعنى و من خلقته حال كونى وحيدا لا يشاركنى فى خلقه أحد ثم دبرت أمره أحسن التدبير،و لا تحل بينى و بينه فأنا أكفيه.

و من المحتمل أن يكون حالا- من مفعول« ذَرْنِي ».و قيل:حال من مفعول خلقت المحذوف و هو ضمير عائد إلى الموصول،و محصل المعنى دعنى و من خلقته حال كونه وحيدا لا مال له و لا بنون،و احتمل أيضا أن يكون« وَحِيداً »منصوبا بتقدير«أذم» و أحسن الوجوه أولها.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً »أى مبسوطا كثيرا أو ممدودا بمدد النماء.

قوله تعالى:« وَ بَنِينَ شُهُوداً »أى حضورا يشاهدهم و يتأيد بهم،و هو عطف على قوله:« مالاً ».

قوله تعالى:« وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً » التمهيد التهيئه و يتجوز به عن بسطه المال و الجاه و انتظام الأمور.

قوله تعالى:« ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً »أى ثم يطمع أن أزيد فيما جعلت له من المال و البنين و مهدت له من التمهيد.

و قوله:« كَلاّ »ردع له،و قوله:« إِنَّهُ كانَ »إلخ تعليل المردع،و العنيد المعاند المباهى بما عنده،قيل،ما زال الوليد بعد نزول هذه الآيه فى نقصان من ماله و ولده حتى هلك.

قوله تعالى:« سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً » الإرهاق الغشيان بالعنف،و الصعود عقبه الجبل التى يشق مصعدها شبه ما سيناله من سوء الجزاء و مر العذاب بغشيانه عقبه وعر صعبه الصعود.

قوله تعالى:« إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ » التفكير معروف، و التقدير عن تفكير نظم معان و أوصاف فى الذهن بالتقديم و التأخير و الوضع و الرفع لاستنتاج غرض مطلوب،و قد كان الرجل يهوى أن يقول فى أمر القرآن شيئا يبطل به

دعوته و يرضى به قومه المعاندين ففكر فيه أ يقول:شعر أو كهانه أو هذره جنون أو أسطوره فقدر أن يقول:سحر من كلام البشر لأنه يفرق بين المرء و أهله و ولده و مواليه.

و قوله:« فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ »دعا عليه على ما يعطيه السياق نظير قوله: «قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ» :التوبه ٣٠.

و قوله:« ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ »تكرار للدعاء تأكيدا.

قوله تعالى:« ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ »تمثيل لحاله بعد التكفير و التقدير و هو من ألطف التمثيل و أبلغه.

فقوله:« ثُمَّ نَظَرَ »أى ثم نظر بعد التفكير و التقدير نظره من يريد أن يقضى فى أمر سئل أن ينظر فيه-على ما يعطيه سياق التمثيل-.

و قوله:« ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ » العبوس تقطيب الوجه،قال فى المجمع،:و عبس يعبس عبوسا إذا قبض وجهه و العبوس و التكليح و التقطيب نظائر و ضدها الطلاقه و البشاشه، و قال:و البسور بدء التكره فى الوجه انتهى،فالمعنى ثم قبض وجهه و أبدا التكره فى وجهه بعد ما نظر.

و قوله:« ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ » الإدبار عن شىء الإعراض عنه،و الاستكبار الامتناع كبرا و عتوا،و الأمران أعنى الإدبار و الاستكبار من الأحوال الروحيه،و إنما رتبا فى التمثيل على النظر و العبوس و البسور و هى أحوال صوريه محسوسه لظهورهما بقوله:« إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ »إلخ،و لذا عطف قوله:« فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ بالفاء دون« ثُمَّ ».

و قوله:« فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ »أى أظهر إدباره و استكباره بقوله مفرعا عليه:« إِنْ هذا -أى القرآن- إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ »أى يروى و يتعلم من السحره.

و قوله:« إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ »أى ليس بكلام الله كما يدعيه محمد ص.

قيل:إن هذه الآيه كالتأكيد للآيه السابقه و إن اختلفتا معنى لأن المقصود منهما نفى كونه قرآنا من كلام الله،و باعتبار الاتحاد فى المقصود لم تعطف الجمله على الجمله.

قوله تعالى:« سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ »أى سأدخله سقر و سقر من أسماء جهنم فى القرآن أو دركه من دركاتها،و جمله

« سَأُصْلِيهِ سَقَرَ »بيان أو بدل من قوله:« سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ».

و قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سَقَرُ »تفخيم لأمرها و تهويل.

و قوله:« لاٰ تُبْقِي وَ لاٰ تَذَرُ »قضيه إطلاق النفى أن يكون المراد أنها لا تبقى شيئا ممن نالته إلا أحرقته،و لا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا نالته بخلاف نار الدنيا التى ربما تركت بعض ما ألقى فيها و لم تحرقه،و إذا نالت إنسانا مثلا نالت جسمه و صفاته الجسميه و لم تنل شيئا من روحه و صفاته الروحيه،و أما سقر فلا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا نالته قال تعالى: «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى» :المعارج ۱۷،و إذا نالته لم تبق منه شيئا من روح أو جسم إلا أحرقته قال تعالى: «نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» :الهمزه ۷.

و يمكن أن يراد أنها لا تبقيهم أحياء و لا تتركهم يموتون فيكون فى معنى قوله تعالى:

«الَّذِي يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ ثُمَّ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ» :الأعلى:۱۳.

و قيل:المعنى لا تبقى شيئا يلقى فيها إلا أهلكته،و إذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد فيعذب ثانيا.

و قيل:المراد أنها لا تبقى لهم لحما و لا تذر عظما،و قيل غير ذلك.

قوله تعالى:« لَوّٰاحَةٌ لِلْبَشَرِ » اللواحه من التلويح بمعنى تغيير اللون إلى السواد و قيل:

إلى الحمره،و البشر جمع بشره بمعنى ظاهر الجلد.

قوله تعالى:« عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ »يتولون أمر عذاب المجرمين و قد أبهم و لم يصرح أنهم من الملائكه أو غيرهم غير أن المستفاد من آيات القيامه-و تصرح به الآيه التاليه- أنهم من الملائكه.

و قد استظهر بعضهم أن مميز قوله:« تِسْعَةَ عَشَرَ »ملكا ثم قال:أ لا ترى العرب و هم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس":أنها لما نزلت« عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ »قال أبو جهل لقريش:ثكلتكم أمهاتكم-أ سمع ابن أبى كبشه يخبركم-أن خزنه النار تسعه عشر و أنتم الدهم-أ يعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل منهم؟فقال أبو الأسد بن أسيد بن كلده الجمحى-و كان شديد البطش:أنا أكفيكم سبعه عشر فاكفونى أنتم اثنين انتهى،و أنت ترى أن لا دليل فى كلامه على ما يدعيه.على أنه سمى الواحد من الخزنه رجلا و لا يطلق الرجل على الملك البته و لا سيما عند المشركين الذين قال تعالى فيهم:

«وَ جَعَلُوا الْمَلاٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ إِنٰاثاً» :الزخرف:۱۹.

قوله تعالى:« وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ النّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِكَةً »إلى آخر الآيه.سياق الآيه يشهد على أنهم تكلموا فيما ذكر فى الآيه من عدد خزان النار فنزلت هذه الآيه،و يتأيد بذلك ما ورد من سبب النزول و سيوافيك فى البحث الروائى التالى.

فقوله:« وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ النّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِكَةً »المراد بأصحاب النار خزنتها الموكلون عليها المتولون لتعذيب المجرمين فيها كما يفيده قوله:« عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ »و يشهد بذلك قوله بعد:« وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَةً »إلخ.

و محصل المعنى:أنا جعلناهم ملائكه يقدرون على ما أمروا به كما قال:

«عَلَيْهٰا مَلاٰئِكَةٌ غِلاٰظٌ شِدٰادٌ لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ» :التحريم ۶.

فليسوا من البشر حتى يرجوا المجرمون أن يقاوموهم و يطيقوهم.

و قوله:« وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » الفتنه المحنه و الاختبار.ذكروا أن المراد بالجعل الجعل بحسب الإخبار دون الجعل بحسب التكوين فالمعنى و ما أخبرنا عن عدتهم أنها تسعه عشر إلا ليكون فتنه للذين كفروا،و يؤيده ذيل الكلام:

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ

»إلخ.

و قوله:« لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ » الاستيقان وجدان اليقين فى النفس أى ليوقن أهل الكتاب بأن القرآن النازل عليك حق حيث يجدون ما أخبرنا به من عده أصحاب النار موافقا لما ذكر فيما عندهم من الكتاب.

و قوله:« وَ يَزْدٰادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمٰاناً »أى بسبب ما يجدون من تصديق أهل الكتاب ذلك.

و قوله:« وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكٰافِرُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً »اللام فى« لِيَقُولَ »للعاقبه بخلاف اللام فى« لِيَسْتَيْقِنَ »فللتعليل بالغايه،و الفرق أن قولهم:

« مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً »تحقير و تهكم و هو كفر لا يعد غايه لفعله سبحانه إلا بالعرض بخلاف الاستيقان الذى هو من الإيمان،و لعل اختلاف المعنيين هو الموجب لإعاده اللام فى قوله:« وَ لِيَقُولَ ».

و قد فسروا« اَلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »بالشك و الجحود بالمنافقين و فسروا الكافرين

بالمتظاهرين بالكفر من المشركين و غيرهم.

و قولهم: «مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً »أرادوا به التحقير و التهكم يشيرون بهذا إلى قوله تعالى:« عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ »و المثل الوصف،و المعنى ما الذى يعنيه من وصف الخزنه بأنهم تسعه عشر؟فهذه العده القليله كيف تقوى على تعذيب أكثر الثقلين من الجن و الإنس.

ذنابه لما تقدم من الكلام فى النفاق

ذكر بعضهم أن قوله تعالى:« وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »الآيه-بناء على أن السوره بتمامها مكيه،و أن النفاق إنما حدث بالمدينه-إخبار عما سيحدث من المغيبات بعد الهجره انتهى.

أما كون السوره بتمامها مكيه فهو المتعين من طريق النقل و قد ادعى عليه إجماع المفسرين،و ما نقل عن مقاتل أن قوله:« وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ النّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِكَةً »الآيه مدنى لم يثبت من طريق النقل،و على فرض الثبوت هو قول نظرى مبنى على حدوث النفاق بالمدينه و الآيه تخبر عنه.

و أما حديث حدوث النفاق بالمدينه فقد أصر عليه بعضهم محتجا عليه بأن النبى ص و المسلمين لم يكونوا قبل الهجره من القوه و نفوذ الأمر و سعه الطول بحيث يهابهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم و يظهروا لهم الإيمان و يلحقوا بجمعهم مع إبطان الكفر و هذا بخلاف حالهم بالمدينه بعد الهجره.

و الحجه غير تامه-كما أشرنا إليه فى تفسير سوره المنافقون فى كلام حول النفاق فإن علل النفاق ليست تنحصر فى المخافه و الاتقاء أو الاستدرار من خير معجل فمن علله الطمع و لو فى نفع مؤجل و منها العصبيه و الحميه و منها استقرار العاده و منها غير ذلك.

و لا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن جميع من آمن بالنبى ص بمكه قبل الهجره و قد نقل عن بعضهم أنه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح.

على أنه تعالى يقول: «وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ فَإِذٰا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّٰاسِ كَعَذٰابِ اللّٰهِ وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّٰا كُنّٰا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمٰا فِي

صُدُورِ الْعٰالَمِينَ وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰافِقِينَ» :العنكبوت:١١.

و الآيتان فى سوره مكيه و هى سوره العنكبوت،و هما ناطقتان بوجود النفاق فيها و مع الغض عن كون السوره مكيه فاشتمال الآيه على حديث الإيذاء فى الله و الفتنه أصدق شاهد على نزول الآيتين بمكه فلم يكن بالمدينه إيذاء فى الله و فتنه،و اشتمال الآيه على قوله:« وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ »إلخ لا يدل على النزول بالمدينه فللنصر مصاديق أخرى غير الفتح المعجل.

و احتمال أن يكون المراد بالفتنه ما وقعت بمكه بعد الهجره غير ضائر فإن هؤلاء المفتونين بمكه بعد الهجره إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبى ص قبل الهجره و إن أوذوا بعدها.

و على مثل ذلك ينبغى أن يحمل قوله تعالى: «وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصٰابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصٰابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ» :الحج:١١ إن كان المراد بالفتنه العذاب و إن كانت السوره مدنيه.

[بيان]

و قوله:« كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ »الإشاره بذلك إلى مضمون قوله:« وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَةً »إلخ.

و قوله:« وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّٰ هُوَ »علق تعالى العلم المنفى بالجنود-و هى الجموع الغليظه التى خلقهم وسائط لإجراء أوامره-لا بخصوص عدتهم فأفاد بإطلاقه أن العلم بحقيقتهم و خصوصيات خلقتهم و عدتهم و ما يعملونه من عمل و دقائق الحكمه فى جميع ذلك يختص به تعالى لا يشاركه فيه أحد،فليس لأحد أن يستقل عدتهم أو يستكثر أو يطعن فى شىء مما يرجع إلى صفاتهم و هو جاهل بها.

و قوله:« وَ مٰا هِيَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ »الضمير راجع إلى ما تقدم من قوله:« عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ »و تأنيثه لتأنيث الخبر،و المعنى أن البشر لا سبيل لهم إلى العلم بجنود ربك و إنما أخبرنا عن خزنه النار أن عدتهم تسعه عشر ليكون ذكرى لهم يتعظون بها.

و قيل:الضمير للجنود،و قيل:لسقر،و قيل للسوره،و قيل:لنار الدنيا و هو

ص: ٩١

أسخف الأقوال.

و فی الآیه دلاله علی أن الخطابات القرآنیه لعامه البشر.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،": فی قوله تعالی:« فَإِذٰا نُقِرَ فِی النّٰاقُورِ -إلی قوله- وَحِیداً »فإنها نزلت فی الولید بن المغیره-و کان شیخا کبیرا مجربا من دهاه العرب،و کان من المستهزءین برسول الله ص- و کان رسول الله ص یقعد فی الحجر و یقرأ القرآن -فاجتمعت قریش إلی الولید بن المغیره-فقالوا:یا أبا عبد شمس ما هذا الذی یقول محمد؟أ شعر هو أم کهانه أم خطب؟ فقال دعونی أسمع کلامه-فدنا من رسول الله ص فقال:یا محمد أنشدنی من شعرک-قال:

ما هو شعر و لکنه کلام الله-الذی ارتضاه لملائکته و أنبیائه و رسله-فقال:اتل علی منه شیئا! فقرأ علیه رسول الله ص حم السجده-فلما بلغ قوله:« فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صٰاعِقَةً-مِثْلَ صٰاعِقَةِ عٰادٍ وَ ثَمُودَ »قال:فاقشعر الولید و قامت کل شعره فی رأسه و لحیته،و مر إلی بیته و لم یرجع إلی قریش من ذلک.

فمشوا إلی أبی جهل فقالوا:یا أبا الحکم-إن أبا عبد شمس صبا إلی دین محمد أ ما تراه لم یرجع إلینا-فغدا أبو جهل إلی الولید فقال:یا عم-نکست رءوسنا و فضحتنا و أشمت بنا عدونا-و صبوت إلی دین محمد،فقال:ما صبوت إلی دینه-و لکنی سمعت کلاما صعبا تقشعر منه الجلود-فقال له أبو جهل:أ خطب هو؟قال:لا إن الخطب کلام متصل و هذا کلام منثور-و لا یشبه بعضه بعضا.قال:أ فشعر هو؟قال:لا-أما إنی لقد سمعت أشعار العرب بسیطها و مدیدها-و رملها و رجزها و ما هو بشعر.قال:فما هو؟قال:

دعنی أفکر فیه.

فلما کان من الغد قالوا له:یا أبا عبد شمس ما تقول فیما قلناه؟قال:قولوا:هو سحر فإنه آخذ بقلوب الناس-فأنزل علی رسوله ص فی ذلک:« ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً ».

و إنما سمی وحیدا لأنه قال لقریش:أنا أتوحد لکسوه البیت سنه و علیکم فی جماعتکم

سنه،و كان له مال كثير و حدائق،و كان له عشر بنين بمكه،و كان له عشره عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها-و تلك القنطار فی ذلک الزمان،و يقال:إن القنطار جلد ثور مملوء ذهبا.

و فی الدر المنثور،أخرج الحاكم و صححه و البيهقی فی الدلائل من طريق عكرمه عن ابن عباس" *أن الوليد بن المغيره جاء إلی النبی ص-فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له-فبلغ ذلک أبا جهل فأتاه فقال:يا عم إن قومک يريدون أن يجعلوا لک مالا ليعطوه لک-فإنک أتيت محمدا لتصيب مما عنده.قال:قد علمت قريش أنی من أكثرها مالا.

قال:فقل فيه قولا يبلغ قومک-إنک منكر أو إنک كاره له،قال:و ما ذا أقول- فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منی لا برجزه-و لا بقصيده و لا- بأشعار الجن-و الله ما يشبه الذی يقول شيئا من هذا،و و الله إن لقوله الذی يقوله حلاوه و إن عليه لطلاوه،و إنه لمثمر أعلاه،و مغدق أسفله،و إنه ليعلو و لا يعلی،و إنه ليحطم ما تحته.

قال:لا يرضی عنک قومک حتی تقول فيه-قال:دعنی حتی أفكر فلما فكر قال-ما هو إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره-فنزلت:« ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ».

و فی المجمع،روی العياشی بإسناده عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبی عبد الله و أبی جعفر(ع) *أن الوحيد ولد الزنا.قال زراره:ذكر لأبی جعفر(ع)عن أحد بنی هشام أنه قال فی خطبته:أنا ابن الوحيد-فقال:ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له،و ما هو؟قال،من لا يعرف له أب.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و ابن المنذر و الترمذی و ابن أبی الدنيا فی صفه النار و ابن جرير و ابن أبی حاتم و ابن حيان و الحاكم و صححه و البيهقی فی البعث عن أبی سعيد الخدری عن النبی ص قال*، الصعود جبل فی النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا-ثم يهوی و هو كذلک فيه أبدا.

و فی تفسير القمی،:فی قوله تعالی،« ثُمَّ عَبَسَ »قال،عبس وجهه« وَ بَسَرَ »قال، ألقی شدقه (۱).

۱- ۱) زاويه الفم.

[سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۲ الی ۴۸]

اشاره

كَلاّٰ وَ اَلْقَمَرِ (۳۲) وَ اَللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (۳۳) وَ اَلصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ (۳۴) إِنَّهٰا لَإِحْدَى اَلْكُبَرِ (۳۵) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (۳۶) لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (۳۷) كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۳۸) إِلاّٰ أَصْحٰابَ اَلْيَمِينِ (۳۹) فِي جَنّٰاتٍ يَتَسٰاءَلُونَ (۴۰) عَنِ اَلْمُجْرِمِينَ (۴۱) مٰا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (۴۲) قٰالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ (۴۳) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ اَلْمِسْكِينَ (۴۴) وَ كُنّٰا نَخُوضُ مَعَ اَلْخٰائِضِينَ (۴۵) وَ كُنّٰا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اَلدِّينِ (۴۶) حَتّٰى أَتٰانَا اَلْيَقِينُ (۴۷) فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَةُ اَلشّٰافِعِينَ (۴۸)

بيان

فی الآيات تنزيه للقرآن الكريم عما رموه به،و تسجيل أنه إحدى الآيات الإلهيه الكبرى فيه إنذار البشر كافه و فی اتباعه فك نفوسهم عن رهانه أعمالهم التی تسوقهم إلى سقر.

قوله تعالى:« كَلاّٰ »ردع و إنكار لما تقدم قال فی الكشاف:إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون،أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا.انتهى.فعلى الأول إنكار لما تقدم و على الثانی ردع لما سيأتی،و هناك وجه آخر سيوافيك.

قوله تعالى:« وَ الْقَمَرِ وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَ الصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ »قسم بعد قسم،و إدبار الليل مقابل إقباله،و إسفار الصبح انجلاؤه و انكشافه.

قوله تعالى:« إِنَّهٰا لَإِحْدَى الْكُبَرِ »ذكروا أن الضمير لسقر،و الكبر جمع كبرى،

و المراد بكون سقر إحدى الكبر أنها إحدى الدواهی الكبر لا يعادلها غيرها من الدواهی كما يقال:هو أحد الرجال أی لا نظير له بينهم،و الجمله جواب للقسم.

و المعنى أقسم بكذا و كذا أن سقر لإحدى الدواهی الكبر-أكبرها-إنذارا للبشر.

و لا يبعد أن يكون« كَلاّ »ردعا لقوله فی القرآن:« إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ قَوْلُ الْبَشَرِ »و يكون ضمير« إِنَّهٰا »للقرآن بما أنه آيات أو من باب مطابقه اسم إن لخبرها.

و المعنى:ليس كما قال أقسم بكذا و كذا أن القرآن-آياته-لإحدى الآيات الإلهيه الكبرى إنذارا للبشر.

و قيل:الجمله« إِنَّهٰا لَإِحْدَى الْكُبَرِ »تعليل للردع،و القسم معترض للتأكيد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه كلا.

قوله تعالى:« نَذِيراً لِلْبَشَرِ »مصدر بمعنى الإنذار منصوب للتمييز،و قيل:حال مما يفهم من سياق قوله:« إِنَّهٰا لَإِحْدَى الْكُبَرِ »أی كبرت و عظمت حالكونها إنذارا أی منذره.

و قيل فيه وجوه أخر لا يعبأ بها كقول بعضهم:أنه صفه للنبی ص و الآيه متصله بأول السوره و التقدير قم نذيرا للبشر فأنذر،و قول بعضهم:صفه له تعالى.

قوله تعالى:« لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ »تعميم للإنذار و« لِمَنْ شٰاءَ »بدل من البشر،و« أَنْ يَتَقَدَّمَ »إلخ مفعول« شٰاءَ »و المراد بالتقدم و التأخر :الاتباع للحق و مصداقه الإيمان و الطاعه،و عدم الاتباع و مصداقه الكفر و المعصيه.

و المعنى:نذيرا لمن اتبع منكم الحق و لمن لم يتبع أی لجميعكم من غير استثناء.

و قيل:« أَنْ يَتَقَدَّمَ »فی موضع الرفع على الابتداء و« لِمَنْ شٰاءَ »خبره كقولك لمن توضأ أن يصلی،و المعنى مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر، و هو كقوله.« فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ »و المراد بالتقدم و التأخر السبق إلى الخير و التخلف عنه انتهى.

قوله تعالى:« كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »الباء بمعنى مع أو للسببيه أو للمقابله و« رَهِينَةٌ »

بمعنى الرهن على ما ذكره الزمخشرى قال فى الكشاف،:رهينه ليست بتأنيث رهين فى قوله:« كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ »لتأنيث النفس لأنه لو قصدت لقيل:رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر و المؤنث،و إنما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمه بمعنى الشتم كأنه قيل:كل نفس بما كسبت رهن.انتهى.

و كان العنايه فى عد كل نفس رهينه أن لله عليها حق العبوديه بالإيمان و العمل الصالح فهى رهينه محفوظه محبوسه عند الله حتى توفى دينه و تؤدى حقه تعالى فإن آمنت و صلحت فكت و أطلقت،و إن كفرت و أجرمت و ماتت على ذلك كانت رهينه محبوسه دائما، و هذا غير كونها رهين عملها ملازمه لما اكتسبت من خير و شر كما تقدم فى قوله تعالى:

«كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ» :الطور ٢١.

و الآيه فى مقام بيان وجه التعميم المستفاد من قوله:« نَذِيراً لِلْبَشَرِ لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ »فإن كون النفس الإنسانيه رهينه بما كسبت يوجب على كل نفس أن تتقى النار التى ستحبس فيها إن أجرمت و لم تتبع الحق.

قوله تعالى:« إِلاّٰ أَصْحٰابَ الْيَمِينِ »هم الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم الحساب و هم أصحاب العقائد الحقه و الأعمال الصالحه من متوسطى المؤمنين،و قد تكرر ذكرهم و تسميتهم بأصحاب اليمين فى مواضع من كلامه تعالى،و على هذا فالاستثناء متصل.

و المتحصل من مجموع المستثنى منه و المستثنى انقسام النفوس ذوات الكسب إلى نفوس رهينه بما كسبت و هى نفوس المجرمين،و نفوس مفكوكه من الرهن مطلقه و هى نفوس أصحاب اليمين،و أما السابقون المقربون و هم الذين ذكرهم الله فى مواضع من كلامه و عدهم ثالثه الطائفتين و غيرهما كما فى قوله تعالى:« وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَةً -إلى أن قال- وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» :الواقعه:١١،فهؤلاء قد استقروا فى مستقر العبوديه لا يملكون نفسا و لا عمل نفس فنفوسهم لله و كذلك أعمالهم فلا يحضرون و لا يحاسبون قال تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ» :الصافات:١٢٨،فهم خارجون عن المقسم رأسا.

و عن بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالملائكه،و عن بعضهم التفسير بأطفال المسلمين و عن بعضهم أنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق،و عن بعضهم أنهم الذين سبقت

لهم من الله الحسنى،و هى وجوه ضعيفه غير خفيه الضعف.

قوله تعالى:« فِی جَنّاتٍ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِینَ مٰا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ »« فِی جَنّاتٍ »خبر لمبتدإ محذوف و تنوین جنات للتعظیم،و التقدیر هم فی جنات لا یدرک وصفها،و یمکن أن یکون حالا من أصحاب الیمین.

و قوله:« یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِینَ »أی یتساءل جمعهم عن جمع المجرمین.

و قوله:« مٰا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ »أی ما أدخلکم فی سقر بیان لتساؤلهم من بیان الجمله بالجمله،أو بتقدیر القول أی قائلین ما سلککم فی سقر.

قوله تعالى:« قٰالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ »ضمیر الجمع للمجرمین،و المراد بالصلاه التوجه العبادی الخاص إلى الله سبحانه فلا یضره اختلاف الصلاه کما و کیفا باختلاف الشرائع السماویه الحقه.

قوله تعالى:« وَ لَمْ نَکُ نُطْعِمُ الْمِسْکِینَ »المراد بإطعام المسکین الإنفاق على فقراء المجتمع بما یقوم به صلبهم و یرتفع به حاجتهم،و إطعام المسکین إشاره إلى حق الناس عملا کما أن الصلاه إشاره إلى حق الله کذلک.

قوله تعالى:« وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِینَ »المراد بالخوض الاشتغال بالباطل قولا أو فعلا و الغور فیه.

قوله تعالى:« وَ کُنّٰا نُکَذِّبُ بِیَوْمِ الدِّینِ »و هو یوم الجزاء فهذه خصال أربع من طبع المجرم أن یبتلى بها کلا أو بعضا،و لما کان المجیب عن التساؤل جمع المجرمین صحت نسبه الجمیع إلى الجمیع و إن کان بعضهم مبتلى ببعضها دون بعض.

قوله تعالى:« حَتّٰى أَتٰانَا الْیَقِینُ »قید للتکذیب،و فسروا الیقین بالموت لکونه مما لا شک فیه فالمعنى و کنا فی الدنیا نکذب بیوم الجزاء حتى أتانا الموت فانقطعت به الحیاه الدنیا أی کنا نکذب به ما دامت الحیاه.

و قیل:المراد به الیقین الحاصل بحقیه یوم الجزاء بمشاهده آیات الآخره و معاینه الحیاه البرزخیه حین الموت و بعده،و هو معنى حسن.

قوله تعالى:« فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَةُ الشّٰافِعِینَ »تقدم فی بحث الشفاعه أن فی الآیه دلاله

على أن هناك شافعين يشفعون فيشفعون لكن لا تنفع هؤلاء شفاعتهم لأنهم محرومون من نيلها.

و قد أوردنا جمله من أخبار الشفاعه فى الجزء الأول من الكتاب.

[سوره المدثر (۷۴): الآيات ۴۹ الى ۵۶]

اشاره

فَمٰا لَهُمْ عَنِ اَلتَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ (۴۹) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ (۵۰) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ (۵۱) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً (۵۲) كَلاّٰ بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ اَلْآخِرَهَ (۵۳) كَلاّٰ إِنَّهُ تَذْكِرَهٌ (۵۴) فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ (۵۵) وَ مٰا يَذْكُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ هُوَ أَهْلُ اَلتَّقْوىٰ وَ أَهْلُ اَلْمَغْفِرَهِ (۵۶)

بيان

فى معنى الاستنتاج مما تقدم من الوعيد و الوعد أورد فى صوره التعجب من إعراضهم عن تذكره القرآن و تنفرهم عن الحق الصريح كأنه قيل:فإذا كان كذلك فعليهم أن يجيبوا دعوه الحق و يتذكروا بالتذكره فمن العجب أنهم معرضون عن ذلك كلا بل لا يؤمنون بالرساله و يريد كل امرئ منهم أن ينزل عليه كتاب من الله.كلا بل لا يخافون الآخره فلا يرتدعون عن وعيد.

ثم يعرض عليهم التذكره عرضا فهم على خيره من القبول و الرد فإن شاءوا قبلوا و إن شاءوا ردوا،لكن عليهم أن يعلموا أنهم غير مستقلين فى مشيتهم و ليسوا بمعجزين لله سبحانه فليس لهم أن يذكروا إلا أن يشاء الله،و حكم القدر جار فيهم البته.

قوله تعالى:« فَمٰا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ »تفريع على ما تقدم من التذكره و الموعظه، و الاستفهام للتعجيب،و« لَهُمْ »متعلق بمحذوف و التقدير فما كان لهم:و« مُعْرِضِينَ »حال من ضمير« لَهُمْ »و« عَنِ التَّذْكِرَهِ »متعلق بمعرضين.

ص: ۹۸

و المعنى:فإذا كان كذلك فأى شيء كان-عرض-للمشركين الذين يكذبون بتذكره القرآن حال كونهم معرضين عنها أى كان من الواجب عليهم أن يصدقوا و يؤمنوا لكنهم أعرضوا عنها و هو من العجب.

قوله تعالى:« كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ »تشبيه لهم من حيث حالهم فى الإعراض عن التذكره،و الحمر جمع حمار،و المراد الحمر الوحشيه و الاستنفار بمعنى النفره و القسوره الأسد و الصائد،و قد فسر بكل من المعنيين.

و المعنى: معرضين عن التذكره كأنهم حمر وحشيه نفرت من أسد أو من الصائد.

قوله تعالى:« بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً »المراد بالصحف المنشره الكتاب السماوى المشتمل على الدعوه الحقه.

و فى الكلام إضراب عما ذكر من إعراضهم،و المعنى ليس إعراضهم عن التذكره لمجرد النفره بل يريد كل امرئ منهم أن ينزل عليه كتاب من عند الله مشتمل على ما تشتمل عليه دعوه القرآن.

و هذه النسبه إليهم كنايه عن استكبارهم على الله سبحانه أنهم إنما يقبلون دعوته و لا يردونها لو دعا كل واحد منهم بإنزال كتاب سماوى إليه مستقلا و أما الدعوه من طريق الرساله فليسوا يستجيبونها و إن كانت حقه مؤيده بالآيات البينه.

فالآيه فى معنى ما حكاه الله سبحانه من قولهم: «لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ» :الأنعام ۱۲۴،و فى معنى قول الأمم لرسلهم:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا »على ما قررنا من حجتهم على نفى رساله الرسل.

و قيل:إن الآيه فى معنى قولهم للنبى ص الذى حكاه الله فى قوله: «وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنٰا كِتٰاباً نَقْرَؤُهُ» :إسراء ۹۳.

و يدفعه أن مدلول الآيه أن ينزل على كل واحد منهم صحف منشره غير ما ينزل على غيره لا نزول كتاب واحد من السماء على النبى ص يقرؤه الجميع كما هو مدلول آيه الإسراء.

و قيل:المراد نزول كتب من السماء عليهم بأسمائهم أن آمنوا بمحمد ص.

و قيل:المراد أن ينزل عليهم كتب من السماء بالبراءه من العذاب و إسباغ النعمه حتى

يؤمنوا و إلا بقوا على كفرهم و قيل غير ذلك.

و هى جميعا معان بعيده من السياق و التعويل على ما تقدم.

قوله تعالى:« كَلاّٰ بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ اَلْآخِرَةَ »ردع لهم بما يريدونه من نزول كتاب سماوى على كل واحد منهم فإن دعوه الرساله مؤيده بآيات بينه و حجج قاطعه لا تدع ريبا لمرتاب فالحجه تامه قائمه على الرسول و غيره على حد سواء من غير حاجه إلى أن يؤتى كل واحد من الناس المدعوين صحفا منشره.

على أن الرساله تحتاج من طهاره الذات و صلاحيه النفس إلى ما يفقده نفوس سائر الناس كما هو مدلول جوابه تعالى فى سوره الأنعام عن قولهم:« لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ رُسُلُ اَللّٰهِ »بقوله:« اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ ».

و قوله:« بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ اَلْآخِرَةَ »إضراب عن قوله:« يُرِيدُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ »إلخ، و المراد أن اقتراحهم نزول كتاب على كل امرئ منهم قول ظاهرى منهم يريدون به صرف الدعوه عن أنفسهم،و السبب الحقيقى لكفرهم و تكذيبهم بالدعوه أنهم لا يخافون الآخره،و لو خافوها لآمنوا و لم يقترحوا آيه بعد قيام الحجه بظهور الآيات البينات.

قوله تعالى:« كَلاّٰ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ »ردع ثان لاقتراحهم نزول كتاب سماوى لكل امرئ منهم،و المعنى لا ننزل كتابا كذلك أن القرآن تذكره و موعظه نعظهم به لا نريد به أزيد من ذلك، و أثر ذلك ما أعد للمطيع و العاصى عندنا من الجزاء.

قوله تعالى:« فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ »أى فمن شاء اتعظ به فإنما هى دعوه فى ظرف الاختيار من غير إكراه.

قوله تعالى:« وَ مٰا يَذْكُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ هُوَ أَهْلُ اَلتَّقْوىٰ وَ أَهْلُ اَلْمَغْفِرَةِ » دفع لما يمكن أن يتوهموه من قوله تعالى:« فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ »أن الأمر إليهم و أنهم مستقلون فى إرادتهم و ما يترتب عليها من أفعالهم فإن لم يشاءوا الذكر و لم يذكروا غلبوه تعالى فيما أراد و أعجزوه فيما شاء من ذكرهم.

و المحصل من الدفع أن حكم القدر جاء فى أفعالهم كغيرها من الحوادث،و تذكرهم إن تذكروا و إن كان فعلا اختياريا صادرا عنهم باختيارهم من غير إكراه فالمشيه الإلهيه متعلقه به بما هو اختيارى بمعنى أن الله تعالى يريد بإراده تكوينيه أن يفعل الإنسان

الفعل الفلانی بإرادته و اختیاره فالفعل اختیاری ممکن بالنسبه إلی الإنسان و هو بعینه متعلق الإراده الإلهیه ضروری التحقق بالنسبه إلیها و لولاها لم یتحقق.

و قوله:« هُوَ أَهْلُ التَّقْویٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »أی أهل لأن یتقی منه لأن له الولایه المطلقه علی کل شیء،و بیده سعاده الإنسان و شقاوته،و أهل لأن یغفر لمن اتقاه لأنه غفور رحیم.

و الجمله أعنی قوله:« هُوَ أَهْلُ التَّقْویٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »صالحه لتعلیل ما تقدم من الدعوه فی قوله:« إِنَّهُ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ »و هو ظاهر،و لتعلیل قوله:« وَ مٰا یَذْکُرُونَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ »فإن کونه تعالی أهل التقوی و أهل المغفره لا یتم إلا بکونه ذا إراده نافذه فیهم ساریه فی أعمالهم فلیسوا بمخلین و ما یهوونه و هم معجزون لله بتمردهم و استکبارهم.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله تعالی:« بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ-أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً »و ذلک أنهم قالوا:یا محمد-قد بلغنا أن الرجل من بنی إسرائیل کان یذنب الذنب-فیصبح و ذنبه مکتوب عند رأسه و کفارته.

فنزل جبرئیل علی رسول الله ص و قال:یسألک قومک سنه بنی إسرائیل فی الذنوب-فإن شاءوا فعلنا ذلک بهم-و أخذناهم بما کنا نأخذ بنی إسرائیل-فزعموا أن رسول الله ص کره ذلک لقومه.

أقول:و القصه لا تلائم لحن الآیه و الروایه لا تخلو من إیماء إلی ضعف القصه.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و ابن جریر و ابن المنذر عن السدی عن أبی صالح قال"*:قالوا:إن کان محمد صادقا-فلیصبح تحت رأس کل رجل منا صحیفه-فیها براءته و أمنته من النار-فنزلت:« بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً ».

أقول:سیاق الآیات و ما فیها من الردع لا یلائم القصه.

و فیه،أخرج عبد بن حمید و ابن المنذر عن مجاهد"*« بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً »قال:إلی فلان بن فلان من رب العالمین-یصبح عند رأس کل رجل صحیفه موضوعه یقرؤها.

أقول:ما فی الروایه یقبل الانطباق علی الروایه السابقه و علی ما قدمناه من معنی الآیه.

و فیه،أخرج عبد بن حمید و ابن المنذر عن قتاده"*فی قوله تعالی:« بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ-أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً »قال:قد قال قائلون من الناس لمحمد ص-إن سرک أن نتابعک فأتنا بکتاب خاصه یأمرنا باتباعک.

أقول:الروایه قابله التطبیق لما فی تفسیر الآیه من القول بأن الآیه فی معنی قوله تعالی:

« وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ »الآیه و قد تقدم ما فیه.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« هُوَ أَهْلُ التَّقْویٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »-قال:هو أهل أن یتقی و أهل أن یغفر.

و فی التوحید،بإسناده إلی أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع) *فی قول الله عز و جل:

« هُوَ أَهْلُ التَّقْویٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »قال:قال الله عز و جل:أنا أهل أن أتقی-و لا یشرک بی عبدی شیئا-و أنا أهل إن لم یشرک بی عبدی شیئا أن أدخله الجنه.

و قال:إن الله تبارک و تعالی أقسم بعزته و جلاله-أن لا یعذب أهل توحیده بالنار.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن عبد الله بن دینار قال*:سمعت أبا هریره و ابن عمر و ابن عباس یقولون: سئل رسول الله ص عن قول الله:« هُوَ أَهْلُ التَّقْویٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »قال:یقول الله:أنا أهل أن أتقی-فلا یجعل معی شریک-فإذا اتقیت و لم یجعل معی شریک-فأنا أهل أن أغفر ما سوی ذلک.

أقول:و فی معناه غیر واحد من الروایات عنه(ص).

(۷۵) سوره القیامه مکیه و هی أربعون آیه(۴۰)

[سوره القیامه (۷۵): الآیات ۱ الی ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

لاٰ أُقْسِمُ بِیَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ (۱) وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اَللَّوّٰامَهِ (۲) أَ یَحْسَبُ اَلْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ (۳) بَلیٰ قٰادِرِینَ عَلیٰ أَنْ نُسَوِّیَ بَنٰانَهُ (۴) بَلْ یُرِیدُ اَلْإِنْسٰانُ لِیَفْجُرَ أَمٰامَهُ (۵) یَسْئَلُ أَیّٰانَ یَوْمُ اَلْقِیٰامَهِ (۶) فَإِذٰا بَرِقَ اَلْبَصَرُ (۷) وَ خَسَفَ اَلْقَمَرُ (۸) وَ جُمِعَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ (۹) یَقُولُ اَلْإِنْسٰانُ یَوْمَئِذٍ أَیْنَ اَلْمَفَرُّ (۱۰) کَلاّٰ لاٰ وَزَرَ (۱۱) إِلیٰ رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ اَلْمُسْتَقَرُّ (۱۲) یُنَبَّؤُا اَلْإِنْسٰانُ یَوْمَئِذٍ بِمٰا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (۱۳) بَلِ اَلْإِنْسٰانُ عَلیٰ نَفْسِهِ بَصِیرَهٌ (۱۴) وَ لَوْ أَلْقیٰ مَعٰاذِیرَهُ (۱۵)

بیان

یطوف بیـان السوره حول القیـامه الکبری فتنبئ بوقوع یوم القیـامه أولاـ ثم تصـفه ببعض أشـراطه تـاره،و بإجمـال مـا یجری علی الإنسان أخری،و ینبئ أن المساق إلیه یبدأ من یوم الموت،و تختتم بالاحتجاج علی القدره علی الإعاده بالقدره علی الابتداء.

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« لاٰ أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیٰامَهِ »إقسام بیوم القیامه سواء قیل بکون« لاٰ أُقْسِمُ » کلمه قسم أو بکون لا زائده أو نافیه علی اختلاف الأقوال.

قوله تعالی:« وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّٰامَهِ »إقسام ثان علی ما یقتضـیه السـیاق و مشاکله اللفظ فلا یعبأ بما قیل:إنه نفی الأقسام و لیس بقسم،و المراد أقسم بیوم القیامه و لا أقسم بالنفس اللوامه.

و المراد بالنفس اللوامه نفس المؤمن التی تلومه فی الدنیا علی المعصیه و التثاقل فی الطاعه و تنفعه یوم القیامه.

و قیـل:المراد به النفس الإنسـانیه أعم من المؤمنه الصـالحه و الکافره الفاجره فإنها تلوم الإنسان یوم القیامه أما الکافره فإنها تلومه علی کفره و فجوره،و أما المؤمنه فإنها تلومه علی قله الطاعه و عدم الاستکثار من الخیر.

و قیل.المراد نفس الکافر الـذی تلومه یوم القیامه علی ما قـدمت من کفر و معصـیه قال تعالی: «وَ أَسَرُّوا النَّدٰامَهَ لَمّٰا رَأَوُا الْعَذٰابَ» :یونس ۵۴.

و لکل من الأقوال وجه.

ص :۱۰۳

و جواب القسم محذوف يدل عليه الآيات التاليه،و التقدير ليبعثن،و إنما حذف للدلاله على تفخيم اليوم و عظمه أمره قال تعالى: «ثَقُلَتْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لاٰ تَأْتِيكُمْ إِلاّٰ بَغْتَةً» :الأعراف ١٨٧ و قال: «إِنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ» :طه ١٥ و قال: «عَمَّ يَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ» :النبأ:١.

قوله تعالى:« أَ يَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ » الحسبان الظن،و جمع العظام كنايه عن الإحياء بعد الموت،و الاستفهام للتوبيخ،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« بَلىٰ قٰادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنٰانَهُ »أى بلى نجمعها و« قٰادِرِينَ »حال من فاعل مدخول بلى المقدر، و البنان أطراف الأصابع و قيل:الأصابع و تسويه البنان تصويرها على ما هى عليها من الصور،و المعنى بلى نجمعها و الحال أنا قادرون على أن نصور بنانه على صورها التى هى عليها بحسب خلقنا الأول.

و تخصيص البنان بالذكر-لعله-للإشاره إلى عجيب خلقها بما لها من الصور و خصوصيات التركيب و العدد تترتب عليها فوائد جمه لا تكاد تحصى من أنواع القبض و البسط و الأخذ و الرد و سائر الحركات اللطيفه و الأعمال الدقيقه و الصنائع الظريفه التى يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان مضافا إلى ما عليها من الهيئات و الخطوط التى لا يزال ينكشف للإنسان منها سر بعد سر.

و قيل:المراد بتسويه البنان جعل أصابع اليدين و الرجلين مستويه شيئا واحدا من غير تفريق كخف البعير و حافر الحمار،و المعنى قادرين على أن نجعلها شيئا واحدا فلا يقدر الإنسان حينئذ على ما يقدر عليه مع تعدد الأصابع من فنون الأعمال،و الوجه المتقدم أرجح.

قوله تعالى:« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ »قال الراغب: الفجر شق الشىء شقا واسعا.قال:و الفجور شق ستر الديانه يقال:فجر فجورا فهو فاجر و جمعه فجار و فجره.انتهى،و أمام ظرف مكان أستعير لمستقبل الزمان،و المراد من فجوره أمامه فجوره مدى عمره و ما دام حيا،و ضمير« أَمٰامَهُ »للإنسان.

و قوله:« لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ »تعليل ساد مسد معلله و هو التكذيب بالبعث و الإحياء بعد الموت،و« بَلْ »إضراب عن حسبانه عدم البعث و الإحياء بعد الموت.

و المعنى:أنه لا يحسب أن لن نجمع عظامه بل يريد أن يكذب بالبعث ليفجر مدى عمره إذ لا موجب للإيمان و التقوى لو لم يكن هناك بعث للحساب و الجزاء.

هذا ما يعطيه السياق فى معنى الآيه،و لهم وجوه أخر ذكروها فى معنى الآيه بعيده لا تلائم السياق أغمضنا عن ذكرها.

و ذكر الإنسان فى الآيه من وضع الظاهر موضع الضمير و النكته فيه زياده التوبيخ و المبالغه فى التقريع،و قد كرر ذلك فى الآيه و ما يتلوها من الآيات أربع مرات.

قوله تعالى:« يَسْئَلُ أَيّٰانَ يَوْمُ الْقِيٰامَهِ »الظاهر أنه بيان لقوله:« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ »فيفيد التعليل و أن السائل فى مقام التكذيب و السؤال سؤال تكذيب إذ من الواجب على من دعى إلى الإيمان و التقوى،و أنذر بهذا النبإ العظيم مع دلاله الآيات البينه و قيام الحجج القاطعه أن يتخذ حذره و يتجهز بالإيمان و التقوى و يتهيأ للقاء اليوم قريبا كان أو بعيدا فكل ما هو آت قريب لا أن يسأل متى تقوم الساعه؟و أيان يوم القيامه؟فليس إلا سؤال مكذب مستهزئ.

قوله تعالى:« فَإِذٰا بَرِقَ الْبَصَرُ وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ »ذكر جمله من أشراط الساعه،و بريق البصر تحيره فى إبصاره و دهشته،و خسوف القمر زوال نوره.

قوله تعالى:« يَقُولُ الْإِنْسٰانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ »أى أين موضع الفرار،و قوله:« أَيْنَ الْمَفَرُّ »مع ظهور السلطنه الإلهيه له و علمه بأن لا مفر و لا فرار يومئذ من باب ظهور ملكاته يومئذ فقد كان فى الدنيا يسأل عن المفر إذا وقع فى شده أو هددته مهلكه و ذلك كإنكارهم الشرك يومئذ و حلفهم كذبا قال تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا وَ اللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا كُنّٰا مُشْرِكِينَ» :الأنعام:٢٣،و قال: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» المجادله:١٨.

قوله تعالى:« كَلاّٰ لاٰ وَزَرَ »ردع عن طلبهم المفر،و الوزر الملجأ من جبل أو حصن أو غيرهما،و هو من كلامه تعالى لا من تمام كلام الإنسان.

قوله تعالى:« إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ »الخطاب للنبى ص،و تقديم« إِلىٰ رَبِّكَ » و هو متعلق بقوله:« اَلْمُسْتَقَرُّ »يفيد الحصر فلا مستقر إلى غيره فلا وزر و لا ملجأ يلتجأ إليه فيمنع عنه.

و ذلک أن الإنسان سائر إلیه تعالی کما قال: «یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ» :الانشقاق:۶ و قال: «إِنَّ إِلیٰ رَبِّکَ الرُّجْعیٰ» :العلق:۸ و قال: «وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ الْمُنْتَهیٰ» :النجم:۴۲،فهو ملاقی ربه راجع و منته إلیه لا حاجب یحجبه عنه و لا مانع یمنعه منه و أما الحجاب الذی یشیر إلیه قوله: «کَلاّ بَلْ رانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ کَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» :المطففین:۱۵ فسیاق الآیتین یعطی أن المراد به حجاب الحرمان من الکرامه لا حجاب الجهل أو الغیبه.

و یمکن أن یکون المراد بکون مستقره إلیه رجوع أمر ما یستقر فیه من سعاده أو شقاوه و جنه أو نار إلی مشیته تعالی فمن شاء جعله فی الجنه و هم المتقون و من شاء جعله فی النار و هم المجرمون قال تعالی: «یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ» :المائده:۴۰.

و یمکن أن یراد به أن استقرارهم یومئذ إلی حکمه تعالی فهو النافذ فیهم لا غیر قال تعالی: «کُلُّ شَیْءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» :القصص:۸۸.

قوله تعالی:« یُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ یَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ »المراد بما قدم و أخر ما عمله من حسنه أو سیئه فی أول عمره و آخره أو ما قدمه علی موته من حسنه أو سیئه و ما أخر من سنه حسنه سنها أو سنه سیئه فیثاب بالحسنات و یعاقب علی السیئات.

و قیل:المراد بما قدم ما عمله من حسنه أو سیئه فیثاب علی الأول و یعاقب علی الثانی، و بما أخر ما ترکه من حسنه أو سیئه فیعاقب علی الأول و یثاب علی الثانی،و قیل،المراد ما قدم من المعاصی و ما أخر من الطاعات، و قیل،ما قدم من طاعه الله و أخر من حقه فضیعه،و قیل:ما قدم من ماله لنفسه و ما ترک لورثته و هی وجوه ضعیفه بعیده عن الفهم.

قوله تعالی:« بَلِ الْإِنْسانُ عَلیٰ نَفْسِهِ بَصِیرَهٌ وَ لَوْ أَلْقیٰ مَعاذِیرَهُ »إضراب عن قوله، « یُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ »إلخ،و البصیره رؤیه القلب و الإدراک الباطنی و إطلاقها علی الإنسان من باب زید عدل أو التقدیر الإنسان ذو بصیره علی نفسه.

و قیل:المراد بالبصیره الحجه کما فی قوله تعالی، «ما أَنْزَلَ هٰؤُلاءِ إِلاّ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ بَصٰائِرَ» :إسراء،۱۰۲ و الإنسان نفسه حجه علی نفسه یومئذ حیث یسأل عن سمعه و بصره و فؤاده و یشهد علیه سمعه و بصره و جلده و یتکلم یداه و رجلاه،قال تعالی:

«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً» :إسراء ۳۶،و قال «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ» :حم السجده، ۲۰.و قال، «وَ تُكَلِّمُنٰا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ» :يس:۶۵.

و قوله:« وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعٰاذِيرَهُ » المعاذير جمع معذره و هى ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب،و المعنى هو ذو بصيره على نفسه و لو جادل عن نفسه و اعتذر بالمعاذير لصرف العذاب عنها.

و قيل:المعاذير جمع معذار و هو الستر،و المعنى و إن أرخى الستور ليخفى ما عمل فإن نفسه شاهده عليه و مآل الوجهين واحد.

بحث روائى

فى تفسير القمى،:فى قوله تعالى:« وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّٰامَهِ »قال:نفس آدم التى عصت فلامها الله عز و جل.

أقول:و فى انطباقها على الآيه خفاء.

و فيه،":فى قوله:« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ »قال:يقدم الذنب و يؤخر التوبه و يقول:سوف أتوب.

و فيه،":فى قوله:« فَإِذٰا بَرِقَ الْبَصَرُ »قال:يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف.

و فيه،":فى قوله تعالى:« بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَهٌ- وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعٰاذِيرَهُ »قال:يعلم ما صنع و إن اعتذر.

و فى الكافى،بإسناده عن عمر بن يزيد قال*: إنى لأتعشى مع أبى عبد الله(ع)و تلا هذه الآيه« بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَهٌ وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعٰاذِيرَهُ ،ثم قال:يا أبا حفص ما يصنع الإنسان-أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه؟إن رسول الله ص كان يقول:من أسر سريره ألبسه الله رداها-إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

و فى المجمع،و روى العياشى بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله(ع)قال*:

ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يستر سيئا؟أ ليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه

ليس كذلك؟و الله سبحانه يقول:« بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ »إن السريره إذا صلحت قويت العلانيه:.

أقول:و رواه فى أصول الكافى،بإسناده عن فضل أبى العباس عنه(ع) .

و فيه،عن العياشى عن زراره قال، *سألت أبا عبد الله(ع)ما حد المرض الذى يفطر صاحبه؟قال،« بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ »هو أعلم بما يطيق:.

أقول:و رواه فى الفقيه،أيضا .

[سوره القيامه (٧۵): الآيات ١۶ الى ۴٠]

اشاره

لاٰ تُحَرِّكْ بِهِ لِسٰانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١۶) إِنَّ عَلَيْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ (١٩) كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعٰاجِلَةَ (٢٠) وَ تَذَرُونَ اَلْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ (٢٢) إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ (٢٣) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ (٢۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ (٢۵) كَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ اَلتَّرٰاقِيَ (٢۶) وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ (٢٧) وَ ظَنَّ أَنَّهُ اَلْفِرٰاقُ (٢٨) وَ اِلْتَفَّتِ اَلسّٰاقُ بِالسّٰاقِ (٢٩) إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ اَلْمَسٰاقُ (٣٠) فَلاٰ صَدَّقَ وَ لاٰ صَلّٰى (٣١) وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى (٣٣) أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ (٣۴) ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ (٣۵) أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسٰانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (٣۶) أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ (٣٧) ثُمَّ كٰانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ اَلزَّوْجَيْنِ اَلذَّكَرَ وَ اَلْأُنْثىٰ (٣٩) أَ لَيْسَ ذٰلِكَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ اَلْمَوْتىٰ (۴٠)

بیان

تتمه صفه یوم القیامه باعتبار حال الناس فیه و انقسامهم إلی طائفه ناضره الوجوه مبتهجین و أخری باسره الوجوه عابسین آیسین من النجاه،و الإشاره إلی أن هذا المساق تبتدئ من حین نزول الموت ثم الإشاره إلی أن الإنسان لا یترک سدی فالذی خلقه أولا قادر علی أن یحییه ثانیا و به تختتم السوره.

قوله تعالی:« لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ -إلی قوله- ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا بَیٰانَهُ »الذی یعطیه سیاق الآیات الأربع بما یحفها من الآیات المتقدمه و المتأخره الواصفه لیوم القیامه أنها معترضه متضمن أدبا إلهیا کلف النبی ص أن یتأدب به حینما یتلقی ما یوحی إلیه من القرآن الکریم فلا یبادر إلی قراءه ما لم یقرأ بعد و لا یحرک به لسانه و ینصت حتی یتم الوحی.

فالآیات الأربع فی معنی قوله تعالی: «وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ» :طه:۱۱۴.

فالکلام فی هذه الآیات یجری مجری قول المتکلم منا أثناء حدیثه لمخاطبه إذا بادر إلی تتمیم بعض کلام المتکلم باللفظه و اللفظتین قبل أن یلفظ بها المتکلم و ذلک یشغله عن التجرد للإنصات فیقطع المتکلم حدیثه و یعترض و یقول لا تعجل بکلامی و أنصت لتفقه ما أقول لک ثم یمضی فی حدیثه.

فقوله:« لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ »الخطاب فیه للنبی ص،و الضمیران للقرآن الذی یوحی إلیه أو للوحی،و المعنی لا تحرک بالوحی لسانک لتأخذه عاجلا فتسبقنا إلی قراءه ما لم نقرأ بعد فهو کما مر فی معنی قوله: «وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ» :طه:۱۱۴.

و قوله:« إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ »القرآن هاهنا مصدر کالفرقان و الرجحان، و الضمیران للوحی،و المعنی لا تعجل به إذ علینا أن نجمع ما نوحیه إلیک بضم بعض أجزائه إلی بعض و قراءته علیک فلا یفوتنا شیء منه حتی یحتاج إلی أن تسبقنا إلی قراءه ما لم نوحه بعد.

و قیل:المعنی إن علینا أن نجمعه فی صدرک بحیث لا یذهب علیک شیء من معانیه و أن نثبت قراءته فی لسانک بحیث تقرأه متی شئت و لا یخلو من بعد.

و قوله:« فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »أی فإذا أتممنا قراءته علیک وحیا فاتبع قراءتنا له و اقرأ بعد تمامها.

و قیل:المراد باتباع قرآنه اتباعه ذهنا بالإنصات و التوجه التام إلیه و هو معنی لا بأس به.

و قیل:المراد فاتبع فی الأوامر و النواهی قرآنه،و قیل:المراد اتباع قراءته بالتکرار حتی یرسخ فی الذهن و هما معنیان بعیدان.

و قوله:« ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا بَیٰانَهُ »أی علینا إیضاحه علیک بعد ما کان علینا جمعه و قرآنه فثم للتأخیر الرتبی لأن البیان مترتب علی الجمع و القراءه رتبه.

و قیل،المعنی ثم إن علینا بیانه للناس بلسانک نحفظه فی ذهنک عن التغیر و الزوال حتی تقرأه علی الناس.

و قال بعضهم فی معنی هذه الآیات إن النبی ص کان یحرک لسانه عند الوحی بما ألقی إلیه من القرآن مخافه أن ینساه فنهی عن ذلک بالآیات و أمر بالإنصات حتی یتم الوحی فضمیر« لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ »للقرآن أو الوحی باعتبار ما قرأ علیه منه لا باعتبار ما لم یقرأ بعد.

و فیه أنه لا یلائم سیاق الآیات،تلک الملاءمه نظرا إلی ما فیها من النهی عن العجل و الأمر باتباع قرآنه تعالی بعد ما قرأ،و کذا قوله،« إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ »فذلک کله أظهر فیما تقدم منها فی هذا المعنی.

و عن بعضهم فی معنی هذه الآیات،الذی اختاره أنه لم یرد القرآن،و إنما أراد قراءه العباد لکتبهم یوم القیامه یدل علی ذلک ما قبله و ما بعده،و لیس فیه شیء یدل علی أنه القرآن و لا شیء من أحکام الدنیا.

و فی ذلک تقریع و توبیخ له حین لا تنفعه العجله یقول:لا تحرک لسانک بما تقرأه من صحیفتک التی فیها أعمالک یعنی اقرأ کتابک و لا تعجل فإن هذا الذی هو علی نفسه بصیره إذا رأی سیئاته ضجر و استعجل فیقال له توبیخا:لا تعجل و تثبت لتعلم الحجه علیک

فإنا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتبعه فيه فإنه لا يمكنك إنكاره ثم إن علينا بيانه لو أنكرت.انتهى.

و يدفعه أن المعترضه لا تحتاج فى تمام معناها إلى دلاله مما قبلها و ما بعدها عليه على أن مشاكله قوله:« وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ »فى سياقه لهذه الآيات تؤيد مشاكلتها له فى المعنى.

و عن بعضهم أن الآيات الأربع متصله بما تقدم من حديث يوم القيامه،و خطاب« لاٰ تُحَرِّكْ »للنبى ص،و ضمير« بِهِ »ليوم القيامه،و المعنى لا تتفوه بالسؤال عن وقت القيامه أصلا و لو كنت غير مكذب و لا مستهزئ« لِتَعْجَلَ بِهِ »أى بالعلم به« إِنَّ عَلَيْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ »أى من الواجب فى الحكمه أن نجمع من نجمعه فيه و نوحى شرح وصفه إليك فى القرآن« فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »أى إذا قرأنا ما يتعلق به فاتبع ذلك بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له« ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ »أى إظهار ذلك بالنفخ فى الصور انتهى ملخصا و هو كما ترى.

و قد تقدم فى تفسير قوله:« وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ »إن هذا النهى عن العجل بالقرآن يؤيد ما ورد فى الروايات أن للقرآن نزولا على النبى ص دفعه غير نزوله تدريجا.

قوله تعالى:« كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ »خطاب للناس و ليس من تعميم الخطاب السابق فى شىء لأن خطاب« لاٰ تُحَرِّكْ »اعتراضى غير مرتبط بشىء من طرفيه.

و قوله:« كَلاّٰ »ردع عن قوله السابق:« يَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ »و قوله:

« بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ »-أى الحياه العاجله و هى الحياه الدنيا-« وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ »أى تتركون الحياه الآخره،و ما فى الكلام من الإضراب إضراب عن حسبان عدم الإحياء بعد الموت نظير الإضراب فى قوله:« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ ».

قوله تعالى:« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ »وصف ليوم القيامه بانقسام الوجوه فيه إلى قسمين:ناضره و باسره،و نضره الوجه و اللون و الشجر و نحوها و نضارتها حسنها و بهجتها.

و المعنى:نظرا إلى ما يقابله من قوله:« وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ »إلخ وجوه يوم إذ تقوم القيامه حسنه متهلله ظاهره المسره و البشاشه قال تعالى: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

النَّعِيمِ» :المطففين:۲۴،و قال: «وَ لَقّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» :الدهر:۱۱.

و قوله:« إِلىٰ رَبِّها نٰاظِرَةٌ »خبر بعد خبر لوجوه،و« إِلىٰ رَبِّها »متعلق بناظره قدم عليها لإفاده الحصر أو الأهميه.

و المراد بـالنظر إليه تعـالى ليس هو النظر الحسـى المتعلق بالعين الجسـمانيه الماديه التى قامت البراهين القاطعه على اسـتحالته فى حقه تعـالى بـل المراد النظر القلبى و رؤيه القلب بحقيقه الإيمان على ما يسوق إليه البرهان و يـدل عليه الأخبار المأثوره عن أهل العصمه(ع) و قد أوردنا شطرا منها فى ذيل تفسير قوله تعالى: «قٰالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَيْكَ» :الأعراف:

۱۴۳،و قوله تعالى: «مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ» :النجم:۱۱.

فهؤلاء قلوبهم متوجهه إلى ربهم لا يشـغلهم عنه سبحانه شاغل من الأسـباب لتقطع الأسـباب يومئـذ،و لا يقفون موقفا من مواقف اليوم و لا يقطعون مرحله من مراحله إلا و الرحمه الإلهيه شامله لهم «وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» :النمل:۸۹ و لا يشهدون مشهدا من مشاهـد الجنه و لاـ يتنعمون بشـىء من نعيمها إلا و هم يشاهـدون ربهم به لأنهم لا ينظرون إلى شـىء و لا يرون شـيئا إلا من حيث إنه آيه لله سبحانه و النظر إلى الآيه من حيث إنها آيه و رؤيتها نظر إلى ذى الآيه و رؤيه له.

و من هنا يظهر الجواب عما أورد على القول بأن تقديم« إِلىٰ رَبِّها »على« نٰاظِرَةٌ »يفيد الحصر و الاختصاص،إن من الضرورى أنهم ينظرون إلى غيره تعالى كنعم الجنه.

و الجواب أ لمـا لم يحجبوا عن ربهم كـان نظرهم إلى كـل مـا ينظرون إليه إنمـا هو بمـا أنه آيه،و الآيه بما أنها آيه لا تحجب ذا الآيه و لا تحول بينه و بين الناظر إليه فالنظر إلى الآيه نظر إلى ذى الآيه فهؤلاء لا ينظرون فى الحقيقه إلا إلى ربهم.

و أما ما أجيب به عنه أن تقـديم« إِلىٰ رَبِّها »لرعايه الفواصل و لو سـلم أنه للاختصاص فالنظر إلى غيره فى جنب النظر إليه لا يعد نظرا،و لو سلم فالنظر إليه تعالى فى بعض الأحوال لا فى جميعها.

فلا يخلو من تكلف التقييـد من غير مقيـد على أنه أسـند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون أو الأبصار و وجوه أهل الجنه إلى ربهم دائما من غير أن يواجهوا بها غيره.

قوله تعالى:« وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ »فسر البسور بشده

العبوس و الظن بـالعلم و« فَاقِرَةٌ »صـفه محـذوفه الموصوف أى فعله فاقره،و الفاقره من فقره إذا أصاب فقار ظهره،و قيل:من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار.

و المعنى:و وجوه يومئذ شديده العبوس تعلم أنه يفعل بها فعله تقصم ظهورها أو تسم أنوفها بالنار،و احتمل أن يكون تظن خطابا للنبى ص بما أنه سامع و الظن بمعناه المعروف.

قوله تعالى:« كَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ التَّرٰاقِيَ »ردع عن حبهم العاجله و إيثارها على الآخره كأنه قيل:ارتدعوا عن ذلك فليس يدوم عليكم و سينزل عليكم الموت فتساقون إلى ربكم و فاعل« بَلَغَتِ »محذوف يدل عليه السياق كما فى قوله تعالى: «فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ» الواقعه:٨٣و التقدير إذا بلغت النفس التراقى.

و التراقى العظام المكتنفه للنحر عن يمين و شمال جمع ترقوه،و المعنى ظاهر.

قـوله تعـالى:« وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ »اسـم فاعـل مـن الرقى أى قـال مـن حضـره مـن أهله و أصـدقائه من يرقيه و يشـفيه؟كلمه يـأس،و قيل:المعنى قال بعض الملائكه لبعض:من يرقى بروحه من الملائكه أ ملائكه الرحمه أم ملائكه العـذاب.؟ قوله تعالى:« وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ »أى و علم الإنسان المحتضر من مشاهده هذه الأحوال أنه مفارقته للعاجله التى كان يحبها و يؤثرها على الآخره.

قوله تعالى:« وَ الْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ »ظاهره أن المراد به التفاف ساق المحتضـر بساقه ببطلان الحياه الساريه فى أطراف البدن عند بلوغ الروح التراقى.

و قيل:المراد به التفاف شـده أمر الآخره بأمر الـدنيا،و قيل:التفاف حال الموت بحال الحياه، و قيل:التفاف ساق الـدنيا و هى شـده كرب الموت بساق الآخره و هى شده هول المطلع.

و لا دليل من جهه اللفظ على شـىء من هذه المعانى نعم من الممكن أن يقال:إن المراد بالتفاف الساق بالساق غشـيان الشدائد و تعاقبها عليه واحده بعد أخرى من حينه ذلك إلى يوم القيامه فينطبق على كل من المعانى.

قوله تعـالى:« إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ » المساق مصـدر ميمى بمعنى السوق،و المراد بكون السوق يومئـذ إليه تعالى أنه الرجوع إليه،و عبر بالمساق للإشاره إلى أن لا خيره للإنسان فى هذا المسـير و لا مناص له عنه فهو مسوق مسـير من يوم موته و هو قوله،« إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ »حتى يرد على ربه يوم القيامه و هو قوله:« إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ »

و لو کان تقدیم« إِلیٰ رَبِّکَ »لإفاده الحصر أفاد انحصار الغایه فی الرجوع إلیه تعالی.

و قیل:الکلام علی تقدیر مضاف و تقدیم« إِلیٰ رَبِّکَ »لإفاده الحصر و التقدیر إلی حکم ربک یومئذ المساق أی یساق لیحکم الله و یقضی فیه بحکمه،أو التقدیر إلی موعد ربک و هو الجنه و النار،و قیل:المراد برجوع المساق إلیه تعالی أنه تعالی هو السائق لا غیر،و الوجه ما تقدم.

قوله تعالی:« فَلاٰ صَدَّقَ وَ لاٰ صَلّٰی وَ لٰکِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی ثُمَّ ذَهَبَ إِلیٰ أَهْلِهِ یَتَمَطّٰی » الضمائر راجعه إلی الإنسان المذکور فی قوله:« أَ یَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ »إلخ،و المراد بالتصدیق المنفی تصدیق الدعوه الحقه التی یتضمنها القرآن الکریم،و بالتصلیه المنفیه التوجه العبادی إلیه تعالی بالصلاه التی هی عمود الدین.

و التمطی -علی ما فی المجمع،-تمدد البدن من الکسل و أصله أن یلوی مطاه أی ظهره،و المراد بتمطیه فی ذهابه التبختر و الاختیال استعاره.

و المعنی:فلم یصدق هذا الإنسان الدعوه فیما فیها من الاعتقاد و لم یصل لربه أی لم یتبعها فیما فیها من الفروع و رکنها الصلاه و لکن کذب بها و تولی عنها ثم ذهب إلی أهله یتبختر و یختال مستکبرا.

قوله تعالی:« أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ ثُمَّ أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ »لا ریب أنه کلمه تهدید کررت لتأکید التهدید،و لا یبعد-و الله أعلم-أن یکون قوله:« أَوْلیٰ لَکَ »خبرا لمبتدإ محذوف هو ضمیر عائد إلی ما ذکر من حال هذا الإنسان و هو أنه لم یصدق و لم یصل و لکن کذب و تولی ثم ذهب إلی أهله متبخترا مختالا،و إثبات ما هو فیه من الحال له کنایه عن إثبات ما هو لازمه من التبعه و العقاب.

فیکون الکلام و هی کلمه ملقاه من الله تعالی إلی هذا الإنسان کلمه طبع طبع الله بها علی قلبه حرم بها الإیمان و التقوی و کتب علیه أنه من أصحاب النار،و الآیتان تشبهان بوجه قوله تعالی: «فَإِذٰا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْکَمَهٌ وَ ذُکِرَ فِیهَا الْقِتٰالُ رَأَیْتَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ نَظَرَ الْمَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلیٰ لَهُمْ» :سوره محمد ۲۰.

و المعنی:ما أنت علیه من الحال أولی و أرجح لک فأولی ثم أولی لک فأولی لتذوق وبال أمرک و یأخذک ما أعد لک من العذاب.

و قیل:أولی لک اسم فعل مبنی و معناه ولیک شر بعد شر.

و قیل:أولی فعل ماض دعائی من الولی بمعنی القرب و فاعل الفعل ضمیر مستتر عائد إلی الهلاک و اللام مزیده و المعنی أولاک الهلاک.

و قيل:الفاعل ضمير مستتر راجع إليه تعالى و اللام مزيده،و المعنى أولاك الله ما تكرهه،أو غير مزيده و المعنى أدناك الله مما تكرهه.

و قيل:معناه الذم أولى لك من تركه إلا أنه حذف و كثر فى الكلام حتى صار بمنزله الويل لك و صار من المحذوف الذى لا يجوز إظهاره.

و قيل:المعنى أهلكك الله هلاكا أقرب لك من كل شر و هلاك.

و قيل:أولى أفعل تفضيل بمعنى الأحرى،و خبر لمبتدإ محذوف يقدر كما يليق بمقامه فالتقدير هنا النار أولى لك أى أنت أحق بها و أهل لها فأولى.

و هى وجوه ضعيفه لا تخلو من تكلف و الوجه الأخير قريب مما قدمنا و ليس به.

قوله تعالى:« أَ يَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً »مختتم فيه رجوع إلى ما فى مفتتح السوره من قوله:« أَ يَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ ».

و الاستفهام للتوبيخ،و السدى المهمل،و المعنى أ يظن الإنسان أن يترك مهملا لا يعتنى به فلا يبعث بإحيائه بعد الموت و لازمه أن لا يكلف و لا يجزى.

قوله تعالى:« أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ »اسم كان ضمير راجع إلى الإنسان،و إمناء المنى صبه فى الرحم.

قوله تعالى:« ثُمَّ كٰانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى »أى ثم كان الإنسان-أو المنى-قطعه من دم منعقد فقدره فصوره بالتعديل و التكميل.

قوله تعالى:« فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ »أى فجعل من الإنسان الصنفين:

الذكر و الأنثى.

قوله تعالى:« أَ لَيْسَ ذٰلِكَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ »احتجاج على البعث الذى ينكرونه استبعادا له بعموم القدره و ثبوتها على الخلق الابتدائى و الإعاده لا تزيد على الابتداء مئونه بل هى أهون،و قد تقدم الكلام فى تقريب هذه الحجه فى تفسير الآيات المتعرضه لها مرارا.

بحث روائى

فى الدر المنثور،أخرج الطيالسى و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف و الطبرانى و ابن مردويه و أبو نعيم و البيهقى معا فى الدلائل عن ابن عباس قال*: كان رسول الله ص يعالج

من التنزيل شده،و کان يحرک به لسانه و شفتيه مخافه أن ينفلت منه-يريد أن يحفظه فأنزل الله« لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ- إِنَّ عَلَيْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ »قال:إن علينا أن نجمعه فی صدرک ثم نقرأه« فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ »يقول:إذا أنزلناه عليک« فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » فاستمع له و أنصت« ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ » بينه بلسانک،و فی لفظ علينا أن نقرأه-فکان رسول الله ص بعد ذلک إذا أتاه جبريل أطرق-و فی لفظ استمع- فإذا ذهب قرأ کما وعده الله.

و فيه،أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عباس قال":کان النبی ص إذا أنزل عليه القرآن-تعجل بقراءته ليحفظه-فنزلت هذه الآيه« لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ ».

و کان رسول الله ص لا يعلم ختم سوره-حتی ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم.

أقول:و روی ما فی معنی صدر الحديث فی المجمع،عن ابن جبير و فی معناه غير واحد من الروايات،و قد تقدم أن فی انطباق هذا المعنی علی الآيات خفاء.

و فی تفسير القمی،":قوله تعالی:« کَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ »قال:الدنيا الحاضره- « وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ »قال:تدعون« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ »أی مشرقه« إِلیٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ » قال:ينظرون إلی وجه الله أی رحمه الله و نعمته.

و فی العيون،فی باب ما جاء عن الرضا(ع)من أخبار التوحيد بإسناده إلی إبراهيم بن أبی محمود قال:قال علی بن موسی الرضا(ع): فی قوله تعالی:« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ إِلیٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ »يعنی مشرقه تنتظر ثواب ربها.

أقول:و رواه فی التوحيد،و الاحتجاج،و المجمع،عن علی(ع)

، و قد اعترض علی أخذ ناظره بمعنی منتظره بأن الانتظار لا يتعدی بإلی بل هو متعد بنفسه،و رد عليه فی مجمع البيان بالاستشهاد بقول جميل بن معمر:

و إذا نظرت إليک من ملک

و البحر دونک جدتنی نعما

و قول الآخر:

إنی إليک لما وعدت لناظر

نظر الفقير إلی الغنی الموسر

و عد فی الکشاف إطلاق النظر فی الآيه بمعنی الانتظار استعمالا کنائيا و هو معنی حسن.

و فی الـدر المنثور،أخرج ابن أبی شـیبه و عبـد بن حمید و الترمذی و ابن جریر و ابن المنذر و الآجری فی الشـریعه و الدارقطنی فی الرؤیه و الحاکم و ابن مردویه و اللالکائی فی السنه و البیهقی عن ابن عمر قال*:قال رسول الله ص: إن أدنی أهل الجنه منزلا لمن ینظر إلی جنانه-و أزواجه و نعیمه و خدمه و سرره مسیره ألف سنه-و أکرمهم علی الله من ینظر إلی وجهه غدوه و عشیه.

ثم قرأ رسول الله ص:« وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نٰاضِرَهٌ »قال:البیاض و الصفاء« إِلیٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَهٌ »قال:ینظر کل یوم فی وجهه.

أقول:الروایه تقبـل الانطباق علی المعنی الـذی أوردناه فی تفسـیر الآیه،و مع الغض عنه تقبل الحمل علی رحمته و فضـله و کرمه تعالی و سائر صـفاته الفعلیه فإن وجه الشـیء ما یسـتقبل به الشیء غیره و ما یستقبل به الله سبحانه خلقه هو صفاته الکریمه فالنظر إلی رحمه الله و فضله و کرمه و صفاته الکریمه نظر إلی وجه الله الکریم.

و فیه،أخرج ابن مردویه عن أنس بن مالک قال*:قال رسول الله ص: فی قول الله.

« وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نٰاضِرَهٌ إِلیٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَهٌ »قال:ینظرون إلی ربهم بلا کیفیه و لا حد محدود و لا صفه معلومه.

أقول:و الروایه تؤید ما قدمنا فی تفسیر الآیه أن المراد به النظر القلبی و رؤیه القلب دون العین الحسیه،و هی تفسر ما ورد فی عده روایات من طرق أهل السنه مما ظاهره التشبیه و أن الرؤیه بالعین الحسیه التی لا تفارق المحدودیه.

و فی تفسـیر القمی،":فی قوله تعـالی:« کَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ التَّرٰاقِیَ »قـال:یعنی النفس إذا بلغت الترقوه« وَ قِیـلَ مَنْ رٰاقٍ »قال:یقال له:من یرقیک« وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ »علم أنه الفراق

و فی الکـافی،بإسـناده إلی جـابر عن أبی جعفر(ع)قال*: سألته عن قول الله عز و جل- « وَ قِیلَ مَنْ رٰاقٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ »قال:فإن ذلک ابن آدم إذا حل به الموت-قال:هل من طبیب« وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ »أیقن بمفارقه الأحبه« وَ الْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ »قال:

التفت الدنیا بالآخره« إِلیٰ رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ »قال:المسیر إلی رب العالمین.

و فی تفسیر القمی،":« وَ الْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ »قال:التفت الدنیا بالآخره« إِلیٰ رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ »قال:یساقون إلی الله.

و فی العیون،بإسناده عن عبد العظیم الحسنی قال، *سألت محمد بن علی الرضا(ع) عن قول الله عز و جل،« أَوْلىٰ لَکَ فَأَوْلىٰ ثُمَّ أَوْلىٰ لَکَ فَأَوْلىٰ » قال:یقول الله عز و جل بعدا لک من خیر الدنیا-و بعدا لک من خیر الآخره.

أقول:یمکن إرجاعه إلی ما قدمناه من معنی الآیتین،و کذا إلی بعض ما قیل فیه.

و فی المجمع،و جاءت الروایه: أن رسول الله ص أخذ بید أبی جهل ثم قال له:أولی لک فأولی ثم أولی لک فأولی.فقال أبو جهل:بأی شیء تهددنی-لا تستطیع أنت و ربک أن تفعلا بی شیئا،و إنی لأعز أهل هذا الوادی،فأنزل الله سبحانه کما قال له رسول الله ص.

أقول:و روی ما فی معناه فی الدر المنثور،عن عده عن قتاده قال*:ذکر لنا و ساق الحدیث .

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« أَ یَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَنْ یُتْرَکَ سُدیً »قال:لا یحاسب و لا یعذب و لا یسأل عن شیء.

و فی العلل،بإسناده إلی مسعده بن زیاد قال*:قال رجل لجعفر بن محمد(ع)، یا أبا عبد الله-إنا خلقنا للعجب قال:و ما ذلک لله أنت؟قال:خلقنا للفناء فقال یا ابن أخ خلقنا للبقاء،و کیف یفنی جنه لا تبید و نار لا تخمد؟و لکن قل:إنما نتحول من دار إلی دار.

و فی المجمع،و جاء فی الحدیث عن البراء عن عازب قال*: لما نزلت هذه الآیه« أَ لَیْسَ ذٰلِکَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتىٰ »قال رسول الله ص:سبحانک اللهم و بلی: و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

أقول:و روی فی الدر المنثور،عن أبی هریره و غیره: أنه(ص)إذا قرأ الآیه قال*:

سبحانک اللهم و بلی ،و کذا

فی العیون،عن الرضا(ع): أنه کان إذا قرأ السوره- قال عند الفراغ سبحانک اللهم بلی.

(۷۶) سوره الدهر مدنیه و هی إحدی و ثلاثون آیه(۳۱)

[سوره الإنسان (۷۶): الآیات ۱ الی ۲۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

هَلْ أَتیٰ عَلَی اَلْإِنْسٰانِ حِینٌ مِنَ اَلدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً (۱) إِنّٰا خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِیعاً بَصِیراً (۲)
إِنّٰا هَدَیْنٰاهُ اَلسَّبِیلَ إِمّٰا شٰاکِراً وَ إِمّٰا کَفُوراً (۳) إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْکٰافِرِینَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِیراً (۴) إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کٰانَ
مِزٰاجُهٰا کٰافُوراً (۵) عَیْناً یَشْرَبُ بِهٰا عِبٰادُ اَللّٰهِ یُفَجِّرُونَهٰا تَفْجِیراً (۶) یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ یَخٰافُونَ یَوْماً کٰانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً (۷) وَ یُطْعِمُونَ
اَلطَّعٰامَ عَلیٰ حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً (۸) إِنَّمٰا نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اَللّٰهِ لاٰ نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُکُوراً (۹) إِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا یَوْماً
عَبُوساً قَمْطَرِیراً (۱۰) فَوَقٰاهُمُ اَللّٰهُ شَرَّ ذٰلِکَ اَلْیَوْمِ وَ لَقّٰاهُمْ نَضْرَهً وَ سُرُوراً (۱۱) وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِیراً (۱۲) مُتَّکِئِینَ فِیهٰا
عَلَی اَلْأَرٰائِکِ لاٰ یَرَوْنَ فِیهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِیراً (۱۳) وَ دٰانِیَهً عَلَیْهِمْ ظِلاٰلُهٰا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهٰا تَذْلِیلاً (۱۴) وَ یُطٰافُ عَلَیْهِمْ بِآنِیَهٍ مِنْ
فِضَّهٍ وَ أَکْوٰابٍ کٰانَتْ قَوٰارِیرَا (۱۵) قَوٰارِیرَا مِنْ فِضَّهٍ قَدَّرُوهٰا تَقْدِیراً (۱۶) وَ یُسْقَوْنَ فِیهٰا کَأْساً کٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِیلاً (۱۷) عَیْناً فِیهٰا
تُسَمّٰی سَلْسَبِیلاً (۱۸) وَ یَطُوفُ عَلَیْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ إِذٰا رَأَیْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (۱۹) وَ إِذٰا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیْتَ نَعِیماً وَ مُلْکاً
کَبِیراً (۲۰) عٰالِیَهُمْ ثِیٰابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّهٍ وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً (۲۱) إِنَّ هٰذٰا کٰانَ لَکُمْ جَزٰاءً
وَ کٰانَ سَعْیُکُمْ مَشْکُوراً (۲۲)

ص: ۱۱۹

بیان

تذکر السوره خلق الإنسان بعد ما لم یکن شیئا مذکورا ثم هدایته السبیل إما شاکرا و إما کفورا و أن الله اعتد للکافرین أنواع العذاب و للأبرار ألوان النعم-و قد فصل القول فی وصف نعیمهم فی ثمان عشره آیه و هو الدلیل علی أنه المقصود بالبیان-.

ثم تذکر مخاطبا للنبی ص أن القرآن تنزیل منه تعالی علیه و تذکره فلیصبر لحکم ربه و لا یتبع الناس فی أهوائهم و لیذکر اسم ربه بکره و عشیا و لیسجد له من اللیل و لیسبحه لیلا طویلا.

و السوره مدنیه بتمامها أو صدرها-و هی اثنتان و عشرون آیه من أولها-مدنی، و ذیلها-و هی تسع آیات من آخرها-مکی و قد أطبقت روایات أهل البیت(ع) علی کونها مدنیه،و استفاضت بذلک روایات أهل السنه.

و قیل بکونها مکیه بتمامها،و سیوافیک تفصیل القول فی ذلک فی البحث الروائی التالی إن شاء الله تعالی.

قوله تعالی.« هَلْ أَتیٰ عَلَی الْإِنْسٰانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً »الاستفهام للتقریر فیفید ثبوت معنی الجمله و تحققه أی قد أتی علی الإنسان«إلخ»و لعل هذا مراد من قال من قدماء المفسرین:إن« هَلْ »فی الآیه بمعنی قد،لا علی أن ذلک أحد معانی«هل» کما ذکره بعضهم.

و المراد بالإنسان الجنس.و أما قول بعضهم:إن المراد به آدم(ع)فلا یلائمه قوله فی الآیه التالیه:« إِنّٰا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ ».

و الحین قطعه من الزمان محدوده قصیره کانت أو طویله،و الدهر الزمان الممتد من دون تحدید ببدایه أو نهایه.

و قوله:« شَیْئاً مَذْکُوراً »أی شیئا یذکر باسمه فی المذکورات أی کان یذکر مثلا الأرض و السماء و البر و البحر و غیر ذلک و لا یذکر الإنسان لأنه لم یوجد بعد حتی وجد

فقيل:الإنسان فكونه مذكورا كنايه عن كونه موجودا بالفعل فالنفى فى قوله:« لَمْ يَكَنْ شَيْئاً مَذْكُوراً »متوجه إلى كونه شيئا مذكورا لا إلى أصل كونه شيئا فقد كان شيئا و لم يكن شيئا مذكورا و يؤيده قوله:« إِنّٰا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ »إلخ فقد كان موجودا بمادته و لم يتكون بعد إنسانا بالفعل و الآيه و ما يتلوها من الآيات واقعه فى سياق الاحتجاج يبين بها أن الإنسان حادث يحتاج فى وجوده إلى صانع يصنعه و خالق يخلقه،و قد خلقه ربه و جهزه التدبير الربوبى بأدوات الشعور من السمع و البصر يهتدى بها إلى السبيل الحق الذى من الواجب أن يسلكه مدى حياته فإن كفر فمصيره إلى عذاب أليم و إن شكر فإلى نعيم مقيم.

و المعنى هل أتى-قد أتى-على الإنسان قطعه محدوده من هذا الزمان الممتد-غير المحدود و الحال أنه لم يكن موجودا بالفعل مذكورا فى عداد المذكورات.

قوله تعالى:« إِنّٰا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً » النطفه فى الأصل بمعنى الماء القليل غلب استعماله فى ماء الذكور من الحيوان الذى يتكون منه مثله،و أمشاج جمع مشيج أو المشج بفتحتين أو بفتح فكسر بمعنى المختلط الممتزج، و وصفت بها النطفه باعتبار أجزائها المختلفه أو اختلاط ماء الذكور و الإناث.

و الابتلاء نقل الشىء من حال إلى حال و من طور إلى طور كابتلاء الذهب فى البوتقه، و ابتلاؤه تعالى الإنسان فى خلقه من النطفه هو ما ذكره فى مواضع من كلامه أنه يخلق النطفه فيجعلها علقه و العلقه مضغه إلى آخر الأطوار التى تتعاقبها حتى ينشئه خلقا آخر.

و قيل:المراد بابتلائه امتحانه بالتكليف،و يدفعه تفريع قوله:« فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً »على الابتلاء و لو كان المراد به التكليف كان من الواجب تفريعه على جعله سميعا بصيرا لا بالعكس،و الجواب عنه بأن فى الكلام تقديما و تأخيرا و التقدير إنا خلقناه من نطفه أمشاج فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه،لا يصغى إليه.

و قوله:« فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً »سياق الآيات و خاصه قوله:« إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ »إلخ يفيد أن ذكر جعله سميعا بصيرا للتوسل به فى التدبير الربوبى إلى غايته و هى أن يرى آيات الله الداله على المبدإ و المعاد و يسمع كلمه الحق التى تأتيه من جانب ربه بإرسال الرسل و إنزال الكتب فيدعوه البصر و السمع إلى سلوك سبيل الحق و السير فى مسير الحياه بالإيمان و العمل الصالح فإن لزم السبيل الذى هدى إليه أداه إلى نعيم الأبد و إلا فإلى عذاب مخلد.

ص :121

و ذکر الإنسان فی الآیه من وضع الظاهر موضع الضمیر و النکته فیه تسجیل أنه تعالی هو خالقه و مدبر أمره.

و المعنی:إنا خلقنا الإنسان من نطفه هی أجزاء مختلطه ممتزجه و الحال أنا ننقله من حال إلی حال و من طور إلی طور فجعلناه سمیعا بصیرا لیسمع ما یأتیه من الدعوه الإلهیه، و یبصر الآیات الإلهیه الداله علی وحدانیته تعالی و النبوه و المعاد.

قوله تعالی:« إِنّا هَدَیْناهُ السَّبِیلَ إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً » الهدایه بمعنی إراءه الطریق دون الإیصال إلی المطلوب و المراد بالسبیل السبیل بحقیقه معنی الکلمه و هو المؤدی إلی الغایه المطلوبه و هو سبیل الحق.

و الشکر استعمال النعمه بإظهار کونها من منعمها و قد تقدم فی تفسیر قوله تعالی:

«وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ» :آل عمران:۱۴۴ إن حقیقه کون العبد شاکرا لله کونه مخلصا لربه،و الکفران استعمالها مع ستر کونها من المنعم.

و قوله:« إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً »حالان من ضمیر« هَدَیْناهُ »لا من« اَلسَّبِیلَ »کما قاله بعضهم،و« إِمّا »یفید التقسیم و التنویع أی إنا هدیناه السبیل حال کونه منقسما إلی الشاکر و الکفور أی أنه مهدی سواء کان کذا أو کذلک.

و التعبیر بقوله:« إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً »هو الدلیل أولا:علی أن المراد بالسبیل السنه و الطریقه التی یجب علی الإنسان أن یسلکها فی حیاته الدنیا لتوصله إلی سعادته فی الدنیا و الآخره و تسوقه إلی کرامه القرب و الزلفی من ربه و محصله الدین الحق و هو عند الله الإسلام.

و به یظهر أن تفسیر بعضهم السبیل بسبیل الخروج من الرحم غیر سدید.

و ثانیا:أن السبیل المهدی إلیه سبیل اختیاری و أن الشکر و الکفر اللذین یترتبان علی الهدایه المذکوره واقعان فی مستقر الاختیار للإنسان أن یتلبس بأیهما شاء من غیر إکراه و إجبار کما قال تعالی: «ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ» :عبس:۲۰،و ما فی آخر السوره من قوله تعالی:« فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلی رَبِّهِ سَبِیلاً وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ یَشاءَ اللّهُ »إنما یفید تعلق مشیته تعالی بمشیه العبد لا بفعل العبد الذی تعلقت به مشیه العبد حتی یفید نفی تأثیر مشیه العبد المتعلقه بفعله،و قد تقدمت الإشاره إلی هذا المعنی فی هذا الکتاب مرارا.

ص: ۱۲۲

و الهـدایه التی هی نوع إیـذان و إعلام منه تعالی للإنسان هـدایه فطریه هی تنبیه بسـبب نوع خلقته و ما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه علی حق الاعتقاد و صالح العمل قال تعالی: «وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا» :الشمس:٨ و أوسع مدلولا منه قوله تعالی: «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا لاٰ تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ» :الروم:٣٠.

و هـدایه قولیه من طریق الـدعوه یبعث الأنبیـاء و إرسال الرسل و إنزال الکتب و تشـریع الشـرائع الإلهیه،و لم یزل التـدبیر الربوبی تدعم الحیاه الإنسانیه بالدعوه الدینیه القائم بها أنبیاؤه و رسـله،و یؤید بذلک دعوه الفطره کما قال: «إِنّٰا أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ کَمٰا أَوْحَیْنٰا إِلیٰ نُوحٍ وَ النَّبِیِّینَ مِنْ بَعْدِهِ X-إلی أن قال-X رُسُلاً مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ لِئَلاّٰ یَکُونَ لِلنّٰاسِ عَلَی اللّٰهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» :النساء:١۶۵.

و من الفرق بین الهدایتین أن الهدایه الفطریه عامه بالغه لا یسـتثنی منها إنسان لأنها لازم الخلقه الإنسانیه و هی فی الأفراد بالسویه غیر أنها ربما تضعف أو یلغو أثرها لعوامل و أسباب تشغل الإنسان و تصرفه عن التوجه إلی ما یدعو إلیه عقله و یهدیه إلیه فطرته أو ملکات و أحوال ردیئه سـیئه تمنعه عن إجابه نداء الفطره کالعناد و اللجاج و ما یشبه ذلک قال تعالی: «أَ فَرَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَ أَضَـلَّهُ اللّٰهُ عَلیٰ عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلیٰ سَـمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَـلَ عَلیٰ بَصَـرِهِ غِشٰاوَهً فَمَنْ یَهْـدِیهِ مِنْ بَعْـدِ اللّٰهِ» :الجـاثیه:٢٣،و الهدایه المنفیه فی الآیه بمعنی الإیصال إلی المطلوب دون إراءه الطریق بدلیل قوله:« وَ أَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلیٰ عِلْمٍ ».

و أمـا الهـدایه القولیه و هی التی تتضـمنها الـدعوه الـدینیه فـإن من شأنهـا أن تبلغ المجتمع فتکون فی معرض من عقول الجماعه فیرجع إلیهـا من آثر الحق علی الباطـل و أمـا بلوغها لکل واحـد واحـد منهم فإن العلل و الأسـباب التی یتوسل بها إلی بیان أمثال هـذه المقاصـد ربما لا تساعـد علی ذلک علی ما فی الظروف و الأزمنه و البیئات من الاختلاف و کیف یمکن لإنسان أن یـدعو کل إنسان إلی ما یرید بنفسه أو بوسائط من نوعه؟فمن المتعذر ذلک جدا.

و إلی المعنی الأول أشار تعالی بقوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِیهٰا نَـذِیرٌ» :فاطر:٢۴، و إلی الثانی بقوله: «لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أُنْذِرَ آبٰاؤُهُمْ فَهُمْ غٰافِلُونَ» :یس:۶.

فمن بلغته الـدعوه و انکشف له الحق فقـد تمت علیه الحجه و من لم تبلغه الـدعوه بلوغا ینکشف به له الحق فقـد أدرکه الفضـل الإلهی بعده مستضعفا أمره إلی الله إن یشأ یغفر

له و إن يشأ يعذبه قال تعالى: «إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجٰالِ وَ النِّسٰاءِ وَ الْوِلْدٰانِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً» :النساء:٩٨.

ثم من الدليل على أن الدعوه الإلهيه و هى الهدايه إلى السبيل حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطره الإنسان و خلقته المجهزه بما يهدى إليها من الاعتقاد و العمل،و وقوع الدعوه خارجا من طريق النبوه و الرساله فإن سعاده كل موجود و كماله فى الآثار و الأعمال التى تناسب ذاته و تلائمها بما جهزت به من القوى و الأدوات فسعاده الإنسان و كماله فى اتباع الدين الإلهى الذى هو سنه الحياه الفطريه و قد حكم به العقل و جاءت به الأنبياء و الرسل عليهم السلام.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً » الاعتاد التهيئه، و سلاسل جمع سلسله و هى القيد الذى يقاد به المجرم،و أغلال جمع غل بالضم قيل هى القيد الذى يجمع اليدين على العنق،و قال الراغب:فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه.انتهى.و السعير النار المشتعله،و المعنى ظاهر.

و الآيه تشير إلى تبعه الإنسان الكفور المذكور فى قوله:« إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً » و قدم بيان تبعته على بيان جزاء الإنسان الشاكر لاختصار الكلام فيه.

قوله تعالى:« إِنَّ الْأَبْرٰارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كٰانَ مِزٰاجُهٰا كٰافُوراً » الكأس إناء الشراب إذا كان فيه شراب،و المزاج ما يمزج به كالحزام لما يحزم به،و الكافور معروف يضرب به المثل فى البروده و طيب الرائحه،و قيل:هو اسم عين فى الجنه.

و الأبرار جمع بر بفتح الباء صفه مشبهه من البر و هو الإحسان و يتحصل معناه فى أن يحسن الإنسان فى عمله من غير أن يريد به نفعا يرجع إليه من جزاء أو شكور فهو يريد الخير لأنه خير لا لأن فيه نفعا يرجع إلى نفسه و إن كرهت نفسه ذلك فيصبر على مر مخالفه نفسه فيما يريده و يعمل العمل لأنه خير فى نفسه كالوفاء بالنذر أو لأن فيه خيرا لغيره كإطعام الطعام للمستحقين من عباد الله.

و إذ لا خير فى عمل و لا صلاح إلا بالإيمان بالله و رسوله و اليوم الآخر كما قال تعالى:

«أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ» :الأحزاب:١٩ إلى غير ذلك من الآيات.

فالأبرار مؤمنون بالله و رسوله و اليوم الآخر،و إذ كان إيمانهم إيمان رشد و بصيره فهم يرون أنفسهم عبيدا مملوكين لربهم،له خلقهم و أمرهم،لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا

علیهم أن لا یریدوا إلا ما أراده ربهم و لا یفعلوا إلا ما یرتضیه فقدموا إرادته علی إراده أنفسهم و عملوا له فصبروا علی مخالفه أنفسهم فیما تهواه و تحبه و کلفه الطاعه،و عملوا ما عملوه لوجه الله،فأخلصوا العبودیه فی مرحله العمل لله سبحانه.

و هذه الصفات هی التی عرف سبحانه الأبرار بها کما یستفاد من قوله:« یَشْرَبُ بِهٰا عِبٰادُ اللّٰهِ »و قوله:« إِنَّمٰا نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ »و قوله:« وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا »و هی المستفاده من قوله فی صفتهم: «لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ» Xالخ X:البقره:۱۷۷ و قد مر بعض الکلام فی معنی البر فی تفسیر الآیه و سیأتی بعضه فی قوله: «کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ» :المطففین:۱۸.

و الآیه أعنی قوله:« إِنَّ الْأَبْرٰارَ یَشْرَبُونَ »إلخ بما یتبادر من معناها من حیث مقابلتها لقوله:« إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْکٰافِرِینَ »إلخ المبین لحال الکافرین فی الآخره،تبین حال الأبرار فی الآخره فی الجنه،و أنهم یشربون من شراب ممزوج بالکافور باردا طیب الرائحه.

قوله تعالی.« عَیْناً یَشْرَبُ بِهٰا عِبٰادُ اللّٰهِ یُفَجِّرُونَهٰا تَفْجِیراً »« عَیْناً »منصوب بنزع الخافض و التقدیر من عین أو بالاختصاص و التقدیر أخص عینا،و الشرب-علی ما قیل -یتعدی بنفسه و بالباء فشرب بها و شربها واحد،و التعبیر عنهم بعباد الله للإشاره إلی تحلیهم بحلیه العبودیه و قیامهم بلوازمها علی ما یفیده سیاق المدح.

و تفجیر العین شق الأرض لإجرائها،و ینبغی أن یحمل تفجیرهم العین علی إرادتهم جریانها لأن نعم الجنه لا تحتاج فی تحققها و التنعم بها إلی أزید من مشیه أهلها قال تعالی:

«لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا» :ق:۳۵.

و الآیتان-کما تقدمت الإشاره إلیه-تصفان تنعم الأبرار بشراب الجنه فی الآخره، و بذلک فسرت الآیتان.

و لا یبعد أن تکون الآیتان مسوقتین علی مسلک تجسم الأعمال تصفان حقیقه عملهم الصالح من الإیفاء بالنذر و إطعام الطعام لوجه الله،و أن أعمالهم المذکوره بحسب باطنها شرب من کأس مزاجها کافور من عین لا یزالون یفجرونها بأعمالهم الصالحه و ستظهر لهم بحقیقتها فی جنه الخلد و إن کانت فی الدنیا فی صوره الأعمال فتکون الآیتان فی مجری أمثال قوله تعالی: «إِنّٰا جَعَلْنٰا فِی أَعْنٰاقِهِمْ أَغْلاٰلاً فَهِیَ إِلَی الْأَذْقٰانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ» :یس:۸.

ص :۱۲۵

و يؤيد ذلك ظاهر قوله« يَشْرَبُونَ »و« يَشْرَبُ بِهَا »و لم يقل:سيشربون و سيشرب بها،و وقوع قوله:يشربون و يوفون و يخافون و يطعمون متعاقبه فى سياق واحد، و ذكر التفجير فى قوله:« يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً »الظاهر فى استخراج العين و إجرائها بالتوسل بالأسباب.

و لهم فى مفردات الآيتين و إعرابها أقاويل كثيره مختلفه مذكوره فى المطولات فليراجعها من أراد الوقوف عليها.

قوله تعالى:« يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً » المستطير اسم فاعل من استطار إذا فشا و انتشر فى الأقطار غايه الانتشار و هو أبلغ من طار كما قيل:يقال:

استطار الحريق و استطار الفجر إذا اتسعا غايته،و المراد باستطاره شر اليوم و هو يوم القيامه بلوغ شدائده و أهواله و ما فيه من العذاب غايته.

و المراد بالإيفاء بالنذر ما هو ظاهره المعروف من معناه،و قول القائل:إن المراد به ما عقدوا عليه قلوبهم من العمل بالواجبات أو ما عقدوا عليه القلوب من اتباع الشارع فى جميع ما شرعه خلاف ظاهر اللفظ من غير دليل يدل عليه.

قوله تعالى:« وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً »ضمير« عَلى حُبِّهِ » للطعام على ما هو الظاهر،و المراد بحبه توقان النفس إليه لشده الحاجه،و يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ» :آل عمران:۹۲.

و قيل:الضمير لله سبحانه أى يطعمون الطعام حبا لله لا طمعا فى الثواب،و يدفعه أن قوله تعالى حكايه منهم:« إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ »يغنى عنه.

و يليه فى الضعف ما قيل:إن الضمير للإطعام المفهوم من قوله:« وَ يُطْعِمُونَ »وجه الضعف أنه إن أريد بحب الإطعام حقيقه معناه فليس فى حب الإطعام فى نفسه فضل حتى يمدحوا به،و إن أريد به كون الإطعام بطيب النفس و عدم التكلف فهو خلاف الظاهر،و رجوع الضمير إلى الطعام هو الظاهر.

و المراد بالمسكين و اليتيم معلوم،و المراد بالأسير ما هو الظاهر منه و هو المأخوذ من أهل دار الحرب.

و قول بعضهم:إن المراد به أسارى بدر أو الأسير من أهل القبله فى دار الحرب

بأيدى الكفار أو المحبوس أو المملوك من العبيد أو الزوجه كل ذلك تكلف من غير دليل يدل عليه.

و الذى يجب أن يتنبه له أن سياق هذه الآيات سياق الاقتصاص تذكر قوما من المؤمنين تسميهم الأبرار و تكشف عن بعض أعمالهم و هو الإيفاء بالنذر و إطعام مسكين و يتيم و أسير و تمدحهم و تعدهم الوعد الجميل.

فما تشير إليه من القصه سبب النزول،و ليس سياقها سياق فرض موضوع و ذكر آثارها الجميله،ثم الوعد الجميل عليها،ثم إن عد الأسير فيمن أطعمه هؤلاء الأبرار نعم الشاهد على كون الآيات مدنيه فإن الأسر إنما كان بعد هجره النبى ص و ظهور الإسلام على الكفر و الشرك لا قبلها.

قوله تعالى:« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لاَ شُكُوراً » وجه الشىء هو ما يستقبل به غيره، و وجهه تعالى صفاته الفعليه الكريمه التى يفيض بها الخير على خلقه من الخلق و التدبير و الرزق و بالجمله الرحمه العامه التى بها قيام كل شىء،و معنى كون العمل لوجه الله على هذا كون الغايه فى العمل هى الاستفاضه من رحمه الله و طلب مرضاته بالاقتصار على ذلك و الإعراض عما عند غيره من الجزاء المطلوب،و لذا ذيلوا قولهم:

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ »بقولهم« لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لاَ شُكُوراً ».

و وراء ذلك صفاته الذاتيه الكريمه التى هى المبدأ لصفاته الفعليه و لما يترتب عليها من الخير فى العالم،و مرجع كون العمل لوجه الله على هذا هو الإتيان بالعمل حبا لله لأنه الجميل على الإطلاق،و إن شئت فقل:عبادته تعالى لأنه أهل للعباده.

و ابتغاء وجه الله بجعله غايه داعيه فى الأعمال مذكور فى مواضع من كلامه تعالى كقوله: «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» :الكهف:

۲۸،و قوله: «وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» :البقره:۲۷۲،و فى هذا المعنى قوله:

«وَ مَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» :البينه:۵،و قوله: «فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» :المؤمن:۶۵،و قوله: «أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» :الزمر:۳.

و قوله:« لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لاَ شُكُوراً » الجزاء مقابله العمل بما يعادله إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا،و يعم الفعل و القول لكن المراد به فى الآيه بقرينه مقابلته الشكور مقابله إطعامهم عملا لا لسانا.

و الشكر و الشكور ذكر النعمه و إظهارها قلبا أو لسانا أو عملا،و المراد به فى الآيه و قد قوبل بالجزاء الثناء الجميل لسانا.

و الآيه أعنى قوله:« إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ »إلخ خطاب منهم لمن أطعموه من المسكين و اليتيم و الأسير إما بلسان المقال فهى حكايه قولهم أو بتقدير القول و كيف كان فقد أرادوا به تطييب قلوبهم أن يأمنوا المن و الأذى،و إما بلسان الحال و هو ثناء من الله عليهم لما يعلم من الإخلاص فى قلوبهم.

قوله تعالى:« إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً »عد اليوم و هو يوم القيامه عبوسا من الاستعاره،و المراد بعبوسه ظهوره على المجرمين بكمال شدته،و القمطرير الصعب الشديد على ما قيل.

و الآيه فى مقام التعليل لقولهم المحكى:« إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ »إلخ ينبهون بقولهم هذا أن قصرهم العمل فى ابتغاء وجه الله تعالى إخلاصا للعبوديه لمخافتهم ذاك اليوم الشديد، و لم يكتفوا بنسبه المخافه إلى اليوم حتى نسبوه نحوا من النسبه إلى ربهم فقالوا:« نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً »إلخ لأنهم لما لم يريدوا إلا وجه ربهم فهم لا يخافون غيره كما لا يرجون غيره و إنما يخافون و يرجون ربهم فلا يخافون يوم القيامه إلا لأنه من ربهم يحاسب فيه عباده على أعمالهم فيجزيهم بها.

و أما قوله قبلا:« وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً »حيث نسب خوفهم إلى اليوم فإن الواصف فيه هو الله سبحانه و قد نسب اليوم بشدائده إلى نفسه قبلا حيث قال:

« إِنّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ »إلخ.

و بالجمله ما ذكروه من الخوف مخافه فى مقام العمل لما يحاسب العبد على عمله فالعبوديه لازمه للإنسان لا تفارقه و إن بلغ ما بلغ قال تعالى: «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ» :الغاشيه:۲۶.

قوله تعالى:« فَوَقاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً » الوقايه الحفظ و المنع من الأذى و لقى بكذا يلقيه أى استقبله به و النضره البهجه و حسن اللون و السرور مقابل المساءه و الحزن.

و المعنى:فحفظهم الله و منع عنهم شر ذلك اليوم و استقبلهم بالنضره و السرور،فهم ناضره الوجوه مسرورون يومئذ كما قال: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ» :القيامه:۲۲.

قوله تعالى:« وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً »المراد بالصبر صبرهم عند المصيبه و على الطاعه و عن المعصيه فإنهم ابتغوا فى الدنيا وجه ربهم و قدموا إرادته على إرادتهم فصبروا على ما قضى به فيهم و أراده من المحن و مصائب الدنيا فى حقهم،و صبروا على امتثال ما أمرهم به و صبروا على ترک ما نهاهم عنه و إن كان مخالفا لأهواء أنفسهم فبدل الله ما لقوه من المشقه و الكلفه نعمه و راحه.

قوله تعالى:« مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِيراً » الأرائك جمع أريكه و هو ما يتكأ عليه،و الزمهرير البرد الشديد،و المعنى حال كونهم متكئين فى الجنه على الأرائک لا- يرون فيها شمسا حتى يتأذوا بحرها و لا زمهريرا حتى يتأذوا ببرده.

قوله تعالى:« وَ دٰانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاٰلُهٰا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهٰا تَذْلِيلاً » الظلال جمع ظل،و دنو الظلال عليهم قربها منهم بحيث تنبسط عليهم فكان الدنو مضمن معنى الانبساط و قطوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو الثمره المقطوفه المجتناه،و تذليل القطوف لهم جعلها مسخره لهم يقطفونها كيف شاءوا من غير مانع أو كلفه.

قوله تعالى:« وَ يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوٰابٍ كٰانَتْ قَوٰارِيرَا » الآنيه جمع إناء كأكسيه جمع كساء و هو الوعاء،و أكواب جمع كوب و هو إناء الشراب الذى لا عروه له و لا خرطوم و المراد طواف الولدان المخلدين عليهم بالآنيه و أكواب الشراب كما سيأتى فى قوله:« وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ »الآيه.

قوله تعالى:« قَوٰارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهٰا تَقْدِيراً »بدل من قوارير فى الآيه السابقه، و كون القوارير من فضه مبنى على التشبيه البليغ أى إنها فى صفاء الفضه و إن لم تكن منها حقيقه،كذا قيل.و احتمل أن يكون بحذف مضاف و التقدير من صفاء الفضه.

و ضمير الفاعل فى« قَدَّرُوهٰا »للأبرار و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب كونها على ما شاءوا من القدر ترويهم بحيث لا تزيد و لا تنقص كما قال تعالى: «لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا» :ق:۳۵ و قد قال تعالى قبل:« يُفَجِّرُونَهٰا تَفْجِيراً ».

و يحتمل رجوع الضمير إلى الطائفين المفهوم من قوله:« يُطٰافُ عَلَيْهِمْ »و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب إتيانهم بها على قدر ما أرادوا محتويه على ما اشتهوا قدر ما اشتهوا.

قوله تعالى:« وَ يُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلاً »قيل:إنهم كانوا يستطيبون الزنجبيل فى الشراب فوعد الأبرار بذلك و زنجبيل الجنه أطيب و ألذ.

قوله تعالى:« عَيْناً فِيهٰا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلاً »أى من عين أو التقدير أعنى أو أخص عينا.

قال الراغب:و قوله:« سَلْسَبِيلاً »أى سهلا لذيذا سلسا حديد الجريه.

قوله تعالى:« وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ إِذٰا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً »أى ولدان دائمون على ما هم عليه من الطراوه و البهاء و صباحه المنظر،و قيل:أى مقرطون بخلده و هى ضرب من القرط.

و المراد بحسبانهم لؤلؤا منثورا أنهم فى صفاء ألوانهم و إشراق وجوههم و انعكاس أشعه بعضهم على بعض و انبثاثهم فى مجالسهم كاللؤلؤ المنثور.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً »« ثَمَّ »ظرف مكان ممحض فى الظرفيه،و لذا قيل:إن معنى« رَأَيْتَ »الأول:رميت ببصرك،و المعنى و إذا رميت ببصرك ثم يعنى الجنه رأيت نعيما لا يوصف و ملكا كبيرا لا يقدر قدره.

و قيل:« ثَمَّ »صله محذوفه الموصول و التقدير و إذا رأيت ما ثم من النعيم و الملك،و هو كقوله: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» :الأنعام:۹۴ و الكوفيون من النحاه يجوزون حذف الموصول و إبقاء الصله و إن منعه البصريون منهم.

قوله تعالى:« عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ »إلخ الظاهر أن« عٰالِيَهُمْ »حال من الأبرار الراجعه إليه الضمائر و« ثِيٰابُ »فاعله،و السندس -كما قيل-ما رق نسجه من الحرير،و الخضر صفه ثياب و الإستبرق ما غلظ نسجه من ثياب الحرير،و هو معرب كالسندس.

و قوله:« وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّهٍ » التحليه التزيين،و أساور جمع سوار و هو معروف،و قال الراغب:هو معرب دستواره.

و قوله:« وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً »أى بالغا فى التطهير لا تدع قذاره إلا أزالها و من القذاره قذاره الغفله عن الله سبحانه و الاحتجاب عن التوجه إليه فهم غير محجوبين عن ربهم و لذا كان لهم أن يحمدوا ربهم كما قال: «وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ» يونس:۱۰ و قد تقدم فى تفسير سوره الحمد إن الحمد وصف لا يصلح له إلا المخلصون من عباد الله تعالى لقوله: «سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ» :الصافات:۱۶۰.

و قـد أسـقط تعالى فى قوله:« وَ سَـقٰاهُمْ رَبُّهُمْ »الوسائط كلها و نسب سـقيهم إلى نفسه، و هذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم فى الجنه،و لعله من المزيد المذكور فى قوله: «لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ» :ق:۳۵.

قوله تعالى:« إِنَّ هٰذٰا كٰانَ لَكُمْ جَزٰاءً وَ كٰانَ سَـعْيُكُمْ مَشْـكُوراً »حكايه ما يخاطبون به من عنده تعالى عند توفيته أجرهم أو بحذف القول و التقدير و يقال لهم:إن هذا كان لكم جزاء«إلخ».

و قوله:« وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً »إنشاء شكر لمساعيهم المرضيه و أعمالهم المقبوله، و يا لها من كلمه طيبه تطيب بها نفوسهم.

و اعلم أنه تعـالى لم يـذكر فيمـا ذكر من نعيم الجنه فى هـذه الآيـات نسـاء الجنه من الحـور العين و هى من أهم مـا يـذكره عند وصف نعم الجنه فى سائر كلامه و يمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هى من النساء.

و قال فى روح المعانى،:و من اللطائف على القول بنزول السوره فيهم يعنى فى أهل البيت إنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين و إنما صرح عز و جل بولدان مخلدين رعايه لحرمه البتول و قره عين الرسول،انتهى.

بحث روائى

فى إتقان السـيوطى،عن البيهقى فى دلائل النبوه بإسـناده عن عكرمه و الحسن بن أبى الحسن قالا":أنزل الله من القرآن بمكه اقرأ باسم ربك و ن و المزمل-إلى أن قالا- و ما نزل بالمـدينه ويل للمطففين،و البقره،و آل عمران،و الأنفال،و الأحزاب، و المائده،و الممتحنه،و النساء،و إذا زلزلت،و الحديد،و محمد،و الرعد،و الرحمن، و هل أتى على الإنسان.الحديث.

و فيه،عن ابن الضـريس فى فضائـل القرآن بإسـناده عن عثمـان بن عطـاء الخراسانى عن أبيه عن ابن عباس قال"*:كان إذا نزلت فاتحه سوره بمكه كتبت بمكه-ثم يزيد الله فيها ما شاء.

و كان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك،ثم ن،ثم يا أيها المزمل-إلى أن قال-

ثم أنزل بالمدينه سوره البقره ثم الأنفال-ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء-ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد-ثم الرحمن ثم الإنسان.الحديث.

و فيه،عن البيهقى فى الدلائل بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال"*:إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن-اقرأ باسم ربك،و ذكر مثل حديث عكرمه و الحسين-و فيه ذكر ثلاث من السور المكيه التى سقطت من روايتهما-و هى الفاتحه و الأعراف و كهيعص.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن الضريس و ابن مردويه و البيهقى عن ابن عباس قال"*:

نزلت سوره الإنسان بالمدينه.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس "*فى قوله تعالى:« وَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ » الآيه-قال:نزلت هذه الآيه فى على بن أبى طالب-و فاطمه بنت رسول الله ص.

أقول:الآيه تشارك سائر آيات صدر السوره مما تقدم عليها أو تأخر عنها فى سياق واحد متصل فنزولها فيهما(ع)لا ينفك نزولها جميعا بالمدينه.

و فى الكشاف،:و عن ابن عباس: أن الحسن و الحسين مرضا-فعادهما رسول الله ص فى ناس معه فقالوا:يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك(ولديك ظ)فنذر على و فاطمه و فضه جاريه لهما-إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثه أيام-فشفيا و ما معهم شيء.

فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى-ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمه صاعا-و اختبزت خمسه أقراص على عددهم-فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل و قال:السلام عليكم أهل بيت محمد-مسكين من مساكين المسلمين-أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنه-فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء و أصبحوا صياما.

فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم-وقف عليهم يتيم فآثروه،و وقف عليهم أسير فى الثالثه ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن و الحسين-و أقبلوا إلى رسول الله ص-فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شده الجوع-قال:ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم-فانطلق معهم فرأى فاطمه فى محرابها-قد التصق ظهرها (۱)ببطنها و غارت عيناها-فساءه ذلك فنزل جبريل و قال:خذها يا محمد-هنأك الله فى أهل بيتك فأقرأه السوره:

۱- ۱) بطنها بظهرها ظ.

أقول:الروايه مرويه بغير واحد من الطرق عن عطاء عن ابن عباس و نقلها البحرانی فی غايه المرام،عن أبی المؤيد الموفق بن أحمد فی كتاب فضائل أمير المؤمنين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس،و عنه بإسناد آخر عن الضحاك عن ابن عباس و عن الحموينی فی كتاب فرائد السمطين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس،و عن الثعلبی بإسناده عن أبی صالح عن ابن عباس،و رواه فی المجمع،عن الواحدی فی تفسيره .

و فی المجمع،بإسناده عن الحاكم بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علی بن أبی طالب أنه قال *سألت النبی عن ثواب القرآن:فأخبرنی بثواب سوره سوره-علی نحو ما نزلت من السماء.

فأول ما نزل عليه بمكه فاتحه الكتاب-ثم اقرأ باسم ربك،ثم ن-إلی أن قال- و أول ما نزل بالمدينه سوره البقره ثم الأنفال-ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء-ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سوره محمد ثم الرعد-ثم سوره الرحمن ثم هل أتی.

الحديث.

و فيه،عن أبی حمزه الثمالی فی تفسيره قال*:حدثنی الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن":أنها مدنيه نزلت فی علی و فاطمه السوره كلها.

و فی تفسير القمی،عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبی عبد الله(ع)قال*: كان عند فاطمه(ع)شعير فجعلوه عصيده (1)فلما أنضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال:مسكين رحمكم الله فقام علی(ع)فأعطاه ثلثا-فلم يلبث أن جاء يتيم فقال:اليتيم رحمكم الله-فقام علی(ع)فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال:الأسير رحمكم الله فأعطاه علی(ع)الثلث-و ما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم-و هی جاريه فی كل مؤمن فعل ذلك لله عز و جل.

أقول:القصه كما تری ملخصه فی الروايه و روی ذلك البحرانی فی غايه المرام،عن المفيد فی الاختصاص،مسندا و عن ابن بابويه فی الأمالی،بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و بإسناده عن سلمه بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه(ع)،و عن محمد بن العباس بن ماهيار فی تفسيره بإسناده عن أبی كثير الزبيری عن عبد الله بن عباس،و فی المناقب، أنه مروی عن الأصبغ بن نباته.

١- ١) العصيده:شعير يلت بالسمن و يطبخ.

و فی الاحتجاج،عن علی(ع): فی حدیث یقول فیه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب:

نشدتکم بالله هل فیکم أحد نزل فیه و فی ولده« إِنَّ الْأَبْرٰارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کٰانَ مِزٰاجُهٰا کٰافُوراً »إلی آخر السوره غیری؟قالوا:لا.

و فی کتاب الخصال،فی احتجاج علی علی أبی بکر قال: أنشدک بالله أنا صاحب الآیه- « یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ یَخٰافُونَ یَوْماً کٰانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً »أم أنت؟قال:بل أنت.

و فی الدر المنثور،أخرج الطبرانی و ابن مردویه و ابن عساکر عن ابن عمر قال*: جاء رجل من الحبشه إلی رسول الله ص-فقال له رسول الله ص:سل و استفهم-فقال:

یا رسول الله فضلتم علینا-بالألوان و الصور و النبوه-أ فرأیت إن آمنت بما آمنت به-و عملت بمثل ما عملت به إنی لکائن معک فی الجنه؟قال:نعم و الذی نفسی بیده-إنه لیری بیاض الأسود فی الجنه من مسیره ألف عام.ثم قال:من قال لا إله إلا الله کان له عهد عند الله-و من قال:سبحان الله و بحمده کتبت له مائه ألف حسنه-و أربعه و عشرون ألف حسنه- و نزلت علیه السوره هَلْ أَتیٰ عَلَی الْإِنْسٰانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ -إلی قوله: مُلْکاً کَبِیراً .

فقال الحبشی:و إن عینی لتری ما تری عیناک فی الجنه؟قال:نعم فاشتکی حتی فاضت نفسه.قال عمر:فلقد رأیت رسول الله ص یدلیه فی حفرته بیده.

و فیه،أخرج أحمد فی الزهد عن محمد بن مطرف قال*:حدثنی الثقه: أن رجلا أسود کان یسأل النبی ص عن التسبیح و التهلیل- فقال له عمر بن الخطاب:مه أکثرت علی رسول الله- فقال:مه یا عمر و أنزلت علی رسول الله ص« هَلْ أَتیٰ عَلَی الْإِنْسٰانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ » حتی إذا أتی علی ذکر الجنه-زفر الأسود زفره خرجت نفسه-فقال النبی ص:مات شوقا إلی الجنه.

و فیه،أخرج ابن وهب عن ابن زید *أن رسول الله ص قرأ هذه السوره- هَلْ أَتیٰ عَلَی الْإِنْسٰانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ -و قد أنزلت علیه و عنده رجل أسود-فلما بلغ صفه الجنان زفر زفره فخرجت نفسه-فقال رسول الله ص:أخرج نفس صاحبکم الشوق إلی الجنه.

أقول:و هذه الروایات الثلاث علی تقدیر صحتها لا تدل علی أزید من کون نزول السوره مقارنا لقصه الرجل و أما کونها سببا للنزول فلا،و هذا المعنی فی الروایه الأخیره أظهر و بالجمله لا تنافی الروایات الثلاث نزول السوره فی أهل البیت(ع).

ص :۱۳۴

على أن روايه ابن عمر للقصه الظاهره فى حضوره القصه و قد هاجر إلى المدينه و هو ابن إحدى عشره سنه من شواهد وقوع القصه بالمدينه.

و فى الدر المنثور،أيضا أخرج النحاس عن ابن عباس قال"*:نزلت سوره الإنسان بمكه.

أقول:هو تلخيص حديث طويل أورده النحاس فى كتاب الناسخ و المنسوخ،و قد نقله فى الإتقان و هو معارض لما تقدم نقله مستفيضا عن ابن عباس من نزول السوره بالمدينه و أنها نزلت فى أهل البيت(ع).

على أن سياق آياتها و خاصه قوله يُوفُونَ بِالنَّذْرِ و يُطْعِمُونَ الطَّعامَ »إلخ سياق قصه واقعه و ذكر الأسير فيمن أطعموهم نعم الشاهد على نزول الآيات بالمدينه إذ لم يكن للمسلمين أسير بمكه كما تقدمت الإشاره إلى ذلك.

قال بعضهم ما ملخصه:أن الروايات مختلفه فى مكيه هذه السوره و مدنيتها و الأرجح أنها مكيه بل الظاهر من سياقها أنها من عتائق السور القرآنيه النازله بمكه فى أوائل البعثه يؤيد ذلك ما ورد فيها من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ كما يؤيده ما ورد فيها من أمر النبى ص بالصبر لحكم ربه و أن لا يطيع منهم آثما أو كفورا و يثبت على ما نزل عليه من الحق و لا يداهن المشركين من الأوامر التى كانت تنزل بمكه عند اشتداد الأذى على الدعوه و أصحابها بمكه كما فى سوره القلم و المزمل و المدثر فلا عبره باحتمال مدنيه السوره.

و هو فاسد أما ما ذكره من اشتمال السوره على صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ فليس ذلك مما يختص بالسور المكيه حتى يقضى بها على كون السوره مكيه فهذه سوره الرحمن و سوره الحج مدنيتان على ما تقدمت فى الروايات المشتمله على ترتيب نزول السور القرآنيه و قد اشتملتا من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ على ما يربو و يزيد على هذه السوره بكثير.

و أما ما ذكره من اشتمال السوره على أمر النبى ص بالصبر و أن لا يطيع منهم آثما أو كفورا و لا يداهنهم و يثبت على ما نزل عليه من الحق ففيه أن هذه الأوامر واقعه فى الفصل الثانى من آيات السوره و هو قوله:« إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً »إلى آخر السوره و من المحتمل جدا أن يكون هذا الفصل من الآيات-و هو ذو سياق تام مستقل

-نازلا بمكه،و يؤيـده ما فى كثير من الروايات المتقـدمه أن الذى نزل فى أهل البيت بالمدينه هو الفصل الأول من الآيات،و على هذا أول السوره مدنى و آخرها مكى.

و لو سلم نزولها دفعه واحده فأمره(ص)بالصبر لا اختصاص له بالسور المكيه فقد ورد فى قوله: «وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ تُرِیدُ زِینَهَ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ کانَ أَمْرُهُ فُرُطاً» :الکهف:۲۸ و الآیه-علی ما روی-مدنیه و الآیه-کما تری- متحده المعنی مع قوله:« فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ »إلخ و هی فی سیاق شبیه جدا بسیاق هذه الآیات فراجع و تأمل.

ثم الـذی کـان یلقـاه النبی ص من أذی المنافقین و الـذین فی قلوبهم مرض و الجفاه من ضـعفاء الإیمان لم یکن بأهون من أذی المشرکین بمکه یشهد بذلک أخبار سیرته.

و لا دلیـل أیضـا علی انحصـار الإثـم و الکفور فی مشـرکی مکه فهنـاک غیرهم من الکفـار و قـد أثبت القرآن الإثـم لجمع من المسـلمین فی موارد کقوله: «لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» :النور:۱۱،و قوله: «وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً» :النساء:۱۱۲.

و فی المجمع،و روی العیاشـی بإسـناده عن عبـد الله بن بکیر عن زراره قال*: سألت أبا جعفر(ع)عن قوله:« لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً »قال:کان شیئا و لم یکن مذکورا.

أقول:و روی فیه،أیضا عن عبد الأعلی مولی آل سام عن أبی عبد الله(ع):مثله .

و فیه،أیضا عن العیاشی بإسناده عن سعید الحذاء عن أبی جعفر(ع)قال*: کان مذکورا فی العلم و لم یکن مذکورا فی الخلق.

أقول:یعنی أنه کان له ثبوت فی علم الله ثم خلق بالفعل فصار مذکورا فیمن خلق.

و فی الکافی،بإسناده عن مالک الجهنی عن أبی عبد الله(ع)*فی الآیه قال: کان مقدرا غیر مذکور.

أقول:هو فی معنی الحدیث السابق.

و فی تفسیر القمی،":فی الآیه قال:لم یکن فی العلم و لا فی الذکر،

و فی حدیث آخر:

کان فی العلم و لم یکن فی الذکر.

أقول:معنى الحديث الأول أنه لم يكن فی علم الناس و لا فیمن یذكرونه فیما بینهم، و معنى الثانی أنه كان فی علم الله و لم یكن مذكورا عند الناس.

و فی تفسیر القمی،أیضا فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله تعالى « أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ »قال:ماء الرجل و المرأه اختلطا جمیعا.

و فی الكافی،بإسناده عن حمران بن أعین قال*: سألت أبا عبد الله(ع)عن قوله عز و جل،« إِنّا هَدَیْناهُ السَّبِیلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً »قال:إما آخذ فهو شاكر و إما تارك فهو كافر.

أقول:و رواه القمی فی تفسیره،بإسناده عن ابن أبی عمیر عن أبی جعفر(ع)*مثله .

و فی التوحید،بإسناده إلى حمزه بن الطیار عن أبی عبد الله(ع)ما یقرب منه و لفظه:

عرفناه إما آخذا و إما تاركا.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و ابن المنذر عن جابر بن عبد الله قال*:قال رسول الله ص: كل مولود یولد على الفطره حتى یعبر عنه لسانه-فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرا و إما كفورا-و الله تعالى أعلم.

و فی أمالی الصدوق،بإسناده عن الصادق عن أبیه(ع)فی حدیث: « عَیْناً یَشْرَبُ بِها عِبادُ اللّهِ یُفَجِّرُونَها تَفْجِیراً »قال:هی عین فی دار النبی ص-یفجر إلى دور الأنبیاء و المؤمنین« یُوفُونَ بِالنَّذْرِ »یعنی علیا و فاطمه-و الحسن و الحسین(ع) و جاریتهم« وَ یَخافُونَ یَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً »یقول عابسا كلوحا« وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ »یقول:على شهوتهم للطعام و إیثارهم له« مِسْكِیناً »من مساكین المسلمین- « وَ یَتِیماً »من یتامى المسلمین« وَ أَسِیراً »من أسارى المشركین.

و یقولون إذا أطعموهم:« إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ-لا نُرِیدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً »قال:و الله ما قالوا هذا لهم-و لكنهم أضمروه فی أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم- یقولون:لا نرید جزاء تكافئوننا به-و لا شكورا تثنون علینا به،و لكنا إنما أطعمناكم لوجه الله و طلب ثوابه.

و فی الدر المنثور،أخرج سعید بن منصور و ابن أبی شیبه و ابن المنذر و ابن مردویه عن الحسن قال"*: كان الأسارى مشركین یوم نزلت هذه الآیه« وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً .

أقول:مدلول الروايه نزول الآيه بالمدينه،و نظيرها ما رواه فيه عن عبد بن حميد عن قتاده،و ما رواه عن ابن المنذر عن ابن جريح،و ما رواه عن عبد الرزاق و ابن المنذر عن ابن عباس.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك عن النبى ص *فى قوله:« يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً »قال:يقبض ما بين الأبصار.

و فى روضه الكافى،بإسناده عن محمد بن إسحاق المدنى عن أبى جعفر(ع) *فى صفه الجنه قال:و الثمار دانيه منهم-و هو قوله عز و جل:« وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها-وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً »من قربها منهم يتناول المؤمن-من النوع الذى يشتهيه من الثمار بفيه و هو متكئ- و إن الأنواع من الفاكهه ليقلن لولى الله:يا ولى الله كلمنى قبل أن تأكل هذه قبلى.

و فى تفسير القمى، ":فى قوله:« وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ »قال:مسورون.

و فى المعانى،بإسناده عن عباس بن يزيد قال*: قلت لأبى عبد الله(ع)و كنت عنده ذات يوم:أخبرنى عن قول الله عز و جل:« وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً » ما هذا الملك الذى كبر الله عز و جل حتى سماه كبيرا؟قال:إذا أدخل الله أهل الجنه الجنه-أرسل رسولا إلى ولى من أوليائه فيجد الحجبه على بابه-فتقول له:قف حتى نستأذن لك،فما يصل إليه رسول ربه إلا بإذن فهو قوله عز و جل:« وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً ».

و فى المجمع،: « وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً »لا يزول و لا يفنى: عن الصادق(ع) .

و فيه،: « عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ » و روى عن الصادق(ع)فى معناه: تعلوهم الثياب فيلبسونها.

كلام فى هويه الإنسان على ما يفيده القرآن

لا ريب أن فى هذا الهيكل المحسوس الذى نسميه إنسانا مبدأ للحياه ينتسب إليه الشعور و الإراده،و قد عبر تعالى عنه فى الكلام فى خلق الإنسان-آدم-بالروح و فى سائر المواضع من كلامه بالنفس قال تعالى:«فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

ساجِدِينَ» :الحجر:۲۹_ص:۷۲،و قال: «ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» :الم السجده:۹.

و الـذى يسـبق من الآيتين إلى النظر البادئ أن الروح و البـدن حقيقتان اثنتان متفارقتان نظير العجين المركـب من الماء و الدقيق و الإنسان مجموع الحقيقتين فإذا قارنت الروح الجسد كان إنسانا حيا و إذا فارقت فهو الموت.

لكن يفسرها قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» :الم السجده:۱۱ حيث يفيد أن الروح التى يتوفاها و يأخذها قابض الأرواح هى التى يعبر عنها بلفظه«كم» و هو الإنسان بتمام حقيقته لا جزء من مجموع فالمراد بنفـخ الروح فى الجسـد جعل الجسـد بعينه إنسانا لا ضم واحـد إلى واحـد آخر يغايره فى ذاته و آثار ذاته فالإنسان حقيقه واحـده حين تعلق روحه ببدنه و بعد مفارقه روحه البدن.

و يفيد هذا المعنى قوله تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِى قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْـغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» :المؤمنون:۱۴ فالذى أنشأه الله خلقا آخر هو النطفه التى تكونت علقه ثم مضغه ثم عظاما بعينها.

و فى معناها قوله تعالى:« هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَـيْئاً مَذْكُوراً » فتقييد الشـىء المنفى بالمذكور يعطى أنه كان شيئا لكن لم يكن مذكورا فقد كان أرضا أو نطفه مثلا لكن لم يكن مذكورا أنه الإنسان الفلانى ثم صار هو هو.

فمفاد كلامه تعالى أن الإنسان واحد حقيقى هو المبدأ الوحيد لجميع آثار البدن الطبيعيه و الآثار الروحيه كما أنه مجرد فى نفسه عن المـاده كما يفيـده أمثال قوله تعالى:« قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ »و قوله: «اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها» :الزمر:۴۲ و قوله:« ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ »و قد تقدم بيانه.

[سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۲۳ الى ۳۱]

اشاره

إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (۲۳) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (۲۴) وَ اُذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَهً وَ أَصِيلاً (۲۵) وَ مِنَ اَللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (۲۶) إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ اَلْعاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (۲۷) نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلاً (۲۸) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَهٌ فَمَنْ شاءَ اِتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (۲۹) وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اَللّهُ إِنَّ اَللّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (۳۰) يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ اَلظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۳۱)

ص: ۱۳۹

بیان

لما وصف جزاء الأبرار و ما قدر لهم من النعیم المقیم و الملک العظیم بما صبروا فی جنب الله وجه الخطاب إلی النبی ص و أمره بالصبر لحکم ربه و أن لا یطیع هؤلاء الآثمین و الکفار المحبین للعاجله المتعلقین بها المعرضین عن الآخره من المشرکین و سائر الکفار و المنافقین و أهل الأهواء،و أن یذکر اسم ربه و یسجد له و یسبحه مستمرا علیه ثم عمم الحکم لأمته بقوله:« إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً ».

فهذا وجه اتصال الآیات بما قبلها و سیاقها مع ذلک لا یخلو من شبه بالسیاقات المکیه و علی تقدیر مکیتها فصدر السوره مدنی و ذیلها مکی.

قوله تعالی:« إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلاً »تصدیر الکلام بأن و تکرار ضمیر المتکلم مع الغیر و الإتیان بالمفعول المطلق کل ذلک للتأکید،و لتسجیل أن الذی نزل من القرآن نجوما متفرقه هو من الله سبحانه لم یداخله نفث شیطانی و لا هو نفسانی.

قوله تعالی:« فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ کَفُوراً »تفریع علی ما هو لازم مضمون الآیه السابقه فإن لازم کون الله سبحانه هو الذی نزل القرآن علیه أن یکون ما فی القرآن من الحکم حکم ربه یجب أن یطاع فالمعنی إذا کان تنزیله منا فما فیه من الحکم حکم ربک فیجب علیک أن تصبر له فاصبر لحکم ربک.

ص :۱۴۰

و قوله« وَ لاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً »ورود الترديد فى سياق النهى يفيد عموم الحكم فالنهى عن طاعتهما سواء اجتمعا أو افترقا،و الظاهر أن المراد بالإثم المتلبس بالمعصيه و بالكفور المبالغ فى الكفر فتشمل الآيه الكفار و الفساق جميعا.

و سبق النهى عن طاعه الإثم و الكفور بالأمر بالصبر لحكم ربه يفيد كون النهى مفسرا للأمر فمفاد النهى أن لا تطع منهم آثما إذا دعاك إلى إثمه و لا كفورا إذا دعاك إلى كفره لأن إثم الآثم منهم و كفر الكافر مخالفان لحكم ربك و أما تعليق الحكم بالوصف المشعر بالعليه فإنما يفيد عليه الإثم و الكفر للنهى عن الطاعه مطلقا لا عليتهما للنهى إذا دعا الآثم إلى خصوص إثمه و الكافر إلى خصوص كفره.

قوله تعالى:« وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً »أى داوم على ذكر ربك و هو الصلاه فى كل بكره و أصيل و هما الغدو و العشى.

قوله تعالى:« وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً »من للتبعيض و المراد بالسجود له الصلاه،و يقبل ما فى الآيتين من ذكر اسمه بكره و أصيلا و السجود له بعض الليل الانطباق على صلاه الصبح و العصر و المغرب و العشاء و هذا يؤيد نزول الآيات بمكه قبل فرض الفرائض الخمس بقوله فى آيه الإسراء: «أَقِمِ الصَّلاٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ» :إسراء:٧٨.

فالآيتان كقوله تعالى: «وَ أَقِمِ الصَّلاٰةَ طَرَفَيِ النَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ» :هود:١١۴، و قوله «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهٰا وَ مِنْ آنٰاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرٰافَ النَّهٰارِ» :طه:١٣٠.

نعم قيل:على أن الأصيل يطلق على ما بعد الزوال فيشمل قوله« وَ أَصِيلاً »وقتى صلاتى الظهر و العصر جميعا،و لا يخلو من وجه.

و قوله:« وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً »أى فى ليل طويل و وصف الليل بالطويل توضيحى لا احترازى،و المراد بالتسبيح صلاه الليل،و احتمل أن يكون طويلا صفه لمفعول مطلق محذوف،و التقدير سبحه فى الليل تسبيحا طويلا.

قوله تعالى:« إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً »تعليل لما تقدم من الأمر و النهى و الإشاره بهؤلاء إلى جمع الإثم و الكفور المدلول عليه بوقوع النكره فى

سیاق النهی،و المراد بالعاجله الحیاه الدنیا،و عد الیوم ثقیلا من الاستعاره،و المراد بثقله شدته کأنه محمول ثقیل یشق حمله،و الیوم یوم القیامه.

و کون الیوم وراءهم تقرره أمامهم لأن وراء تفید معنی الإحاطه،أو جعلهم إیاه خلفهم و وراء ظهورهم بناء علی إفاده« یَذَرُونَ »معنی الإعراض.

و المعنی:فاصبر لحکم ربک و أقم الصلاه و لا تطع الآثمین و الکفار منهم لأن هؤلاء الآثمین و الکفار یحبون الحیاه الدنیا فلا یعملون إلا لها و یترکون أمامهم یوما شدیدا أو یعرضون فیجعلون خلفهم یوما شدیدا سیلقونه.

قوله تعالی:« نَحْنُ خَلَقْنٰاهُمْ وَ شَدَدْنٰا أَسْرَهُمْ وَ إِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا أَمْثٰالَهُمْ تَبْدِیلاً » الشد خلاف الفک،و الأسر فی الأصل الشد و الربط و یطلق علی ما یشد و یربط به فمعنی شددنا أسرهم أحکمنا ربط مفاصلهم بالرباطات و الأعصاب و العضلات أو الأسر بمعنی المأسور و المعنی أحکمنا ربط أعضائهم المختلفه المشدوده بعضها ببعض حتی صار الواحد منهم بذلک إنسانا واحدا.

و قوله:« وَ إِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا أَمْثٰالَهُمْ تَبْدِیلاً »أی إذا شئنا بدلناهم أمثالهم فذهبنا بهم و جئنا بأمثالهم مکانهم و هو أماته قرن و إحیاء آخرین،و قیل المراد به تبدیل نشأتهم الدنیا من نشأه القیامه و هو بعید من السیاق.

و الآیه فی معنی دفع الدخل کان متوهما یتوهم أنهم بحبهم للدنیا و إعراضهم عن الآخره یعجزونه تعالی و یفسدون علیه إرادته منهم أن یؤمنوا و یطیعوا فأجیب بأنهم مخلوقون لله خلقهم و شد أسرهم و إذا شاء أذهبهم و جاء بآخرین فکیف یعجزونه و خلقهم و أمرهم و حیاتهم و موتهم بیده.؟ قوله تعالی:« إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً »تقدم تفسیره فی سوره المزمل و الإشاره بهذه إلی ما ذکر فی السوره.

قوله تعالی:« وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً »الاستثناء من النفی یفید أن مشیه العبد متوقفه فی وجودها علی مشیته تعالی فلمشیته تعالی تأثیر فی فعل العبد من طریق تعلقها بمشیه العبد،و لیست متعلقه بفعل العبد مستقلا و بلا واسطه حتی تستلزم بطلان تأثیر إراده العبد و کون الفعل جبریا و لا أن العبد مستقل فی إراده یفعل ما یشاؤه شاء الله أو لم یشأ،فالفعل اختیاری لاستناده إلی اختیار العبد،و أما

اختیار العبد فلیس مستندا إلی اختیار آخر،و قد تکرر توضیح هذا البحث فی مواضع مما تقدم.

و الآیه مسوقه لدفع توهم أنهم مستقلون فی مشیتهم منقطعون من مشیه ربهم،و لعل تسجیل هذا التنبیه علیهم هو الوجه فی الالتفات إلی الخطاب فی قوله« وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ »کما أن الوجه فی الالتفات من التکلم بالغیر إلی الغیبه فی قوله:« یَشٰاءَ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ »هو الإشاره إلی عله الحکم فإن مسمی هذا الاسم الجلیل یبتدئ منه کل شیء و ینتهی إلیه کل شیء فلا تکون مشیه إلا بمشیته و لا تؤثر مشیه إلا بإذنه.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً »توطئه لبیان مضمون الآیه التالیه.

قوله تعالی:« یُدْخِلُ مَنْ یَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ وَ الظّٰالِمِینَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً »مفعول « یَشٰاءُ »محذوف یدل علیه الکلام،و التقدیر یدخل فی رحمته من یشاء دخوله فی رحمته، و لا یشاء إلا دخول من آمن و اتقی،و أما غیرهم و هم أهل الإثم و الکفر فبین حالهم بقوله:« وَ الظّٰالِمِینَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً ».

و الآیه تبین سنته تعالی الجاریه فی عباده من حیث السعاده و الشقاء، و قد علل ذلک بما فی ذیل الآیه السابقه من قوله« إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً »فأفاد به أن سنته تعالی لیست سنه جزافیه مبنیه علی الجهاله بل هو یعامل کلا من الطائفتین بما هو أهل له و سینبئهم حقیقه ما کانوا یعملون.

بحث روائی

و فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و ابن جریر و ابن أبی حاتم عن قتاده"*فی قوله:

« وَ لاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ کَفُوراً »قال:حدثنا أنها نزلت فی عدو الله أبی جهل.

أقول:و هو أشبه بالتطبیق.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی« وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً »:

روی عن الرضا(ع): أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآیه و قال:ما ذلک التسبیح؟قال:صلاه اللیل.

و فی الخرائج و الجرائح،عن القائم(ع): فی حدیث یقول لکامل بن إبراهیم المدنی:

و جئت تسأل عن مقاله المفوضه-کذبوا بل قلوبنا أوعیه لمشیه الله عز و جل-فإذا شاء شئنا، و الله یقول« وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ ».

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه من طریق ابن شهاب عن سالم عن أبی هریره*أن رسول الله ص کان یقول إذا خطب:کل ما هو آت قریب،لا بعد لما یأتی،و لا یعجل الله لعجله أحد،ما شاء الله لا ما شاء الناس،یرید الناس أمرا و یرید الله أمرا،ما شاء الله کان و لو کره الناس،لا مباعد لما قرب الله،و لا مقرب لما باعد الله، لا یکون شیء إلا بإذن الله.

أقول:و فی بعض الروایات من طرق أهل البیت(ع)تطبیق الحکم فی قوله:

« فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ »و الرحمه فی قوله:« یُدْخِلُ مَنْ یَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ »علی الولایه و هو من الجری أو البطن و لیس من التفسیر فی شیء.

(۷۷) سوره المرسلات مکیه و هی خمسون آیه(۵۰)

[سوره المرسلات (۷۷): الآیات ۱ الی ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً (۱) فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفاً (۲) وَ اَلنّٰاشِرٰاتِ نَشْراً (۳) فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقاً (۴) فَالْمُلْقِیٰاتِ ذِکْراً (۵) عُذْراً أَوْ نُذْراً (۶) إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ (۷) فَإِذَا اَلنُّجُومُ طُمِسَتْ (۸) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ فُرِجَتْ (۹) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ نُسِفَتْ (۱۰) وَ إِذَا اَلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (۱۱) لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ (۱۲) لِیَوْمِ اَلْفَصْلِ (۱۳) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ اَلْفَصْلِ (۱۴) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۱۵)

بیان

تذکر السوره یوم الفصل و هو یوم القیامه و تؤکد الإخبار بوقوعه و تشفعه بالوعید الشدید للمکذبین به و الإنذار و التبشیر لغیرهم و یربو فیها جانب الوعید علی غیره فقد کرر فیها قوله:« وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ »عشر مرات.

ص:۱۴۴

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً »الآیه و ما یتلوها إلی تمام ست آیات إقسام منه تعالی بأمور یعبر عنها بالمرسلات فالعاصفات و الناشرات فالفارقات فالملقیات ذکرا عذرا أو نذرا،و الأولیان أعنی المرسلات عرفا و العاصفات عصفا لا تخلوان لو خلیتا و نفسهما مع الغض عن السیاق من ظهور ما فی الریاح المتعاقبه الشدیده الهبوب لکن الأخیره أعنی الملقیات ذکرا عذرا أو نذرا کالصریحه فی الملائکه النازلین علی الرسل الحاملین لوحی الرساله الملقین له إلیهم إتماما للحجه أو إنذارا و بقیه الصفات لا تأبی الحمل علی ما یناسب هذا المعنی.

و حمل جمیع الصفات الخمس علی إراده الریاح کما هو ظاهر المرسلات و العاصفات-علی ما عرفت-یحتاج إلی تکلف شدید فی توجیه الصفات الثلاث الباقیه و خاصه فی الصفه الأخیره.

و کذا حمل المرسلات و العاصفات علی إراده الریاح و حمل الثلاث الباقیه أو الأخیرتین أو الأخیره فحسب علی ملائکه الوحی إذ لا تناسب ظاهرا بین الریاح و بین ملائکه الوحی حتی یقارن بینها فی الأقسام و ینظم الجمیع فی سلک واحد،و ما وجهوه من مختلف التوجیهات معان بعیده عن الذهن لا ینتقل إلیها فی مفتتح الکلام من غیر تنبیه سابق.

فالوجه هو الغض عن هذه الأقاویل و هی کثیره جدا لا تکاد تنضبط،و حمل المذکورات علی إراده ملائکه الوحی کنظیرتها فی مفتتح سوره الصافات« وَ الصَّافّاتِ صَفًّا فَالزّاجِراتِ زَجْراً فَالتّالِیاتِ ذِکْراً »و فی معناها قوله تعالی: «عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ» :الجن:۲۸.

فقوله:« وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً »إقسام منه تعالی بها و العرف بالضم فالسکون الشعر النابت علی عنق الفرس و یشبه به الأمور إذا تتابعت یقال:جاءوا کعرف الفرس،و یستعار فیقال:جاء القطا عرفا أی متتابعه و جاءوا إلیه عرفا واحدا أی متتابعین،و العرف أیضا المعروف من الأمر و النهی و« عُرْفاً »حال بالمعنی الأول مفعول له بالمعنی الثانی، و الإرسال خلاف الإمساک،و تأنیث المرسلات باعتبار الجماعات أو باعتبار الروح التی

تنزل بها الملائكه قال تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ» النحل:٢ و قال «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ» :المؤمن:١۵.

و المعنى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكه الوحى.

و قيل:المراد بالمرسلات عرفا الرياح المتتابعه المرسله و قد تقدمت الإشاره إلى ضعفه، و مثله فى الضعف القول بأن المراد بها الأنبياء(ع)فلا يلائمه ما يتلوها.

قوله تعالى:« فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفاً »عطف على المرسلات و المراد بالعصف سرعه السير استعاره من عصف الرياح أى سرعه هبوبها إشاره إلى سرعه سيرها إلى ما أرسلت إليه،و المعنى أقسم بالملائكه الذين يرسلون متتابعين فيسرعون فى سيرهم كالرياح العاصفه.

قوله تعالى:« وَ النّٰاشِرٰاتِ نَشْراً »إقسام آخر،و نشر الصحيفه و الكتاب و الثوب و نحوها:بسطه،و المراد بالنشر نشر صحف الوحى كما يشير إليه قوله تعالى «كَلاّٰ إِنَّهٰا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرٰامٍ بَرَرَةٍ» :عبس:١۶ و المعنى و أقسم بالملائكه الناشرين للصحف المكتوبه عليها الوحى للنبى ليتلقاه.

و قيل:المراد بها الرياح ينشرها الله تعالى بين يدى رحمته و قيل:الرياح الناشره للسحاب، و قيل:الملائكه الناشرين لصحائف الأعمال،و قيل:الملائكه نشروا أجنحتهم حين النزول و قيل:غير ذلك.

قوله تعالى« فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقاً »المراد به الفرق بين الحق و الباطل و بين الحلال و الحرام،و الفرق المذكور صفه متفرعه على النشر المذكور.

قوله تعالى:« فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْراً عُذْراً أَوْ نُذْراً »المراد بالذكر القرآن يقرءونه على النبى ص أو مطلق الوحى النازل على الأنبياء المقرو عليهم.

و الصفات الثلاث أعنى النشر و الفرق و إلقاء الذكر مترتبه فإن الفرق بين الحق و الباطل و الحلال و الحرام يتحقق بنشر الصحف و إلقاء الذكر فبالنشر يشرع الفرق فى التحقق و بالتلاوه يتم تحققه فالنشر يترتب عليه مرتبه من وجود الفرق و يترتب عليها تمام وجوده بالإلقاء.

ص :١۴۶

و قوله:« عُذْراً أَوْ نُذْراً »هما من المفعول له و« أَوْ »للتنويع قيل:هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار،و الإعذار الإتيان بما يصير به معذورا و المعنى أنهم يلقون الذكر لتكون عذرا لعباده المؤمنين بالذكر و تخويفا لغيرهم.

و قيل:ليكون عذرا يعتذر به الله إلى عباده فى العقاب أنه لم يكن إلا على وجه الحكمه،و يئول إلى إتمام الحجه،فمحصل المعنى عليه أنهم يلقون الذكر ليكون إتماما للحجه على المكذبين و تخويفا لغيرهم،و هو معنى حسن.

قوله تعالى:« إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ »جواب القسم،و ما موصوله و الخطاب لعامه البشر،و المراد بما توعدون يوم القيامه بما فيه من العقاب و الثواب و الواقع أبلغ من الكائن لما فيه من شائبه الاستقرار،و المعنى أن الذى وعدكم الله به من البعث و العقاب و الثواب سيتحقق لا محاله.

كلام فى إقسامه تعالى فى القرآن

من لطيف صنعه البيان فى هذه الآيات الست أنها مع ما تتضمن الإقسام لتأكيد الخبر الذى فى الجواب تتضمن الحجه على مضمون الجواب و هو وقوع الجزاء الموعود فإن التدبير الربوبى الذى يشير إليه القسم أعنى إرسال المرسلات العاصفات و نشرها الصحف و فرقها و إلقاءها الذكر للنبى تدبير لا يتم إلا مع وجود التكليف الإلهى و التكليف لا يتم إلا مع تحتم وجود يوم معد للجزاء يجازى فيه العاصى و المطيع من المكلفين.

فالذى أقسم تعالى به من التدبير لتأكيد وقوع الجزاء الموعود هو بعينه حجه على وقوعه كأنه قيل:أقسم بهذه الحجه أن مدلولها واقع.

و إذا تأملت الموارد التى أورد فيها القسم فى كلامه تعالى و أمعنت فيها وجدت المقسم به فيها حجه داله على حقيه الجواب كقوله تعالى فى الرزق: «فَوَ رَبِّ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ» :الذاريات:٢٣ فإن ربوبيه السماء و الأرض هى المبدأ لرزق المرزوقين،و قوله:

«لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ» :الحجر:٧٢ فإن حياه النبى ص الطاهره المصونه بعصمه من الله داله على سكرهم و عمههم،و قوله: «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا X-إلى أن قال-X وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا وَ قَدْ خٰابَ مَنْ

ص:١٤٧

دَسّاهٰا» :الشمس:۱۰ فإن هذا النظام المتقن المنتهى إلى النفس الملهمه المميزه لفجورها و تقواها هو الدليل على فلاح من زكاها و خيبه من دساها.

و على هـذا النسق سـائر ما ورد من القسم فى كلامه تعالى و إن كان بعضـها لا يخلو من خفاء يحوج إلى إمعان من النظر كقوله: «وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ» :التين:۲ و عليك بالتدبر فيها.

[بيان]

قوله تعالى:« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ -إلى قوله- أُقِّتَتْ »بيان لليوم الموعود الذى أخبر بوقوعه فى قوله:« إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ »و جواب إذا محذوف يدل عليه قوله:

« لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ -إلى قوله- لِلْمُكَذِّبِينَ ».

و قد عرف سـبحانه اليوم الموعود بذكر حوادث واقعه تلازم انقراض العالم الإنسانى و انقطاع النظام الدنيوى كانطماس النجوم و انشـقاق الأرض و انـدكاك الجبـال و تحول النظام إلى نظام آخر يغايره،و قـد تكرر ذلك فى كثير من السور القرآنيه و خاصـه السور القصـار كسوره النبـإ و النازعات و التكوير و الانفطار و الانشـقاق و الفجر و الزلزال و القارعه،و غيرها،و قـد عـدت الأمور المذكوره فيها فى الأخبار من أشراط الساعه.

و من المعلوم بالضـروره من بيانات الكتاب و السـنه أن نظام الحياه فى جميع شئونها فى الآخره غير نظامها فى الدنيا فالدار الآخره دار أبديه فيها محض السعاده لساكنيها لهم فيها ما يشاءون أو محض الشقاء و ليس لهم فيها إلا ما يكرهون و الدار الدنيا دار فناء و زوال لا يحكم فيهـا إلا الأسـباب و العوامـل الخـارجيه الظـاهريه مخلوط فيهـا الموت بالحيـاه،و الفقـدان بالوجـدان،و الشـقاء بالسعاده،و التعب بالراحه،و المساءه بالسرور،و الآخره دار جزاء و لا عمل و الدنيا دار عمل و لا جزاء،و بالجمله النشأه غير النشأه.

فتعريفه تعالى نشأه البعث و الجزاء بأشراطها التى فيها انطواء بساط الدنيا بخراب بنيان أرضها و انتساف جبالها و انشقاق سمائها و انطماس نجومها إلى غير ذلك من قبيل تحديد نشأه بسقوط النظام الحاكم فى نشأه أخرى قال تعالى: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ» :الواقعه:۶۲.

فقوله:« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ »أی محی أثرها من النور و غیره،و الطمس إزاله الأثر بالمحو قال تعالی: «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» :التكویر:٢.

و قوله:« وَ إِذَا السَّمٰاءُ فُرِجَتْ »أی انشقت،و الفرج و الفرجه الشق بین الشیئین قال تعالی: «إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ» :الانشقاق:١.

و قوله:« وَ إِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ »أی قلعت و أزیلت من قولهم: نسفت الریح الشیء أی اقتلعته و أزالته قال تعالی: «وَ یَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبٰالِ فَقُلْ یَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً» :طه:١٠۵.

و قوله:« وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ »أی عین لها الوقت الذی تحضر فیه للشهاده علی الأمم أو بلغت الوقت الذی تنتظره لأداء شهادتها علی الأمم من التأقیت بمعنی التوقیت،قال تعالی: «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ» :الأعراف:۶،و قال: «یَوْمَ یَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَیَقُولُ مٰا ذٰا أُجِبْتُمْ» :المائده:١٠٩.

قوله تعالی:« لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ -إلی قوله:- لِلْمُكَذِّبِینَ » الأجل المده المضروبه للشیء،و التأجیل جعل الأجل للشیء،و یستعمل فی لازمه و هو التأخیر كقولهم:دین مؤجل أی له مده بخلاف الحال و هذا المعنی هو الأنسب للآیه،و الضمیر فی« أُجِّلَتْ » للأمور المذكوره قبلا من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال و تأقیت الرسل، و المعنی لأی یوم أخرت یوم أخرت هذه الأمور.

و احتمل أن یكون« أُجِّلَتْ »بمعنی ضرب الأجل للشیء و أن یكون الضمیر المقدر فیه راجعا إلی الرسل،أو إلی ما یشعر به الكلام من الأمور المتعلقه بالرسل مما أخبروا به من أحوال الآخره و أهوالها و تعذیب الكافرین و تنعیم المؤمنین فیها،و لا یخلو كل ذلك من خفاء.

و قد سیقت الآیه و التی بعدها أعنی قوله:« لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ لِیَوْمِ الْفَصْلِ »فی صوره الاستفهام و جوابه للتعظیم و التهویل و التعجیب و أصل المعنی أخرت هذه الأمور لیوم الفصل.

و هذا النوع من الجمل الاستفهامیه فی معنی تقدیر القول،و المعنی أن من عظمه هذا الیوم و هوله و كونه عجبا أنه یسأل فیقال:لأی یوم أخرت هذه الأمور العظیمه الهائله العجیبه فیجاب:لیوم الفصل.

و قوله:« لِیَوْمِ الْفَصْلِ »هو یوم الجزاء الذی فیه فصل القضاء قال تعالی: «إِنَّ اللّٰهَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ» :الحج:١٧.

و قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا يَوْمُ الْفَصْلِ »تعظيم لليوم و تفخيم لأمره.

و قوله:« وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » الويل الهلاك،و المراد بالمكذبين المكذبون بيوم الفصل الذى فيه ما يوعدون فإن الآيات مسوقه لبيان وقوعه و قد أقسم على أنه واقع.

و فى الآيه دعاء على المكذبين،و قد استغنى به عن ذكر جواب إذا فى قوله:« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ »إلخ و التقدير فإذا كان كذا و كذا وقع ما توعدون من العذاب على التكذيب أو التقدير فإذا كان كذا و كذا كان يوم الفصل و هلك المكذبون به.

بحث روائى

فى الخصال،عن ابن عباس قال:قال أبو بكر: أسرع الشيب إليك يا رسول الله قال (ص):شيبتنى هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون.

و فى الدر المنثور،أخرج البخارى و مسلم و النسائى و ابن مردويه عن ابن مسعود قال*:

بينما نحن مع النبى ص فى غار بمنى -إذ نزلت عليه سوره و المرسلات عرفا-فإنه يتلوها و إنى لألقاها من فيه-و إن فاه لرطب بها إذ وثبت عليه حيه-فقال النبى ص:اقتلوها فابتدرناها فذهبت-فقال النبى ص وقيت شركم كما وقيتم شرها.

أقول:و رواها أيضا بطريقين آخرين.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ الْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً »قال:آيات تتبع بعضها بعضا.

و فى المجمع،: فى الآيه و قيل:إنها الملائكه أرسلت بالمعروف-من أمر الله و نهيه:. فى روايه الهروى عن ابن مسعود،و عن أبى حمزه الثمالى عن أصحاب على عنه(ع) .

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ »قال:يذهب نورها و تسقط.

و فيه،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) *فى قوله:« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ » فطمسها ذهاب ضوئها« وَ إِذَا السَّمٰاءُ فُرِجَتْ »قال:تفرج و تنشق« وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ » قال:بعثت فى أوقات مختلفه.

و فى المجمع،قال الصادق(ع): « أُقِّتَتْ »أى بعثت فى أوقات مختلفه.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ »قال:أخرت.

[سوره المرسلات (۷۷): الآیات ۱۶ الی ۵۰]

اشاره

أَ لَمْ نُهْلِكِ اَلْأَوَّلِينَ (۱۶) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ اَلْآخِرِينَ (۱۷) كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (۱۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۹) أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْنٰاهُ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۲) فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ اَلْقٰادِرُونَ (۲۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۴) أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ كِفٰاتاً (۲۵) أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (۲۶) وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً (۲۷) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۸) اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۹) اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاٰثِ شُعَبٍ (۳۰) لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَللَّهَبِ (۳۱) إِنَّهٰا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (۳۲) كَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ (۳۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۴) هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (۳۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۷) هٰذٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ جَمَعْنٰاكُمْ وَ اَلْأَوَّلِينَ (۳۸) فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (۳۹) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۰) إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ (۴۱) وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ (۴۲) كُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳) إِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (۴۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۵) كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (۴۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۷) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اِرْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ (۴۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۹) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (۵۰)

ص: ۱۵۱

بيان

حجج داله على توحد الربوبيه تقضى بوجود يوم الفصل الذى فيه جزاء المكذبين به،و إشاره إلى ما فيه من الجزاء المعد لهم الذى كانوا يكذبون به،و إلى ما فيه من النعمه و الكرامه للمتقين،و تختتم بتوبيخهم و ذمهم على استكبارهم عن عبادته تعالى و الإيمان بكلامه.

قوله تعالى:« أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ »الاستفهام للإنكار،و المراد بالأولين أمثال قوم نوح و عاد و ثمود من الأمم القديمه عهدا،و بالآخرين الملحقون بهم من الأمم الغابره،و الإتباع جعل الشيء أثر الشيء.

و قوله:« ثُمَّ نُتْبِعُهُمْ »برفع نتبع على الاستيناف و ليس بمعطوف على« نُهْلِكِ »و إلا لجزم.

و المعنى قد أهلكنا المكذبين من الأمم الأولين ثم إنا نهلك الأمم الآخرين على أثرهم.

و قوله:« كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ »فى موضع التعليل لما تقدمه و لذا أورد بالفصل من غير عطف كان قائلا قال:لما ذا أهلكوا؟فقيل:كذلك نفعل بالمجرمين. و الآيات -كما ترى-إنذار و إرجاع للبيان إلى الأصل المضروب فى السوره أعنى قوله:« وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »و هى بعينها حجه على توحد الربوبيه فإن إهلاك المجرمين من الإنسان تصرف فى العالم الإنسانى و تدبير،و إذ ليس المهلك إلا الله-و قد اعترف به المشركون- فهو الرب لا رب سواه و لا إله غيره.

على أنها تدل على وجود يوم الفصل لأن إهلاك قوم لإجرامهم لا يتم إلا بعد توجه تكليف إليهم يعصونه و لا معنى للتكليف إلا مع مجازاه المطيع بالثواب و العاصى بالعقاب فهناك يوم يفصل فيه القضاء فيثاب فيه المطيع و يعاقب فيه العاصى و ليس هو الثواب و العقاب الدنيويين لأنهما لا يستوعبان فى هذه الدار فهناك يوم يجازى فيه كل بما عمل،و هو يوم الفصل ذلك يوم مجموع له الناس.

ص:١٥٢

قوله تعالى:« أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ -إلى قوله- فَنِعْمَ الْقٰادِرُونَ »الاستفهام للإنكار و الماء المهين الحقير قليل الغناء و المراد به النطفه،و المراد بالقرار المكين الرحم و بقوله:« قَدَرٍ مَعْلُومٍ »مده الحمل.

و قوله:« فَقَدَرْنٰا »من القدر بمعنى التقدير،و الفاء لتفريع القدر على الخلق أى خلقناكم فقدرنا ما سيجرى عليكم من الحوادث و ما يستقبلكم من الأوصاف و الأحوال من طول العمر و قصره و هيئه و جمال و صحه و مرض و رزق إلى غير ذلك.

و احتمل أن يكون« فَقَدَرْنٰا »من القدره مقابل العجز و المراد فقدرنا على جميع ذلك، و ما تقدم أوجه.

و المعنى:قد خلقناكم من ماء حقير هو النطفه فجعلنا ذلك الماء فى قرار مكين هى الرحم إلى مده معلومه هى مده الحمل فقدرنا جميع ما يتعلق بوجودكم من الحوادث و الصفات و الأحوال فنعم المقدرون نحن.

و يجرى فى كون مضمون هذه الآيات حجه على توحد الربوبيه نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه،و كذا فى كونه حجه على تحقق يوم الفصل فإن الربوبيه تستوجب خضوع المربوبين لساحتها و هو الدين المتضمن للتكليف،و لا يتم التكليف إلا بجعل جزاء على الطاعه و العصيان،و اليوم الذى يجازى فيه بالأعمال هو يوم الفصل.

قوله تعالى:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً -إلى قوله- فُرٰاتاً » الكفت و الكفات بمعنى الضم و الجمع أى أ لم نجعل الأرض كفاتا يجمع العباد أحياء و أمواتا،و قيل:الكفات جمع كفت بمعنى الوعاء،و المعنى أ لم نجعل الأرض أوعيه تجمع الأحياء و الأموات.

و قوله:« وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ » الرواسى الثابتات من الجبال،و الشامخات العاليات،و كان فى ذكر الرواسى توطئه لقوله:« وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً »لأن الأنهار و العيون الطبيعيه تنفجر من الجبال فتجرى على السهول،و الفرات الماء العذب.

و يجرى فى حجيه الآيات نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه.

قوله تعالى:« اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ »حكايه لما يقال لهم يوم الفصل و القائل هو الله سبحانه بقرينه قوله فى آخر الآيات:« فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ » و المراد بما كانوا

به یکـذبون:جهنم،و الانطلاـق الانتقـال من مکـان إلی مکان من غیر مکث،و المعنی یقال لهم:انتقلوا من المحشـر من غیر مکث إلی النار التی کنتم تکذبون به.

قوله تعـالی:« اِنْطَلِقُوا إِلیٰ ظِلٍّ ذِی ثَلاٰثِ شُعَبٍ »ذکروا أن المراد بهـذا الظـل ظل دخان نار جهنم قال تعالی: «وَ ظِلٍّ مِنْ یَحْمُومٍ» :الواقعه:۴۳.

و ذکروا أن فی ذکر انشعابه إلی ثلاث شعب إشاره إلی عظم الدخان فإن الدخان العظیم یتفرق تفرق الذوائب.

قوله تعـالی:« لاٰ ظَلِیلٍ وَ لاٰ یُغْنِی مِنَ اللَّهَبِ »الظـل الظلیل هو المانع من الحر و الأذی بستره علی المسـتظل فکون الظل غیر ظلیل کونه لا یمنع ذلک،و اللهب ما یعلو علی النار من أحمر و أصفر و أخضر.

قوله تعالی:« إِنَّهٰا تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ کَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ »ضمیر أنها للنار المعلومه من السیاق،و الشرر ما یتطایر من النار،و القصر معروف،و الجماله جمع جمل و هو البعیر.

و المعنی ظاهر.

قـوله تعـالی:« هٰذٰا یَوْمُ لاٰ یَنْطِقُونَ وَ لاٰ یُؤْذَنُ لَهُمْ فَیَعْتَذِرُونَ »الإشـاره إلی یوم الفصـل، و المراد بالإـذن الإـذن فی النطق أو فی الاعتذار.

و قوله:« فَیَعْتَذِرُونَ »معطوف علی« یُؤْذَنُ »منتظم معه فی سـلک النفی،و المعنی هذا الیوم یوم لا ینطقون فیه أی أهل المحشـر من الناس و لا یؤذن لهم فی النطق أو فی الاعتـذار فلا یعتذرون،و لا ینافی نفی النطق هاهنا إثباته فی آیات أخر لأن الیوم ذو مواقف کثیره مختلفه یسألون فی بعضها فینطقون و یختم علی أفواههم فی آخر فلا ینطقون.

و قد تقدم فی تفسیر قوله تعالی: «یَوْمَ یَأْتِ لاٰ تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ» :هود:۱۰۵ فلیراجع.

قوله تعالی:« هٰذٰا یَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنٰاکُمْ وَ الْأَوَّلِینَ فَإِنْ کٰانَ لَکُمْ کَیْدٌ فَکِیدُونِ »سمی یوم الفصل لما أن الله تعالی یفصل و یمیز فیه بیـن أهـل الحـق و أهـل الباطـل بالقضـاء بینهـم قـال تعـالی: «إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» :السجده:۲۵، و قال: «إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» :یونس:۹۳.

و الخطـاب فی قوله:« جَمَعْنٰاکُمْ وَ الْأَوَّلِینَ »لمکـذبی هـذه الأمه بما أنهم من الآخرین و لـذا قوبلوا بالأولین قال تعالی: «ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ» :هود:۱۰۳ و قال «وَ حَشَرْنٰاهُمْ

فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» :الكهف:۶۷.

و قوله:« فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ »أى إن كانت لكم حيله تحتالون بى فى دفع عذابى عن أنفسكم فاحتالوا،و هذا خطاب تعجيزى منبئ عن انسلاب القوه و القدره عنهم يومئذ بالكليه بظهور أن لا قوه إلا لله عز اسمه قال تعالى: «وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذٰابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذٰابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ» :البقره:۱۶۶.

و الآيه أعنى قوله:« فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ »أوسع مدلولا من قوله: «يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لاٰ تَنْفُذُونَ إِلاّٰ بِسُلْطٰانٍ» :الرحمن:۳۳ لاختصاصه بنفى القدره على الفرار بخلاف الآيه التى نحن فيها و فى قوله:« فَكِيدُونِ »التفات من التكلم مع الغير إلى التكلم وحده و النكته فيه أن متعلق هذا الأمر التعجيزى إنما هو الكيد لمن له القوه و القدره فحسب و هو الله وحده و لو قيل:فكيدونا فأت الإشعار بالتوحد.

قوله تعالى:« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ -إلى قوله- اَلْمُحْسِنِينَ » الظلال و العيون ظلال الجنه و عيونها التى يتنعمون بالاستظلال بها و شربها،و الفواكه جمع فاكهه و هى الثمره.

و قوله:« كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »مفاده الإذن و الإباحه،و كان الأكل و الشرب كنايه عن مطلق التنعم بنعم الجنه و التصرف فيها و إن لم يكن بالأكل و الشرب،و هو شائع كما يطلق أكل المال على مطلق التصرف فيه.

و قوله:« إِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »تسجيل لسعادتهم.

قوله تعالى:« كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ »الخطاب من قبيل قولهم:افعل ما شئت فإنه لا ينفعك،و هذا النوع من الأمر إياس للمخاطب أن ينتفع بما يأتى به من الفعل للحصول على ما يريده،و منه قوله: «فَاقْضِ مٰا أَنْتَ قٰاضٍ إِنَّمٰا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا» طه:۷۲، و قوله: «اعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» :حم السجده:۴۰.

فقوله:« كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً »أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا إياس لهم من أن ينتفعوا بمثل الأكل و التمتع فى دفع العذاب عن أنفسهم فليأكلوا و ليتمتعوا قليلا فليس يدفع عنهم شيئا.

و إنما ذكر الأكل و التمتع لأن منكرى المعاد لا يرون من السعاده إلا سعاده الحياه الدنيا و لا يرون لها من السعاده إلا الفوز بالأكل و التمتع كالحيوان العجم قال تعالى:

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمٰا تَأْكُلُ الْأَنْعٰامُ وَ النّٰارُ مَثْوىً لَهُمْ» :سوره محمد:١٢.

و قوله:« إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ »تعليل لما يستفاد من الجمله السابقه المشتمله على الأمر أى لا ينفعكم الأكل و التمتع قليلا لأنكم مجرمون بتكذيبكم بيوم الفصل و جزاء المكذبين به النار لا محاله.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ »المراد بالركوع الصلاه كما قيل و لعل ذلك باعتبار اشتمالها على الركوع.

و قيل:المراد بالركوع المأمور به الخشوع و الخضوع و التواضع له تعالى باستجابه دعوته و قبول كلامه و اتباع دينه،و عبادته.

و قيل:المراد بالركوع ما يؤمرون بالسجود يوم القيامه كما يشير إليه قوله تعالى «وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ» :القلم:٤٢ و الوجهان لا يخلوان من بعد.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أن الكلام كان مسوقا لتهديد المكذبين بيوم الفصل و بيان تبعه تكذيبهم به و تمم ذلك فى هذه الآيه بأنهم لا يعبدون الله إذا دعوا إلى عبادته كما ينكرون ذلك اليوم فلا معنى للعباده مع نفى الجزاء،و ليكون كالتوطئه لقوله الآتى:

« فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ».

و نسب إلى الزمخشرى أن الآيه متصله بقوله فى الآيه السابقه:« لِلْمُكَذِّبِينَ »كأنه قيل:ويل يومئذ للذين كذبوا و الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.

و فى الآيه التفات من الخطاب إلى الغيبه فى قوله:« وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ »إلخ وجهه الإعراض عن مخاطبتهم بعد تركهم و أنفسهم يفعلون ما يشاءون بقوله:« كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا ».

قوله تعالى:« فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ »أى إذا لم يؤمنوا بالقرآن و هو آيه معجزه إلهيه،و قد بين لهم أن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له و أن أمامهم يوم الفصل بأوضح البيان و ساطع البرهان فبأى كلام بعد القرآن يؤمنون.

و هذا إيئاس من إيمانهم بالله و رسوله و اليوم الآخر و كالتنبيه على أن رفع اليد عن دعوتهم إلى الإيمان بإلقاء قوله:« كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا »إليهم فى محله فليسوا بمؤمنين و لا فائده فى دعوتهم غير أن فيها إتماما للحجه.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،:و قوله:« أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ »قال:منتن « فَجَعَلْنٰاهُ فِی قَرٰارٍ مَكِينٍ »قال:فی الرحم-و أما قوله:« إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ »یقول:منتهی الأجل.

أقول:

و فی أصول الكافی،فی روایه عن أبی الحسن الماضی(ع): تطبیق قوله:« أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ »علی مكذبی الرسل فی طاعه الأوصیاء،و قوله:« ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ » علی من أجرم إلی آل محمد(ع). علی اضطراب فی متن الخبر،و هو من الجری دون التفسیر.

و فیه:و قوله« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً »قال الكفات المساكن

و قال: نظر أمیر المؤمنین(ع)فی رجوعه من صفین إلی المقابر-فقال:هذه كفات الأموات أی مساكنهم-ثم نظر إلی بیوت الكوفه فقال:هذه كفات الأحیاء.ثم تلا قوله:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً ».

أقول:

و روی فی المعانی،بإسناده عن حماد عن أبی عبد الله(ع) *أنه نظر إلی المقابر.و ذكر مثل الحدیث السابق.

و فیه،:و قوله« وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ »قال:جبال مرتفعه.

و فیه،:و قوله« اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِی ثَلاٰثِ شُعَبٍ »قال فیه ثلاث شعب من النار- و قوله:« إِنَّهٰا تَرْمِی بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ »قال:شر النار مثل القصور و الجبال.

و فیه،:و قوله« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ »قال:فی ظلال من نور أنور من الشمس.

و فی المجمع،": فی قوله:« وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ »قال مقاتل: نزلت فی ثقیف حین أمرهم رسول الله ص بالصلاه-فقالوا:لا ننحنی.و الروایه لا نحنی فإن ذلک سبه علینا.فقال(ص):لا خیر فی دین لیس فیه ركوع و سجود.

أقول:و فی انطباق القصه-و قد وقعت بعد الهجره-علی الآیه خفاء.

و فی تفسیر القمی،":فی الآیه السابقه قال:و إذا قیل لهم«تولوا الإمام لم یتولوه».

أقول:و هو من الجری دون التفسیر.

(۷۸) سوره النبإ مکیه و هی أربعون آیه(۴۰)

[سوره النبإ (۷۸): الآیات ۱ الی ۱۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ (۱) عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ (۲) اَلَّذِی هُمْ فِیهِ مُخْتَلِفُونَ (۳) کَلاّٰ سَیَعْلَمُونَ (۴) ثُمَّ کَلاّٰ سَیَعْلَمُونَ (۵) أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ مِهٰاداً (۶) وَ اَلْجِبٰالَ أَوْتٰاداً (۷) وَ خَلَقْنٰاکُمْ أَزْوٰاجاً (۸) وَ جَعَلْنٰا نَوْمَکُمْ سُبٰاتاً (۹) وَ جَعَلْنَا اَللَّیْلَ لِبٰاساً (۱۰) وَ جَعَلْنَا اَلنَّهٰارَ مَعٰاشاً (۱۱) وَ بَنَیْنٰا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِدٰاداً (۱۲) وَ جَعَلْنٰا سِرٰاجاً وَهّٰاجاً (۱۳) وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ اَلْمُعْصِرٰاتِ مٰاءً ثَجّٰاجاً (۱۴) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبٰاتاً (۱۵) وَ جَنّٰاتٍ أَلْفٰافاً (۱۶)

[بیان]

تتضمن السوره الإخبار بمجیء یوم الفصل و صفته و الاحتجاج علی أنه حق لا ریب فیه،فقد افتتحت بذکر تساؤلهم عن نبئه ثم ذکر فی سیاق الجواب و لحن التهدید أنهم سیعلمون ثم احتج علی ثبوته بالإشاره إلی النظام المشهود فی الکون بما فیه من التدبیر الحکیم الدال بأوضح الدلاله علی أن وراء هذه النشأه المتغیره الدائره نشأه ثابته باقیه، و أن عقیب هذه الدار التی فیها عمل و لا جزاء دارا فیها جزاء و لا عمل فهناک یوم یفصح عنه هذا النظام.

ثم تصف الیوم بما یقع فیه من إحضار الناس و حضورهم و انقلاب الطاغین إلی عذاب ألیم و المتقین إلی نعیم مقیم و یختم الکلام بکلمه فی الإنذار،و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ »« عَمَّ »أصله عما و ما استفهامیه تحذف الألف منها

اطرادا إذا دخل عليها حرف الجر نحو لم و مم و على م و إلى م،و التساؤل سؤال القوم بعضهم بعضا عن أمر أو سؤال بعضهم بعد بعض عن أمر و إن كان المسئول غيرهم، فهم كان يسأل بعضهم بعضا عن أمر أو كان بعضهم بعد بعض يسأل النبى ص عن أمر و حيث كان سياق السوره سياق جواب يغلب فيه الإنذار و الوعيد تأيد به أن المتسائلين هم كفار مكه من المشركين النافين للنبوه و المعاد دون المؤمنين و دون الكفار و المؤمنين جميعا.

فالتساؤل من المشركين و الإخبار عنه فى صوره الاستفهام للإشعار بهوانه و حقارته لظهور الجواب عنه ظهورا ما كان ينبغى معه أن يتساءلوا عنه.

قوله تعالى:« عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ »جواب عن الاستفهام السابق أى يتساءلون عن النبإ العظيم،و لا يخفى ما فى توصيف النبإ المتسائل عنه بالعظيم من تعظيمه و تفخيم أمره.

و المراد بالنبإ العظيم نبأ البعث و القيامه الذى يهتم به القرآن العظيم فى سوره المكيه و لا سيما فى العتائق النازله فى أوائل البعثه كل الاهتمام.

و يؤيد ذلك سياق آيات السوره بما فيه من الاقتصار على ذكر صفه يوم الفصل و ما تقدم عليها من الحجه على أنه حق واقع.

و قيل:المراد به نبأ القرآن العظيم،و يدفعه كون السياق بحسب مصبه أجنبيا عنه و إن كان الكلام لا يخلو من إشاره إليه استلزاما.

و قيل:النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع و صفاته و الملائكه و الرسل و البعث و الجنه و النار و غيرها،و كان القائل به اعتبر فيه ما فى السوره من الإشاره إلى حقيه جميع ذلك مما تتضمنه الدعوه الحقه الإسلاميه.

و يدفعه أن الإشاره إلى ذلك كله من لوازم صفه البعث المتضمنه لجزاء الاعتقاد الحق و العمل الصالح و الكفر و الاجرام،و قد دخل فيما فى السوره من صفه يوم الفصل تبعا و بالقصد الثانى.

على أن المراد بهؤلاء المتسائلين-كما تقدم-المشركون و هم يثبتون الصانع و الملائكه و ينفون ما وراء ذلك مما ذكر.

و قوله:« اَلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ »إنما اختلفوا فى نحو إنكاره و هم متفقون فى نفيه

فمنهم من كـان يرى اسـتحالته فينكره كمـا هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله: «هَلْ نَـدُلُّكَمْ عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكَمْ إِذٰا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِيدٍ» :سبأ:٧،و منهم من كـان يسـتبعده فينكره و هو قولهم: «أَ يَعِـدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذٰا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهٰاتَ هَيْهٰاتَ لِمٰا تُوعَدُونَ» :المؤمنون:٣۶،و منهم من كان يشک فيه فينكره قال تعالى:

«بَـلِ ادّٰارَکَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَهِ بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْهٰا» :النمل ۶۶،و منهم من كـان يوقن به لكنه لاـ يؤمن عنادا فينكره كما كان لا يؤمن بالتوحيد و النبوه و سائر فروع الدين بعد تمام الحجه عنادا قال تعالى: «بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» :الملک:٢١.

و المحصـل من سياق الآيـات الثلاـث و مـا يتلوها أنهم لما سـمعوا ما ينـذرهم به القرآن من أمر البعث و الجزاء يوم الفصل ثقل عليهم ذلک فغدوا يسأل بعضهم بعضا عن شأن هذا النبإ العجيب الذی لم يكن مما قرع أسماعهم حتى اليوم،و ربما راجعوا النبی ص و المؤمنين و سألوهم عن صـفه اليوم و أنه متى هـذا الوعد إن كنتم صادقين و ربما كانوا يراجعون فی بعض ما قرع سـمعهم من حقائق القرآن و احتوته دعوته الجديده أهل الكتاب و خاصه اليهود و يستمدونهم فی فهمه.

و قـد أشـار تعالى فی هـذه السوره إلى قصه تساؤلهم فی صوره السؤال و الجواب فقال:« عَمَّ يَتَسٰاءَلُونَ »و هو سؤال عما يتساءلون عنه.ثم قـال:« عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِی هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ »و هو جواب السؤال عمـا يتساءلون عنه.ثم قال:« كَلاّٰ سَـيَعْلَمُونَ » إلـخ،و هو جواب عن تساؤلهم.

و للمفسرين فی مفردات الآيات الثلاث و تقرير معانيها وجوه كثيره تركناها لعدم ملاءمتها السياق و الذی أوردناه هو الذی يعطيه السياق.

قوله تعـالى:« كَلاّٰ سَـيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاّٰ سَـيَعْلَمُونَ »ردع عن تسـاؤلهم عنه بـانين ذلـک على الاختلاـف فی النفی أی ليرتـدعوا عن التساؤل لأنه سـينكشف لهم الأمر بوقوع هذا النبإ فيعلمونه،و فی هذا التعبير تهديد كما فی قوله: «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» الشعراء:٢٢٧.

و قوله:« ثُمَّ كَلاّٰ سَـيَعْلَمُونَ »تأكيـد للردع و التهديد السابقين و لحن التهديد هو القرينه على أن المتسائلين هم المشـركون النافون للبعث و الجزاء دون المؤمنين و دون المشركين و المؤمنين جميعا.

قوله تعالی:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهٰاداً »الآیه إلی تمام إحدی عشره آیه مسوق سوق الاحتجاج علی ثبوت البعث و الجزاء و تحقق هذا النبإ العظیم و لازم ثبوته صحه ما فی قوله:

« سَیَعْلَمُونَ »من الإخبار بأنهم سیشاهدونه فیعلمون.

تقریر الحجه:أن العالم المشهود بأرضه و سمائه و لیله و نهاره و البشر المتناسلین و النظام الجاری فیها و التدبیر المتقن الدقیق لأمورها من المحال أن یکون لعبا باطلا لا غایه لها ثابته باقیه فمن الضروری أن یستعقب هذا النظام المتحول المتغیر الدائر إلی عالم ذی نظام ثابت باق،و أن یظهر فیه أثر الصلاح الذی تدعو إلیه الفطره الإنسانیه و الفساد الذی ترتدع عنه،و لم یظهر فی هذا العالم المشهود أعنی سعاده المتقین و شقاء المفسدین، و من المحال أن یودع الله الفطره دعوه غریزیه أو ردعا غریزیا بالنسبه إلی ما لا أثر له فی الخارج و لا حظ له من الوقوع فهناک یوم یلقاه الإنسان و یجزی فیه علی عمله إن خیرا فخیرا و إن شرا فشرا.

فالآیات فی معنی قوله تعالی «وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النّٰارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجّٰارِ» :_ص:۲۸.

و بهذا البیان یثبت أن هناک یوما یلقاه الإنسان و یجزی فیه بما عمل إن خیرا فخیرا و إن شرا فشرا فلیس للمشرکین أن یختلفوا فیه فیشک فیه بعضهم و یستبعده طائفه، و یحیله قوم،و لا یؤمن به مع العلم به عنادا آخرون،فالیوم ضروری الوقوع و الجزاء لا ریب فیه.

و یظهر من بعضهم أن الآیات مسوقه لإثبات القدره و أن العود یماثل البدء و القادر علی الإبداء قادر علی الإعاده،و هذه الحجه و إن کانت تامه و قد وقعت فی کلامه تعالی لکنها حجه علی الإمکان دون الوقوع و السیاق فیما نحن فیه سیاق الوقوع دون الإمکان فالأنسب فی تقریرها ما تقدم.

و کیف کان فقوله:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهٰاداً »الاستفهام للإنکار،و المهاد الوطاء و القرار الذی یتصرف فیه،و یطلق علی البساط الذی یجلس علیه و المعنی قد جعلنا الأرض قرارا لکم تستقرون علیها و تتصرفون فیها.

قوله تعالى:« وَ الْجِبالَ أَوْتاداً » الأوتاد جمع وتد و هو المسمار إلا أنه أغلظ منه كما فى المجمع،و لعل عد الجبال أوتادا مبنى على أن عمده جبال الأرض من عمل البركانات بشق الأرض فتخرج منه مواد أرضيه مذابه تنتصب على فم الشقه متراكمه كهيئه الوتد المنصوب على الأرض تسكن به فوره البركان الذى تحته فيرتفع به ما فى الأرض من الاضطراب و الميدان.

و عن بعضهم:أن المراد بجعل الجبال أوتادا انتظام معاش أهل الأرض بما أودع فيها من المنافع و لولاها لمادت الأرض بهم أى لما تهيأت لانتفاعهم.و فيه أنه صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضروره موجبه.

قوله تعالى:« وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً »أى زوجا زوجا من ذكر و أنثى لتجرى بينكم سنه التناسل فيدوم بقاء النوع إلى ما شاء الله.

و قيل:المراد به الإشكال أى كل منكم شكل للآخر.و قيل:المراد به الأصناف أى أصنافا مختلفه كالأبيض و الأسود و الأحمر و الأصفر إلى غير ذلك، و قيل:المراد به خلق كل منهم من منيين منى الرجل و منى المرأه و هذه وجوه ضعيفه.

قيل:الالتفات فى الآيه من الغيبه إلى الخطاب للمبالغه فى الإلزام و التبكيت.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً » السبات الراحه و الدعه فإن فى المنام سكوتا و راحه للقوى الحيوانيه البدنيه مما اعتراها فى اليقظه من التعب و الكلال بواسطه تصرفات النفس فيها.

و قيل:السبات بمعنى القطع و فى النوم قطع التصرفات النفسانيه فى البدن،و هو قريب من سابقه.

و قيل:المراد بالسبات الموت،و قد عد سبحانه النوم من الموت حيث قال: «وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيْلِ» :الأنعام:۶۰ و هو بعيد،و أما الآيه فإنه تعالى عد النوم توفيا و لم يعده موتا بل القرآن يصرح بخلافه قال تعالى: «اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها» :الزمر:۴۲.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً »أى ساترا يستر الأشياء بما فيه من الظلمه الساتره للمبصرات كما يستر اللباس البدن و هذا سبب إلهى يدعو إلى ترك التقلب و الحركه و الميل إلى السكن و الدعه و الرجوع إلى الأهل و المنزل.

و عن بعضهم أن المراد بكون الليل لباسا كونه كاللباس للنهار يسهل إخراجه منه و هو كما ترى.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً » العيش هو الحياه-على ما ذكره الراغب- غير أن العيش يختص بحياه الحيوان فلا يقال:عيشه تعالى و عيش الملائكه و يقال حياته تعالى و حياه الملائكه،و المعاش مصدر ميمى و اسم زمان و اسم مكان،و هو فى الآيه بأحد المعنيين الأخيرين،و المعنى و جعلنا النهار زمانا لحياتكم أو موضعا لحياتكم تبتغون فيه من فضل ربكم،و قيل:المراد به المعنى المصدرى بحذف مضاف،و التقدير و جعلنا النهار طلب معاش أى مبتغى معاش.

قوله تعالى:« وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً »أى سبع سماوات شديده فى بنائها.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً » الوهاج شديد النور و الحراره و المراد بالسراج الوهاج:الشمس.

قوله تعالى:« وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً » المعصرات السحب الماطره و قيل:

الرياح التى تعصر السحب لتمطر و الثجاج الكثير الصب للماء،و الأولى على هذا المعنى أن تكون« مِنَ »بمعنى الباء.

قوله تعالى:« لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتاً »أى حبا و نباتا يقتات بهما الإنسان و سائر الحيوان.

قوله تعالى:« وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافاً »معطوف على قوله:« حَبًّا »و جنات ألفاف أى ملتفه أشجارها بعضها ببعض.

قيل:إن الألفاف جمع لا واحد له من لفظه.

بحث روائی

فى بعض الأخبار: أن النبأ العظيم على(ع)و هو من البطن.

عن الخصال،عن عكرمه عن ابن عباس قال*: قال أبو بكر:يا رسول الله أسرع إليك الشيب.قال:شيبتنى هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون.

فی تفسیر القمی، ":فی قوله تعالی:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً »قال:یمهد فیها الإنسان- « وَ الْجِبالَ أَوْتاداً »أی أوتاد الأرض.

و فی نهج البلاغه،قال(ع): و وتد بالصخور میدان أرضه.

و فی تفسیر القمی، ":فی قوله تعالی:« وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِباساً »قال:یلبس علی النهار.

أقول:و لعل المراد به أنه یخفی ما یظهره النهار و یستر ما یکشفه.

و فیه، ":فی قوله تعالی:« وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً »قال: الشمس المضیئه« وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ »قال:من السحاب« ماءً ثَجّاجاً »قال:صبا علی صب.

و عن تفسیر العیاشی،عن أبی عبد الله(ع): « عامٌ فِیهِ یُغاثُ النّاسُ وَ فِیهِ یَعْصِرُونَ » بالیاء یمطرون.

ثم قال:أ ما سمعت قوله:« وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً ».

أقول:المراد أن« یَعْصِرُونَ »بضم الیاء بصیغه المجهول و المراد به أنهم یمطرون و استشهاده(ع)بقوله:« وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ »دلیل علی أنه(ع)أخذ المعصرات بمعنی الممطرات من أعصرت السحابه إذا أمطرت.

و روی العیاشی مثل الحدیث عن علی بن معمر عن أبیه عن أبی عبد الله(ع)و روی القمی فی تفسیره،:مثله عن أمیر المؤمنین.

[سوره النبإ (۷۸): الآیات ۱۷ الی ۴۰]

اشاره

إِنَّ یَوْمَ اَلْفَصْلِ کانَ مِیقاتاً (۱۷) یَوْمَ یُنْفَخُ فِی اَلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً (۱۸) وَ فُتِحَتِ اَلسَّماءُ فَکانَتْ أَبْواباً (۱۹) وَ سُیِّرَتِ اَلْجِبالُ فَکانَتْ سَراباً (۲۰) إِنَّ جَهَنَّمَ کانَتْ مِرْصاداً (۲۱) لِلطّاغِینَ مَآباً (۲۲) لابِثِینَ فِیها أَحْقاباً (۲۳) لا یَذُوقُونَ فِیها بَرْداً وَ لا شَراباً (۲۴) إِلاّ حَمِیماً وَ غَسّاقاً (۲۵) جَزاءً وِفاقاً (۲۶) إِنَّهُمْ کانُوا لا یَرْجُونَ حِساباً (۲۷) وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا کِذّاباً (۲۸) وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْناهُ کِتاباً (۲۹) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِیدَکُمْ إِلاّ عَذاباً (۳۰) إِنَّ لِلْمُتَّقِینَ مَفازاً (۳۱) حَدائِقَ وَ أَعْناباً (۳۲) وَ کَواعِبَ أَتْراباً (۳۳) وَ کَأْساً دِهاقاً (۳۴) لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً وَ لا کِذّاباً (۳۵) جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً (۳۶) رَبِّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا اَلرَّحْمنِ لا یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطاباً (۳۷) یَوْمَ یَقُومُ اَلرُّوحُ وَ اَلْمَلائِکَهُ صَفًّا لا یَتَکَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً (۳۸) ذلِکَ اَلْیَوْمُ اَلْحَقُّ فَمَنْ شاءَ اِتَّخَذَ إِلی رَبِّهِ مَآباً (۳۹) إِنّا أَنْذَرْناکُمْ عَذاباً قَرِیباً یَوْمَ یَنْظُرُ اَلْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ یَداهُ وَ یَقُولُ اَلْکافِرُ یا لَیْتَنِی کُنْتُ تُراباً (۴۰)

بیان

تصف الآیات یوم الفصل الذی أخبر به إجمالا بقوله:« كَلّا سَيَعْلَمُونَ »ثم تصف ما یجری فیه علی الطاغین و المتقین،و تختتم بکلمه فی الإنذار و هی کالنتیجه.

قوله تعالی:« إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً »قال فی المجمع،: المیقات منتهی المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور و هو من الوقت کما أن المیعاد من الوعد و المقدار من القدر،انتهی.

شروع فی وصف ما تضمنه النبأ العظیم الذی أخبر بوقوعه و هددهم به فی قوله:

« كَلّا سَيَعْلَمُونَ »ثم أقام الحجه علیه بقوله:« أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً »إلخ،و قد سماه یوم الفصل و نبه به علی أنه یوم یفصل فیه القضاء بین الناس فینال کل طائفه ما یستحقه بعمله فهو میقات و حد مضروب لفصل القضاء بینهم و التعبیر بلفظ« كانَ »للدلاله علی ثبوته و تعینه فی العلم الإلهی علی ما ینطق به الحجه السابقه الذکر،و لذا أکد الجمله بإن.

و المعنى:أن يوم فصل القضاء الـذى نبأه نبأ عظيم كان فى علم الله يوم خلق السـماوات و الأرض و حكم فيها النظام الجارى حدا مضروبا ينتهى إليه هذا العالم فإنه تعالى كان يعلم أن هذه النشأه التى أنشأها لا تتم إلا بالانتهاء إلى يوم يفصل فيه القضاء بينهم.

قوله تعالى:« يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً »قـد تقدم الكلام فى معنى نفخ الصور كرارا،و الأفواج جمع فوج و هى الجماعه الماره المسرعه على ما ذكره الراغب.

و فى قوله:« فَتَأْتُونَ أَفْواجاً »جرى على الخطاب السابق الملتفت إليه قضاء لحق الوعيد الذى يتضـمنه قوله:« كَلاّ سَيَعْلَمُونَ »و كان الآيه ناظره إلى قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» :إسراء:٧١.

قوله تعالى:« وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً »فاتصل به عالم الإنسان بعالم الملائكه.

و قيل:التقدير فكانت ذات أبواب،و قيل:صار فيها طرق و لم يكن كذلك من قبل،و لا يخلو الوجهان من تحكم فليتدبر.

قوله تعالى:« وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً » السراب هو الموهوم من الماء اللامع فى المفاوز و يطلق على كل ما يتوهم ذا حقيقه و لا حقيقه له على طريق الاستعاره.

و لعل المراد بالسراب فى الآيه هو المعنى الثانى.

بيـان ذلـك:أن تسـيير الجبـال و دكهـا ينتهى بـالطبع إلى تفرق أجزائها و زوال شـكلها كما وقع فى مواضع من كلامه تعالى عند وصف زلزله السـاعه و آثارهـا إذ قال: «وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً» :الطور:١٠ و قـال: «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» :الحاقه:١۴، و قال: «وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً» :المزمل ١۴،و قال: «وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» :القارعه:۵،و قال: «وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا» :الواقعه:۵،و قال: «وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ» :المرسلات:١٠.

فتسـيير الجبـال و دكهـا ينتهى بهـا إلى بسـها و نسـفها و صـيرورتها كثيبـا مهيلاـ و كـالعهن المنفـوش كمـا ذكره الله تعـالى و أما صيرورتها سرابا بمعنى ما يتوهم ماء لامعا فلا نسبه بين التسيير و بين السراب بهذا المعنى.

نعم ينتهى تسـييرها إلى انعـدامها و بطلان كينونتها و حقيقتها بمعنى كونها جبلا فالجبال الراسـيات التى كانت ترى حقائق ذوات كينونه قويه لا تحركه العواصف تتبدل بالتسيير

سرابا باطلا لا حقیقه له،و نظیره من کلامه تعالی قوله فی أقوام أهلکهم و قطع دابرهم، «فَجَعَلْنٰاهُمْ أَحٰادِیثَ» :سبأ:۱۹ و قوله: «فَأَتْبَعْنٰا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَحٰادِیثَ» المؤمنون:۴۴،و قوله فی الأصنام «إِنْ هِیَ إِلاّٰ أَسْمٰاءٌ سَمَّیْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ» :النجم:۲۳.

فالآیه بوجه کقوله تعالی «وَ تَرَی الْجِبٰالَ تَحْسَبُهٰا جٰامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحٰابِ» النمل:۸۸-بناء علی کونه ناظرا إلی صفه زلزله الساعه-.

قوله تعالی:« إِنَّ جَهَنَّمَ کٰانَتْ مِرْصٰاداً »قال فی المفردات،: الرصد الاستعداد للترقب-إلی أن قال-و المرصد موضع الرصد قال تعالی:« وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ » و المرصاد نحوه لکن یقال للمکان الذی اختص بالرصد قال تعالی:« إِنَّ جَهَنَّمَ کٰانَتْ مِرْصٰاداً »تنبیها علی أن علیها مجاز الناس،و علی هذا قوله تعالی:« وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا »انتهی.

قوله تعالی:« لِلطّٰاغِینَ مَآباً » الطاغون الملتبسون بالطغیان و هو الخروج عن الحد، و المآب اسم مکان من الأوب بمعنی الرجوع،و العنایه فی عدها مآبا للطاغین أنهم هیئوها مأوی لأنفسهم و هم فی الدنیا ثم إذا انقطعوا عن الدنیا آبوا و رجعوا إلیها.

قوله تعالی:« لاٰبِثِینَ فِیهٰا أَحْقٰاباً » الأحقاب الأزمنه الکثیره و الدهور الطویله من غیر تحدید.

و هو جمع اختلفوا فی واحده فقیل:واحده حقب بالضم فالسکون أو بضمتین، و قد وقع فی قوله تعالی: «أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً» :الکهف:۶۰،و قیل: حقب بالفتح فالسکون و واحد الحقب حقبه بالکسر فالسکون قال الراغب:و الحق أن الحقبه مده من الزمان مبهمه.انتهی.

و حد بعضهم الحقب بثمانین سنه أو ببضع و ثمانین سنه و زاد آخرون أن السنه منها ثلاثمائه و ستون یوما کل یوم یعدل ألف سنه،و عن بعضهم أن الحقب أربعون سنه و عن آخرین أنه سبعون ألف سنه إلی غیر ذلک و لا دلیل من الکتاب یدل علی شیء من هذه التحدیدات و لم یثبت من اللغه شیء منها.

و ظاهر الآیه أن المراد بالطاغین المعاندون من الکفار و یؤیده قوله ذیلا:« إِنَّهُمْ کٰانُوا لاٰ یَرْجُونَ حِسٰاباً وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا کِذّٰاباً ».

و قد فسروا« أَحْقٰاباً »فی الآیه بالحقب بعد الحقب فالمعنی حال کون الطاغین لابثین فی جهنم حقبا بعد حقب بلا تحدید و لا نهایه فلا تنافی الآیه ما نص علیه القرآن من خلود الکفار فی النار.

و قیل:إن قوله:« لاٰ یَذُوقُونَ فِیهٰا »إلخ صفه« أَحْقٰاباً »و المعنی لابثین فیها أحقابا هی علی هذه الصفه و هی أنهم لا یذوقون فیها بردا و لا شرابا إلا حمیما و غساقا،ثم یکونون علی غیر هذه الصفه إلی غیر النهایه.

و هو حسن لو ساعد السیاق.

قوله تعالی:« لاٰ یَذُوقُونَ فِیهٰا بَرْداً وَ لاٰ شَرٰاباً »ظاهر المقابله بین البرد و الشراب أن المراد بالبرد مطلق ما یتبرد به غیر الشراب کالظل الذی یستراح إلیه بالاستظلال فالمراد بالذوق مطلق النیل و المس.

قوله تعالی:« إِلاّٰ حَمِیماً وَ غَسّٰاقاً » الحمیم الماء الحار شدید الحر،و الغساق صدید أهل النار.

قوله تعالی:« جَزٰاءً وِفٰاقاً -إلی قوله- کِتٰاباً »المصدر بمعنی اسم الفاعل و المعنی یجزون جزاء موافقا لما عملوا أو بتقدیر مضاف أی جزاء ذا وفاق أو إطلاق الوفاق علی الجزاء للمبالغه کزید عدل.

و قوله:« إِنَّهُمْ کٰانُوا لاٰ یَرْجُونَ حِسٰاباً وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا کِذّٰاباً »أی تکذیبا عجیبا یصرون علیه،تعلیل یوضح موافقه جزائهم لعملهم،و ذلک أنهم لم یرجوا الحساب یوم الفصل فأیسوا من الحیاه الآخره و کذبوا بالآیات الداله علیها فأنکروا التوحید و النبوه و تعدوا فی أعمالهم طور العبودیه فنسوا الله تعالی فنسیهم و حرم علیهم سعاده الدار الآخره فلم یبق لهم إلا الشقاء و لا یجدون فیها إلا ما یکرهون،و لا یواجهون إلا ما یتعذبون به و هو قوله:« فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِیدَکُمْ إِلاّٰ عَذٰاباً ».

و فی الآیه أعنی قوله:« جَزٰاءً وِفٰاقاً »دلاله علی المطابقه التامه بین الجزاء و العمل فالإنسان لا یرید بعمله إلا الجزاء الذی بإزائه و التلبس بالجزاء تلبس بالعمل بالحقیقه قال تعالی: «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْیَوْمَ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» :التحریم:۷.

و قوله:« وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ کِتٰاباً »أی کل شیء و منه الأعمال ضبطناه و بیناه فی

كتاب جليل القدر فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ» :يس:١٣.

أو المراد و كل شىء حفظناه حال كونه مكتوبا أى فى اللوح المحفوظ أو فى صحائف الأعمال،و جوز أن يكون الإحصاء بمعنى الكتابه أو الكتاب بمعنى الإحصاء فإن الإحصاء و الكتابه يتشاركان فى معنى الضبط و المعنى كل شىء أحصيناه إحصاء أو كل شىء كتبناه كتابا.

و الآيه على أى حال متمم للتعليل السابق،و المعنى الجزاء موافق لأعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا و كذا و قد حفظناها عليهم فجزيناهم بها جزاء وفاقا.

قوله تعالى:« فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّٰ عَذٰاباً »تفريع على ما تقدم من تفصيل عذابهم مسوق لإيئاسهم من أن يرجو نجاه من الشقوه و راحه ينالونها.

و الالتفات إلى خطابهم بقوله:« فَذُوقُوا »تقدير لحضورهم ليخاطبوا بالتوبيخ و التقريع بلا واسطه.

و المراد بقوله:« فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّٰ عَذٰاباً »أن ما تذوقونه بعد عذاب ذقتموه عذاب آخر فهو عذاب بعد عذاب و عذاب على عذاب فلا تزالون يضاف عذاب جديد إلى عذابكم القديم فاقنطوا من أن تنالوا شيئا مما تطلبون و تحبون.

و الآيه لا تخلو من ظهور فى كون المراد بقوله:« لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً »الخلود دون الانقطاع.

قوله تعالى:« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً -إلى قوله- كِذّٰاباً » الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامه-على ما قاله الراغب-ففيه معنى النجاه و التخلص من الشر و الحصول على الخير،و المفاز مصدر ميمى أو اسم مكان من الفوز و الآيه تحتمل الوجهين جميعا.

و قوله:« حَدٰائِقَ وَ أَعْنٰاباً » الحدائق جمع حديقه و هى البستان المحوط،و الأعناب جمع عنب و هو ثمر شجره الكرم و ربما يطلق على نفس الشجره.

و قوله:« وَ كَوٰاعِبَ »جمع كاعب و هى الفتاه التى تكعب ثدياها و استدار مع ارتفاع يسير،و الترائب جمع ترب و هى المماثله لغيرها من اللذات.

و قوله:« وَ كَأْساً دِهٰاقاً »أى ممتلئه شرابا مصدر بمعنى اسم الفاعل.

و قوله:« لاٰ یَسْمَعُونَ فِیهٰا لَغْواً وَ لاٰ کِذّٰاباً »أی لا یسمعون فی الجنه لغوا من القول لا یترتب علیه أثر مطلوب و لا تکذیبا من بعضهم لبعضهم فیما قال فقولهم حق له أثره المطلوب و صدق مطابق للواقع.

قوله تعالی:« جَزٰاءً مِنْ رَبِّکَ عَطٰاءً حِسٰاباً »أی فعل بالمتقین ما فعل حال کونه جزاء من ربک عطیه محسوبه فقوله:« جَزٰاءً »حال و کذا« عَطٰاءً »و« حِسٰاباً » بمعنی اسم المفعول صفه لعطاء،و یحتمل أن یکون عطاء تمییزا أو مفعولا مطلقا.

قیل:إضافه الجزاء إلی الرب مضافا إلی ضمیره(ص)تشریف له،و لم یضف جزاء الطاغین إلیه تعالی تنزها منه تعالی فلیس یغشاهم شر إلا من عند أنفسهم قال تعالی:

«ذٰلِکَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَ أَنَّ اللّٰهَ لَیْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِیدِ» :الأنفال:۵۱.

و وقوع لفظ الحساب فی ذیل جزاء الطاغین و المتقین معا لتثبیت ما یلوح إلیه یوم الفصل الواقع فی أول الکلام.

قوله تعالی:« رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ »بیان لقوله:« رَبِّکَ » أرید به أن ربوبیته تعالی عامه لکل شیء و أن الرب الذی یتخذه النبی ص ربا و یدعو إلیه رب کل شیء لا کما کان یقول المشرکون:إن لکل طائفه من الموجودات ربا و الله سبحانه رب الأرباب أو کما کان یقول بعضهم:أنه رب السماء.

و فی توصیف الرب بالرحمن-صیغه مبالغه من الرحمه-إشاره إلی سعه رحمته و أنها سمه ربوبیه لا یحرم منها شیء إلا أن یمتنع منها شیء بنفسه لقصوره و سوء اختیاره فمن شقوه هؤلاء الطاغین أنهم حرموها علی أنفسهم بالخروج عن طور العبودیه.

قوله تعالی:« لاٰ یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطٰاباً یَوْمَ یَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِکَهُ صَفًّا لاٰ یَتَکَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰاباً »وقوع صدر الآیه فی سیاق قوله:« رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ »-و شأن الربوبیه هو التدبیر و شأن الرحمانیه بسط الرحمه-دلیل علی أن المراد بخطابه تعالی تکلیمه فی بعض ما فعل من الفعل بنحو السؤال عن السبب الداعی إلی الفعل کان یقال:لم فعلت هذا؟و لم لم تفعل کذا؟کما یسأل الفاعل منا عن فعله فتکون الجمله« لاٰ یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطٰاباً »فی معنی قوله تعالی: «لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ» :الأنبیاء:۲۳ و قد تقدم الکلام فی معنی الآیه.

لكن وقوع قوله:« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا »بعد قوله:« لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰاباً »الظاهر فى اختصاص عدم الملك بيوم الفصل مضافا إلى وقوعه فى سياق تفصيل جزاء الطاغين و المتقين منه تعالى يوم الفصل يعطى أن يكون المراد به أنهم لا يملكون أن يخاطبوه فيما يقضى و يفعل بهم باعتراض عليه أو شفاعه فيهم لكن الملائكه-و هم ممن لا يملكون منه خطابا-منزهون عن وصمه الاعتراض عليه تعالى و قد قال فيهم: «عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» :الأنبياء:۲۷ و كذلك الروح الذى هو (۱)كلمته و قوله،و قوله (۲)حق،و هو تعالى (۳)الحق المبين و الحق لا يعارض الحق و لا يناقضه.

و من هنا يظهر أن المراد بالخطاب الذى لا يملكونه هو الشفاعه و ما يجرى مجراها من وسائل التخلص من الشر كالعدل و البيع و الخله و الدعاء و السؤال قال تعالى: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ» :البقره:۲۵۴،و قال: «وَ لاٰ يُقْبَلُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَ لاٰ تَنْفَعُهٰا شَفٰاعَةٌ» :البقره:۱۲۳،و قال: «يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ» :هود:۱۰۵.

و بالجمله قوله:« لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰاباً »ضمير الفاعل فى« لاٰ يَمْلِكُونَ »لجميع المجموعين ليوم الفصل من الملائكه و الروح و الإنس و الجن كما هو المناسب للسياق الحاكى عن ظهور العظمه و الكبرياء دون خصوص الملائكه و الروح لعدم سبق الذكر و دون خصوص الطاغين كما قيل لكثره الفصل،و المراد بالخطاب الشفاعه و ما يجرى مجراها كما تقدم.

و قوله:« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا »ظرف لقوله:« لاٰ يَمْلِكُونَ »و قيل:

لقوله:« لاٰ يَتَكَلَّمُونَ »و هو بعيد مع صلاحيه ظرفيته لما سبقه.

و المراد بالروح المخلوق الأمرى الذى يشير إليه قوله تعالى: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» :إسراء:۸۵.

و قيل:المراد به أشراف الملائكه،و قيل حفظه الملائكه و قيل:ملك موكل على الأرواح.و لا دليل على شيء من هذه الأقوال.

ص :۱۷۱

۱- ۱) النحل:۴۰.

۲- ۲) الأنعام:۷۳.

۳- ۳) النور:۲۵.

و قیل:المراد به جبریل،و قیل:أرواح الناس و قیامها مع الملائکه صفا إنما هو بین النفختین قبل أن تلج الأجساد،و قیل:القرآن و المراد من قیامه ظهور آثاره یومئذ من سعاده المؤمنین به و شقاوه الکافرین.

و یدفعها أن هذه الثلاثه و إن أطلق علی کل منها الروح فی کلامه تعالی لکنه مع التقیید کقوله: «وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی» :الحجر:۲۹،و قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ» :الشعراء:۱۹۳،و قوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» :النحل:۱۰۲،و قوله:

«فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا» :مریم:۱۷،و قوله: «وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» الشوری:۵۲ و الروح فی الآیه التی نحن فیها مطلق،علی أن فی القولین الأخیرین تحکما ظاهرا.

و« صَفًّا »حال من الروح و الملائکه و هو مصدر أرید به اسم الفاعل أی حال کونهم صافین،و ربما استفید من مقابله الروح للملائکه أن الروح وحده صف و الملائکه جمیعا صف.

و قوله:« لاٰ یَتَکَلَّمُونَ »بیان لقوله:« لاٰ یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطٰاباً »و ضمیر الفاعل لأهل الجمع من الروح و الملائکه و الإنس و الجن علی ما یفیده السیاق.

و قیل:الضمیر للروح و الملائکه،و قیل: للناس و وقوع« لاٰ یَمْلِکُونَ »بما مر من معناه و« لاٰ یَتَکَلَّمُونَ »فی سیاق واحد لا یلائم شیئا من القولین.

و قوله:« إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ »بدل من ضمیر الفاعل فی« لاٰ یَتَکَلَّمُونَ »أرید به بیان من له أن یتکلم منهم یومئذ بإذن الله فالجمله فی معنی قوله: «یَوْمَ یَأْتِ لاٰ تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ» :هود:۱۰۵ علی ظاهر إطلاقه.

و قوله:« وَ قٰالَ صَوٰاباً »أی قال قولا صوابا لا یشوبه خطأ و هو الحق الذی لا یداخله باطل،و الجمله فی الحقیقه قید للإذن کأنه قیل:إلا من أذن له الرحمن و لا یأذن إلا لمن قال صوابا فالآیه فی معنی قوله تعالی: «وَ لاٰ یَمْلِکُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفٰاعَهَ إِلاّٰ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ» :الزخرف:۸۶.

و قیل:« إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ »إلخ استثناء ممن یتکلم فیه و المراد بالصواب التوحید و قول لا إله إلا الله و المعنی لا یتکلمون فی حق أحد إلا فی حق شخص أذن له الرحمن و قال

ذلک الشخص فی الدنیا صوابا أی أقر بالوحدانیه و شهد أن لا إله إلا الله فالآیه فی معنی قوله تعالی: «وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضیٰ» :الأنبیاء:۲۸.

و یدفعه أن العنایه الکلامیه فی المقام متعلقه بنفی أصل الخطاب و التکلم یومئذ من کل متکلم لا بنفی التکلم فی کل أحد مع تسلیم جواز أصل التکلم فالمستثنون هم المتکلمون المأذون لهم فی أصل التکلم من دون تعرض لمن یتکلم فیه.

کلام فیما هو الروح فی القرآن

تکررت کلمه الروح -و المتبادر منه ما هو مبدأ الحیاه-فی کلامه تعالی و لم یقصرها فی الإنسان أو فی الإنسان و الحیوان فحسب بل أثبتها فی غیرهما کما فی قوله:

«فَأَرْسَلْنٰا إِلَیْهٰا رُوحَنٰا» :مریم:۱۷،و قوله: «وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا» :الشوری:۵۲ إلی غیر ذلک فللروح مصداق فی الإنسان و مصداق فی غیره.

و الذی یصلح أن یکون معرفا لها فی کلامه تعالی ما فی قوله: «یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» :إسراء:۸۵ حیث أطلقها إطلاقا و ذکر معرفا لها أنها من أمره و قد عرف أمره بقوله: «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ فَسُبْحٰانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ» :یس:۸۳ فبین أنه کلمه الإیجاد التی هی الوجود من حیث انتسابه إلیه تعالی و قیامه به لا من حیث انتسابه إلی العلل و الأسباب الظاهریه.

و بهذه العنایه عد المسیح(ع)کلمه له و روحا منه إذ قال: «وَ کَلِمَتُهُ أَلْقٰاهٰا إِلیٰ مَرْیَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» :النساء:۱۷۱ لما وهبه لمریم(ع)من غیر الطرق العادیه و یقرب منه فی العنایه قوله تعالی: «إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» :آل عمران:۵۹.

و هو تعالی و إن ذکرها فی أغلب کلامه بالإضافه و التقیید کقوله: «وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی» :الحجر ۲۹،و قوله: «وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ» :السجده:۹،و قوله:

«فَأَرْسَلْنٰا إِلَیْهٰا رُوحَنٰا» :مریم:۱۷،و قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ» :النساء:۱۷۱ و قوله:

«وَ أَیَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» :البقره ۸۷ إلی غیر ذلک إلا أنه أوردها فی بعض کلامه مطلقه من غیر تقیید کقوله: «تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ»

:القدر:۴ و ظاهر الآيه أنها موجود مستقل و خلق سماوى غير الملائكه،و نظير الآيه بوجه قوله تعالى: «تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» :المعارج:۴.

و أما الروح المتعلقه بالإنسان فقد عبر عنها بمثل قوله:« وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » « وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ »و أتى بكلمه« مِنْ »الداله على المبدئيه و سماه نفخا و عبر عن الروح التى خصها بالمؤمنين بمثل قوله: «وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» :المجادله:۲۲ فأتى بالباء الداله على السببيه و سماه تأييدا و تقويه،و عبر عن الروح التى خصها بالأنبياء بمثل قوله:

«وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» :البقره:۸۷ فأضاف الروح إلى القدس و هو النزاهه و الطهاره و سماه أيضا تأييدا.

و بانضمام هذه الآيات إلى مثل آيه سوره القدر يظهر أن نسبه الروح المضافه التى فى هذه الآيات إلى الروح المطلقه المذكوره فى سوره القدر نسبه الإفاضه إلى المفيض و الظل إلى ذى الظل بإذن الله.

و كذلك الروح المتعلقه بالملائكه من إفاضات الروح بإذن الله،و إنما لم يعبر فى روح الملك بالنفخ و التأييد كالإنسان بل سماه روحا كما فى قوله تعالى:« فَأَرْسَلْنٰا إِلَيْهٰا رُوحَنٰا »،و قوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» :النحل:۱۰۲،و قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» :الشعراء:۱۹۳ لأن الملائكه أرواح محضه على اختلاف مراتبهم فى القرب و البعد من ربهم،و ما يتراءى من الأجسام لهم تمثلات كما يشير إليه قوله تعالى: «فَأَرْسَلْنٰا إِلَيْهٰا رُوحَنٰا فَتَمَثَّلَ لَهٰا بَشَراً سَوِيًّا» :مريم:۱۷ و قد تقدم الكلام فى معنى التمثل فى ذيل الآيه بخلاف الإنسان المخلوق مؤلفا من جسم ميت و روح حيه فيناسبه التعبير بالنفخ كما فى قوله «فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» :الحجر:۲۹.

و كما أوجب اختلاف الروح فى خلق الملك و الإنسان اختلاف التعبير بالنفخ و عدمه كذلك اختلاف الروح من حيث أثرها و هو الحياه شرفا و خسه أوجب اختلاف التعبير بالنفخ و التأييد و عد الروح ذات مراتب مختلفه باختلاف أثر الحياه.

فمن الروح الروح المنفوخه فى الإنسان قال:« وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ».

و من الروح الروح المؤيد بها المؤمن قال: «أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» :المجادله:۲۲ و هى أشرف وجودا و أعلى مرتبه و أقوى أثرا من الروح

الإنسانيه العامه كما يفيده قوله تعالى و هو فى معنى هذه الآيه: «أ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّٰاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا» :الأنعام:١٢٢ فقد عد المؤمن حيا ذا نور يمشى به و هو أثر الروح و الكافر ميتا و هو ذو روح منفوخه فللمؤمن روح ليست للكافر ذات أثر ليس فيه.

و من ذلك يظهر أن من مراتب الروح ما هو فى النبات لما فيه من أثر الحياه يدل على ذلك الآيات المتضمنه لإحياء الأرض بعد موتها.

و من الروح الروح المؤيد بها الأنبياء قال: «وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» :البقره ٨٧ و سياق الآيات يدل على كون هذه الروح أشرف و أعلى مرتبه من غيرها مما فى الإنسان.

و أما قوله: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاٰقِ» :المؤمن:

١٥،و قوله: «وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا» :الشورى ٥٢ فيقبل الانطباق على روح الإيمان و على روح القدس و الله أعلم.

و قد تقدم بعض ما ينفع من الكلام فى المقام فى ذيل هذه الآيات الكريمه.

[بيان]

قوله تعالى:« ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ »إشاره إلى يوم الفصل المذكور فى السوره الموصوف بما مر من الأوصاف و هو فى الحقيقه خاتمه الكلام المنعطفه إلى فاتحه السوره و ما بعده أعنى قوله:« فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً »إلخ فضل تفريع على البيان السابق.

و الإشاره إليه بالإشاره البعيده للدلاله على فخامه أمره و المراد بكونه حقا ثبوته حتما مقضيا لا يتخلف عن الوقوع.

قوله تعالى:« فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً »أى مرجعا إلى ربه ينال به ثواب المتقين و ينجو به من عذاب الطاغين،و الجمله كما أشرنا إليه تفريع على ما تقدم من الإخبار بيوم الفصل و الاحتجاج عليه و وصفه،و المعنى إذا كان كذلك فمن شاء الرجوع إلى ربه فليرجع.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَنْذَرْنٰاكُمْ عَذٰاباً قَرِيباً »إلخ المراد به عذاب الآخره،و كونه قريبا لكونه حقا لا ريب فى إتيانه و كل ما هو آت قريب.

على أن الأعمال التى سيجزى بها الإنسان هى معه أقرب ما يكون منه.

و قوله:« يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مٰا قَدَّمَتْ يَدٰاهُ »أى ينتظر المرء جزاء أعماله التى قدمتها يداه بالاكتساب،و قيل:المعنى ينظر المرء إلى ما قدمت يداه من الأعمال لحضورها عنده قال

تعالی: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» :آل عمران:۳۰.

و قوله:« وَ يَقُولُ الْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرٰاباً »أی یتمنی من شده الیوم أن لو کان ترابا فاقدا للشعور و الإراده فلم یعمل و لم یجز.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":و قوله:« وَ فُتِحَتِ السَّمٰاءُ فَكٰانَتْ أَبْوٰاباً »قال:تفتح أبواب الجنان، و قوله:« وَ سُيِّرَتِ الْجِبٰالُ فَكٰانَتْ سَرٰاباً »قال:تصیر الجبال مثل السراب الذی یلمع فی المفازه.

و فیه،":و قوله:« لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً »قال:الأحقاب السنین و الحقب سنه-و السنه عددها ثلاثمائه و ستون یوما-و الیوم کألف سنه مما تعدون.

و فی المجمع،روی نافع عن ابن عمر قال*:قال رسول الله(ص): لا یخرج من النار من دخلها حتی یمکث فیها أحقابا-و الحقب بضع و ستون سنه و السنه ثلاثمائه و ستون یوما- کل یوم کألف سنه مما تعدون-فلا یتکلن أحد علی أن یخرج من النار.

أقول:و أورد الروایه فی الدر المنثور،و فیها ثمانون مکان ستون و لفظ آخرها،قال ابن عمر:فلا یتکلن أحد إلخ،

و أورد أیضا روایه أخری عنه(ص): أن الحقب أربعون سنه.

و فیه،و روی العیاشی بإسناده عن حمران قال*: سألت أبا جعفر(ع)عن هذه الآیه فقال:هذه فی الذین یخرجون من النار:،و روی عن الأحول مثله.

و فی تفسیر القمی،":و قوله:« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً »قال:یفوزون، قوله« وَ كَوٰاعِبَ أَتْرٰاباً » قال:جوار و أتراب لأهل الجنه،

و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال *فی قوله:« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً »قال:هی الکرامات« وَ كَوٰاعِبَ أَتْرٰاباً »أی الفتیات النواهد.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و أبو الشیخ فی العظمه و ابن مردویه عن ابن عباس أن النبی ص قال*: الروح جند من جنود الله-لیسوا بملائکه لهم رءوس و أید و أرجل-ثم قرأ:« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا »قال:هؤلاء جند و هؤلاء جند.

أقول:و قد تقدمت الروایه فی ذیل الآیات المشتمله علی الروح عن أئمه أهل البیت (ع)أن الروح خلق أعظم من جبرائیل و میکائیل،و تقدمت الروایه أیضا

عن علی(ع): أن الروح غیر الملائکه-و استدل(ع)علیه بقوله تعالی:« يُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ »الآیه.

نعم فی روایه القمی عن حمران أنه ملک أعظم من جبرائیل و میکائیل و کان مع رسول الله ص و هو مع الأئمه(ع)،و لعل المراد بالملک مطلق الموجود السماوی أو هو من وهم بعض الرواه فی النقل بالمعنی و لا دلیل علی انحصار الموجودات الأمریه السماویه فی الملائکه بل الدلیل علی خلافه کما یستفاد من قوله تعالی لإبلیس حین أبی عن السجود لآدم و قد سجد له الملائکه کلهم أجمعون: «یا إِبْلِیسُ مٰا مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِینَ» :_ص:۷۵ و قد تقدمت الإشاره إلی ذلک فی تفسیر الآیه.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن محمد بن الفضیل عن أبی الحسن الماضی(ع) قال *قلت:

« یَوْمَ یَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِکَهُ صَفًّا لاٰ یَتَکَلَّمُونَ »الآیه-قال نحن و الله المأذون لهم یوم القیامه- و القائلون صوابا.قلت:ما تقولون إذا تکلمتم؟قال:نمجد ربنا و نصلی علی نبینا-و نشفع لشیعتنا و لا یردنا ربنا الحدیث:.

أقول:و رواه فی المجمع،عن العیاشی مرفوعا عن معاویه بن عمار عن أبی عبد الله(ع) .

و الروایه من قبیل ذکر بعض المصادیق فهناک شفعاء أخر من الملائکه و الأنبیاء و المؤمنین مأذون لهم فی التکلم،و هناک شهداء من الأمم مأذون لهم فی التکلم علی ما ینص علیه القرآن و الحدیث.

(۷۹) سوره النازعات مکیه و هی ست و أربعون آیه(۴۶)

[سوره النازعات (۷۹): الآیات ۱ الی ۴۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلنّٰازِعٰاتِ غَرْقاً (۱) وَ اَلنّٰاشِطٰاتِ نَشْطاً (۲) وَ اَلسّٰابِحٰاتِ سَبْحاً (۳) فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقاً (۴) فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً (۵) یَوْمَ تَرْجُفُ اَلرّٰاجِفَهُ (۶) تَتْبَعُهَا اَلرّٰادِفَهُ (۷) قُلُوبٌ یَوْمَئِذٍ وٰاجِفَهٌ (۸) أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَهٌ (۹) یَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِی اَلْحٰافِرَهِ (۱۰) أَ إِذٰا کُنّٰا عِظٰاماً نَخِرَهً (۱۱) قٰالُوا تِلْکَ إِذاً کَرَّهٌ خٰاسِرَهٌ (۱۲) فَإِنَّمٰا هِیَ زَجْرَهٌ وٰاحِدَهٌ (۱۳) فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَهِ (۱۴)هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ (۱۵) إِذْ نٰادٰاهُ رَبُّهُ بِالْوٰادِ اَلْمُقَدَّسِ طُویً (۱۶) اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ (۱۷) فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلیٰ أَنْ تَزَکّٰی (۱۸) وَ أَهْدِیَکَ إِلیٰ رَبِّکَ فَتَخْشیٰ (۱۹) فَأَرٰاهُ اَلْآیَهَ اَلْکُبْریٰ (۲۰) فَکَذَّبَ وَ عَصیٰ (۲۱) ثُمَّ أَدْبَرَ یَسْعیٰ (۲۲) فَحَشَرَ فَنٰادیٰ (۲۳) فَقٰالَ أَنَا رَبُّکُمُ اَلْأَعْلیٰ (۲۴) فَأَخَذَهُ اَللّٰهُ نَکٰالَ اَلْآخِرَهِ وَ اَلْأُولیٰ (۲۵) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَهً لِمَنْ یَخْشیٰ (۲۶) أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ اَلسَّمٰاءُ بَنٰاهٰا (۲۷) رَفَعَ سَمْکَهٰا فَسَوّٰاهٰا (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَیْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا (۲۹) وَ اَلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِکَ دَحٰاهٰا (۳۰) أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا (۳۱) وَ اَلْجِبٰالَ أَرْسٰاهٰا (۳۲) مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعٰامِکُمْ (۳۳) فَإِذٰا جٰاءَتِ اَلطّٰامَّهُ اَلْکُبْریٰ (۳۴) یَوْمَ یَتَذَکَّرُ اَلْإِنْسٰانُ مٰا سَعیٰ (۳۵) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِیمُ لِمَنْ یَریٰ (۳۶) فَأَمّٰا مَنْ طَغیٰ (۳۷) وَ آثَرَ اَلْحَیٰاهَ اَلدُّنْیٰا (۳۸) فَإِنَّ اَلْجَحِیمَ هِیَ اَلْمَأْویٰ (۳۹) وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَی اَلنَّفْسَ عَنِ اَلْهَویٰ (۴۰) فَإِنَّ اَلْجَنَّهَ هِیَ اَلْمَأْویٰ (۴۱)

بیان

فی السوره أخبار مؤكد بوقوع البعث و القیامه،و احتجاج علیه من طریق التدبیر

الربوبی المنتج أن الناس سینقسمون یومئذ طائفتین أصحاب الجنه و أصحاب الجحیم و تختتم السوره بالإشاره إلی سؤالهم النبی ص عن وقت قیام الساعه و الجواب عنه.

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« وَ النّازِعاتِ غَرْقاً وَ النّاشِطاتِ نَشْطاً وَ السّابِحاتِ سَبْحاً فَالسّابِقاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »اختلف المفسرون فی تفسیر هذه الآیات الخمس اختلافا عجیبا مع اتفاقهم علی أنها إقسام،و قول أکثرهم بأن جواب القسم محذوف،و التقدیر أقسم بکذا و کذا لتبعثن.

فقوله:« وَ النّازِعاتِ غَرْقاً »قیل:المراد بها ملائکه الموت تنزع الأرواح من الأجساد،و« غَرْقاً »مصدر مؤکد بحذف الزوائد أی إغراقا و تشدیدا فی النزع.

و قیل:المراد بها الملائکه الذین ینزعون أرواح الکفار من أجسادهم بشده،و قیل:

هو الموت ینزع الأرواح من الأبدان نزعا بالغا.

و قیل:المراد بها النجوم تنزع من أفق لتغیب فی أفق أی تطلع من مطالعها لتغرب فی مغاربها،و قیل:المراد بها القسی تنزع بالسهم أی تمد بجذب وترها إغراقا فی المد فالإقسام بقسی المجاهدین فی سبیل الله أو بالمجاهدین أنفسهم،و قیل:المراد بها الوحش تنزع إلی الکلإ.

و قوله:« وَ النّاشِطاتِ نَشْطاً » النشط الجذب و الخروج و الإخراج برفق و سهوله و حل العقده،قیل:المراد بها الملائکه الذین یخرجون الأرواح من الأجساد،و قیل المراد بها خصوص الملائکه یخرجون أرواح المؤمنین من أجسادهم برفق و سهوله،کما أن المراد بالنازعات غرقا الملائکه الذین ینزعون أرواح الکفار من أجسادهم.

و قیل:هم الملائکه الذین ینشطون أرواح الکفار من أجسادهم،و قیل:المراد بها أرواح المؤمنین أنفسهم،و قیل:هی النجوم تنشط و تذهب من أفق إلی أفق،و قیل:

هی السهام تنشط من قسیها فی الغزوات،و قیل:هو الموت ینشط و یخرج الأرواح من الأجساد،و قیل:هی الوحش تنشط من قطر إلی قطر.

و قوله:« وَ السّابِحاتِ سَبْحاً »قیل:المراد بها الملائکه تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلی الجنه و بروح الکافر إلی النار،و السبح الإسراع فی الحرکه کما یقال للفرس سابح

إذا أسرع فی جریه،و قیل:المراد بها الملائکه یقبضون أرواح المؤمنین یسلونها من الأبدان سلا رفیقا ثم یدعونها حتی یستریح کالسابح بالشیء فی الماء یرمی،و قیل:هی الملائکه ینزلون من السماء مسرعین،و قیل:هی النجوم تسبح فی فلکها کما قال تعالی:« وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ ».

و قیل:هی خیل الغزاه تسبح فی عدوها و تسرع،و قیل:هی المنایا تسبح فی نفوس الحیوان،و قیل:هی السفن تسبح فی المیاه،و قیل:السحاب،و قیل:دواب البحر.

و قوله:« فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقاً »قیل المراد بها مطلق الملائکه لأنها سبقت ابن آدم بالخیر و الإیمان و العمل الصالح،و قیل ملائکه الموت تسبق بروح المؤمن إلی الجنه و بروح الکافر إلی النار،و قیل الملائکه القابضون لروح المؤمن تسبق بها إلی الجنه،و قیل، ملائکه الوحی تسبق الشیاطین بالوحی إلی الأنبیاء،و قیل أرواح المؤمنین تسبق إلی الملائکه التی یقبضونها شوقا إلی لقاء الله سبحانه،و قیل هی النجوم تسبق بعضها بعضا فی السیر،و قیل هی خیل الغزاه تسبق بعضها بعضا فی الحرب،و قیل هی المنایا تسبق الآمال.

و قوله:« فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً »قیل:المراد بها مطلق الملائکه المدبرین للأمور،کذا فسر الأکثرون حتی ادعی بعضهم اتفاق المفسرین علیه،و قیل المراد بها الملائکه الأربعه المدبرون لأمور الدنیا:جبرائیل و میکائیل و عزرائیل و إسرافیل،فجبرائیل یدبر أمر الریاح و الجنود و الوحی،و میکائیل یدبر أمر القطر و النبات،و عزرائیل موکل بقبض الأرواح،و إسرافیل یتنزل بالأمر علیهم و هو صاحب الصور،و قیل:إنها الأفلاک یقع فیها أمر الله فیجری بها القضاء فی الدنیا.

و هناک قول بأن الإقسام فی الآیات بمضاف محذوف و التقدیر و رب النازعات نزعا إلخ.

و أنت خبیر بأن سیاق الآیات الخمس سیاق واحد متصل متشابه الأجزاء لا یلائم کثیرا من هذه الأقوال القاضیه باختلاف المعانی المقسم بها ککون المراد بالنازعات الملائکه القابضین لأرواح الکفار،و بالناشطات الوحش،و بالسابحات السفن،و بالسابقات المنایا تسبق الآمال و بالمدبرات الأفلاک.

مضافا إلی أن کثیرا منها لا دلیل علیها من جهه السیاق إلا مجرد صلاحیه اللفظ

بحسب اللغه للاستعمال فيه أعم من الحقيقه و المجاز.

على أن كثيرا منها لا تناسب سياق آيات السوره التى تذكر يوم البعث و تحتج على وقوعه على ما تقدم فى سوره المرسلات من حديث المناسبه بين ما فى كلامه تعالى من الإقسام و جوابه.

و الذى يمكن أن يقال-و الله أعلم-أن ما فى هذه الآيات من الأوصاف المقسم بها يقبل الانطباق على صفات الملائكه فى امتثالها للأوامر الصادره عليهم من ساحه العزه المتعلقه بتدبير أمور هذا العالم المشهود ثم قيامهم بالتدبير بإذن الله.

و الآيات شديده الشبه سياقا بآيات مفتتح سوره الصافات:« وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراتِ زَجْراً فَالتَّالِياتِ ذِكْراً »و آيات مفتتح سوره المرسلات:« وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً وَ النَّاشِراتِ نَشْراً فَالْفارِقاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً »و هى تصف الملائكه فى امتثالهم لأمر الله غير أنها تصف ملائكه الوحى،و الآيات فى مفتتح هذه السوره تصف مطلق الملائكه فى تدبيرهم أمر العالم بإذن الله.

ثم إن أظهر الصفات المذكوره فى هذه الآيات الخمس فى الانطباق على الملائكه قوله:« فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »و قد أطلق التدبير و لم يقيد بشىء دون شىء فالمراد به التدبير العالمى بإطلاقه،و قوله« أَمْراً »تمييز أو مفعول به للمدبرات و مطلق التدبير شأن مطلق الملائكه فالمراد بالمدبرات مطلق الملائكه.

و إذ كان قوله:« فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »مفتتحا بفاء التفريع الداله على تفرع صفه التدبير على صفه السبق،و كذا قوله:« فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً »مقرونا بفاء التفريع الداله على تفرع السبق على السبح دل ذلك على مجانسه المعانى المراده بالآيات الثلاث:« وَ السَّابِحاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »فمدلولها أنهم يدبرون الأمر بعد ما سبقوا إليه و يسبقون إليه بعد ما سبحوا أى أسرعوا إليه عند النزول فالمراد بالسابحات و السابقات هم المدبرات من الملائكه باعتبار نزولهم إلى ما أمروا بتدبيره.

فالآيات الثلاث فى معنى قوله تعالى: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» :الرعد:۱۱ على ما تقدم من توضيح معناه فالملائكه ينزلون على الأشياء و قد تجمعت عليها الأسباب و تنازعت فيها وجودا و عدما و بقاء و زوالا و فى مختلف أحوالها

فما قضاه الله فيها من الأمر و أبرم قضاءه أسرع إليه الملک المأمور به-بما عين له من المقام-و سبق غيره و تمم السبب الذی يقتضيه فكان ما أراده الله فافهم ذلک.

و إذا كان المراد بالآيات الثلاث الإشاره إلی إسراع الملائكه فی النزول علی ما أمروا به من أمر و سبقهم إليه و تدبيره تعين حمل قوله:« وَ النّازِعاتِ غَرْقاً وَ النّاشِطاتِ نَشْطاً » علی انتزاعهم و خروجهم من موقف الخطاب إلی ما أمروا به فنزعهم غرقا شروعهم فی النزول نحو المطلوب بشده و جد،و نشطهم خروجهم من موقفهم نحوه كما أن سبحهم إسراعهم إليه بعد الخروج و يتعقب ذلک سبقهم إليه و تدبير الأمر بإذن الله.

فالآيات الخمس أقسام بما يتلبس به الملائكه من الصفات عند ما يؤمرون بتدبير أمر من أمور هذا العالم المشهود من حين يأخذون فی النزول إليه إلی تمام التدبير.

و فيها إشاره إلی نظام التدبير الملكوتی عند حدوث الحوادث كما أن الآيات التاليه أعنی قوله:« هَلْ أَتاکَ »إلخ إشاره إلی التدبير الربوبی الظاهر فی هذا العالم.

و فی التدبير الملكوتی حجه علی البعث و الجزاء كما أن فی التدبير الدنيوی المشهود حجه عليه علی ما سيوافيک إن شاء الله بيانه.

هذا ما يعطيه التدبر فی سياق الآيات الكريمه و يؤيده بعض التأييد ما سيأتی من الأخبار فی البحث الروائی الآتی إن شاء الله.

كلام فی أن الملائكه وسائط فی التدبير

الملائكه وسائط بينه تعالی و بين الأشياء بدءا و عودا علی ما يعطيه القرآن الكريم بمعنی أنهم أسباب للحوادث فوق الأسباب الماديه فی العالم المشهود قبل حلول الموت و الانتقال إلی نشأه الآخره و بعده.

أما فی العود أعنی حال ظهور آيات الموت و قبض الروح و إجراء السؤال و ثواب القبر و عذابه و إماته الكل بنفخ الصور و إحيائهم بذلک و الحشر و إعطاء الكتاب و وضع الموازين و الحساب و السوق إلی الجنه و النار فوساطتهم فيها غنی عن البيان،و الآيات الداله علی ذلک كثيره لا حاجه إلی إيرادها،و الأخبار المأثوره فيها عن النبی ص

و أئمه أهل البیت(ع)فوق حد الإحصاء.

و کذا وساطتهم فی مرحله التشریع من النزول بالوحی و دفع الشیاطین عن المداخله فیه و تسدید النبی و تأیید المؤمنین و تطهیرهم بالاستغفار.

و أما وساطتهم فی تدبیر الأمور فی هذه النشأه فیدل علیها ما فی مفتتح هذه السوره من إطلاق قوله:« وَ النّازِعاتِ غَرْقاً وَ النّاشِطاتِ نَشْطاً وَ السّابِحاتِ سَبْحاً فَالسّابِقاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »بما تقدم من البیان.

و کذا قوله تعالی: «جاعِلِ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» :فاطر:۱ الظاهر بإطلاقه-علی ما تقدم من تفسیره-فی أنهم خلقوا و شأنهم أن یتوسطوا بینه تعالی و بین خلقه و یرسلوا لإنفاذ أمره الذی یستفاد من قوله تعالی فی صفتهم: «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» :الأنبیاء:۲۷، و قوله: «یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» :النحل:۵۰ و فی جعل الجناح لهم إشاره ذلک.

فلا شغل للملائکه إلا التوسط بینه تعالی و بین خلقه بإنفاذ أمره فیهم و لیس ذلک علی سبیل الاتفاق بأن یجری الله سبحانه أمرا بأیدیهم ثم یجری مثله لا بتوسیطهم فلا اختلاف و لا تخلف فی سنته تعالی: «إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» :هود:۵۶،و قال «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِیلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِیلاً» :فاطر:۴۳.

و من الوساطه کون بعضهم فوق بعض مقاما و أمر العالی منهم السافل بشیء من التدبیر فإنه فی الحقیقه توسط من المتبوع بینه تعالی و بین تابعه فی إیصال أمر الله تعالی کتوسط ملک الموت فی أمر بعض أعوانه بقبض روح من الأرواح، قال تعالی حاکیا عن الملائکه: «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» :الصافات:۱۶۴،و قال: «مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ» :التکویر:۲۱،و قال: «حَتّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا الْحَقَّ» :سبأ:۲۳.

و لا ینافی هذا الذی ذکر من توسطهم بینه تعالی و بین الحوادث أعنی کونهم أسبابا تستند إلیها الحوادث استناد الحوادث إلی أسبابها القریبه المادیه فإن السببیه طولیه لا عرضیه أی إن السبب القریب سبب للحادث و السبب البعید سبب للسبب.

كما لا ينافى توسطهم و استناد الحوادث إليهم استناد الحوادث إليه تعالى و كونه هو السبب الوحيد لها جميعا على ما يقتضيه توحيد الربوبيه فإن السببيه طوليه كما سمعت لا عرضيه و لا يزيد استناد الحوادث إلى الملائكه استنادها إلى أسبابها الطبيعيه القريبه و قد صدق القرآن الكريم استناد الحوادث إلى الحوادث الطبيعيه كما صدق استنادها إلى الملائكه.

و ليس لشيء من الأسباب استقلال قباله تعالى حتى ينقطع عنه فيمنع ذلك استناد ما استند إليه إلى الله سبحانه على ما يقول به الوثنيه من تفويضه تعالى تدبير الأمر إلى الملائكه المقربين فالتوحيد القرآنى ينفى الاستقلال عن كل شيء من كل جهه:لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا.

فمثل الأشياء فى استنادها إلى أسبابها المترتبه القريبه و البعيده و انتهائها إلى الله سبحانه بوجه بعيد كمثل الكتابه يكتبها الإنسان بيده و بالقلم فللكتابه استناد إلى القلم ثم إلى اليد التى توسلت إلى الكتابه بالقلم،و إلى الإنسان الذى توسل إليها باليد و بالقلم،و السبب بحقيقه معناه هو الإنسان المستقل بالسببيه من غير أن ينافى سببيته استناد الكتابه بوجه إلى اليد و إلى القلم.

و لا منافاه أيضا بين ما تقدم أن شأن الملائكه هو التوسط فى التدبير و بين ما يظهر من كلامه تعالى أن بعضهم أو جميعهم مداومون على عبادته تعالى و تسبيحه و السجود له كقوله: «وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ» :الأنبياء:۲۰،و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ» :الأعراف:۲۰۶.

و ذلك لجواز أن تكون عبادتهم و سجودهم و تسبيحهم عين عملهم فى التدبير و امتثالهم الأمر الصادر عن ساحه العزه بالتوسط كما ربما يومئ إليه قوله تعالى: «وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ مِنْ دٰابَّهٍ وَ الْمَلاٰئِكَهُ وَ هُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ» :النحل:۴۹.

[بيان]

قوله تعالى:« يَوْمَ تَرْجُفُ الرّٰاجِفَهُ تَتْبَعُهَا الرّٰادِفَهُ »فسرت الراجفه بالصيحه العظيمه التى فيها تردد و اضطراب و الرادفه بالمتأخره التابعه،و عليه تنطبق الآيتان على نفختى الصور التى يدل عليهما قوله تعالى: «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ» :الزمر:۶۸.

و قیل:الراجفه بمعنی المحرکه تحریکا شدیدا-فإن الرجف یستعمل لازما بمعنی التحرک الشدید،و متعدیا بمعنی التحریک الشدید-و المراد بها أیضا النفخه الأولی المحرکه للأرض و الجبال،و بالرادفه النفخه الثانیه المتأخره عن الأولی.

و قیل:المراد بالراجفه الأرض و بالرادفه السماوات و الکواکب التی ترجف و تضطرب و تنشق،و تتلاشی و الوجهان لا یخلوان من بعد و لا سیما الأخیر.

و الأنسب بالسیاق علی أی حال کون قوله:« یَوْمَ تَرْجُفُ »إلخ ظرفا لجواب القسم المحذوف للدلاله علی فخامته و بلوغه الغایه فی الشده و هو لتبعثن،و قیل:إن« یَوْمَ » منصوب علی معنی قلوب یومئذ واجفه یوم ترجف الراجفه،و لا یخلو من بعد.

قوله تعالی:« قُلُوبٌ یَوْمَئِذٍ وٰاجِفَهٌ أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَهٌ »تنکیر« قُلُوبٌ »للتنویع و هو مبتدأ خبره« وٰاجِفَهٌ »و الوجیف الاضطراب،و« یَوْمَئِذٍ »ظرف متعلق بواجفه و الجمله استئناف مبین لصفه الیوم.

و قوله:« أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَهٌ »ضمیر« أَبْصٰارُهٰا »للقلوب و نسبه الأبصار و إضافتها إلی القلوب لمکان أن المراد بالقلوب فی أمثال هذه المواضع التی تضاف إلیها الصفات الإدراکیه کالعلم و الخوف و الرجاء و ما یشبهها هی النفوس،و قد تقدمت الإشاره إلیها.

و نسبه الخشوع إلی الأبصار و هو من أحوال القلب إنما هی لظهور أثره الدال علیه فی الأبصار أقوی من سائر الأعضاء.

قوله تعالی:« یَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحٰافِرَهِ »إخبار و حکایه لقولهم فی الدنیا استبعادا منهم لوقوع البعث و الجزاء و إشاره إلی أن هؤلاء الذین لقلوبهم وجیف و لأبصارهم خشوع یوم القیامه هم الذین ینکرون البعث و هم فی الدنیا و یقولون کذا و کذا.

و الحافره علی ما قیل-أول الشیء و مبتداه،و الاستفهام للإنکار استبعادا، و المعنی یقول:هؤلاء أ إنا لمردودون بعد الموت إلی حالتنا الأولی و هی الحیاه.

و قیل:الحافره بمعنی المحفوره و هی أرض القبر،و المعنی أ نرد من قبورنا بعد موتنا أحیاء،و هو کما تری.

و قیل:الآیه تخبر عن اعترافهم بالبعث یوم القیامه،و الکلام کلامهم بعد الإحیاء و الاستفهام للاستغراب کأنهم لما بعثوا و شاهدوا ما شاهدوا یستغربون ما شاهدوا

فیستفهمون عن الرد إلی الحیاه بعد الموت.

و هو معنی حسن لو لم یخالف ظاهر السیاق.

قوله تعالی:« أَ إِذا کُنّا عِظاماً نَخِرَةً »تکرار للاستفهام لتأکید الاستبعاد فلو کانت الحیاه بعد الموت مستبعده فهی مع فرض نخر العظام و تفتت الأجزاء أشد استبعادا، و النخر بفتحتین البلی و التفتت یقال:نخر العظم ینخر نخرا فهو ناخر و نخر.

قوله تعالی:« قالُوا تِلْکَ إِذاً کَرَّةٌ خاسِرَةٌ »الإشاره بتلک إلی معنی الرجعه المفهوم من قوله« أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحافِرَةِ »و الکره الرجعه و العطفه،و عد الکره خاسره إما مجاز و الخاسر بالحقیقه صاحبها،أو الخاسره بمعنی ذات خسران،و المعنی قالوا:

تلک الرجعه-و هی الرجعه إلی الحیاه بعد الموت-رجعه متلبسه بالخسران.

و هذا قول منهم أوردوه استهزاء-علی أن یکون قولهم:« أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ »إلخ مما قالوه فی الدنیا-و لذا غیر السیاق و قال« قالُوا تِلْکَ إِذاً »إلخ بعد قوله« یَقُولُونَ أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ »إلخ و أما علی تقدیر أن یکون مما سیقولونه عند البعث فهو قول منهم علی سبیل التشؤم و التحسر.

قوله تعالی:« فَإِنَّما هِیَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَةِ »ضمیر« هِیَ »للکره و قیل:للرادفه و المراد بها النفخه الثانیه،و الزجر طرد بصوت و صیاح عبر عن النفخه الثانیه بالزجره لما فیها من نقلهم من نشأه الموت إلی نشاه الحیاه و من بطن الأرض إلی ظهرها،و« فَإِذا »فجائیه،و الساهره الأرض المستویه أو الأرض الخالیه من النبات.

و الآیتان فی محل الجواب عما یدل علیه قولهم« أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ »«إلخ»من استبعاد البعث و استصعابه و المعنی لا یصعب علینا أحیاؤهم بعد الموت و کرتهم فإنما کرتهم-أو الرادفه التی هی النفخه الثانیه-زجره واحده فإذا هم أحیاء علی وجه الأرض بعد ما کانوا أمواتا فی بطنها.

فالآیتان فی معنی قوله تعالی: «وَ ما أَمْرُ السّاعَةِ إِلاّ کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ»:

النحل:۷۷.

قوله تعالی:« هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی »الآیه إلی تمام اثنتی عشره آیه إشاره إلی إجمال قصه موسی و رسالته إلی فرعون و رده دعوته إلی أن أخذه الله نکال الآخره و الأولی.

و فیها عظه و إنذار للمشرکین المنکرین للبعث و قد توسلوا به إلی رد الدعوه الدینیه إذ لا معنی لتشریع الدین لو لا المعاد،و فیها مع ذلک تسلیه للنبی ص من تکذیب

قومه،و تهدید لهم کما یؤیده توجیه الخطاب فی قوله:« هَلْ أَتٰاکَ ».

و فی القصه مع ذلک کله حجه علی وقوع البعث و الجزاء فإن هلاک فرعون و جنوده تلک الهلکه الهائله دلیل علی حقیه رساله موسی من جانب الله إلی الناس و لا تتم رسالته من جانبه تعالی إلا بربوبیه منه تعالی للناس علی خلاف ما یزعمه المشرکون أن لا ربوبیه له تعالی بالنسبه إلی الناس و أن هناک أربابا دونه و أنه سبحانه رب الأرباب لا غیر.

ففی قوله« هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ »استفهام بداعی ترغیب السامع فی استماع الحدیث لیتسلی به هو و یکون للمنکرین إنذارا بما فیه من ذکر العذاب و إتماما للحجه کما تقدم.

و لا ینافی هذا النوع من الاستفهام تقدم علم السامع بالحدیث لأن الغرض توجیه نظر السامع إلی الحدیث دون السؤال و الاستعلام حقیقه فمن الممکن أن تکون الآیات أول ما یقصه الله من قصه موسی أو تکون مسبوقه بذکر قصته کما فی سوره المزمل إجمالا -و هی أقدم نزولا من سوره النازعات-و فی سوره الأعراف و طه و غیرهما تفصیلا.

قوله تعالی:« إِذْ نٰادٰاهُ رَبُّهُ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً »ظرف للحدیث و هو أول ما أوحی الله إلیه فقلده الرساله،و طوی اسم للوادی المقدس.

قوله تعالی:« اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ »تفسیر للنداء،و قیل:الکلام علی تقدیر القول أی قائلا اذهب«إلخ»أو بتقدیر أن المفسره أی أن اذهب«إلخ»و فی الوجهین أن التقدیر مستغنی عنه،و قوله:« إِنَّهُ طَغیٰ »تعلیل للأمر.

قوله تعالی:« فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلیٰ أَنْ تَزَکّٰی »متعلق« إِلیٰ »محذوف و التقدیر هل لک میل إلی أن تتزکی أو ما فی معناه،و المراد بالتزکی التطهر من قذاره الطغیان.

قوله تعالی:« وَ أَهْدِیَکَ إِلیٰ رَبِّکَ فَتَخْشیٰ »عطف علی قوله:« تَزَکّٰی »و المراد بهدایته إیاه إلی ربه-کما قیل-تعریفه له و إرشاده إلی معرفته تعالی و تترتب علیه الخشیه منه الرادعه عن الطغیان و تعدی طور العبودیه قال تعالی:«إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ» :فاطر:۲۸.

و المراد بالتزکی إن کان هو التطهر عن الطغیان بالتوبه و الرجوع إلی الله تعالی کانت الخشیه مترتبه علیه و المراد بها الخشیه الملازمه للإیمان الداعیه إلی الطاعه و الرادعه عن المعصیه،و إن کان هو التطهر بالطاعه و تجنب المعصیه کان قوله:« وَ أَهْدِیَکَ إِلیٰ رَبِّکَ فَتَخْشیٰ »مفسرا لما قبله و العطف عطف تفسیر.

قوله تعالى:« فَأَرٰاهُ الْآيَةَ الْكَبْرىٰ »الفاء فصيحه و فى الكلام حذف و تقدير و الأصل فأتاه و دعاه فأراه«إلخ».

و المراد بالآيه الكبرى على ما يظهر من تفصيل القصه آيه العصا،و قيل:المراد بها مجموع معجزاته التى أراها فرعون و ملأه و هو بعيد.

قوله تعالى:« فَكَذَّبَ وَ عَصىٰ »أى كذب موسى فجحد رسالته و سماه ساحرا و عصاه فيما أمره به أو عصى الله.

قوله تعالى:« ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ » الإدبار التولى و السعى هو الجد و الاجتهاد أى ثم تولى فرعون يجد و يجتهد فى إبطال أمر موسى و معارضته.

قوله تعالى:« فَحَشَرَ فَنٰادىٰ » الحشر جمع الناس بإزعاج و المراد به جمعه الناس من أهل مملكته كما يدل عليه تفريع قوله:« فَنٰادىٰ فَقٰالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ »عليه فإن كان يدعى الربوبيه لأهل مملكته جميعا لا لطائفه خاصه منهم.

و قيل:المراد بالحشر جمع السحره لقوله تعالى: «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ» :الشعراء:۵۳،و قوله: «فَتَوَلّٰى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتىٰ» :طه:۶۰ و فيه أنه لا دليل على كون المراد بالحشر فى هذه الآيه هو عين المراد بالحشر و الجمع فى تينك الآيتين.

قوله تعالى:« فَقٰالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ »دعوى الربوبيه و ظاهره أنه يدعى أنه أعلى فى الربوبيه من سائر الأرباب التى كان يقول بها قومه الوثنيون فيفضل نفسه على سائر آلهتهم.

و لعل مراده بهذا التفضيل مع كونه وثنيا يعبد الآلهه كما يدل عليه قوله تعالى حكايه عن ملئه يخاطبونه: «أَ تَذَرُ مُوسىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» :الأعراف:۱۲۷ إنه أقرب الآلهه منهم تجرى بيده أرزاقهم و تصلح بأمره شئون حياتهم و يحفظ بمشيته شرفهم و سؤددهم،و سائر الآلهه ليسوا على هذه الصفه.

و قيل:مراده بما قال تفضيل نفسه على كل من يلى أمورهم و محصله دعوى الملك و أنه فوق سائر أولياء أمور المملكه من حكام و عمال فيكون فى معنى قوله فيما حكاه الله عنه إذ قال: «وَ نٰادىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» XالآيهX:

الزخرف:۵۱.

و هو خلاف ظاهر الكلام و فيما قال قوله لملئه: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي» :القصص:٣٨،و قوله لموسى: «لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» :الشعراء:٢٩.

قوله تعالى:« فَأَخَذَهُ اللّٰهُ نَكٰالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولىٰ » الأخذ كنايه عن التعذيب، و النكال التعذيب الذى يردع من رآه أو سمعه عن تعاطى مثله،و عذاب الآخره نكال حيث إن من شأنه أن يردع من سمعه عن تعاطى ما يؤدى إليه من المعصيه كما أن عذاب الاستئصال فى الدنيا نكال.

و المعنى:فأخذ الله فرعون أى عذبه و نكله نكال الآخره و الأولى و أما عذاب الدنيا فإغراقه و إغراق جنوده،و أما عذاب الآخره فعذابه بعد الموت،فالمراد بالأولى و الآخره الدنيا و الآخره.

و قيل:المراد بالآخره كلمته الآخره،« أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ »و بالأولى كلمته الأولى قالها قبل ذلك« مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي »فأخذه الله بهاتين الكلمتين و نكله نكالهما، و لا يخلو هذا المعنى من خفاء.

و قيل:المراد بالأولى تكذيبه و معصيته المذكوران فى أول القصه و بالأخرى كلمه أنا ربكم الأعلى-المذكوره فى آخرها،و هو كسابقه.

و قيل:الأولى أول معاصيه و الأخرى آخرها و المعنى أخذه الله نكال مجموع معاصيه و لا يخلو أيضا من خفاء.

قوله تعالى:« إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ »الإشاره إلى حديث موسى،و الظاهر أن مفعول« يَخْشىٰ »منسى معرض عنه،و المعنى أن فى هذا الحديث-حديث موسى- لعبره لمن كان له خشيه و كان من غريزته أن يخشى الشقاء و العذاب و الإنسان من غريزته ذلك ففيه عبره لمن كان إنسانا مستقيم الفطره.

و قيل:المفعول محذوف و التقدير لمن يخشى الله و الوجه السابق أبلغ.

قوله تعالى:« أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمٰاءُ بَنٰاهٰا »-إلى قوله- وَ لِأَنْعٰامِكُمْ »خطاب توبيخى للمشركين المنكرين للبعث المستهزءين به على سبيل العتاب و يتضمن الجواب عن استبعادهم البعث بقولهم:« أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحٰافِرَةِ أَ إِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً نَخِرَةً »بأن

الله خلق ما هو أشد منكم خلقا فهو على خلقكم و إنشائكم النشأه الأخرى لقدير.

و يتضمن أيضا الإشاره إلى الحجه على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمى و ارتباطه بالعالم الإنسانى و لازمه ربوبيته تعالى،و لازم الربوبيه صحه النبوه و جعل التكاليف،و لازم ذلك الجزاء الذى موطنه البعث و الحشر،و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله:«فإذا جاءت الطامه الكبرى»إلخ.

فقوله:« أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمٰاءُ »استفهام توبيخى بداعى رفع استبعادهم البعث بعد الموت،و الإشاره إلى تفصيل خلق السماء بقوله:« بَنٰاهٰا »إلخ دليل أن المراد به تقرير كون السماء أشد خلقا.

و قوله:« بَنٰاهٰا »استئناف و بيان تفصيلى لخلق السماء.

و قوله:« رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسَوّٰاهٰا »أى رفع سقفها و ما ارتفع منها،و تسويتها ترتيب أجزائها و تركيبها بوضع كل جزء فى موضعه الذى تقتضيه الحكمه كما فى قوله: «فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» :الحجر:۲۹.

و قوله:« وَ أَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا »أى أظلم ليلها و أبرز نهارها،و الأصل فى معنى الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار أريد به مطلق النهار بقرينه المقابله و نسبه الليل و الضحى إلى السماء لأن السبب الأصلى لها سماوى و هو ظهور الأجرام المظلمه بشروق الأنوار السماويه كنور الشمس و غيره و خفاؤها بالاستتار و لا يختص الليل و النهار بالأرض التى نحن عليها بل يعمان سائر الأجرام المظلمه المستنيره.

و قوله:« وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا »أى بسطها و مدها بعد ما بنى السماء و رفع سمكها و سواها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها.

و قيل:المعنى و الأرض مع ذلك دحاها كما فى قوله:« عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ »و قد تقدم كلام فيما يظهر من كلامه تعالى فى خلق السماء و الأرض فى تفسير سوره الم السجده و ذكر بعضهم أن الدحو بمعنى الدحرجه.

و قوله:« أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا »قيل: المرعى يطلق على الرعى بالكسر فالسكون و هو الكلأ كما يجىء مصدرا ميميا،و اسم زمان و مكان،و المراد بإخراج مائها منها تفجير العيون و إجراء الأنهار عليها،و إخراج المرعى إنبات النبات عليها

مما يتغذى به الحيوان و الإنسان فالظاهر أن المراد بالمرعى مطلق النبات الذى يتغذى به الحيوان و الإنسان كما يشعر به قوله:« مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ »لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب فى استعماله.

و قوله:« وَ الْجِبالَ أَرْساها »أى أثبتها على الأرض لئلا تميد بكم و ادخر فيها المياه و المعادن كما ينبئ عنه سائر كلامه تعالى.

و قوله:« مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ »أى خلق ما ذكر من السماء و الأرض و دبر ما دبر من أمرهما ليكون متاعا لكم و لأنعامكم التى سخرها لكم تتمتعون به فى حياتكم فهذا الخلق و التدبير الذى فيه تمتيعكم يوجب عليكم معرفه ربكم و خوف مقامه و شكر نعمته فهناك يوم تجزون فيه بما عملتم فى ذلك إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا كما أن هذا الخلق و التدبير أشد من خلقكم فليس لكم أن تستبعدوا خلقكم ثانيا و تستصعبوه عليه تعالى.

قوله تعالى:« فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى »فى المجمع،:و الطامه العاليه الغالبه يقال:هذا أطم من هذا أى أعلى منه،و طم الطائر الشجره أى علاها و تسمى الداهيه التى لا يستطاع دفعها طامه.انتهى،فالمراد بالطامه الكبرى القيامه لأنها داهيه تعلو و تغلب كل داهيه هائله،و هذا معنى اتصافها بالكبرى و قد أطلقت إطلاقا.

و تصدير الجمله بفاء التفريع للإشاره إلى أن مضمونها أعنى مجىء القيامه من لوازم خلق السماء و الأرض و جعل التدبير الجارى فيهما المترتبه على ذلك كما تقدمت الإشاره إليه.

قوله تعالى:« يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى »ظرف لمجىء الطامه الكبرى،و السعى هو العمل بجد.

قوله تعالى:« وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى » التبريز الإظهار و مفعول« يَرى »منسى معرض عنه و المراد بمن يرى من له بصر يرى به،و المعنى و أظهرت الجحيم بكشف الغطاء عنها لكل ذى بصر فيشاهدونها مشاهده عيان.

فالآيه فى معنى قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» :ق:٢٢ غير أن آيه ق أوسع معنى.

و الآیه ظاهره فی أن الجحیم مخلوقه قبل یوم القیامه و إنما تظهر یومئذ ظهورا بکشف الغطاء عنها.

قوله تعالی:« فَأَمّٰا مَنْ طَغیٰ وَ آثَرَ الْحَیٰاةَ الدُّنْیٰا فَإِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْویٰ وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْویٰ »تفصیل حال الناس یومئذ فی انقسامهم قسمین أقیم مقام الإجمال الذی هو جواب إذا المحذوف استغناء بالتفصیل عن الإجمال،و التقدیر فإذا جاءت الطامه الکبری انقسم الناس قسمین فأما من طغی إلخ.

و قد قسم تعالی الناس فی الآیات الثلاث إلی أهل الجحیم و أهل الجنه-و قدم صفه أهل الجحیم لأن وجه الکلام إلی المشرکین -و عزف أهل الجحیم بما وصفهم به فی قوله:« مَنْ طَغیٰ وَ آثَرَ الْحَیٰاةَ الدُّنْیٰا »و قابل تعریفهم بتعریف أهل الجنه بقوله:

« مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ »و سبیل ما وصف به الطائفتین علی أی حال سبیل بیان الضابط.

و إذ کانت الطائفتان متقابلتین بحسب حالهما کان ما بین لکل منهما من الوصف مقابلا لوصف الآخر فوصف أهل الجنه بالخوف من مقام ربهم-و الخوف تأثر الضعیف المقهور من القوی القاهر و خشوعه و خضوعه له-یقتضی کون طغیان أهل الجحیم-و الطغیان التعدی عن الحد-هو عدم تأثرهم من مقام ربهم بالاستکبار و خروجهم عن زی العبودیه فلا یخشعون و لا یخضعون و لا یجرون علی ما أراده منهم و لا یختارون ما اختاره لهم من السعاده الخالده بل ما تهواه أنفسهم من زینه الحیاه الدنیا.

فمن لوازم طغیانهم اختیارهم الحیاه الدنیا و هو الذی وصفهم به بعد وصفهم بالطغیان إذ قال:« وَ آثَرَ الْحَیٰاةَ الدُّنْیٰا ».

و إذ کان من لوازم الطغیان رفض الآخره و إیثار الحیاه الدنیا و هو اتباع النفس فیما تریده و طاعتها فیما تهواه و مخالفته تعالی فیما یریده کان لما یقابل الطغیان من الوصف و هو الخوف ما یقابل الإیثار و اتباع هوی النفس و هو قریحه الردع عن الإخلاد إلی الأرض و نهی النفس عن اتباع الهوی و هو قوله فی وصف أهل الجنه بعد وصفهم بالخوف:« وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ ».

و إنما أخذ فی وصفه النهی عن الهوی دون ترک اتباعه عملا لأن الإنسان ضعیف ربما

ساقته الجهاله إلى المعصيه من غير استكبار و الله واسع المغفره قال تعالى« وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» :النجم:٣٢،و قال: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً» :النساء:٣١.

و يتحصل معنى الآيات الثلاث فى إعطاء الضابط فى صفه أهل الجحيم و أهل الجنه فى أن أهل الجحيم أهل الكفر و الفسوق و أهل الجنه أهل الإيمان و التقوى،و هناك غير الطائفتين طوائف أخر من المستضعفين و الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و غيرهم أمرهم إلى الله سبحانه عسى أن يشملهم المغفره بشفاعه و غيرها.

فقوله:« فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ -إلى قوله- هِيَ الْمَأْوىٰ »أى هى مأواه على أن تكون اللام عوضا عن الضمير أو الضمير محذوف و التقدير هى المأوى له.

و قوله:« وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ »إلخ المقام اسم مكان يراد به المكان الذى يقوم فيه جسم من الأجسام و هو الأصل فى معناه ككونه اسم زمان و مصدرا ميميا لكن ربما يعتبر ما عليه الشىء من الصفات و الأحوال محلا و مستقرا للشىء بنوع من العنايه فيطلق عليه المقام كالمنزله كما في قوله تعالى فى الشهاده: «فَآخَرٰانِ يَقُومٰانِ مَقٰامَهُمٰا» :المائده:١٠٧ و قول نوح(ع)لقومه على ما حكاه الله: «إِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقٰامِي وَ تَذْكِيرِي بِآيٰاتِ اللّٰهِ» :يونس:٧١،و قول الملائكه على ما حكاه الله: «وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ»:

الصافات:١٦۴.

فمقامه تعالى المنسوب إليه بما أنه رب هو صفه ربوبيته بما تستلزمه أو تتوقف عليه من صفاته الكريمه كالعلم و القدره المطلقه و القهر و الغلبه و الرحمه و الغضب و ما يناسبها قال إيذانا به: «وَ لاٰ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ» :طه:٨٢،و قال: «نَبِّئْ عِبٰادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنَّ عَذٰابِي هُوَ الْعَذٰابُ الْأَلِيمُ» :الحجر:۵٠.

فمقامه تعالى الذى يخوف منه عباده مرحله ربوبيته التى هى المبدأ لرحمته و مغفرته لمن آمن و اتقى و لأليم عذابه و شديد عقابه لمن كذب و عصى.

و قيل:المراد بمقام ربه مقامه من ربه يوم القيامه حين يسأله عن أعماله و هو كما ترى.

و قيل:معنى خاف مقام ربه خاف ربه بطريق الإقحام كما قيل فى قوله« أَكْرِمِي مَثْوٰاهُ ».

بحث روائی

فی الفقیه،و روی علی بن مهزیار قال: قلت لأبی جعفر(ع): قوله عز و جل« وَ اللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ وَ النَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰی »و قوله عز و جل:« وَ النَّجْمِ إِذٰا هَویٰ »و ما أشبه هذا؟فقال إن الله عز و جل أن یقسم من خلقه بما شاء-و لیس لخلقه أن یقسموا إلا به.

أقول:و تقدم فی هذا المعنی روایه الکافی،عن محمد بن مسلم عن الباقر(ع)فی تفسیر أول سوره النجم.

و فی الدر المنثور،أخرج سعید بن المنصور و ابن المنذر عن علی *فی قوله:« وَ النّٰازِعٰاتِ غَرْقاً »قال:هی الملائکه تنزع أرواح الکفار« وَ النّٰاشِطٰاتِ نَشْطاً »هی الملائکه تنشط أرواح الکفار-ما بین الأظفار و الجلد حتی تخرجها« وَ السّٰابِحٰاتِ سَبْحاً »هی الملائکه-تسبح بأرواح المؤمنین بین السماء و الأرض« فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقاً »هی الملائکه-یسبق بعضها بعضا بأرواح المؤمنین إلی الله« فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً »قال هی الملائکه-تدبر أمر العباد من السنه إلی السنه.

أقول:ینبغی أن تحمل الروایه-لو صحت-علی ذکر بعض المصادیق، و قوله:«تنشط أرواح الکفار ما بین الأظفار و الجلد حتی تخرجها»ضرب من التمثیل لشده العذاب.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن علی بن أبی طالب *أن ابن الکواء سأله عن« فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً »قال:الملائکه یدبرون ذکر الرحمن و أمره.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« یَوْمَ تَرْجُفُ الرّٰاجِفَهُ تَتْبَعُهَا الرّٰادِفَهُ »قال:

تنشق الأرض بأهلها و الرادفه الصیحه.

و فیه،":فی قوله:« أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحٰافِرَهِ »قال:قالت قریش:أ نرجع بعد الموت؟ و فیه،":فی قوله:« تِلْکَ إِذاً کَرَّهٌ خٰاسِرَهٌ »قال:قالوا هذه علی حد الاستهزاء.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *قوله:« أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحٰافِرَهِ » یقول:فی الخلق الجدید،و أما قوله:« فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَهِ »و الساهره الأرض-کانوا فی القبور فلما سمعوا الزجره خرجوا من قبورهم-فاستووا علی الأرض.

و فی أصول الکافی،بإسناده إلی داود الرقی عن أبی عبد الله(ع) *فی قول الله عز و جل:

« وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ ،قال:من علم أن الله یراه و یسمع ما یقول-و یعلم ما یعمله من خیر أو شر-فیحجزه ذلک عن القبیح من الأعمال-فذلک الذی خاف مقام ربه و نهی النفس عن الهوی.

أقول:یؤید الحدیث ما تقدم من معنی الخوف من مقامه تعالی.

و فیه،بإسناده عن یحیی بن عقیل قال*:قال أمیر المؤمنین(ع): إنما أخاف علیکم الاثنین:اتباع الهوی و طول الأمل-أما اتباع الهوی فإنه یصد عن الحق-و أما طول الأمل فینسی الآخره.

[سوره النازعات (۷۹): الآیات ۴۲ الی ۴۶]

اشاره

یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلسّٰاعَهِ أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا (۴۲) فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا (۴۳) إِلیٰ رَبِّکَ مُنْتَهٰاهٰا (۴۴) إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ یَخْشٰاهٰا (۴۵) کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَهٰا لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ عَشِیَّهً أَوْ ضُحٰاهٰا (۴۶)

بیان

تعرض لسؤالهم عن وقت قیام الساعه و رد له بأن علمه لیس لأحد إلا الله فقد خصه بنفسه.

قوله تعالی:« یَسْئَلُونَکَ عَنِ السّٰاعَهِ أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا »الظاهر أن التعبیر بیسألونک لإفاده الاستمرار فقد کان المشرکون بعد ما سمعوا حدیث القیامه یراجعون النبی ص و یسألونه أن یعین لهم وقتها مصرین علی ذلک و قد تکرر فی القرآن الکریم الإشاره إلی ذلک.

و المرسی مصدر میمی بمعنی الإثبات و الإقرار و قوله:« أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا »بیان للسؤال و المعنی یسألک هؤلاء المنکرون للساعه المستهزءون به عن الساعه متی إثباتها و إقرارها؟ أی متی تقوم القیامه؟ قوله تعالی:« فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا »استفهام إنکاری و« فِیمَ أَنْتَ »مبتدأ و خبر، و« مِنْ »لابتداء الغایه،و الذکری کثره الذکر و هو أبلغ من الذکر علی ما ذکره الراغب.

و المعنی فی أی شیء أنت من کثره ذکر الساعه أی ما ذا یحصل لک من العلم بوقتها من ناحیه کثره ذکرها و بسبب ذلک أی لست تعلمها بکثره ذکرها.

أو الذکری بمعنی حضور حقیقه معنی الشیء فی القلب،و المعنی-علی الاستفهام الإنکاری-لست فی شیء من العلم بحقیقتها و ما هی علیه حتی تحیط بوقتها و هو أنسب من المعنی السابق.

و قیل:المعنی لیس ذکراها مما یرتبط ببعثتک إنما بعثت لتنذر من یخشاها.

و قیل:« فِیمَ »إنکار لسؤالهم،و قوله:« أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا »استئناف و تعلیل لإنکار سؤالهم،و المعنی فیم هذا السؤال إنما أنت من ذکری الساعه لاتصال بعثتک بها و أنت خاتم الأنبیاء،و هذا المقدار من العلم یکفیهم،

و هو قوله(ص)فیما روی: «بعثت أنا و الساعه کهاتین إن کادت لتسبقنی».

و قیل:الآیه من تمام سؤال المشرکین خاطبوا به النبی ص و المعنی ما الذی عندک من العلم بها و بوقتها؟أو ما الذی حصل لک و أنت تکثر ذکرها.

و أنت خبیر بأن السیاق لا یلائم شیئا من هذه المعانی تلک الملاءمه،علی أنها أو أکثرها لا تخلو من تکلف.

قوله تعالی:« إِلیٰ رَبِّکَ مُنْتَهٰاهٰا »فی مقام التعلیل لقوله:« فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا » و المعنی لست تعلم وقتها لأن انتهاءها إلی ربک فلا یعلم حقیقتها و صفاتها و منها تعین الوقت إلا ربک فلیس لهم أن یسألوا عن وقتها و لیس فی وسعک أن تجیب عنها.

و لیس من البعید-و الله أعلم-أن تکون الآیه فی مقام التعلیل بمعنی آخر و هو أن الساعه تقوم بفناء الأشیاء و سقوط الأسباب و ظهور أن لا ملک إلا لله الواحد القهار فلا ینتسب الیوم إلا إلیه تعالی من غیر أن یتوسط بالحقیقه بینه تعالی و بین الیوم أی سبب مفروض و منه الزمان فلیس یقبل الیوم توقیتا بحسب الحقیقه.

و لذا لم یرد فی کلامه تعالی من التحدید إلا تحدید الیوم بانقراض نشأه الدنیا کقوله:

«وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» :الزمر:۶۸ و ما فی معناه من الآیات الداله علی خراب الدنیا بتبدل الأرض و السماء و انتثار الکواکب و غیر ذلک.

و إلا تحدیده بنوع من التمثیل و التشبیه کقوله تعالی:« کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَهٰا لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ عَشِیَّهً أَوْ ضُحٰاهٰا »،و قوله: «کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَ مٰا یُوعَدُونَ لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ سٰاعَهً مِنْ نَهٰارٍ»:

الأحقاف:۳۵،و قوله:« وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَيْرَ سٰاعَةٍ »ثم ذكر حق القول فى ذلك فقال: «وَ قٰالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتٰابِ اللّٰهِ إِلىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذٰا يَوْمُ الْبَعْثِ» :الروم:۵۶.

و يلوح إلى ما مر ما فى مواضع من كلامه أن الساعه لا تأتى إلا بغته،قال تعالى:

«ثَقُلَتْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لاٰ تَأْتِيكُمْ إِلاّٰ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهٰا قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ اللّٰهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ» :الأعراف:۱۸۷ إلى غير ذلك من الآيات.

و هذا وجه عميق يحتاج فى تمامه إلى تدبر واف ليرتفع به ما يتراءى من مخالفته لظواهر عده من آيات القيامه و عليك بالتدبر فى قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» :ق:۲۲ و ما فى معناه من الآيات و الله المستعان.

قوله تعالى:« إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشٰاهٰا »أى إنما كلفناك بإنذار من يخشى الساعه دون الإخبار بوقت قيام الساعه حتى تجيبهم عن وقتها إذا سألوك عنه فالقصر فى الآيه قصر إفراد بقصر شأنه(ص)فى الإنذار و تنفى عنه العلم بالوقت و تعيينه لمن يسأل عنه.

و المراد بالخشيه على ما يناسب المقام الخوف منها إذا ذكر بها أى شأنيه الخشيه لا فعليتها قبل الإنذار.

قوله تعالى:« كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهٰا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاّٰ عَشِيَّةً أَوْ ضُحٰاهٰا »بيان لقرب الساعه بحسب التمثيل و التشبيه بأن قرب الساعه من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم فى الأرض عشيه أو ضحى تلك العشيه أى وقتا نسبته إلى نهار واحد نسبه العشيه إلى ما قبلها منه أو نسبه الضحى إلى ما قبله منه.

و قد ظهر بما تقدم أن المراد باللبث لبث ما بين الحياه الدنيا و البعث أى لبثهم فى القبور لأن الحساب يقع على مجموع الحياه الدنيا.

و قيل:المراد به اللبث بين حين سؤالهم عن وقتها و بين البعث و فيه أنهم إنما يشاهدون لبثهم على هذه الصفه عند البعث و البعث الذى هو الإحياء بعد الموت إنما نسبته إلى الموت الذى قبله دون مجموع الموت و بعض الحياه التى بين زمان السؤال عن الوقت و زمان الموت.

على أنه لا يلائم ظواهر سائر الآيات المتعرضه للبثهم قبل البعث كقوله تعالى «قٰالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ» :المؤمنون:۱۱۲.

و قيل:المراد باللبث اللبث فى الدنيا و هو سخيف.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":« وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ- فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْویٰ »قال:هو العبد إذا وقف علی معصیه الله-و قدر علیها ثم ترکها مخافه الله و نهی الله-و نهی النفس عنها فمکافاته الجنه،قوله« یَسْئَلُونَکَ عَنِ السّٰاعَةِ أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا »قال:

متی تقوم؟فقال الله:« إِلیٰ رَبِّکَ مُنْتَهٰاهٰا »أی علمها عند الله،قوله« کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَهٰا لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ عَشِیَّةً أَوْ ضُحٰاهٰا »قال:بعض یوم.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و ابن مردویه بسند ضعیف عن ابن عباس قال"*:

إن مشرکی مکه سألوا النبی ص فقالوا:متی تقوم الساعه استهزاء منهم-فنزلت« یَسْئَلُونَکَ عَنِ السّٰاعَةِ أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا »الآیات.

و فیه،أخرج البزار و ابن جریر و ابن المنذر و الحاکم و صححه و ابن مردویه عن عائشه قالت"*: ما زال رسول الله یسأل عن الساعه-حتی أنزل علیه« فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا إِلیٰ رَبِّکَ مُنْتَهٰاهٰا »فلم یسأل عنها.

أقول:و رواه أیضا عن عده من أصحاب الکتب عن عروه مرسلا،و رواه أیضا عن عده منهم عن شهاب بن طارق عن النبی ص:مثله

،و السیاق لا یلائم کونه جوابا عن سؤال النبی ص.

و فی بعض الروایات: کانت الأعراب إذا قدموا علی النبی ص-سألوه عن الساعه- فینظر إلی أحدث إنسان فیهم فیقول:إن یعش هذا قرنا قامت علیکم ساعتکم:

رواها فی الدر المنثور،عن ابن مردویه عن عائشه .

و هی من التوقیت الذی یجل عنه ساحه النبی ص و قد أوحی إلیه فی کثیر من السور القرآنیه سیما المکیه أن علم الساعه یختص به تعالی لا یعلمه إلا هو و أمر أن یجیب من سأله عن وقتها بنفی العلم به عن نفسه.

(۸۰) سوره عبس مکیه و هی اثنان و أربعون آیه(۴۲)

[سوره عبس (۸۰): الآیات ۱ الی ۱۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

عَبَسَ وَ تَوَلّٰی (۱) أَنْ جٰاءَهُ اَلْأَعْمیٰ (۲) وَ مٰا یُدْرِیکَ لَعَلَّهُ یَزَّکّٰی (۳) أَوْ یَذَّکَّرُ فَتَنْفَعَهُ اَلذِّکْریٰ (۴) أَمّٰا مَنِ اِسْتَغْنیٰ (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰی (۶) وَ مٰا عَلَیْکَ أَلاّٰ یَزَّکّٰی (۷) وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ (۸) وَ هُوَ یَخْشیٰ (۹) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی (۱۰) کَلاّٰ إِنَّهٰا تَذْکِرَهٌ (۱۱) فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ (۱۲) فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ (۱۳) مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ (۱۴) بِأَیْدِی سَفَرَهٍ (۱۵) کِرٰامٍ بَرَرَهٍ (۱۶)

بیان

وردت الروایات من طرق أهل السنه أن الآیات نزلت فی قصه ابن أم مکتوم الأعمی دخل علی النبی ص و عنده قوم من صنادید قریش یناجیهم فی أمر الإسلام فعبس النبی عنه فعاتبه الله تعالی بهذه الآیات و فی بعض الأخبار من طرق الشیعه إشاره إلی ذلک.

و فی بعض روایات الشیعه أن العابس المتولی رجل من بنی أمیه کان عند النبی ص فدخل علیه ابن أم مکتوم فعبس الرجل و قبض وجهه فنزلت الآیات:و سیوافیک تفصیل البحث عن ذلک فی البحث الروائی التالی إن شاء الله تعالی.

و کیف کان الأمر فغرض السوره عتاب من یقدم الأغنیاء و المترفین علی الضعفاء و المساکین من المؤمنین فیرفع أهل الدنیا و یضع أهل الآخره ثم ینجر الکلام إلی الإشاره إلی هوان أمر الإنسان فی خلقه و تناهیه فی الحاجه إلی تدبیر أمره و کفره مع ذلک بنعم ربه و تدبیره العظیم لأمره و تتخلص إلی ذکر بعثه و جزائه إنذارا و السوره مکیه بلا کلام.

قوله تعالی:« عَبَسَ وَ تَوَلّٰی »أی بسر و قبض وجهه و أعرض.

قوله تعالی:« أَنْ جٰاءَهُ اَلْأَعْمیٰ »تعلیل لما ذکر من العبوس بتقدیر لام التعلیل.

قوله تعالی:« وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرىٰ »حال من فاعل « عَبَسَ وَ تَوَلّٰى »و المراد بالتزکی التطهر بعمل صالح بعد التذکر الذی هو الاتعاظ و الانتباه للاعتقاد الحق،و نفع الذکری هو دعوتها إلی التزکی بالإیمان و العمل الصالح.

و محصل المعنی:بسر و أعرض عن الأعمی لما جاءه و الحال أنه لیس یدری لعل الأعمی الذی جاءه یتطهر بصالح العمل بعد الإیمان بسبب مجیئه و تعلمه و قد تذکر قبل أو یتذکر بسبب مجیئه و اتعاظه بما یتعلم فتنفعه الذکری فیتطهر.

و فی الآیات الأربع عتاب شدید و یزید شده بإتیان الآیتین الأولیین فی سیاق الغیبه لما فیه من الإعراض عن المشافهه و الدلاله علی تشدید الإنکار و إتیان الآیتین الأخیرتین فی سیاق الخطاب لما فیه من تشدید التوبیخ و إلزام الحجه بسبب المواجهه بعد الإعراض و التقریع من غیر واسطه.

و فی التعبیر عن الجائی بالأعمی مزید توبیخ لما أن المحتاج الساعی فی حاجته إذا کان أعمی فاقدا للبصر و کانت حاجته فی دینه دعته إلی السعی فیها خشیه الله کان من الحری أن یرحم و یخص بمزید الإقبال و التعطف لا أن ینقبض و یعرض عنه.

و قیل-بناء علی کون المراد بالمعاتب هو النبی ص-: أن فی التعبیر عنه أولا ـ بضمیر الغیبه إجلالا ـ له لإیهام أن من صدر عنه العبوس و التولی غیره(ص)لأنه لا یصدر مثله عن مثله،و ثانیا بضمیر الخطاب إجلالا له أیضا لما فیه من الإیناس بعد الإیحاش و الإقبال بعد الإعراض.

و فیه أنه لا یلائمه الخطاب فی قوله بعد:« أَمّٰا مَنِ اسْتَغْنىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى »إلخ و العتاب و التوبیخ فیه أشد مما فی قوله:« عَبَسَ وَ تَوَلّٰى »إلخ و لا إیناس فیه قطعا.

قوله تعالی:« أَمّٰا مَنِ اسْتَغْنىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى وَ مٰا عَلَيْكَ أَلاّٰ يَزَّكّٰى »الغنی و الاستغناء و التغنی و التغانی بمعنی علی ما ذکره الراغب فالمراد بمن استغنی من تلبس بالغنی و لازمه التقدم و الرئاسه و العظمه فی أعین الناس و الاستکبار عن اتباع الحق قال تعالی: «إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَيَطْغىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىٰ» :العلق:۷ و التصدی التعرض للشیء بالإقبال علیه و الاهتمام بأمره.

و فی الآیه إلی تمام ست آیات إشاره إلی تفصیل القول فی ملاک ما ذکر من العبوس و التولی فعوتب علیه و محصله أنک تعتنی و تقبل علی من استغنی و استکبر عن اتباع الحق

و ما علیک ألا یزکی و تتلهی و تعرض عمن یجتهد فی التزکی و هو یخشی.

و قوله:« وَ مٰا عَلَیْکَ أَلاّٰ یَزَّکّٰی »قیل:« مٰا »نافیه و المعنی و لیس علیک بأس أن لا یتزکی حتی یبعثک الحرص علی إسلامه إلی الإعراض و التلهی عمن أسلم و الإقبال علیه.

و قیل:« مٰا »للاستفهام الإنکاری و المعنی و أی شیء یلزمک أن لم یتطهر من الکفر و الفجور فإنما أنت رسول لیس علیک إلا البلاغ.

و قیل:المعنی و لا تبالی بعدم تطهره من دنس الکفر و الفجور و هذا المعنی أنسب لسیاق العتاب ثم الذی قبله ثم الذی قبله.

قوله تعالی:« وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ وَ هُوَ یَخْشیٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی » السعی الإسراع فی المشی فمعنی قوله:« وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ »بحسب ما یفیده المقام:و أما من جاءک مسرعا لیتذکر و یتزکی بما یتعلم من معارف الدین.

و قوله:« وَ هُوَ یَخْشیٰ »أی یخشی الله و الخشیه آیه التذکر بالقرآن قال تعالی: «مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقیٰ إِلاّٰ تَذْکِرَهً لِمَنْ یَخْشیٰ» :طه:۳ و قال: «سَیَذَّکَّرُ مَنْ یَخْشیٰ» :الأعلی:۱۰.

و قوله:« فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی »أی تتلهی و تتشاغل بغیره و تقدیم ضمیر أنت فی قوله:

« فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰی »و قوله:« فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی »و کذا الضمیرین« لَهُ »و« عَنْهُ »فی الآیتین لتسجیل العتاب و تثبیته.

قوله تعالی:« کَلاّٰ إِنَّهٰا تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ »« کَلاّٰ »ردع عما عوتب علیه من العبوس و التولی و التصدی لمن استغنی و التلهی عمن یخشی.

و الضمیر فی« إِنَّهٰا تَذْکِرَهٌ »للآیات القرآنیه أو للقرآن و تأنیث الضمیر لتأنیث الخبر و المعنی أن الآیات القرآنیه أو القرآن تذکره أی موعظه یتعظ بها من اتعظ أو مذکر یذکر حق الاعتقاد و العمل.

و قوله:« فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ »جمله معترضه و الضمیر للقرآن أو ما یذکر به القرآن من المعارف،و المعنی فمن شاء ذکر القرآن أو ذکر ما یذکر به القرآن و هو الانتقال إلی ما تهدی إلیه الفطره مما تحفظه فی لوحها من حق الاعتقاد و العمل.

و فی التعبیر بهذا التعبیر:« فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ »تلویح إلی أن لا إکراه فی الدعوه إلی التذکر فلا نفع فیها یعود إلی الداعی و إنما المنتفع بها المتذکر فلیختر ما یختاره.

قوله تعالى:« فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ »قال فی المجمع،: الصحف جمع صحیفه،و العرب تسمی کل مکتوب فیه صحیفه کما تسمیه کتابا رقا کان أو غیره انتهی.

و« فِی صُحُفٍ »خبر بعد خبر لأن و ظاهره أنه مکتوب فی صحف متعدده بأیدی ملائکه الوحی،و هذا یضعف القول بأن المراد بالصحف اللوح المحفوظ و لم یرد فی کلامه تعالی إطلاق الصحف و لا الکتب و لا الألواح بصیغه الجمع علی اللوح المحفوظ،و نظیره فی الضعف القول بأن المراد بالصحف کتب الأنبیاء الماضین لعدم ملاءمته لظهور قوله:

« بِأَیْدِی سَفَرَهٍ »إلخ فی أنه صفه لصحف.

و قوله:« مُکَرَّمَهٍ »أی معظمه،و قوله:« مَرْفُوعَهٍ »أی قدرا عند الله،و قوله:

« مُطَهَّرَهٍ »أی من قذاره الباطل و لغو القول و الشک و التناقض قال تعالی: «لاٰ یَأْتِیهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ» :حم السجده:۴۲،و قال: «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ» :الطارق:۱۴ و قال: «ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ» :البقره:۲،و قال: «وَ لَوْ کٰانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلاٰفاً کَثِیراً» :النساء:۸۲.

قوله تعالی:« بِأَیْدِی سَفَرَهٍ کِرٰامٍ بَرَرَهٍ »صفه بعد صفه لصحف،و السفره هم السفراء جمع سفیر بمعنی الرسول و« کِرٰامٍ »صفه لهم باعتبار ذواتهم و« بَرَرَهٍ »صفه لهم باعتبار عملهم و هو الإحسان فی الفعل.

و معنی الآیات أن القرآن تذکره مکتوبه فی صحف متعدده معظمه مرفوعه قدرا مطهرا من کل دنس و قذاره بأیدی سفراء من الملائکه کرام علی ربهم بطهاره ذواتهم برره عنده تعالی بحسن أعمالهم.

و یظهر من الآیات أن للوحی ملائکه یتصدون لحمل الصحف و إیحاء ما فیها من القرآن فهم أعوان جبریل و تحت أمره و نسبه إلقاء الوحی إلیهم لا تنافی نسبته إلی جبریل فی مثل قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلیٰ قَلْبِکَ» :الشعراء:۱۹۴ و قد قال تعالی فی صفته:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ» :التکویر:۲۱ فهو مطاع من الملائکه من یصدر عن أمره و یأتی بما یریده و الإیحاء الذی هو فعل أعوانه فعله کما أن فعله و فعلهم جمیعا فعل الله و ذلک نظیر کون التوفی الذی هو فعل أعوان ملک الموت فعله،و فعله و فعلهم جمیعا فعل الله تعالی،و قد تقدمت الإشاره إلی هذا البحث مرارا.

و قیل:المراد بالسفره الکتاب من الملائکه، و الذی تقدم من المعنی أجلی و قیل:المراد بهم القراء یکتبونها و یقرءونها و هو کما تری.

بحث روائی

فی المجمع،قیل": نزلت الآیات فی عبد الله بن أم مکتوم-و هو عبد الله بن شریح بن مالک بن ربیعه الفهری-من بنی عامر بن لؤی.

و ذلک أنه أتی رسول الله ص-و هو یناجی عتبه بن ربیعه و أبا جهل بن هشام- و العباس بن عبد المطلب و أبیا-و أمیه بن خلف یدعوهم إلی الله و یرجو إسلامهم-فقال:

یا رسول الله أقرئنی-و علمنی مما علمک الله-فجعل ینادیه و یکرر النداء-و لا یدری أنه مشتغل مقبل علی غیره-حتی ظهرت الکراهه فی وجه رسول الله ص لقطعه کلامه-و قال فی نفسه:یقول هؤلاء الصنادید-إنما أتباعه العمیان و العبید فأعرض عنه-و أقبل علی القوم الذین کان یکلمهم فنزلت الآیات.

و کان رسول الله بعد ذلک یکرمه،و إذا رآه قال:مرحبا بمن عاتبنی فیه ربی، و یقول له:هل لک من حاجه؟و استخلفه علی المدینه مرتین فی غزوتین.

أقول:روی السیوطی فی الدر المنثور القصه عن عائشه و أنس و ابن عباس علی اختلاف یسیر و ما أورده الطبرسی محصل الروایات.

و لیست الآیات ظاهره الدلاله علی أن المراد بها هو النبی ص بل خبر محض لم یصرح بالمخبر عنه بل فیها ما یدل علی أن المعنی بها غیره لأن العبوس لیس من صفات النبی ص مع الأعداء المباینین فضلا عن المؤمنین المسترشدین.ثم الوصف بأنه یتصدی للأغنیاء و یتلهی عن الفقراء لا یشبه أخلاقه الکریمه کما عن المرتضی رحمه الله.

و قد عظم الله خلقه(ص)إذ قال-و هو قبل نزول هذه السوره-:« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ »و الآیه واقعه فی سوره«ن»التی اتفقت الروایات المبینه لترتیب نزول السور علی أنها نزلت بعد سوره اقرأ باسم ربک،فکیف یعقل أن یعظم الله خلقه فی أول بعثته و یطلق القول فی ذلک ثم یعود فیعاتبه علی بعض ما ظهر من أعماله الخلقیه و یذمه بمثل التصدی للأغنیاء و إن کفروا و التلهی عن الفقراء و إن آمنوا و استرشدوا.

و قال تعالی أیضا: «وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» :الشعراء:۲۱۵ فأمره بخفض الجناح للمؤمنین و السوره من السور المکیه و الآیه فی سیاق قوله:« وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ »النازل فی أوائل الدعوه.

و كـذا قوله: «لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» :الحجر:۸۸ و فی سیاق الآیه قوله: «فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» :الحجر:۹۴ النازل فی أول الـدعوه العلنیه فکیف یتصور منه(ص)العبوس و الإعراض عن المؤمنین و قد أمر باحترام إیمانهم و خفض الجناح و أن لا یمد عینیه إلی دنیا أهل الدنیا.

علی أن قبـح ترجیـح غنی الغنی-و لیس ملاکـا لشـیء من الفضل-علی کمال الفقیر و صـلاحه بالعبوس و الإعراض عن الفقیر و الإقبال علی الغنی لغناه قبح عقلی مناف لکریم الخلق الإنسانی لا یحتاج فی لزوم التجنب عنه إلی نهی لفظی.

و بهـذا و ما تقـدمه یظهر الجواب عما قیل:إن الله سـبحانه لـم ینهه(ص)عن هذا الفعل إلا فی هذا الوقت فلا یکون معصـیه منه إلا بعده و أما قبل النهی فلا.

و ذلـک أن دعوی أنه تعـالی لم ینهه إلا فی هـذا الوقت تحکم ممنوع،و لو سـلم فالعقل حاکم بقبحه و معه ینافی صـدوره کریم الخلق و قد عظم الله خلقه(ص)قبل ذلک إذ قال:

« وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »و أطلق القول،و الخلق ملکه لا تتخلف عن الفعل المناسب لها.

و عن الصادق(ع)-علی ما فی المجمع،: -أنها نزلت فی رجل من بنی أمیه-کان عند النبی ص فجاء ابن أم مکتوم-فلما رآه تقذر منه و جمع نفسه و عبس-و أعرض بوجهه عنه-فحکی الله سبحانه ذلک و أنکره علیه.

و فی المجمع،و روی عن الصادق(ع)أنه قال: کان رسول الله ص إذا رأی عبـد الله بن أم مکتوم قال: مرحبا مرحبا و الله لا یعاتبنی الله فیک أبدا،و کان یصنع به من اللطف-حتی کان یکف عن النبی ص مما یفعل به.

أقول:الکلاـم فیه کالکلاـم فیمـا تقـدمه،و معنی قوله:حتی أنه کـان یکف«إلـخ»أنه کـان یکف عن الحضور عنـد النبی ص لکثره صنیعه(ص)به انفعالا منه و خجلا.

[سوره عبس (۸۰): الآیات ۱۷ الی ۴۲]

اشاره

قُتِلَ اَلْإِنْسٰانُ مٰا أَکْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ اَلسَّبِیلَ یَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذٰا شٰاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) کَلاّٰ لَمّٰا یَقْضِ مٰا أَمَرَهُ (۲۳) فَلْیَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ إِلیٰ طَعٰامِهِ (۲۴) أَنّٰا صَبَبْنَا اَلْمٰاءَ صَبًّا (۲۵) ثُمَّ شَقَقْنَا اَلْأَرْضَ شَقًّا (۲۶) فَأَنْبَتْنٰا فِیهٰا حَبًّا (۲۷) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (۲۸) وَ زَیْتُوناً وَ نَخْلاً (۲۹) وَ حَدٰائِقَ غُلْباً (۳۰) وَ فٰاکِهَهً وَ أَبًّا (۳۱) مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعٰامِکُمْ (۳۲) فَإِذٰا جٰاءَتِ اَلصّٰاخَّهُ (۳۳) یَوْمَ یَفِرُّ اَلْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ (۳۴) وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ (۳۵) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِیهِ (۳۶) لِکُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ (۳۷) وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ مُسْفِرَهٌ (۳۸) ضٰاحِکَهٌ مُسْتَبْشِرَهٌ (۳۹) وَ وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ عَلَیْهٰا غَبَرَهٌ (۴۰) تَرْهَقُهٰا قَتَرَهٌ (۴۱) أُولٰئِکَ هُمُ اَلْکَفَرَهُ اَلْفَجَرَهُ (۴۲)

بیان

دعاء علی الإنسان و تعجیب من مبالغته فی الکفر بربوبیه ربه و إشاره إلی أمره حدوثا و بقاء فإنه لا یملک لنفسه شیئا من خلق و تدبیر بل الله سبحانه هو الذی خلقه من نطفه مهینه فقدره ثم السبیل یسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره فهو سبحانه ربه الخالق له المدبر لأمره مطلقا و هو فی مدی وجوده لا یقضی ما أمره به ربه و لا یهتدی بهداه.

و لو نظر الإنسان إلی طعامه فقط و هو مظهر واحد من مظاهر تدبیره و غرفه من بحار رحمته رأی من وسیع التدبیر و لطیف الصنع ما یبهر عقله و یدهش لبه و وراء ذلک نعم لا تعد-و إن تعدوا نعمه الله لا تحصوها-.

فستره تدبیر ربه و ترکه شکر نعمته عجیب و إن الإنسان لظلوم کفار و سیرون تبعه شکرهم و کفرهم من السرور و الاستبشار أو الکآبه و سواد الوجه.

و الآیات-کما تری-لا تأبی الاتصال بما قبلها سیاقا واحدا و إن قال بعضهم إنها نزلت لسبب آخر کما سیجیء.

ص: ۲۰۵

قوله تعالى:« قُتِلَ الْإِنْسٰانُ مٰا أَكْفَرَهُ »دعاء على الإنسان لما أن فى طبعه التوغل فى اتباع الهوى و نسيان ربوبيه ربه و الاستكبار عن اتباع أوامره.

و قوله« مٰا أَكْفَرَهُ »تعجيب من مبالغه فى الكفر و ستر الحق الصريح و هو يرى أنه مدبر بتدبير الله لا يملك شيئا من تدبير أمره غيره تعالى.

فالمراد بالكفر مطلق ستر الحق و ينطبق على إنكار الربوبيه و ترك العباده و يؤيده ما فى ذيل الآيه من الإشاره إلى جهات من التدبير الربوبى المتناسبه مع الكفر بمعنى ستر الحق و ترك العباده،و قد فسر بعضهم الكفر بترك الشكر و كفران النعمه و هو و إن كان معنى صحيحا فى نفسه لكن الأنسب بالنظر إلى السياق هو المعنى المتقدم.

قال فى الكشاف:« قُتِلَ الْإِنْسٰانُ »دعاء عليه و هى من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا و فظائعها و« مٰا أَكْفَرَهُ »تعجب من إفراطه فى كفران نعمه الله و لا ترى أسلوبا أغلظ منه،و لا أخشن مسا،و لا أدل على سخط،و لا أبعد شوطا فى المذمه مع تقارب طرفيه،و لا أجمع للأئمه على قصر متنه،انتهى.

و قيل جمله« مٰا أَكْفَرَهُ »استفهاميه و المعنى ما هو الذى جعله كافرا،و الوجه المتقدم أبلغ.

قوله تعالى:« مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ »معناه على ما يعطيه المقام من أى شىء خلق الله الإنسان حتى يحق له أن يطغى و يستكبر عن الإيمان و الطاعه،و حذف فاعل قوله:

« خَلَقَهُ »و ما بعده من الأفعال للإشعار بظهوره فمن المعلوم بالفطره-و قد اعترف به المشركون-أن لا خالق إلا الله تعالى.

و الاستفهام بداعى تأكيد ما فى قوله:« مٰا أَكْفَرَهُ »من العجب-و العجب إنما هو فى الحوادث التى لا يظهر لها سبب-فأفيد أولا:أن من العجب إفراط الإنسان فى كفره ثم سئل ثانيا:هل فى خلقته إذ خلقه الله ما يوجب له الإفراط فى الكفر فأجيب بنفيه و أن لا حجه له يحتج بها و لا عذر يعتذر به فإنه مخلوق من ماء مهين لا يملك شيئا من خلقته و لا من تدبير أمره فى حياته و مماته و نشره،و بالجمله الاستفهام توطئه للجواب الذى فى قوله:« مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ »إلخ.

قوله تعالى:« مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ »تنكير« نُطْفَةٍ »للتحقير أى من نطفه مهينه حقيره خلقه فلا يحق له و أصله هذا الأصل أن يطغى بكفره و يستكبر عن الطاعه.

و قوله« فَقَدَّرَهُ »أى أعطاه القدر فى ذاته و صفاته و أفعاله فليس له أن يتعدى الطور

الذی قدر له و یتجاوز الحد الذی عین له فقد أحاط به التدبیر الربوبی من کل جانب لیس له أن یستقل بنیل ما لم یقدر له.

قوله تعالی:« ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ »ظاهر السیاق المقصود به نفی العذر من الإنسان فی کفره و استکباره أن المراد بالسبیل-و قد أطلق-السبیل إلی طاعه الله و امتثال أوامره و إن شئت فقل:السبیل إلی الخیر و السعاده.

فتکون الآیه فی معنی دفع الدخل فإنه إذا قیل:« مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ »أمکن أن یتوهم السامع أن الخلق و التقدیر إذا کانا محیطین بالإنسان من کل جهه کانت أفعال الإنسان لذاته و صفاته مقدره مکتوبه و متعلقه لمشیه الربوبیه التی لا تتخلف فتکون أفعال الإنسان ضروریه الثبوت واجبه التحقق و الإنسان مجبرا علیها فاقدا للاختیار فلا صنع للإنسان فی کفره إذا کفر و لا فی فسقه إذا فسق و لم یقض ما أمره الله به و إنما ذلک بتقدیره تعالی و إرادته فلا ذم و لا لائمه علی الإنسان و لا دعوه دینیه تتعلق به لأن ذلک کله فرع للاختیار و لا اختیار.

فدفع الشبهه بقوله:« ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ »و محصله أن الخلق و التقدیر لا ینافیان کون الإنسان مختارا فیما أمر به من الإیمان و الطاعه له طریق إلی السعاده التی خلق لها فکل میسر لما خلق له و ذلک أن التقدیر واقع علی الأفعال الإنسانیه من طریق اختیاره، و الإراده الربوبیه متعلقه بأن یفعل الإنسان بإرادته و اختیاره کذا و کذا فالفعل صادر عن الإنسان باختیاره و هو بما أنه اختیاری متعلق للتقدیر.

فالإنسان مختار فی فعله مسئول عنه و إن کان متعلقا للقدر،و قد تقدم البحث عن هذا المعنی کرارا فی ذیل الآیات المناسبه له فی هذا الکتاب.

و قیل:المراد بتیسیر السبیل تسهیل خروج الإنسان من بطن أمه و المعنی ثم سهل للإنسان سبیل الخروج و هو جنین مخلوق من نطفه.

و قیل:المراد الهدایه إلی الدین و تبین طریق الخیر و الشر کما قال: «وَ هَدَیْنٰاهُ النَّجْدَیْنِ» البلد:۱۰ و الوجه المتقدم أوجه.

قوله تعالی:« ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ » الإماته إیقاع الموت علی الإنسان،و المراد بالإقبار دفنه فی القبر و إخفاؤه فی بطن الأرض و هذا بالبناء علی الغالب الذی جری علیه دیدن الناس و بهذه المناسبه نسب إلیه تعالی لأنه تعالی هو الذی هداهم إلی ذلک و ألهمهم إیاه

فللفعل نسبه إليه كما له نسبه إلى الناس.

و قيل:المراد بالإقبار جعله ذا قبر و معنى جعله ذا قبر أمره تعالى بدفنه تكرمه له لتتوارى جيفته فلا يتأذى بها الناس و لا يتنفروا.

و الوجه المتقدم أنسب لسياق الآيات المسرود لتذكير تدبيره تعالى التكوينى للإنسان دون التدبير التشريعى الذى عليه بناء هذا الوجه.

قوله تعالى:« ثُمَّ إِذٰا شٰاءَ أَنْشَرَهُ »فى المجمع،: الإنشار الإحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى.انتهى، فالمراد به البعث إذا شاء الله،و فيه إشاره إلى كونه بغته لا يعلمه غيره تعالى.

قوله تعالى:« كَلاّٰ لَمّٰا يَقْضِ مٰا أَمَرَهُ »الذى يعطيه السياق أن« كَلاّٰ »ردع عن معنى سؤال يستدعيه السياق و يلوح إليه قوله:« لَمّٰا يَقْضِ مٰا أَمَرَهُ »كأنه لما أشير إلى أن الإنسان مخلوق مدبر له تعالى من أول وجوده إلى آخره من خلق و تقدير و تيسير للسبيل و إماته و إقبار و إنشار و كل ذلك نعمه منه تعالى سئل فقيل:فما ذا صنع الإنسان و الحال هذه الحال و هل خضع للربوبيه أو هل شكر النعمه فأجيب و قيل:كلا،ثم أوضح فقيل:

لما يقض ما أمره الله به بل كفر و عصى.

فقد ظهر مما تقدم أن ضمير« يَقْضِ »للإنسان و المراد بقضائه إتيانه بما أمر الله به، و قيل:الضمير لله تعالى و المعنى لما يقض الله لهذا الكافر أن يأتى بما أمره به من الإيمان و الطاعه بل إنما أمره بما أمر إتماما للحجه،و هو بعيد.

و ظهر أيضا أن ما فى الآيات من الذم و اللائمه إنما هو للإنسان بما فى طبعه من الإفراط فى الكفر كما فى قوله: «إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ» :إبراهيم:٣۴ فينطبق على من تلبس بالكفر و أفرط فيه بالعناد و منه يظهر عدم استقامه ما نقل عن بعضهم أن الآيه على العموم فى الكافر و المسلم لم يعبده أحد حق عبادته.

و ذلك أن الضمير للإنسان المذكور فى صدر الآيات بما فى طبعه من داعيه الإفراط فى الكفر و ينطبق على من تلبس به بالفعل.

قوله تعالى:« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِ »متفرع على ما تقدم تفرع التفصيل على الإجمال ففيه توجيه نظر الإنسان إلى طعامه الذى يقتات به و يستمد منه لبقائه و هو واحد مما لا يحصى مما هيأه التدبير الربوبى لرفع حوائجه فى الحياه حتى يتأمله فيشاهد سعه

التدبير الربوبی التی تدهش لبه و تحیر عقله،و تعلق العنایه الإلهیه-علی دقتها و إحاطتها- بصلاح حاله و استقامه أمره.

و المراد بالإنسان-کما قیل-غیر الإنسان المتقدم المذکور فی قوله:« قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ »فإن المراد به خصوص الإنسان المبالغ فی الکفر بخلاف الإنسان المذکور فی هذه الآیه المأمور بالنظر فإنه عام شامل لکل إنسان،و لذلک أظهر و لم یضمر.

قوله تعالی:« أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا -إلی قوله- وَ لِأَنْعامِکُمْ »القراءه الدائره« أَنّا » بفتح الهمزه و هو بیان تفصیلی لتدبیره تعالی طعام الإنسان نعم هو مرحله ابتدائیه من التفصیل و أما القول المستوفی لبیان خصوصیات النظام الذی هیأ له هذه الأمور و النظام الوسیع الجاری فی کل من هذه الأمور و الروابط الکونیه التی بین کل واحد منها و بین الإنسان فمما لا یسعه نطاق البیان عاده.

و بالجمله قوله:« أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا » الصب إراقه الماء من العلو،و المراد بصب الماء إنزال الأمطار علی الأرض لإنبات النبات،و لا یبعد أن یشمل إجراء العیون و الأنهار فإن ما فی بطن الأرض من ذخائر الماء إنما یتکون من الأمطار.

و قوله:« ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا »ظاهره شق الأرض بالنبات الخارج منها و لذا عطف علی صب الماء بثم و عطف علیه إنبات الحب بالفاء.

و قوله:« فَأَنْبَتْنا فِیها حَبًّا »ضمیر« فِیها »للأرض،و المراد بالحب جنس الحب الذی یقتات به الإنسان کالحنطه و الشعیر و نحوهما و کذا فی العنب و القضب و غیرهما.

و قوله:« وَ عِنَباً وَ قَضْباً » العنب معروف،و یطلق علی شجر الکرم و لعله المراد فی الآیه و نظیره الزیتون.

و القضب هو الغض الرطب من البقول الذی یأکله الإنسان یقضب أی یقطع مره بعد أخری،و قیل:هو ما یقطع من النبات فتعلف به الدواب.

و قوله:« وَ زَیْتُوناً وَ نَخْلاً »معروفان.

و قوله:« وَ حَدائِقَ غُلْباً » الحدائق جمع حدیقه و هی علی ما فسر البستان المحوط و الغلب جمع غلباء یقال:شجره غلباء أی عظیمه غلیظه فالحدائق الغلب البساتین المشتمله علی أشجار عظام غلاظ.

و قوله:« وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا »قيل:الفاكهه مطلق الثمار،و قيل:ما عدا العنب و الرمان.قيل:إن ذكر ما يدخل فى الفاكهه أولا كالزيتون و النخل للاعتناء بشأنه و الأب الكلاء و المرعى.

و قوله:« مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ »مفعول له أى أنبتنا ما أنبتنا مما تطعمونه ليكون تمتيعا لكم و للأنعام التى خصصتموها بأنفسكم.

و الالتفات عن الغيبه إلى الخطاب فى الآيه لتأكيد الامتنان بالتدبير أو بإنعام النعمه.

قوله تعالى:« فَإِذٰا جٰاءَتِ الصَّاخَّةُ »إشاره إلى ما ينتهى إليه ما ذكر من التدبير العام الربوبى للإنسان بما أن فيه أمرا ربوبيا إلهيا بالعبوديه يقضيه الإنسان أولا يقضيه و هو يوم القيامه الذى يوفى فيه الإنسان جزاء أعماله.

و الصاخه :الصيحه الشديده التى تصم الأسماع من شدتها،و المراد بها نفخه الصور.

قوله تعالى:« يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ »إشاره إلى شده اليوم فالذين عدوا من أقرباء الإنسان و أخصائه هم الذين كان يأوى إليهم و يأنس بهم و يتخذهم أعضادا و أنصارا يلوذ بهم فى الدنيا لكنه يفر منهم يوم القيامه لما أن الشده أحاطت به بحيث لا تدعه يشتغل بغيره و يعتنى بما سواه كائنا من كان فالبلبله إذا عظمت و اشتدت و أطلت على الإنسان جذبته إلى نفسها و صرفته عن كل شیء.

و الدليل على هذا المعنى قوله بعد:« لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »أى يكفيه من أن يشتغل بغيره.

و قيل:فى سبب فرار الإنسان من أقربائه و أخصائه يومئذ وجوه أخر لا دليل عليها أغمضنا عن إيرادها.

قوله تعالى:« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضٰاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ »بيان لانقسام الناس يومئذ إلى قسمين:أهل السعاده و أهل الشقاء،و إشاره إلى أنهم يعرفون بسيماهم فى وجوههم و إسفار الوجه إشراقه و إضاءته فرحا و سرورا و استبشاره تهلله بمشاهده ما فيه البشرى.

قوله تعالى:« وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ »هى الغبار و الكدوره و هى سيماء الهم و الغم.

قوله تعالى:« تَرْهَقُهٰا قَتَرَةٌ »أى يعلوها و يغشاها سواد و ظلمه،و قد بين حال الطائفتين فى الآيات الأربع ببيان حال وجوههما لأن الوجه مرآه القلب فى سروره و مساءته.

قوله تعالى:« أُولٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ »أى الجامعون بين الكفر اعتقادا و الفجور

و هو المعصيه الشنيعه عملا- أو الكافرون بنعمه الله الفاجرون،و هذا تعريف للطائفه الثانيه و هم أهل الشقاء و لم يأت بمثله فی الطائفه الأولی و هم أهل السعاده لأن الكلام مسوق للإنذار و الاعتناء بشأن أهل الشقاء.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن عكرمه"*فی قوله:« قُتِلَ الْإِنْسٰانُ مٰا أَكْفَرَهُ » قال:نزلت فی عتبه بن أبی لهب حین قال:كفرت برب النجم إذا هوی-فدعا علیه النبی ص فأخذه الأسد بطریق الشام.

و فی الاحتجاج،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث طویل: « قُتِلَ الْإِنْسٰانُ مٰا أَكْفَرَهُ » أی لعن الإنسان.

و فی تفسیر القمی،":« ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ »قال:یسر له طریق الخیر.

أقول:المراد به جعله مختارا فی فعله یسهل به سلوكه سبیل السعاده و وصوله إلی الكمال الذی خلق له.فالخبر منطبق علی ما قدمناه من الوجه فی تفسیر الآیه.

و فیه،":فی قوله:« وَ قَضْباً »قال:القضب القت.

و فیه،":فی قوله:« وَ فٰاكِهَهً وَ أَبًّا »قال:الأب الحشیش للبهائم.

و فی الدر المنثور،أخرج أبو عبید فی فضائله عن إبراهیم التیمی قال"*:سئل أبو بكر الصدیق عن قوله« وَ أَبًّا »فقال:أی سماء تظلنی و أی أرض تقلنی-إذا قلت فی كتاب الله ما لا أعلم.

و فیه،أخرج سعید بن منصور و ابن جریر و ابن سعد و عبد بن حمید و ابن المنذر و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان و الخطیب و الحاكم و صححه عن أنس"*أن عمر قرأ علی المنبر« فَأَنْبَتْنٰا فِیهٰا حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً -إلی قوله- وَ أَبًّا »قال:كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ثم رفض عصا كانت فی یده فقال:هذا لعمر الله هو التكلف فما علیك أن لا تدری ما الأب؟اتبعوا ما بین لكم هداه من الكتاب فاعملوا به-و ما لم تعرفوه فكلوه إلی ربه.

و فیه،أخرج عبد بن حمید عن عبد الرحمن بن یزید"*أن رجلا سأل عمر عن قوله « وَ أَبًّا »فلما رآهم یقولون أقبل علیهم بالدره.

أقول:هو مبنى على منعهم عن البحث عن معارف الكتاب حتى تفسير ألفاظه.

و فى إرشاد المفيد،و روى:أن أبا بكر سئل عن قول الله تعالى:« وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا »فلم يعرف معنى الأب من القرآن فقال:أى سماء تظلنى أم أى أرض تقلنى-أم كيف أصنع إن قلت فى كتاب الله ما لا أعلم؟أما الفاكهه فنعرفها و أما الأب فالله أعلم.

فبلغ أمير المؤمنين(ع)مقاله فى ذلك-فقال:سبحان الله أ ما علم أن الأب هو الكلاء و المرعى؟و أن قوله تعالى:« وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا »اعتداد من الله-بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به و خلقه لهم-و لأنعامهم مما تحيى به أنفسهم و تقوم به أجسادهم.

و فى المجمع،و روى عن عطاء بن يسار عن سوده زوج النبى ص قالت*:قال رسول الله ص: يبعث الناس حفاه عراه غرلا (۱)يلجمهم العرق و يبلغ شحمه الإذن-قالت:

قلت:يا رسول الله وا سوأتاه-ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء؟قال:شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله ص« لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ».

و فى تفسير القمى،":قوله:« لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »قال:شغل يشغله عن غيره.

(۸۱) سوره التكوير مكيه و هى تسع و عشرون آيه(۲۹)

[سوره التكوير (۸۱): الآيات ۱ الى ۱۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

إِذَا اَلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱) وَ إِذَا اَلنُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ (۲) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ سُيِّرَتْ (۳) وَ إِذَا اَلْعِشٰارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا اَلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ سُجِّرَتْ (۶) وَ إِذَا اَلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (۷) وَ إِذَا اَلْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (۸) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۹) وَ إِذَا اَلصُّحُفُ نُشِرَتْ (۱۰) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ كُشِطَتْ (۱۱) وَ إِذَا اَلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (۱۲) وَ إِذَا اَلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (۱۳) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا أَحْضَرَتْ (۱۴)

۱- ۱) الغرل بالغين المعجمه جمع أغرل و هو الأقلف غير المختون.

بیان

تذکر السوره یوم القیامه بذکر بعض أشراطها و ما یقع فیها و تصفه بأنه یوم ینکشف فیه للإنسان ما عمله من عمل ثم تصف القرآن بأنه مما ألقاه إلی النبی ص رسول سماوی و هو ملک الوحی و لیس بإلقاء شیطانی و لا- أن النبی ص مجنون یمسه الشیطان.

و یشبه أن تکون السوره من السور العتائق النازله فی أوائل البعثه کما یشهد به ما فیها من تنزیهه(ص)مما رموه به من الجنون و قد اتهموه به فی أوائل الدعوه و قد اشتملت علی تنزیهه منه سوره«ن»و هی من العتائق.

و السوره مکیه بلا کلام.

قوله تعالی:« إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ » التکویر اللف علی طریق الإداره کلف العمامه علی الرأس،و لعل المراد بتکویر الشمس انظلام جرمها علی نحو الإحاطه استعاره.

قوله تعالی:« وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ » انکدار الطائر من الهواء انقضاضه نحو الأرض،و علیه فالمراد سقوط النجوم کما یفیده قوله: «وَ إِذَا الْکَوٰاکِبُ انْتَثَرَتْ» الانفطار:۲ و یمکن أن یکون من الانکدار بمعنی التغیر و قبول الکدوره فیکون المراد به ذهاب ضوئها.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْجِبٰالُ سُیِّرَتْ »بما یصیبها من زلزله الساعه من التسییر فتندک و تکون هباء منبثا و تصیر سرابا علی ما ذکره سبحانه فی مواضع من کلامه.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْعِشٰارُ عُطِّلَتْ »قیل:« العشار جمع عشراء کالنفاس جمع نفساء و هی الناقه الحامل التی أتت علیها عشره أشهر فتسمی عشراء حتی تضع حملها و ربما سمیت عشراء بعد الوضع أیضا و هی من أنفس المال عند العرب.

و تعطیل العشار ترکها مهمله لا- راعی لها و لا حافظ یحفظها و کان فی الجمله إشاره علی نحو الکنایه إلی أن نفائس الأموال التی یتنافس فیها الإنسان تبقی الیوم و لا صاحب لها یتملکها و یتصرف فیها لأنهم مشغولون بأنفسهم عن کل شیء کما قال: «لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ» :عبس:۳۷.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ » الوحوش جمع وحش و هو من الحیوان ما لا یتأنس بالإنسان کالسباع و غیرها.

و ظاهر الآيه من حيث وقوعها فی سياق الآيات الواصفه ليوم القيامه أن الوحوش محشوره كالإنسان،و يؤيده قوله تعالی: «وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِی الْكِتٰابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» :الأنعام:٣٨.

و أما تفصيل حالها بعد الحشر و ما يئول إليه أمرها فلم يرد فی كلامه تعالی و لا فيما يعتمد عليه من الأخبار ما يكشف عن ذلك نعم ربما استفيد من قوله فی آيه الأنعام:

« أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ »و قوله:« مٰا فَرَّطْنٰا فِی الْكِتٰابِ مِنْ شَیْءٍ »بعض ما يتضح به الحال فی الجمله لا يخفی علی الناقد المتدبر،و ربما قيل:إن حشر الوحوش من أشراط الساعه لا مما يقع يوم القيامه و المراد به خروجها من غاباتها و أكنانها.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ »فسر التسجير بإضرام النار و فسر بالملإ و المعنی علی الأول و إذا البحار أضرمت نارا،و علی الثانی و إذا البحار ملئت.

قوله تعالی:« وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ »أما نفوس السعداء فبنساء الجنه قال تعالی:

«لَهُمْ فِيهٰا أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ» :النساء:٥٧،و قال: «وَ زَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» :الدخان:٥۴ و أما نفوس الأشقياء فبقرناء الشياطين قال تعالی: «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ مٰا كٰانُوا يَعْبُدُونَ» :الصافات:٢٢ و قال: «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» :الزخرف:٣۶.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » الموءوده البنت التی تدفن حيه و كانت العرب تئد البنات خوفا من لحوق العار بهم من أجلهن كما يشير إليه قوله تعالی:

«وَ إِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثیٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوٰاریٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مٰا بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلیٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِی التُّرٰابِ» :النحل:٥٩.

و المسئول بالحقيقه عن قتل الموءوده أبوها الوائد لها لينتصف منه و ينتقم لكن عد المسئول فی الآيه هی الموءوده نفسها فسئلت عن سبب قتلها لنوع من التعريض و التوبيخ لقاتلها و توطئه لأن تسأل الله الانتصاف لها من قاتلها حتی يسأل عن قتلها فيؤخذ لها منه، فالكلام نظير قوله تعالی فی عيسی(ع): «وَ إِذْ قٰالَ اللّٰهُ يٰا عِيسَی ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّیَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ» :المائده:١١۶.

و قيل:إسناد المسئوليه إلی الموءوده من المجاز العقلی و المراد كونها مسئولا عنها نظير قوله تعالی: «إِنَّ الْعَهْدَ كٰانَ مَسْؤُلاً» :إسراء:٣۴.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ »أی للحساب،و الصحف کتب الأعمال.

قوله تعالى:« وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ »فی المجمع، الکشط القلع عن شده التزاق فینطبق علی طیها کما فی قوله: «وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» :الزمر:۶۷،و قوله:

«وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً» :الفرقان:۲۵ و غیر ذلک من الآیات المفصحه عن هذا المعنی.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ » التسعیر تهییج النار حتی تتأجج.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ » الإزلاف التقریب و المراد تقریبها من أهلها للدخول.

قوله تعالى:« عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ »جواب إذا،و المراد بالنفس الجنس و المراد بما أحضرت عملها الذی عملته یقال:أحضرت الشیء أی وجدته حاضرا کما یقال:

أحمدته أی وجدته محمودا.

فالآیه فی معنی قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» :آل عمران:۳۰.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »قال:تصیر سوداء مظلمه« وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ »قال:یذهب ضوؤها« وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ »قال:تسیر کما قال« تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ».قوله:« وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ »قال-الإبل تتعطل إذا مات الخلق-فلا یکون من یحلبها،قوله:« وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ »قال:تتحول البحار التی حول الدنیا کلها نیرانا« وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ »قال:من الحور العین.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله:« وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قال:أما أهل الجنه فزوجوا الخیرات الحسان،و أما أهل النار فمع کل إنسان منهم شیطان-یعنی قرنت نفوس الکافرین و المنافقین بالشیاطین-فهم قرناؤهم.

أقول:الظاهر أن قوله:یعنی«إلخ»من کلام الراوی.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و الدیلمی عن أبی مریم أن النبی ص قال *فی قوله:

« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »قال:کورت فی جهنم« وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ »قال:انکدرت فی جهنم،و کل من عبد من دون الله فهو فی جهنم-إلا ما کان من عیسی بن مریم و أمه-و لو

رضیا أن یعبدا لدخلاها.

و فی تفسیر القمی، ":فی قوله تعالی:« وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ »قال:صحف الأعمال-قوله:

« وَ إِذَا السَّمٰاءُ کُشِطَتْ »قال:أبطلت.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن النعمان بن بشیر قال سمعت رسول الله ص یقول*:

« وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ »قال:هما الرجلان یعملان العمل یدخلان الجنه و النار.

[سوره التکویر (۸۱): الآیات ۱۵ الی ۲۹]

اشاره

فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) اَلْجَوٰارِ اَلْکُنَّسِ (۱۶) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا عَسْعَسَ (۱۷) وَ اَلصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ (۱۸) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ (۱۹) ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی اَلْعَرْشِ مَکِینٍ (۲۰) مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ (۲۱) وَ مٰا صٰاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ (۲۲) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ اَلْمُبِینِ (۲۳) وَ مٰا هُوَ عَلَی اَلْغَیْبِ بِضَنِینٍ (۲۴) وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَیْطٰانٍ رَجِیمٍ (۲۵) فَأَیْنَ تَذْهَبُونَ (۲۶) إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِکْرٌ لِلْعٰالَمِینَ (۲۷) لِمَنْ شٰاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ (۲۸) وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ رَبُّ اَلْعٰالَمِینَ (۲۹)

بیان

تنزیه للنبی ص من الجنون-و قد اتهموه به-و لما یأتی به-من القرآن-من مداخله الشیطان،و أنه کلامه تعالی یلقیه إلیه ملک الوحی الذی لا یخون فی رسالته، و أنه ذکر للعالمین هاد بإذن الله لمن اهتدی منهم.

قوله تعالی:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ اَلْجَوٰارِ الْکُنَّسِ » الخنس جمع خانس کطلب جمع طالب،و الخنوس الانقباض و التأخر و الاستتار،و الجواری جمع جاریه،و الجری السیر السریع مستعار من جری الماء،و الکنس جمع کانس و الکنوس دخول الوحش کالظبی

و الطير كناسه أى بيته الذى اتخذه لنفسه و استقراره فيه.

و تعقب قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ »إلـخ بقوله:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْـعَسَ وَ الصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ » يؤيد كون المراد بالخنس الجوار الكنس الكواكب كلها أو بعضـها لكن صـفات حركه بعضها أشد مناسبه و أوضح انطباقا على ما ذكر من الصفات المقسم بها:الخنوس و الجرى و الكنوس و هى السـيارات الخمس المتحيره:زحـل و المشترى و المريـخ و الزهره و عطـارد فـإن لها فى حركاتها على ما تشاهـد اسـتقامه و رجعه و إقامه فهى تسـير و تجرى حركه متشابهه زمانا و هى الاسـتقامه و تنقبض و تتأخر و تخنس زمانا و هى الرجعه و تقف عن الحركه استقامه و رجعه زمانا كأنها الوحش تكنس فى كناسها و هى الإقامه.

و قيل:المراد بها مطلق الكواكب و خنوسـها اسـتتارها فى النهار تحت ضوء الشـمس و جريها سـيرها المشهود فى الليل و كنوسها غروبها فى مغربها و تواريها.

و قيل:المراد بها بقر الوحش أو الظبى و لا يبعد أن يكون ذكر بقر الوحش أو الظبى من باب المثال و المراد مطلق الوحوش.

و كيف كان فأقرب الأقوال أولها و الثانى بعيد و الثالث أبعد.

قوله تعالى:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْعَسَ »عطف على الخنس،و« إِذٰا عَسْعَسَ »قيد لليل، و العسعسه تطلق على إقبال الليل و على إدباره قال الراغب:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْـعَسَ »أى أقبل و أدبر و ذلك فى مبـدإ الليل و منتهاه فالعسـعسه و العساس رقه الظلام و ذلك فى طرفى الليل.انتهى و الأنسب لاتصال الجمله بقوله:« وَ الصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ »أن يراد بها إدبار الليل.

و قيل:المراد بها إقبال الليل:و هو بعيد لما عرفت.

قوله تعالى:« وَ الصُّبْـحِ إِذٰا تَنَفَّسَ »عطف على الخنس،و« إِذٰا تَنَفَّسَ »قيـد للصـبح، و عـد الصـبح متنفسا بسـبب انبساط ضوئه على الأفق و دفعه الظلمه التى غشيته نوع من الاستعاره بتشبيه الصبح و قد طلع بعد غشيان الظلام للآفاق بمن أحاطت به متاعب أعمال شاقه ثم وجد خلاء من الزمان فاستراح فيه و تنفس فعد إضاءته للأفق تنفسا منه كذا يستفاد من بعضهم.

و ذكر الزمخشرى فيه وجهـا آخر فقـال فى الكشـاف،:فـإن قلت:ما معنى تنفس الصـبح؟قلت:إذا أقبل الصـبح أقبل بإقباله روح و نسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز.

انتهى و الوجه المتقدم أقرب إلى الذهن.

ص :٢١٧

قوله تعالى:« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَكِینٍ مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ » جواب القسم،و ضمیر« إِنَّهُ »للقرآن أو لما تقدم من آیات السوره بما أنها قرآن بدلیل قوله:

« لَقَوْلُ رَسُولٍ »إلخ و المراد بالرسول جبریل كما قال تعالى: «مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ» :البقره:۹۷.

و فی إضافه القول إلیه بما أنه رسول دلاله على أن القول لله سبحانه،و نسبته إلى جبریل نسبه الرساله إلى الرسول و قد وصفه الله بصفات ست مدحه بها.

فقوله:« رَسُولٍ »یدل على رسالته و إلقائه وحی القرآن إلى النبی ص،و قوله:

« كَرِیمٍ »أی ذی كرامه و عزه عند الله بإعزازه،و قوله:« ذِی قُوَّهٍ »أی ذی قدره و شده بالغه،و قوله:« عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَكِینٍ »أی صاحب مكانه عند الله و المكانه القرب و المنزله،و قوله:« مُطٰاعٍ ثَمَّ »أی مطاع عند الله فهناك ملائكه یأمرهم فیطیعونه،و من هنا یظهر أن له أعوانا من الملائكه یأمرهم فیأتمرون بأمره،و قوله:« أَمِینٍ »أی لا یخون فیما أمر به یبلغ ما حمله من الوحی و الرساله من غیر أی تصرف فیه.

و قیل:المراد بالرسول الجاری علیه الصفات هو النبی ص،و هو كما ترى و لا تلائمه الآیات التالیه.

قوله تعالى:« وَ مٰا صٰاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ »عطف على قوله:« إِنَّهُ لَقَوْلُ »إلخ ورد لرمیهم له(ص)بالجنون.

و فی التعبیر عنه(ص)بقوله:« صٰاحِبُكُمْ »تكذیب لهم فی رمیهم له بالجنون و تنزیه لساحته-كما قیل-ففیه إیماء إلى أنه صاحبكم لبث بینكم معاشرا لكم طول عمره و أنتم أعرف به قد وجدتموه على كمال من العقل و رزانه من الرأی و صدق من القول و من هذه صفته لا یرمى بالجنون.

و توصیف جبریل بما مر من صفات المدح دون النبی ص لا دلاله فیه على أفضلیته من النبی ص لأن الكلام مسوق لبیان أن القرآن كلام الله سبحانه منزل على النبی ص من عنده سبحانه من طریق الوحی لا من أوهام الجنون بإلقاء من شیطان و الذی یفید فی هذا الغرض بیان سلامه طریق الإنزال و تجلیل المنزل-اسم فاعل-بذكر أوصافه الكریمه و المبالغه فی تنزیهه عن الخطإ و الخیانه،و أما المنزل علیه فلا یتعلق به غرض إلا بمقدار الإشاره إلى دفع ما یرتاب فیه من صفته و قد أفید بنفی الجنون الذی رموه به

و التعبير عنه بقوله:« صَاحِبُكَمْ »كما تقدم توضيحه،كذا قيل.

و فى مطاوى كلامه تعالى من نعوت النبى ص الكريمه ما لا يرتاب معه فى أفضليته (ص)على جميع الملائكه،و قد أسجد الله الملائكه كلهم أجمعين للإنسان الذى هو خليفته فى الأرض.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ »ضمير الفاعل فى« رَآهُ »للصاحب و ضمير المفعول للرسول الكريم و هو جبريل.

و الأفق المبين الناحيه الظاهره،و الظاهر أنه الذى أشار إليه بقوله: «وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ» :النجم:٧.

و المعنى و أقسم لقد راى النبى ص جبريل حال كون جبريل كائنا فى الأفق المبين و هو الأفق الأعلى من سائر الآفاق بما يناسب عالم الملائكه.

و قيل:المعنى لقد راى(ص)جبريل على صورته الأصليه حيث تطلع الشمس و هو الأفق الأعلى من ناحيه المشرق.

و فيه أن لا دليل من اللفظ يدل عليه و خاصه فى تعلق الرؤيه بصورته الأصليه و رؤيته فى أى مثال تمثل به رؤيته،و كأنه مأخوذ مما ورد فى بعض الروايات أنه رآه فى أول البعثه و هو بين السماء و الأرض جالس على كرسى،و هو محمول على التمثل.

قوله تعالى:« وَ مٰا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ »الضمير للنبى ص،و المراد بالغيب الوحى النازل عليه،و الضنين صفه مشبهه من الضن بمعنى البخل يعنى أنه(ص)لا يبخل بشىء مما يوحى إليه فلا يكتمه و لا يحبسه و لا يغيره بتبديل بعضه أو كله شيئا آخر بل يعلم الناس كما علمه الله و يبلغهم ما أمر بتبليغه.

قوله تعالى:« وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ »نفى لاستناد القرآن إلى إلقاء شيطان بما هو أعم من طريق الجنون فإن الشيطان بمعنى الشرير و الشيطان الرجيم كما أطلق فى كلامه تعالى على إبليس و ذريته كذلك أطلق على أشرار سائر الجن قال تعالى: «قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» :ص:٧٧،و قال: «وَ حَفِظْنٰاهٰا مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ» :الحجر:١٧.

فالمعنى أن القرآن ليس بتسويل من إبليس و جنوده و لا بإلقاء من أشرار الجن كما يلقونه على المجانين.

قوله تعالى:« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ »أوضح سبحانه فى الآيات السبع المتقدمه ما هو الحق فى

أمر القرآن دافعا عنه ارتيابهم فيه بما يرمون به الجائى به من الجنون و غيره على إيجاز متون الآيات فبين أولا ـ أنه كلام الله و اتكاء هذه الحقيقه على آيات التحدى،و ثانيا أن نزوله برساله ملك سماوى جليل القدر عظيم المنزله و هو أمين الوحى جبريل لا ـ حاجز بينه و بين الله و لا بينه و بين النبى ص،و لا صارف من نفسه أو غيره يصرفه عن أخذه و لا حفظه و لا تبليغه،و ثالثا أن الذى أنزل عليه و هو يتلوه لكم و هو صاحبكم الذى لا يخفى عليكم حاله ليس بمجنون كما يبهتونه به و قد راى الملك الحامل للوحى و أخذ عنه و ليس بكاتم لما يوحى إليه و لا بمغير،و رابعا أنه ليس بتسويل من إبليس و جنوده و لا بإلقاء من بعض أشرار الجن.

و نتيجه هذا البيان أن القرآن كتاب هدى يهتدى به من أراد الاستقامه على الحق و هو قوله:« إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ »إلخ.

فقوله:« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ »توطئه و تمهيد لذكر نتيجه البيان السابق،و هو استضلال لهم فيما يرونه فى أمر القرآن الكريم أنه من طوارى الجنون أو من تسويلات الشيطان الباطله.

فالاستفهام فى الآيه توبيخى و المعنى إذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون و تتركون الحق وراءكم؟ قوله تعالى:« إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ »أى تذكره لجماعات الناس كائنين من كانوا يمكنهم بها أن يتبصروا للحق،و قد تقدم بعض الكلام فى نظيره الآيه.

قوله تعالى:« لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ »بدل من قوله:« لِلْعالَمِينَ »مسوق لبيان أن فعليه الانتفاع بهذا الذكر مشروط بأن يشاءوا الاستقامه على الحق و هو التلبس بالثبات على العبوديه و الطاعه.

قوله تعالى:« وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ »تقدم الكلام فى معناه فى نظائر الآيه.

و الآيه بحسب ما يفيده السياق فى معنى دفع الدخل فإن من الممكن أن يتوهموا من قوله:« لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ »أن لهم الاستقلال فى مشيه الاستقامه إن شاءوا استقاموا و إن لم يشاءوا لم يستقيموا،فلله إليهم حاجه فى الاستقامه التى يريدها منهم.

فدفع ذلك بأن مشيتهم متوقفه على مشيه الله سبحانه فلا يشاءون الاستقامه إلا أن يشاء الله أن يشاءوها،فأفعال الإنسان الإراديه مراده لله تعالى من طريق إرادته و هو أن

يريد الله أن يفعل الإنسان فعلا كذا و كذا عن إرادته.

بحث روائی

فی الـدر المنثور،أخرج سعيد بن منصور و الفاريابی و عبـد بن حميـد و ابن جرير و ابن أبی حاتم و الحاكم و صـححه من طرق عن علی *فی قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ »قال:هی الكواكب تكنس بالليل و تخنس بالنهار فلا تری.

و فی تفسير القمی،":فی قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ »قال:أی و أقسم بالخنس و هو اسم النجوم.« اَلْجَوٰارِ الْكُنَّسِ »قال:النجوم تكنس بالنهار فلا تبين.

و فی المجمع،:« بِالْخُنَّسِ »و هی النجوم تخنس بالنهـار و تبـدو بالليـل«و اَلْجَوٰارِ »صـفه لهـا لأنها تجری فی أفلاكها« اَلْكُنَّسِ »من صفتها أيضا-لأنها تكنس أی تتواری فی بروجها-كما تتواری الظباء فی كناسـها.و هی خمسه أنجم:زحل و المشتری و المريخ و الزهره و عطارد عن علی« وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْعَسَ »أی إذا أدبر بظلامه عن علی.

و فی تفسير القمی،":« وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْعَسَ »قال:إذا أظلم«و اَلصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ »قال:

إذا ارتفع.

و فی الـدر المنثور،أخرج ابن عسـاكر عن معاويه بن قره قال*:قال رسول الله ص لجبريل: ما أحسن ما أثنی عليك ربك:ذی قوه عنـد ذی العرش مكين مطاع ثم أمين- فمـا كـانت قوتك؟و ما كانت أمانتك؟ قال:أما قوتی فإنی بعثت إلی مـدائن لوط-و هی أربع مدائن،و فی كل مدينه أربع مائه ألف مقاتل سوی الذراری-فحملتهم من الأرض السـفلی-حتی سـمع أهل السـماء أصوات الدجاج و نباح الكلاب-ثم هويت بهم فقتلتهم،و أما أمانتی فلم أومر بشیء فعدوته إلی غيره.

أقول:و الروايه لا تخلو من شیء و قد ضعفوا ابن عساكر و خاصه فيما تفرد به.

و فی الخصال،عن أبی عبد الله(ع)قال*: من قال فی كل يوم من شعبان سبعين مره:

أستغفر الله الذی لا إله إلا هو الرحمن الرحيم-الحی القيوم و أتوب إليه،كتب فی الأفق المبين.قال:قلت:و ما الأفق المبين؟قال:قاع بين يدی العرش فيه أنهار تطرد-و فيه من القدحان عدد النجوم.

و فی تفسير القمی،فی حديث أسنده إلی أبی عبد الله(ع): قوله: وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰانٍ

رَجِيمٍ

»قال:یعنی الکهنه الذین کانوا فی قریش-فنسب کلامهم إلی کلام الشیاطین الذین کانوا معهم-یتکلمون علی ألسنتهم-فقال:« وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَیْطٰانٍ رَجِیمٍ »مثل أولئک.

(۸۲) سوره الانفطار مکیه و هی تسع عشره آیه(۱۹)

[سوره الانفطار (۸۲): الآیات ۱ الی ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

إِذَا اَلسَّمٰاءُ اِنْفَطَرَتْ (۱) وَ إِذَا اَلْکَوٰاکِبُ اِنْتَثَرَتْ (۲) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ فُجِّرَتْ (۳) وَ إِذَا اَلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (۴) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ
أَخَّرَتْ (۵) یٰا أَیُّهَا اَلْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ اَلْکَرِیمِ (۶) اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّٰاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَهٍ مٰا شٰاءَ رَکَّبَکَ (۸) کَلاّٰ
بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ (۹) وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحٰافِظِینَ (۱۰) کِرٰاماً کٰاتِبِینَ (۱۱) یَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ (۱۲) إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیمٍ (۱۳) وَ إِنَّ
اَلْفُجّٰارَ لَفِی جَحِیمٍ (۱۴) یَصْلَوْنَهٰا یَوْمَ اَلدِّینِ (۱۵) وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِینَ (۱۶) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۷) ثُمَّ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ
اَلدِّینِ (۱۸) یَوْمَ لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ اَلْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ (۱۹)

بیان

تحد السوره یوم القیامه ببعض أشراطه الملازمه له المتصله به و تصفه بما یقع فیه و هو ذکر الإنسان ما قدم و ما أخر من أعماله الحسنه و السیئه-علی أنها محفوظه علیه بواسطه حفظه الملائکه الموکلین علیه-و جزاؤه بعمله إن کان برا فبنعیم و إن کان فاجرا مکذبا بیوم الدین فبجحیم یصلاها مخلدا فیها.

ص: ۲۲۲

ثم يستأنف وصف اليوم بأنه يوم لا يملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله،و هى من غرر الآيات،و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى:« إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ » الفطر الشق و الانفطار الانشقاق و الآيه كقوله:

«وَ انْشَقَّتِ السَّمٰاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وٰاهِيَةٌ» :الحاقه:١۶.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ »أى تفرقت بتركها مواضعها التى ركزت فيها شبهت الكواكب بلآلى منظومه قطع سلكها فانتثرت و تفرقت.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الْبِحٰارُ فُجِّرَتْ »قال فى المجمع،: التفجير خرق بعض مواضع الماء إلى بعض التكثير،و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب، و منه الفجر لانفجاره بالضياء،انتهى.و إليه يرجع تفسيرهم لتفجير البحار بفتح بعضها فى بعض حتى يزول الحائل و يختلط العذب منها و المالح و يعود بحرا واحدا،و هذا المعنى يناسب تفسير قوله: «وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ» :التكوير:۶ بامتلاء البحار.

قوله تعالى:« وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ »قال فى المجمع، بعثرت الحوض و بحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه،و البعثره و البحثره إثاره الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره،انتهى.فالمعنى و إذا قلب تراب القبور و أثير باطنها إلى ظاهرها لإخراج الموتى و بعثهم للجزاء.

قوله تعالى:« عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ »المراد بالعلم علمها التفصيلى بأعمالها التى عملتها فى الدنيا،و هذا غير ما يحصل لها من العلم بنشر كتاب أعمالها لظاهر قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعٰاذِيرَهُ» :القيامه:١۵ و قوله: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ» :النازعات:٣۵،و قوله: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» :آل عمران:٣٠.

و المراد بالنفس جنسها فتفيد الشمول،و المراد بما قدمت و ما أخرت هو ما قدمته مما عملته فى حياتها،و بما أخرت ما سنته من سنه حسنه أو سيئه فعملت بها بعد موتها فتكتب صحيفه عملها قال تعالى: «وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ» :يس:١٢.

و قيل:المراد بما قدمت و أخرت ما عملته فى أول العمر و ما عملته فى آخره فيكون كنايه عن الاستقصاء.

و قيل فى معنى التقديم و التأخير وجوه أخر لا يعبأ بها مذكوره فى مطولات التفاسير من أراد الوقوف عليها فليراجعها.

ص :٢٢٣

و قد تقدم فی تفسیر قوله تعالی: «لِیَمِیزَ اللّٰهُ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیِّبِ» :الأنفال:۳۷،کلام لا یخلو من نفع هاهنا.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ -إلی قوله- رَکَّبَکَ »عتاب و توبیخ للإنسان،و المراد بهذا الإنسان المکذب لیوم الدین-علی ما یفیده السیاق المشتمل علی قوله:« بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ »و فی تکذیب یوم الدین کفر و إنکار لتشریع الدین و فی إنکاره إنکار لربوبیه الرب تعالی،و إنما وجه الخطاب إلیه بما أنه إنسان لیکون حجه أو کالحجه لثبوت الخصال التی یذکرها من نعمه علیه المختصه من حیث المجموع بالإنسان.

و قد علق الغرور بصفتی ربوبیته و کرمه تعالی لیکون ذلک حجه فی توجه العتاب و التوبیخ فإن تمرد المربوب و توغله فی معصیه ربه الذی یدبر أمره و یغشیه نعمه ظاهره و باطنه کفران لا ترتاب الفطره السلیمه فی قبحه و لا فی استحقاق العقاب علیه و خاصه إذا کان الرب المنعم کریما لا یرید فی نعمه و عطایاه نفعا ینتفع به و لا عضوا یقابله به المنعم علیه،و یسامح فی إحسانه و یصفح عما یأتی به المربوب من الخطیئه و الإثم بجهاله فإن الکفران حینئذ أقبح و أقبح و توجه الذم و اللائمه أشد و أوضح.

فقوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ »استفهام توبیخی یوبخ الإنسان بکفران خاص لا عذر له یعتذر به عنه و هو کفران نعمه رب کریم.

و لیس للإنسان أن یجیب فیقول:أی رب غرنی کرمک فقد قضی الله سبحانه فیما قضی و بلغه بلسان أنبیائه: «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ وَ لَئِنْ کَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِی لَشَدِیدٌ» إبراهیم:۷،و قال: «فَأَمّٰا مَنْ طَغیٰ وَ آثَرَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا فَإِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْویٰ» :النازعات:

۳۹،إلی غیر ذلک من الآیات الناصه فی أن لا مخلص للمعاندین من العذاب و أن الکرم لا یشملهم یوم القیامه قال: «وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ» :الأعراف:۱۵۶ و لو کفی الإنسان العاصی قوله:«غرنی کرمک»لصرف العذاب عن الکافر المعاند کما یصرفه عن المؤمن العاصی،و لا عذر بعد البیان.

و من هنا یظهر أن لا محل لقول بعضهم:إن توصیف الرب بالکریم من قبیل تلقین الحجه و هو من الکرم أیضا.

کیف؟و السیاق سیاق الوعید و الکلام ینتهی إلی مثل قوله:« وَ إِنَّ الْفُجّٰارَ لَفِی

جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهٰا يَوْمَ الدِّينِ وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِينَ

».

و قوله:« اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّٰاکَ فَعَدَلَکَ »بیان لربوبیته المتلبسه بالکرم فإن من تدبیره خلق الإنسان بجمع أجزاء وجوده ثم تسویته بوضع کل عضو فیما یناسبه من الموضع علی ما یقتضیه الحکمه ثم عدله بعدل بعض أعضائه و قواه ببعض بجعل التوازن و التعادل بینها فما یضعف عنه عضو یقوی علیه عضو فیتم به فعله کما أن الأکل مثلا بالالتقام و هو للفم، و یضعف الفم عن قطع اللقمه و نهشها و طحنها فیتم ذلک بمختلف الأسنان،و یحتاج ذلک إلی نقل اللقمه من جانب من الفم إلی آخر و قلبها من حال إلی حال فجعل ذلک للسان ثم الفم یحتاج فی فعل الأکل إلی وضع الغذاء فیه فتوصل إلی ذلک بالید و تمم عملها بالکف و عملها بالأصابع علی اختلاف منافعها و عملها بالأنامل،و تحتاج الید فی الأخذ و الوضع إلی الانتقال المکانی نحو الغذاء و عدل ذلک بالرجل.

و علی هذا القیاس فی أعمال سائر الجوارح و القوی و هی ألوف و ألوف لا یحصیها العد، و الکل من تدبیره تعالی و هو المفیض لها من غیر أن یرید بذلک انتفاعا لنفسه و من غیر أن یمنعه من إفاضتها ما یقابله به الإنسان من نسیان الشکر و کفران النعمه فهو تعالی ربه الکریم.

و قوله:« فِی أَیِّ صُورَهٍ مٰا شٰاءَ رَکَّبَکَ »بیان لقوله:« فَعَدَلَکَ »و لذا لم یعطف علی ما تقدمه و الصوره ما ینتقش به الأعیان و یتمیز به الشیء من غیره و«ما»زائده للتأکید.

و المعنی:فی أی صوره شاء أن یرکبک-و لا یشاء إلا ما تقتضیه الحکمه-رکبک من ذکر و أنثی و أبیض و أسود و طویل و قصیر و وسیم و دمیم و قوی و ضعیف إلی غیر ذلک و کذا الأعضاء المشترکه بین أفراد الإنسان الممیزه لها من غیرها کالیدین و الرجلین و العینین و الرأس و البدن و استواء القامه و نحوها فکل ذلک من عدل بعض الأجزاء ببعض فی الترکیب قال تعالی: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ» :التین:۴ و الجمیع ینتهی إلی تدبیر الرب الکریم لا صنع للإنسان فی شیء من ذلک.

قوله تعالی:« کَلاّٰ بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ »« کَلاّٰ »ردع عن اغترار الإنسان بکرم الله و جعل ذلک ذریعه إلی الکفر و المعصیه أی لا تغتروا فلا ینفعکم الاغترار.

و قوله:« بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ »أی بالجزاء.إضراب عما یفهم من قوله:« مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ »من غرور الإنسان بربه الکریم علی اعتراف منه و لو بالقوه بالجزاء لقضاء

الفطره السلیمه به.

فإذ عاتب الإنسان و وبخه علی غروره بربه الکریم و اجترائه علی الکفران و المعصیه من غیر أن یخاف الجزاء أضرب عنه مخاطبا للإنسان و کل من یشارکه فی کفره و معصیته فقال:بل أنت و من حاله حالک تکذبون بیوم الدین و الجزاء فتجحدونه ملحین علیه.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ کِراماً کاتِبِینَ یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ »إشاره إلی أن أعمال الإنسان حاضره محفوظه یوم القیامه من طریق آخر غیر حضورها للإنسان العامل لها من طریق الذکر و ذلک حفظها بکتابه کتاب الأعمال من الملائکه الموکلین بالإنسان فیحاسب علیها کما قال تعالی: «وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ کِتاباً یَلْقاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ کِتابَکَ کَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً» :إسراء:۱۴.

فقوله:« وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ »أی إن علیکم من قبلنا حافظین یحفظون أعمالکم بالکتابه کما یفیده السیاق.

و قوله:« کِراماً کاتِبِینَ »أی أولی کرامه و عزه عند الله تعالی و قد تکرر فی القرآن الکریم وصف الملائکه بالکرامه و لا یبعد أن یکون المراد به بإعانه من السیاق کونهم بحسب الخلقه مصونین عن الإثم و المعصیه مفطورین علی العصمه،و یؤیده قوله: «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» :الأنبیاء:۲۶ حیث دل علی أنهم لا یریدون إلا ما أراده الله و لا یفعلون إلا ما أمرهم به،و کذا قوله: «کِرامٍ بَرَرَهٍ» :عبس ۱۶.

و المراد بالکتابه فی قوله:« کاتِبِینَ »کتابه الأعمال بقرینه قوله:« یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » و قد تقدم فی تفسیر قوله: «إِنّا کُنّا نَسْتَنْسِخُ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» :الجاثیه:۲۹ کلام فی معنی کتابه الأعمال فلیراجعه من شاء.

و قوله:« یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ »نفی لخطئهم فی تشخیص الخیر و الشر و تمییز الحسنه و السیئه کما أن الآیه السابقه متضمنه لتنزیههم عن الإثم و المعصیه فهم محیطون بالأفعال علی ما هی علیه من الصفه و حافظون لها علی ما هی علیه.

و لا تعیین فی هذه الآیات لعده هؤلاء الملائکه الموکلین علی کتابه أعمال الإنسان نعم المستفاد من قوله تعالی: «إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیانِ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ» :ق:۱۷ إن علی کل إنسان منهم اثنین عن یمینه و شماله،و قد ورد فی الروایات المأثوره أن الذی علی الیمین کاتب الحسنات و الذی علی الشمال کاتب السیئات.

و ورد أیضا فی تفسیر قوله: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کٰانَ مَشْهُوداً» :إسراء:۷۸ أخبار مستفیضه من طرق الفریقین داله علی أن کتبه الأعمال بالنهار یصعدون بعد غروب الشمس و ینزل آخرون فیکتبون أعمال اللیل حتی إذا طلع الفجر صعدوا و نزل ملائکه النهار و هکذا.

و فی الآیه أعنی قوله:« یَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ »دلاله علی أن الکتبه عالمون بالنیات إذ لا طریق إلی العلم بخصوصیات الأفعال و عناوینها و کونها خیرا أو شرا أو حسنه أو سیئه إلا العلم بالنیات فعلمهم بالأفعال لا یتم إلا عن العلم بالنیات.

قوله تعالی:« إِنَّ الْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیمٍ وَ إِنَّ الْفُجّٰارَ لَفِی جَحِیمٍ »استئناف مبین لنتیجه حفظ الأعمال بکتابه الکتبه و ظهورها یوم القیامه.

و الأبرار هم المحسنون عملا،و الفجار هم المنخرقون بالذنوب و الظاهر أن المراد بهم المتهتکون من الکفار إذ لا خلود لمؤمن فی النار، و فی تنکیر«نعیم»و«جحیم»إشعار بالتفخیم و التهویل-کما قیل-.

قوله تعالی:« یَصْلَوْنَهٰا یَوْمَ الدِّینِ »الضمیر للجحیم أی یلزمون یعنی الفجار الجحیم یوم الجزاء و لا یفارقونها.

قوله تعالی:« وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِینَ »عطف تفسیری علی قوله:« یَصْلَوْنَهٰا »إلخ یؤکد معنی ملازمتهم للجحیم و خلودهم فی النار،و المراد بغیبتهم عنها خروجهم منها فالآیه فی معنی قوله: «وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِینَ مِنَ النّٰارِ» :البقره:۱۶۷.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ الدِّینِ »تهویل و تفخیم لأمر یوم الدین،و المعنی لا تحیط علما بحقیقه یوم الدین و هذا التعبیر کنایه عن فخامه أمر الشیء و علوه من أن یناله وصف الواصف،و فی إظهار الیوم-و المحل محل الضمیر-تأکید لأمر التفخیم.

قوله تعالی:« ثُمَّ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ الدِّینِ »فی تکرار الجمله تأکید للتفخیم.

قوله تعالی:« یَوْمَ لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ »الظرف منصوب بتقدیر اذکر و نحوه،و فی الآیه بیان إجمالی لحقیقه یوم الدین بعد ما فی قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ الدِّینِ »من الحث علی معرفته.

و ذلک أن رابطه التأثیر و التأثر بین الأسباب الظاهریه و مسبباتها منقطعه زائله یومئذ کما یستفاد من أمثال قوله تعالی: «وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ» :البقره:۱۶۶،و قوله:

«وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذٰابَ أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّٰهِ جَمِیعاً» :البقره:۱۶۵ فلا تملک نفس

لنفس شيئا فلا تقدر على دفع شر عنها و لا جلب خير لها،و لا ينافى ذلک آيات الشفاعه لأنها بإذن الله فهو المالک لها لا غير.

و قوله:« وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ »أى هو المالک للأمر ليس لغيره من الأمر شىء.

و المراد بالأمر كما قيل واحد الأوامر لقوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ» المؤمن:١۶ و شأن الملک المطاع،الأمر بالمعنى المقابل للنهى،و الأمر بمعنى الشأن لا يلائم المقام تلک الملاءمه.

بحث روائى

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ »قال:تنشق فتخرج الناس منها.

و فى الدر المنثور،أخرج الحاكم و صححه عن حذيفه قال*:قال النبى ص: من استن خيرا فاستن به فله أجره-و مثل أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم-و من استن شرا فاستن به فله وزره-و مثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم،و تلا حذيفه« عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ ».

و فيه،أخرج عبد بن حميد عن صالح بن مسمار قال*: بلغنى أن النبى ص تلا هذه الآيه« يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ »ثم قال:جهله.

و فى تفسير القمى،": « فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰا شٰاءَ رَكَّبَكَ »قال:لو شاء ركبک على غير هذه الصوره:.

أقول:و رواه فى المجمع،عن الصادق(ع)مرسلا .

و فيه،":« وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ »قال:الملكان الموكلان بالإنسان.

و عن سعد السعود،و فى روايه:إنهما-يعنى الملكين الموكلين-يأتيان المؤمن عند حضور صلاه الفجر-فإذا هبطا صعد الملكان الموكلان بالليل-فإذا غربت الشمس نزل إليه الموكلان بكتابه الليل،و يصعد الملكان الكاتبان بالنهار-بديوانه إلى الله عز و جل.

فلا يزال ذلک دأبهم إلى وقت حضور أجله-فإذا حضر أجله قالا للرجل الصالح:

جزاک الله من صاحب عنا خيرا-فكم من عمل صالح أريتناه،و كم من قول حسن أسمعتناه، و كم من مجلس خير أحضرتناه-فنحن اليوم على ما تحبه و شفعاء إلى ربک،و إن كان عاصيا قالا له:جزاک الله من صاحب عنا شرا-فلقد كنت تؤذينا فكم من عمل سىء أريتناه، و كم من قول سىء أسمعتناه،و[كم]من مجلس سوء أحضرتناه-و نحن اليوم لک

علی ما تکره،و شهیدان عند ربک.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ اَلْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ »:

روی عمرو بن شمر عن جابر عن أبی جعفر(ع)أنه قال: الأمر یومئذ و الیوم کله لله.یا جابر إذا کان یوم القیامه بادت الحکام-فلم یبق حاکم إلا الله.

أقول:مراده(ع)أن کون الأمر لله لا یختص بیوم القیامه بل الأمر لله دائما، و تخصیصه بیوم القیامه باعتبار ظهوره لا باعتبار أصله فالذی یختص به ظهور هذه الحقیقه ظهور عیان فیسقط الیوم أمر غیره تعالی و حکمه،و نظیر الأمر سائر ما عد فی کلامه تعالی من مختصات یوم القیامه،فالروایه من غرر الروایات.

(۸۳) سوره المطففین مکیه أو مدنیه و هی ست و ثلاثون آیه(۳۶)

[سوره المطففین (۸۳): الآیات ۱ الی ۲۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَیْلٌ لِلْمُطَفِّفِینَ (۱) اَلَّذِینَ إِذَا اِکْتٰالُوا عَلَی اَلنّٰاسِ یَسْتَوْفُونَ (۲) وَ إِذٰا کٰالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ یُخْسِرُونَ (۳) أَ لاٰ یَظُنُّ أُولٰئِکَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (۴) لِیَوْمٍ عَظِیمٍ (۵) یَوْمَ یَقُومُ اَلنّٰاسُ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۶) کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ اَلفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ (۷) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ (۸) کِتٰابٌ مَرْقُومٌ (۹) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۱۰) اَلَّذِینَ یُکَذِّبُونَ بِیَوْمِ اَلدِّینِ (۱۱) وَ مٰا یُکَذِّبُ بِهِ إِلاّٰ کُلُّ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ (۱۲) إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (۱۳) کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (۱۴) کَلاّٰ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (۱۵) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصٰالُوا اَلْجَحِیمِ (۱۶) ثُمَّ یُقٰالُ هٰذَا اَلَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ (۱۷) کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ (۱۸) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّیُّونَ (۱۹) کِتٰابٌ مَرْقُومٌ (۲۰) یَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ (۲۱)

بیان

تفتتح السوره بوعید أهل التطفیف فی الکیل و الوزن و تنذرهم بأنهم مبعوثون للجزاء فی یوم عظیم و هو یوم القیامه ثم تتخلص لتفصیل ما یجری یومئذ علی الفجار و الأبرار.

و الأنسب بالنظر إلی السیاق أن یکون أول السوره المشتمل علی وعید المطففین نازلا بالمدینه و أما ما یتلوه من الآیات إلی آخر السوره فیقبل الانطباق علی السیاقات المکیه و المدینه.

قوله تعالی:« وَیْلٌ لِلْمُطَفِّفِینَ »دعاء علی المطففین و التطفیف نقص المکیال و المیزان، و قد نهی الله تعالی عنه و سماه إفسادا فی الأرض کما فیما حکاه من قول شعیب: «وَ یا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِکْیالَ وَ الْمِیزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْیاءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ» هود:۸۴و قد تقدم الکلام فی تفسیر الآیه فی معنی کونه إفسادا فی الأرض.

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ إِذَا اکْتالُوا عَلَی النّاسِ یَسْتَوْفُونَ وَ إِذا کالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ یُخْسِرُونَ » الاکتیال من الناس الأخذ منهم بالکیل،و تعدیته بعلی لإفاده معنی الضرر،و الکیل إعطاؤهم بالمکیال یقال:کاله طعامه و وزنه و کال له طعامه و وزن له و الأول لغه أهل الحجاز و علیه التنزیل و الثانی لغه غیرهم کما فی المجمع،و الاستیفاء أخذ الحق تاما کاملا، و الإخسار الإیقاع فی الخساره.

و المعنی:الذین إذا أخذوا من الناس بالکیل یأخذون حقهم تاما کاملا،و إذا أعطوا الناس بالکیل أو الوزن ینقصون فیوقعونهم فی الخسران.

فمضمون الآیتین جمیعا ذم واحد و هو أنهم یراعون الحق لأنفسهم و لا یراعونه لغیرهم و بعباره أخری لا یراعون لغیرهم من الحق مثل ما یراعونه لأنفسهم و فیه إفساد الاجتماع الإنسانی المبنی علی تعادل الحقوق المتقابله و فی إفساده کل الفساد.

و لم یذکر الاتزان مع الاکتیال کما ذکر الوزن مع الکیل إذ قال:« وَ إِذا کالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ »قیل:لأن المطففین کانوا باعه و هم کانوا فی الأغلب یشترون الکثیر من الحبوب و البقول و نحوهما من الأمتعه ثم یکسبون بها فیبیعونها یسیرا یسیرا تدریجا،و کان دأبهم فی الکثیر من هذه الأمتعه أن یؤخذ و یعطی بالکیل لا بالوزن فذکر الاکتیال وحده فی الآیه مبنی علی الغالب.

و قیل:لم یذکر الاتزان لأن الکیل و الوزن بهما البیع و الشراء فذکر أحدهما یدل علی الآخر.و فیه أن ما ذکر فی الاکتیال جار فی الکیل أیضا و قد ذکر معه الوزن فالوجه لا یخلو من تحکم.

و قیل:الآیتان تحاکیان ما کان علیه دأب الذین نزلت فیهم السوره فقد کانوا یشترون بالاکتیال فقط و یبیعون بالکیل و الوزن جمیعا،و هذا الوجه دعوی من غیر دلیل.

إلی غیر ذلک مما ذکروه فی توجیه الاقتصار علی ذکر الاکتیال فی الآیه،و لا یخلو شیء منها من ضعف.

قوله تعالی:« أَ لاٰ یَظُنُّ أُولٰئِکَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِیَوْمٍ عَظِیمٍ »الاستفهام للإنکار و التعجیب، و الظن بمعناه المعروف و الإشاره إلی المطففین بأولئک الموضوعه للإشاره البعیده للدلاله علی بعدهم من رحمه الله،و الیوم العظیم یوم القیامه الذی یجازون فیه بعملهم.

و الاکتفاء بظن البعث و حسبانه-مع أن من الواجب الاعتقاد العلمی بالمعاد-لأن مجرد حسبان الخطر و الضرر فی عمل یوجب التجنب عنه و التحرز عن اقترافه و إن لم یکن هناک علم فالظن بالبعث لیوم عظیم یؤاخذ الله فیه الناس بما کسبوا من شأنه أن یردعهم عن اقتراف هذا الذنب العظیم الذی یستتبع العذاب الألیم.

و قیل:الظن فی الآیه بمعنی العلم.

قوله تعالی:« یَوْمَ یَقُومُ النّٰاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِینَ »المراد به قیامهم من قبورهم-کنایه عن تلبسهم بالحیاه بعد الممات-لحکمه تعالی و قضائه بینهم.

قوله تعالی:« کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ کِتٰابٌ مَرْقُومٌ وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ »ردع-کما قیل-عما کانوا علیه من التطفیف و الغفله عن البعث و الحساب.

و قوله:« إِنَّ کِتٰابَ الفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ »إلخ الذی یعطیه التدبر فی سیاق الآیات الأربع بقیاس بعضها إلی بعض و قیاس المجموع إلی مجموع قوله:« کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ »إلی تمام أربع آیات أن المراد بسجین ما یقابل علیین و معناه علو علی علو مضاعف ففیه شیء من معنی السفل و الانحباس فیه کما یشیر إلیه قوله: «ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِینَ» :التین:۵ فالأقرب أن یکون مبالغه من السجن بمعنی الحبس کسکیر و شریب من السکر و الشرب فمعناه الذی یحبس من دخله علی التخلید کما قیل.

و الکتـاب بمعنی المکتوب من الکتـابه بمعنی القضـاء المحتوم و المراد بکتاب الفجار ما قـدره الله لهم من الجزاء و أثبته بقضائه المحتوم.

فمحصل الآیه أن الذی أثبته الله من جزائهم أو عده لهم لفی سجین الذی هو سجن یحبس من دخله حبسا طویلا أو خالدا.

و قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ »مسوق للتهویل.

و قوله:« کِتٰابٌ مَرْقُومٌ »خبر لمبتدإ محذوف هو ضمیر راجع إلی سجین و الجمله بیان لسجین و« کتاب »أیضا بمعنی المکتوب من الکتابه بمعنی القضاء و الإثبات،و« مرقوم » من الرقم،قال الراغب: الرقم الخط الغلیظ،و قیل:هو تعجیم الکتاب،و قوله تعالی:

« کِتٰابٌ مَرْقُومٌ »حمل علی الوجهین.انتهی،و المعنی الثانی أنسب للمقام فیکون إشاره إلی کون ما کتب لهم متبینا لا إبهام فیه أی إن القضاء حتم لا یتخلف.

و المحصل أن سجین مقضی علیهم مثبت لهم متبین متمیز لا إبهام فیه.

و لاـ ضـیر فی لزوم کون الکتـاب ظرفـا للکتـاب علی هـذا المعنی لأن ذلک من ظرفیه الکل للجزء و هی مما لا ضـیر فیه فیکون سجین کتابا جامعا فیه ما قضی علی الفجار و غیرهم من مستحقی العذاب.

و قوله:« وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ »نعی و دعاء علی الفجار و فیه تفسـیرهم بالمکذبین،و« یَوْمَئِذٍ »ظرف لقوله:« إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ »بحسب المعنی أی لیهلک الفجار -و هم المکذبون-یومئذ تحقق ما کتب الله لهم و قضـی علیهم من الجزاء و حل بهم ما أعد لهم من العذاب.

هذا ما یفیده التدبر فی هذه الآیات الأربع،و هی ذات سیاق واحد متصل متلائم الأجزاء.

و للقوم فی تفسـیر مفردات الآیـات الأربع و جملها أقوال متفرقه کقولهم:إن الکتاب فی قوله:« إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ »بمعنی المکتوب و المراد به صحیفه أعمالهم،و قیل:

مصدر بمعنی الکتابه و فی الکلام مضاف محذوف و التقدیر کتابه عمل الفجار لفی سجین.

و قولهم:إن الفجار أعم من المکذبین فیشمل الکفار و الفسقه جمیعا.

و قولهم:إن المراد بسجین الأرض السابعه السفلی یوضع فیها کتاب الفجار و قیل:

واد فی جهنم،و قیل:جب فیها،و قیل:سـجین اسم لکتابهم،و قیل:سـجین الأول اسم الموضع الـذی یوضع فیه کتابهم و الثانی اسم کتابهم،و قیل:هو اسم کتاب جامع

هو ديوان الشر دون فيه أعمال الفجره من الثقلين،و قيل:المراد به الخسار و الهوان فهو كقولهم:بلغ فلان الحضيض إذا صار فى غايه الخمول،و قيل:هو السجيل بدل لامه نونا كما يقال جبرين فى جبريل إلى غير ذلك مما قيل.

و قولهم:إن قوله:« كِتٰابٌ مَرْقُومٌ »ليس بيانا و تفسيرا لسجين بل تفسير للكتاب المذكور فى قوله:« إِنَّ كِتٰابَ الْفُجّٰارِ ».

و قولهم:إن قوله:« وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »متصل بقوله:« يَوْمَ يَقُومُ النّٰاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ »و الآيات الثلاث الواقعه بين الآيتين اعتراض.

و أنت إن تأملت هذه الأقاويل وجدت كثيرا منها تحكما محضا لا دليل عليه.

على أنها تقطع ما فى الآيات من السياق الواحد المتصل الذى يحاذى به ما فى الآيات الأربع الآتيه فى صفه كتاب الأبرار من السياق الواحد المتصل فلا نطيل الكلام بالتعرض لواحد واحد منها و المناقشه فيها.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ »تفسير للمكذبين و ظاهر الآيه-و يؤيده الآيات التاليه-أن المراد بالتكذيب هو التكذيب القولى الصريح فيختص الذم بالكفار و لا يشمل الفسقه من أهل الإيمان فلا يشمل مطلق المطففين بل الكفار منهم.

اللهم إلا أن يراد بالتكذيب ما يعم التكذيب العملى كما ربما أيده قوله السابق:

« أَ لاٰ يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ »فيشمل الفجار من المؤمنين كالكفار.

قوله تعالى:« وَ مٰا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاّٰ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ » المعتدى اسم فاعل من الاعتداء بمعنى التجاوز و المراد به المتجاوز عن حدود العبوديه،و الأثيم كثير الآثام بحيث تراكم بعضها على بعض بانهماكه فى الأهواء.

و من المعلوم أن المانع الوحيد الذى يردع عن المعصيه هو الإيمان بالبعث و الجزاء، و المنهمك فى الأهواء المتعلق قلبه بالاعتداء و الآثم تأبى نفسه التسليم لما يردع عنها و التزهد عن المعاصى و ينتهى إلى تكذيب البعث و الجزاء قال تعالى: «ثُمَّ كٰانَ عٰاقِبَةَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا السُّواىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ كٰانُوا بِهٰا يَسْتَهْزِؤُنَ» :الروم:١٠.

قوله تعالى:« إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ »المراد بالآيات آيات القرآن بقرينه قوله« تُتْلىٰ »و الأساطير ما سطروه و كتبوه و المراد بها أباطيل الأمم الماضين و المعنى إذا تتلى عليه آيات القرآن مما يحذرهم المعصيه و ينذرهم بالبعث و الجزاء قال:هى أباطيل.

قوله تعالی:« كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ »ردع عما قاله المكذبون:

« أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ »قال الراغب: الرين صدا یعلو الشیء الجلیل (۱)قال تعالی:« بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ »أی صار ذلک کصدء علی جلاء قلوبهم فعمی علیهم معرفه الخیر من الشر، انتهی.فکون ما کانوا یکسبون و هو الذنوب رینا علی قلوبهم هو حیلوله الذنوب بینهم و بین أن یدرکوا الحق علی ما هو علیه.

و یظهر من الآیه:

أولا:أن للأعمال السیئه نقوشا و صورا فی النفس تنتقش و تتصور بها.

و ثانیا:أن هذه النقوش و الصور تمنع النفس أن تدرک الحق کما هو و تحول بینها و بینه.

و ثالثا:أن للنفس بحسب طبعها الأولی صفاء و جلاء تدرک به الحق کما هو و تمیز بینه و بین الباطل و تفرق بین التقوی و الفجور قال تعالی: «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها» :الشمس:۸.

قوله تعالی:« كَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ »ردع عن کسب الذنوب الحائله بین القلب و إدراک الحق،و المراد بکونهم محجوبین عن ربهم یوم القیامه حرمانهم من کرامه القرب و المنزله و لعله مراد من قال:إن المراد کونهم محجوبین عن رحمه ربهم.

و أما ارتفاع الحجاب بمعنی سقوط الأسباب المتوسطه بینه تعالی و بین خلقه و المعرفه التامه به تعالی فهو حاصل لکل أحد قال تعالی: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» المؤمن:۱۶ و قال: «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» :النور:۲۵.

قوله تعالی:« ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ »أی داخلون فیها ملازمون لها أو مقاسون حرها علی ما فسره بعضهم و« ثُمَّ »فی الآیه و ما بعدها للتراخی بحسب رتبه الکلام.

قوله تعالی:« ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ »هو توبیخ و تقریع و القائل خزنه النار أو أهل الجنه.

قوله تعالی:« كَلاّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ » ردع فی معنی الردع الذی فی قوله:« كَلاّ إِنَّ كِتابَ الْفُجّارِ »و علیون-کما تقدم-علو علی علو مضاعف،و ینطبق علی الدرجات العالیه و منازل القرب من الله تعالی کما أن السجین بخلافه.

۱- ۱) الجلی ظ.

و الکلام فی معنی الآیات الثلاث نظیر الکلام فی الآیات الثلاث المتقدمه التی تحاذیها من قوله:« إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ کِتٰابٌ مَرْقُومٌ ».

فالمعنی أن الـذی کتب للأبرار و قضـی جزاء لبرهم لفی علیین و ما أدراک ما علیون هو أمر مکتوب و مقضـی قضاء حتما لازما متبین لا إبهام فیه.

و للقوم أقاویـل فی هـذه الآیات نظیر ما لهم فی الآیات السابقه من الأقوال غیر أن من أقوالهم فی علیین أنه السـماء السابعه تحت العرش فیه أرواح المؤمنین،و قیل سـدره المنتهی التی إلیها تنتهی الأعمال،و قیل:لوح من زبرجـده تحت العرش معلق مکتوب فیه أعمالهم، و قیل:هی مراتب عالیه محفوفه بالجلاله،و الکلام فیها کالکلام فیما تقدم من أقوالهم.

قـوله تعـالی:« یَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ »الأنسب لمـا تقـدم من معنی الآیـات السـابقه أن یکون « یَشْـهَدُهُ »من الشـهود بمعنی المعـاینه و المقربون قوم من أهل الجنه هم أعلی درجه من عامه الأبرار علی ما سیأتی استفادته من قوله:« عَیْناً یَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ »فالمراد معاینتهم له بإراءه الله إیاه لهم و قد قال الله تعالی فی مثله من أمر الجحیم: «کَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ» :التکاثر:۶ و منه یظهر أن المقربین هم أهل الیقین.

و قیل:الشهاده هی الحضور و المقربون الملائکه،و المراد حضور الملائکه علی صحیفه عملهم إذا صعدوا بها إلی الله سبحانه.

و قیل:المقربون هم الأبرار و الملائکه جمیعا.

و القولان مبنیان علی أن المراد بالکتاب صحیفه الأعمال و قد تقدم ضعفه.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال*: نزلت یعنی سوره المطففین علی نبی الله ص-حین قدم المدینه و هم یومئذ أسوأ الناس کیلا-فأحسنوا الکیل.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال*:سمعت أبا جعفر(ع)یقول:

إن الله عز و جل خلقنـا من أعلی علیین-و خلق قلوب شـیعتنا ممـا خلقنـا منه-و خلق أبـدانهم من دون ذلک-فقلوبهم تهوی إلینا لأنها خلقت مما خلقنا-ثم تلا هذه الآیه« کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ - وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّیُّونَ کِتٰابٌ مَرْقُومٌ یَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ».

و خلق قلوب عدونا من سجین-و خلق قلوب شیعتهم مما خلقهم منه-و أبدانهم من دون

ذلک،قلوبهم تهوی إلیهم لأنها خلقت مما خلقوا منه-ثم تلا هذه الآیه« کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ- وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ کِتٰابٌ مَرْقُومٌ- وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ ».

أقول:و روی مثله فی أصول الکافی،بطریق آخر عن الثمالی عنه(ع)،و رواه فی علل الشرائع،بإسناد فیه رفع عن زید الشحام عن أبی عبد الله(ع):مثله

،و الأحادیث -کما تری -تؤید ما قدمناه فی معنی الآیات.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ »قال:ما کتب الله لهم من العذاب لفی سجین.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال*: السجین الأرض السابعه و علیون السماء السابعه.

أقول:الروایه لو صحت مبنیه علی انتساب الجنه و النار إلی جهتی العلو و السفل بنوع من العنایه و لذلک نظائر فی الروایات کعد القبر روضه من ریاض الجنه أو حفره من حفر النار و عد وادی برهوت مکانا لجهنم.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن المبارک عن سعید بن المسیب قال"*:التقی سلمان و عبد الله بن سلام-فقال أحدهما لصاحبه:إن مت قبلی فالقنی-فأخبرنی بما صنع ربک بک-و إن أنا مت قبلک لقیتک فأخبرتک-فقال عبد الله:کیف یکون هذا؟قال:نعم إن أرواح المؤمنین تکون فی برزخ من الأرض-تذهب حیث شاءت و نفس الکافر فی سجین و الله أعلم.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن زراره عن أبی جعفر(ع)قال*: ما من عبد إلا و فی قلبه نکته بیضاء-فإذا أذنب ذنبا خرج فی تلک النکته نکته سوداء-فإن تاب ذهب ذلک السواد، و إن تمادی فی الذنوب زاد ذلک السواد-حتی یغطی البیاض-فإذا غطی البیاض لم یرجع صاحبه إلی خیر أبدا-و هو قول الله عز و جل:« کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ »:.

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور،عن عده من أصحاب الجوامع عن أبی هریره عن النبی ص .

و فیه،بإسناده عن عبد الله بن محمد الحجال عن بعض أصحابنا رفعه قال:قال رسول الله ص: تذاکروا و تلاقوا و تحدثوا فإن الحدیث جلاء للقلوب-إن القلوب لترین کما یرین السیف و جلاؤه الحدیث.

و عن روضه الواعظین،قال الباقر(ع): ما شیء أفسد للقلب من الخطیئه-إن القلب

لیواقع الخطیئه فما تزال به حتی تغلب علیه-فیصیر أسفله أعلاه و أعلاه أسفله.

قال رسول الله ص: إن المؤمن إذا أذنب کانت نکته سوداء فی قلبه-فإن تاب و نزع و استغفر صقل قلبه منه و إن ازداد زادت-فذلک الران الذی ذکره الله تعالی فی کتابه- « کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ ».

[سوره المطففین (۸۳): الآیات ۲۲ الی ۳۶]

اشاره

إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیمٍ (۲۲) عَلَی اَلْأَرٰائِکِ یَنْظُرُونَ (۲۳) تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ اَلنَّعِیمِ (۲۴) یُسْقَوْنَ مِنْ رَحِیقٍ مَخْتُومٍ (۲۵) خِتٰامُهُ مِسْکٌ وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ اَلْمُتَنٰافِسُونَ (۲۶) وَ مِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِیمٍ (۲۷) عَیْناً یَشْرَبُ بِهَا اَلْمُقَرَّبُونَ (۲۸) إِنَّ اَلَّذِینَ أَجْرَمُوا کٰانُوا مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا یَضْحَکُونَ (۲۹) وَ إِذٰا مَرُّوا بِهِمْ یَتَغٰامَزُونَ (۳۰) وَ إِذَا اِنْقَلَبُوا إِلیٰ أَهْلِهِمُ اِنْقَلَبُوا فَکِهِینَ (۳۱) وَ إِذٰا رَأَوْهُمْ قٰالُوا إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَضٰالُّونَ (۳۲) وَ مٰا أُرْسِلُوا عَلَیْهِمْ حٰافِظِینَ (۳۳) فَالْیَوْمَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنَ اَلْکُفّٰارِ یَضْحَکُونَ (۳۴) عَلَی اَلْأَرٰائِکِ یَنْظُرُونَ (۳۵) هَلْ ثُوِّبَ اَلْکُفّٰارُ مٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ (۳۶)

بیان

بیان فیه بعض التفصیل لجلاله قدر الأبرار و عظم منزلتهم عند الله تعالی و غزاره عیشهم فی الجنه،و أنهم علی کونهم یستهزئ بهم الکفار و یتغامزون بهم و یضحکون منهم سیضحکون منهم و ینظرون إلی ما ینالهم من العذاب.

قوله تعالی:« إِنَّ الْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیمٍ » النعیم النعمه الکثیره و فی تنکیره دلاله علی فخامه قدره،و المعنی أن الأبرار لفی نعمه کثیره لا یحیط بها الوصف.

قوله تعالی:« عَلَی الْأَرائِکِ یَنْظُرُونَ » الأرائک جمع أریکه و الأریکه السریر فی الجمله و هی البیت المزین للعروس و إطلاق قوله:« یَنْظُرُونَ »من غیر تقیید یؤید أن یکون المراد نظرهم إلی مناظر الجنه البهجه و ما فیها من النعیم المقیم،و قیل:المراد به النظر إلی ما یجزی به الکفار و لیس بذاک.

قوله تعالی:« تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِیمِ » النضره البهجه و الرونق،و الخطاب للنبی ص باعتبار أن له أن ینظر فیعرف فالحکم عام و المعنی کل من نظر إلی وجوههم یعرف فیها بهجه النعیم الذی هم فیه.

قوله تعالی:« یُسْقَوْنَ مِنْ رَحِیقٍ مَخْتُومٍ » الرحیق الشراب الصافی الخالص من الغش، و یناسبه وصفه بأنه مختوم فإنه إنما یختم علی الشیء النفیس الخالص لیسلم من الغش و الخلط و إدخال ما یفسده فیه.

قوله تعالی:« خِتامُهُ مِسْکٌ وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ »قیل الختام بمعنی ما یختم به أی إن الذی یختم به مسک بدلا من الطین و نحوه الذی یختم به فی الدنیا،و قیل:

أی آخر طعمه الذی یجده شاربه رائحه المسک.

و قوله:« وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ » التنافس التغالب علی الشیء و یفید بحسب المقام معنی التسابق قال تعالی: «سابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ» :الحدید:۲۱، و قال: «فَاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ» :المائده:۴۸،ففیه ترغیب إلی ما وصف من الرحیق المختوم.

و استشکل فی الآیه بأن فیها دخول العاطف علی العاطف إذ التقدیر فلیتنافس فی ذلک إلخ و أجیب بأن الکلام علی تقدیر حرف الشرط و الفاء واقعه فی جوابه و قدم الظرف لیکون عوضا عن الشرط و التقدیر و إن أرید تنافس فلیتنافس فی ذلک المتنافسون.

و یمکن أن یقال:إن قوله:« وَ فِی ذٰلِکَ »معطوف علی ظرف آخر محذوف متعلق بقوله:« فَلْیَتَنافَسِ »یدل علیه المقام فإن الکلام فی وصف نعیم الجنه فیفید قوله:« وَ فِی ذٰلِکَ »ترغیبا مؤکدا بتخصیص الحکم بعد التعمیم،و المعنی فلیتنافس المتنافسون فی نعیم الجنه عامه و فی الرحیق المختوم الذی یسقونه خاصه فهو کقولنا:أکرم المؤمنین و الصالحین منهم خاصه،و لا تکن عیابا و للعلماء خاصه.

قوله تعالی:« وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِیمٍ » المزاج ما یمزج به،و التسنیم علی ما تفسره الآیه التالیه عین فی الجنه سماه الله تسنیما و فی لفظه معنی الرفع و الملء یقال:سنمه أی رفعه

و منه سنام الإبل،و يقال:سنم الإناء أى ملأه.

قوله تعالى:« عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ »يقال:شربه و شرب به بمعنى و« عَيْناً » منصوب على المدح أو الاختصاص و« يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ »وصف لها و المجموع تفسير للتسنيم.

و مفاد الآيه أن المقربين يشربون التسنيم صرفا كما أن مفاد قوله:« وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ » أنه يمزج بها ما فى كأس الأبرار من الرحيق المختوم،و يدل ذلك أولا على أن التسنيم أفضل من الرحيق المختوم الذى يزيد لذه بمزجها،و ثانيا أن المقربين أعلى درجه من الأبرار الذين يصفهم الآيات.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ »يعطى السياق أن المراد بالذين آمنوا هم الأبرار الموصوفون فى الآيات و إنما عبر عنهم بالذين آمنوا لأن سبب ضحك الكفار منهم و استهزائهم بهم إنما هو إيمانهم كما أن التعبير عن الكفار بالذين أجرموا للدلاله على أنهم بذلك من المجرمين.

قوله تعالى:« وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ »عطف على قوله:« يَضْحَكُونَ »أى كانوا إذا مروا بالذين آمنوا يغمز بعضهم بعضا و يشيرون بأعينهم استهزاء بهم.

قوله تعالى:« وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ » الفكه بالفتح فالكسر المرح البطر،و المعنى و كانوا إذا انقلبوا و صاروا إلى أهلهم عن ضحكهم و تغامزهم انقلبوا ملتذين فرحين بما فعلوا أو هو من الفكاهه بمعنى حديث ذوى الإنس و المعنى انقلبوا و هم يحدثون بما فعلوا تفكها.

قوله تعالى:« وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلاَءِ لَضَالُّونَ »على سبيل الشهاده عليهم بالضلال أو القضاء عليهم و الثانى أقرب.

قوله تعالى:« وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ »أى و ما أرسل هؤلاء الذين أجرموا حافظين على المؤمنين يقضون فى حقهم بما شاءوا أو يشهدون عليهم بما هووا،و هذا تهكم بالمستهزئين.

قوله تعالى:« فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ »المراد باليوم يوم الجزاء، و التعبير عن الذين أجرموا بالكفار رجوع إلى حقيقه صفتهم.قيل:تقديم الجار و المجرور على الفعل أعنى« مِنَ الْكُفَّارِ »على« يَضْحَكُونَ »لإفاده قصر القلب،و المعنى فاليوم الذين آمنوا يضحكون من الكفار لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا.

قوله تعالى:« عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » الثواب فى

الأصل مطلق الجزاء و إن غلب استعماله فی الخیر،و قوله« عَلَی الْأَرائِکِ »خبر بعد خبر للذین آمنوا و« یَنْظُرُونَ »خبر آخر،و قوله:« هَلْ ثُوِّبَ »إلخ متعلق بقوله:

« یَنْظُرُونَ »قائم مقام المفعول.

و المعنی:الذین آمنوا علی سرر فی الحجال ینظرون إلی جزاء الکفار بأفعالهم التی کانوا یفعلونها فی الدنیا من أنواع الأجرام و منها ضحکهم من المؤمنین و تغامزهم إذا مروا بهم و انقلابهم إلی أهلهم فکهین و قولهم:إن هؤلاء لضالون.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ »قال:فیما ذکرناه من الثواب الذی یطلبه المؤمن.

و فی المجمع،":فی قوله تعالی:« وَ إِذٰا مَرُّوا بِهِمْ یَتَغٰامَزُونَ »قیل نزلت فی علی بن أبی طالب(ع)-و ذلک أنه کان فی نفر من المسلمین جاءوا إلی النبی ص-فسخر منهم المنافقون و ضحکوا و تغامزوا-ثم رجعوا إلی أصحابهم فقالوا:رأینا الیوم الأصلع فضحکنا منه -فنزلت الآیه قبل أن یصل علی و أصحابه إلی النبی ص":عن مقاتل و الکلبی.

أقول:و قد أورده فی الکشاف،.

و فیه ذکر الحاکم أبو القاسم الحسکانی فی کتاب شواهد التنزیل لقواعد التفصیل بإسناده عن أبی صالح عن ابن عباس قال"*:« إِنَّ الَّذِینَ أَجْرَمُوا »منافقو قریش-و« اَلَّذِینَ آمَنُوا » علی بن أبی طالب و أصحابه.

و فی تفسیر القمی،":« إِنَّ الَّذِینَ أَجْرَمُوا -إلی قوله- فَکِهِینَ »قال:یسخرون.

(۸۴) سوره الانشقاق مکیه و هی خمس و عشرون آیه(۲۵)

[سوره الانشقاق (۸۴): الآیات ۱ الی ۲۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

إِذَا اَلسَّمٰاءُ اِنْشَقَّتْ (۱) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ (۲) وَ إِذَا اَلْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ مٰا فِیهٰا وَ تَخَلَّتْ (۴) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ (۵) یٰا أَیُّهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ (۶) فَأَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ (۷) فَسَوْفَ یُحٰاسَبُ حِسٰاباً یَسِیراً (۸) وَ یَنْقَلِبُ إِلیٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۹) وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ (۱۰) فَسَوْفَ یَدْعُوا ثُبُوراً (۱۱) وَ یَصْلیٰ سَعِیراً (۱۲) إِنَّهُ کٰانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۱۳) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ یَحُورَ (۱۴) بَلیٰ إِنَّ رَبَّهُ کٰانَ بِهِ بَصِیراً (۱۵) فَلاٰ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اَللَّیْلِ وَ مٰا وَسَقَ (۱۷) وَ اَلْقَمَرِ إِذَا اِتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَمٰا لَهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذٰا قُرِئَ عَلَیْهِمُ اَلْقُرْآنُ لاٰ یَسْجُدُونَ (۲۱) بَلِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا یُکَذِّبُونَ (۲۲) وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا یُوعُونَ (۲۳) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ (۲۴) إِلاَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ

(۲۵)

ص: ۲۴۰

بیان

تشیر السوره إلی قیام الساعه،و تذکر أن للإنسان سیرا إلی ربه حتی یلاقیه فیحاسب علی ما یقتضیه کتابه و تؤکد القول فی ذلک و الغلبه فیها للإنذار علی التبشیر.و سیاق آیاتها سیاق مکی.

قوله تعالی:« إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ »شرط جزاؤه محذوف یدل علیه قوله:« یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ »و التقدیر:لاقی الإنسان ربه فحاسبه و جازاه علی ما عمل.

ص :۲۴۱

و انشقاق السماء و هو تصدعه و انفراجه من أشراط الساعه كمد الأرض و سائر ما ذكر فی مواضع من كلامه تعالی من تكوير الشمس و اجتماع الشمس و القمر و انتثار الكواكب و نحوها.

قوله تعالی:« وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ » الإذن الاستماع و منه الأذن لجارحه السمع و هو مجاز عن الانقياد و الطاعه،و« حُقَّتْ »أی جعلت حقيقه و جديره بأن تسمع، و المعنی و أطاعت و انقادت لربها و كانت حقيقه و جديره بأن تستمع و تطيع.

قوله تعالی:« وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ »الظاهر أن المراد به اتساع الأرض،و قد قال تعالی: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» :إبراهيم:۴۸.

قوله تعالی:« وَ أَلْقَتْ مٰا فِيهٰا وَ تَخَلَّتْ »أی ألقت الأرض ما فی جوفها من الموتی و بالغت فی الخلو مما فيها منهم.

و قيل:المراد إلقائها الموتی و الكنوز كما قال تعالی: «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا» :الزلزال:۲ و قيل:المعنی ألقت ما فی بطنها و تخلت مما علی ظهرها من الجبال و البحار،و لعل أول الوجوه أقربها.

قوله تعالی:« وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ »ضمائر التأنيث للأرض كما أنها فی نظيرتها المتقدمه للسماء،و قد تقدم معنی الآيه.

قوله تعالی:« يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ »قال الراغب،:

الكدح السعی و العناء.انتهی.ففيه معنی السير،و قيل:الكدح جهد النفس فی العمل حتی يؤثر فيها انتهی.و علی هذا فهو مضمن معنی السير بدليل تعديه بإلی ففی الكدح معنی السير علی أی حال.

و قوله:« فَمُلاٰقِيهِ »عطف علی« كٰادِحٌ »و قد بين به أن غايه هذا السير و السعی و العناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبيه أی إن الإنسان بما أنه عبد مربوب و مملوك مدبر ساع إلی الله سبحانه بما أنه ربه و مالكه المدبر لأمره فإن العبد لا يملك لنفسه إراده و لا عملا فعليه أن يريد و لا يعمل إلا ما أراده ربه و مولاه و أمره به فهو مسئول عن إرادته و عمله.

و من هنا يظهر أولا-أن قوله:« إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ »يتضمن حجه علی المعاد لما عرفت أن الربوبيه لا تتم إلا مع عبوديه و لا تتم العبوديه إلا مع مسئوليه و لا تتم مسئوليه إلا برجوع و حساب علی الأعمال و لا يتم حساب إلا بجزاء.

و ثانیا:أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلی حیث لا حکم إلا حکمه من غیر أن یحجبه عن ربه حاجب.

و ثالثا:أن المخاطب فی الآیه هو الإنسان بما أنه إنسان فالمراد به الجنس و ذلک أن الربوبیه عامه لکل إنسان.

قوله تعالی:« فَأَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ »تفصیل مترتب علی ما یلوح إلیه قوله:

« إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ »أن هنـاک رجوعا و سؤالا عن الأعمال و حسابا،و المراد بالکتاب صحیفه الأعمال بقرینه ذکر الحساب،و قد تقدم الکلام فی معنی إعطاء الکتاب بالیمین فی سورتی الإسراء و الحاقه.

قوله تعالی:« فَسَوْفَ یُحٰاسَبُ حِسٰاباً یَسِیراً »الحساب الیسیر ما سوهل فیه و خلا عن المناقشه.

قوله تعالی:« وَ یَنْقَلِبُ إِلیٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً »المراد بالأهل من أعده الله له فی الجنه من الحور و الغلمان و غیرهم و هذا هو الذی یفیده السیاق،و قیل:المراد به عشیرته المؤمنون ممن یدخل الجنه،و قیل المراد فریق المؤمنین و إن لم یکونوا من عشیرته فالمؤمنون إخوه.

و الوجهان لا یخلوان من بعد.

قوله تعالی:« وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ »الظرف منصوب بنزع الخافض و التقدیر من وراء ظهره،و لعلهم إنما یؤتون کتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم علی أدبارهم کما قال تعالی: «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهٰا عَلیٰ أَدْبٰارِهٰا» :النساء:۴۷.

و لا منافاه بین إیتاء کتابهم من وراء ظهورهم و بین إیتائهم بشمالهم کما وقع فی قوله تعالی: «وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَیَقُولُ یٰا لَیْتَنِی لَمْ أُوتَ کِتٰابِیَهْ» :الحاقه:۲۵ و سیأتی فی البحث الروائی التالی ما ورد فی الروایات من معنی إیتاء الکتاب من وراء ظهورهم.

قوله تعالی:« فَسَوْفَ یَدْعُوا ثُبُوراً » الثبور کالویل الهلاک و دعاؤهم الثبور قولهم:وا ثبوراه.

قوله تعالی:« وَ یَصْلیٰ سَعِیراً »أی یدخل نارا مؤججه لا یوصف عذابها،أو یقاسی حرها.

قوله تعالی:« إِنَّهُ کٰانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً »یسره ما یناله من متاع الدنیا و تنجذب نفسه إلی زینتها و ینسیه ذلک أمر الآخره و قد ذم تعالی فرح الإنسان بما یناله من خیر الدنیا و سماه فرحا بغیر حق قال تعالی بعد ذکر النار و عذابها: «ذٰلِکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ بِمٰا کُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» :المؤمن:۷۵.

قوله تعالی:« إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ یَحُورَ »أی لن یرجع و المراد الرجوع إلی ربه للحساب

و الجزاء،و لا سبب يوجبه عليهم إلا التوغل فی الذنوب و الآثام الصارفه عن الآخره الداعیه إلی استبعاد البعث.

قوله تعالی:« بَلیٰ إِنَّ رَبَّهُ کٰانَ بِهِ بَصِیراً »رد لظنه أی لیس الأمر کما ظنه بل یحور و یرجع،و قوله:« إِنَّ رَبَّهُ کٰانَ بِهِ بَصِیراً »تعلیل للرد المذکور فإن الله سبحانه کان ربه المالک له المدبر لأمره و کان یحیط به علما و یری ما کان من أعماله و قد کلفه بما کلف و لأعماله جزاء خیرا أو شرا فلا بد أن یرجع إلیه و یجزی بما یستحقه بعمله.

و بذلک یظهر أن قوله:« إِنَّ رَبَّهُ کٰانَ بِهِ بَصِیراً »من إعطاء الحجه علی وجوب المعاد نظیر ما تقدم فی قوله:« إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ »الآیه.

و یظهر أیضا من مجموع هذه الآیات التسع أن إیتاء الکتب و نشر الصحف قبل الحساب کما یدل علیه أیضا قوله تعالی: «وَ کُلَّ إِنْسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ کِتٰاباً یَلْقٰاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً» :إسراء:۱۴.

ثم الآیات کما تری تخص إیتاء الکتاب من وراء الظهر بالکفار فیقع الکلام فی عصاه المؤمنین من أصحاب الکبائر ممن یدخل النار فیمکث فیها برهه ثم یخرج منها بالشفاعه علی ما فی الأخبار من طرق الفریقین فهؤلاء لا یؤتون کتابهم من وراء ظهورهم لاختصاص ذلک بالکفار و لا بیمینهم لظهور الآیات فی أن أصحاب الیمین یحاسبون حسابا یسیرا و یدخلون الجنه،و لا سبیل إلی القول بأنهم لا یؤتون کتابا لمکان قوله تعالی:« وَ کُلَّ إِنْسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ »الآیه المفید للعموم.

و قد تخلص بعضهم عن الإشکال بأنهم یؤتون کتابهم بالیمین بعد الخروج من النار.

و فیه أن ظاهر الآیات إن لم یکن صریحها أن دخول النار أو الجنه فرع مترتب علی القضاء المترتب علی الحساب المترتب علی إیتاء الکتب و نشر الصحف فلا معنی لإیتاء الکتاب بعد الخروج من النار.

و احتمل بعضهم أن یؤتوا کتابهم بشمالهم و یکون الإیتاء من وراء الظهر مخصوصا بالکفار کما تفیده الآیات.

و فیه أن الآیات التی تذکر إیتاء الکتاب بالشمال-و هی التی فی سوره الواقعه و الحاقه و فی معناها ما فی سوره الإسراء أیضا- تخص إیتاء الکتاب بالشمال بالکفار و یظهر من مجموع الآیات أن الذین یؤتون کتابهم بشمالهم هم الذین یؤتونه من وراء ظهورهم.

و قال بعضهم من الممكن أن يؤتوا كتابهم من وراء ظهورهم و يكون قوله:« فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً »من قبيل وصف الكل بصفه بعض أجزائه.

و فيه أن المقام لا يساعد على هذا التجوز فإن المقام مقام تمييز السعداء من الأشقياء و تشخيص كل بجزائه الخاص به فلا مجوز لإدغام جمع من أهل العذاب فى أهل الجنه.

على أن قوله:« فَسَوْفَ يُحاسَبُ »إلخ وعد جميل إلهى و لا معنى لشموله لغير مستحقيه و لو بظاهر من القول.

نعم يمكن أن يقال:إن اليسر و العسر معنيان إضافيان و حساب العصاه من أهل الإيمان يسير بالإضافه إلى حساب الكفار المخلدين فى النار و لو كان عسيرا بالإضافه إلى حساب المتقين.

و يمكن أيضا أن يقال إن قسمه أهل الجمع إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال غير حاصره كما يدل عليه قوله تعالى: «وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَهً فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَهِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَهِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» :الواقعه:١١ فمدلول الآيات خروج المقربين من الفريقين،و مثلهم المستضعفون كما ربما يستفاد من قوله تعالى: «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» :التوبه:١٠۶.

فمن الجائز أن لا يكون تقسيم أهل الجمع إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال تقسيما حاصرا لجميعهم بل تخصيصا لأهل الجنه من المتقين و أهل الخلود فى النار بالذكر بتوصيفهم بإيتاء الكتاب باليمين و بالشمال لمكان الدعوه إلى الإيمان و التقوى و نظير ذلك ما فى سوره المرسلات من ذكر يوم الفصل ثم بيان حال المتقين و المكذبين فحسب و ليس ينحصر الناس فى القبيلين،و نظيره ما فى سوره النبإ و النازعات و عبس و الانفطار،و المطففين و غيرها فالغرض فيها ذكر أنموذج من أهل الإيمان و الطاعه و أهل الكفر و التكذيب و السكوت عمن سواهم ليتذكر أن السعاده فى جانب التقوى و الشقاء فى جانب التمرد و الطغوى.

قوله تعالى:« فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ » الشفق الحمره ثم الصفره ثم البياض التى تحدث بالمغرب أول الليل.

قوله تعالى:« وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ »أى ضم و جمع ما تفرق و انتشر فى النهار من الإنسان و الحيوان فإنها تتفرق و تنتشر بالطبع فى النهار و ترجع إلى مأواها فى الليل فتسكن.

و فسر بعضهم« وسق »بمعنى طرد أى طرد الكواكب من الخفاء إلى الظهور.

قوله تعالى:« وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ »أى اجتمع و انضم بعض نوره إلى بعض فاكتمل

نوره و تبدر.

قوله تعالى:« لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ »جواب القسم و الخطاب للناس و الطبق هو الشىء أو الحال الذى يطابق آخر سواء كان أحدهما فوق الآخر أم لا-و المراد به كيف كان المرحله بعد المرحله يقطعها الإنسان فى كدحه إلى ربه من الحياه الدنيا ثم الموت ثم الحياه البرزخيه ثم الانتقال إلى الآخره ثم الحياه الآخره ثم الحساب و الجزاء.

و فى هذا الإقسام-كما ترى-تأكيد لما فى قوله:« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّکَ کَادِحٌ »الآيه و ما بعده من نبإ البعث و توطئه و تمهيد لما فى قوله:« فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ »من التعجيب و التوبيخ و ما فى قوله:« فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ »إلخ من الإنذار و التبشير.

و فى الآيه إشاره إلى أن المراحل التى يقطعها الإنسان فى مسيره إلى ربه مترتبه متطابقه.

قوله تعالى:« فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ »الاستفهام للتعجيب و التوبيخ و لذا ناسب الالتفات الذى فيه من الخطاب إلى الغيبه كأنه لما رأى أنهم لا يتذكرون بتذكيره و لا يتعظون بعظته أعرض عنهم إلى النبى ص فخاطبه بقوله:« فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ »إلخ.

قوله تعالى:« بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ »« يُكَذِّبُونَ »يفيد الاستمرار، و التعبير عنهم بالذين كفروا للدلاله على عله التكذيب،و الإيعاء كما قيل جعل الشىء فى وعاء.

و المعنى:أنهم لم يتركوا الإيمان لقصور فى البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم اتبعوا أسلافهم و رؤساءهم فرسخوا فى الكفر و استمروا على التكذيب و الله يعلم بما جمعوا فى صدورهم و أضمروا فى قلوبهم من الكفر و الشرك.

و قيل:المراد بقوله:« وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ »أن لهم وراء التكذيب مضمرات فى قلوبهم لا يحيط بها العباره و لا يعلمها إلا الله،و هو بعيد من السياق.

قوله تعالى:« فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »التعبير عن الإخبار بالعذاب بالتبشير مبنى على التهكم،و الجمله متفرعه على التكذيب.

قوله تعالى:« إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »استثناء منقطع من ضمير« فَبَشِّرْهُمْ »و المراد بكون أجرهم غير ممنون خلوه من قول يثقل على المأجور.

بحث روائى

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »قال:يوم القيامه.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى حاتم عن على قال *تنشق السماء من المجره.

و فى تفسير القمى،":فى قوله:« وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَ أَلْقَتْ مٰا فِيهٰا وَ تَخَلَّتْ »قال:تمد الأرض فتنشق فيخرج الناس منها.

و فى الدر المنثور،أخرج الحاكم بسند جيد عن جابر عن النبى ص قال*: تمد الأرض يوم القيامه مد الأديم-ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه.

و فى الاحتجاج،عن على(ع)فى حديث قال *و الناس يومئذ على صفات و منازل-فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب إلى أهله مسرورا،و منهم الذين يدخلون الجنه بغير حساب-لأنهم لم يلبثوا من أمر الدنيا بشيء-و إنما الحساب هناك على من يلبس بها هاهنا، و منهم من يحاسب على النقير و القطمير-و يصير إلى عذاب السعير.

و فى المعانى،بإسناده عن ابن سنان عن أبى جعفر(ع)قال*:قال رسول الله ص:

كل محاسب معذب فقال له قائل:يا رسول الله فأين قول الله عز و جل:« فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً »قال:ذلك العرض يعنى التصفح.

أقول:و روى فى الدر المنثور،عن البخارى و مسلم و الترمذى و غيرهم عن عائشه:مثله .

و فى تفسير القمى،و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) *فى قوله:« فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ »فهو أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسود بن هلال المخزومى-و هو من بنى مخزوم،« وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ »فهو أخوه الأسود بن عبد الأسود المخزومى- فقتله حمزه بن عبد المطلب يوم بدر.

و فى المجمع،:فى قوله تعالى:« لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ »و قيل:

معناه شده بعد شده- حياه ثم موت ثم بعث ثم جزاء: و روى ذلك مرفوعا .

و عن جوامع الجامع،فى الآيه عن أبى عبيده: لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين و أحوالهم: و روى ذلك عن الصادق(ع) .

(۸۵) سوره البروج مكيه و هى اثنتان و عشرون آيه(۲۲)

[سوره البروج (۸۵): الآيات ۱ الى ۲۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلْبُرُوجِ (۱) وَ اَلْيَوْمِ اَلْمَوْعُودِ (۲) وَ شٰاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (۳) قُتِلَ أَصْحٰابُ اَلْأُخْدُودِ (۴) اَلنّٰارِ ذٰاتِ اَلْوَقُودِ (۵) إِذْ هُمْ عَلَيْهٰا قُعُودٌ (۶) وَ هُمْ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (۷) وَ مٰا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ (۸) اَلَّذِي لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۹) إِنَّ اَلَّذِينَ فَتَنُوا اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذٰابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذٰابُ اَلْحَرِيقِ (۱۰) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْكَبِيرُ (۱۱) إِنَّ بَطْشَ

رَبِّکَ لَشَدِیدٌ (۱۲) إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ (۱۳) وَ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلْوَدُودُ (۱۴) ذُو اَلْعَرْشِ اَلْمَجِیدُ (۱۵) فَعّالٌ لِما یُرِیدُ (۱۶) هَلْ أَتاکَ
حَدِیثُ اَلْجُنُودِ (۱۷) فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ (۱۸) بَلِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فِی تَکْذِیبٍ (۱۹) وَ اَللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِیطٌ (۲۰) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ
(۲۱) فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (۲۲)

ص: ۲۴۷

بیان

سوره إنذار و تبشیر فیها وعید شدید للذین یفتنون المؤمنین و المؤمنات لإیمانهم بالله کما کان المشرکون من أهل مکه یفعلون ذلک بالـذین آمنوا بالنبی ص فیعذبونهم لیرجعوا إلی شـرکهم السابق فمنهم من کان یصبر و لا یرجع بلغ الأمر ما بلغ،و منهم من رجع و ارتـد و هم ضـعفاء الإیمان کما یشـیر إلی ذلک قوله تعالی: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِیَ فِی اللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ النّاسِ کَعَذابِ اللّهِ» :العنکبوت:۱۰،و قوله: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَعْبُدُ اللّهَ عَلی حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَیْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَهٌ انْقَلَبَ عَلی وَجْهِهِ» :الحج:۱۱.

و قد قدم سبحانه على ذلك الإشاره إلى قصه أصحاب الأخدود،و فيه تحريض المؤمنين على الصبر فى جنب الله تعالى،و أتبعها بالإشاره إلى حديث الجنود فرعون و ثمود و فيه تطييب لنفس النبى ص بوعد النصر و تهديد للمشركين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى:« وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ » البروج جمع برج و هو الأمر الظاهر و يغلب استعماله فى القصر العالى لظهوره على الناظرين و يسمى البناء المعمول على سور البلد للدفاع برجا و هو المراد فى الآيه لقوله تعالى: «وَ لَقَدْ جَعَلْنٰا فِي السَّمٰاءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّٰاهٰا لِلنّٰاظِرِينَ وَ حَفِظْنٰاهٰا مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ» :الحجر:١٧،فالمراد بالبروج مواضع الكواكب من السماء.

و بذلك يظهر أن تفسير البروج بالبروج الاثنى عشر المصطلح عليها فى علم النجوم غير سديد و فى الآيه إقسام بالسماء المحفوظه بالبروج،و لا يخفى مناسبته لما سيشار إليه من القصه ثم الوعيد و الوعد و سنشير إليه.

قوله تعالى:« وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ »عطف على السماء و إقسام باليوم الموعود و هو يوم القيامه الذى وعد الله القضاء فيه بين عباده.

قوله تعالى:« وَ شٰاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ »معطوفان على السماء و الجميع قسم بعد قسم على ما أريد بيانه فى السوره و هو-كما تقدمت الإشاره إليه-الوعيد الشديد لمن يفتن المؤمنين و المؤمنات لإيمانهم و الوعد الجميل لمن آمن و عمل صالحا.

فكأنه قيل:أقسم بالسماء ذات البروج التى يدفع الله بها عنها الشياطين أن الله يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين و أوليائهم من الكافرين،و أقسم باليوم الموعود الذى يجزى فيه الناس بأعمالهم،و أقسم بشاهد يشهد و يعاين أعمال أولئك الكفار و ما يفعلونه بالمؤمنين لإيمانهم بالله و أقسم بمشهود سيشهده الكل و يعاينونه إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات،إلى آخر الآيتين.

و من هنا يظهر أن الشهاده فى« شٰاهِدٍ »و« مَشْهُودٍ »بمعنى واحد و هو المعاينه بالحضور،على أنها لو كانت بمعنى تأديه الشهاده لكان حق التعبير«و مشهود عليه»لأنها بهذا المعنى إنما تتعدى بعلى.

و على هذا يقبل« شٰاهِدٍ »الانطباق على النبى ص لشهادته أعمال أمته ثم يشهد عليها يوم القيامه،و يقبل« مَشْهُودٍ »الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنين و ما فعلوا

بهم من الفتنه و إن شئت فقل:على جزائه و إن شئت فقل على ما يقع يوم القيامه من العقاب و الثواب لهؤلاء الظالمين و المظلومين،و تنكير« مَشْهُودٍ »و« وَ شاهِدٍ » على أى حال للتفخيم.

و لهم فى تفسير شاهد و مشهود أقاويل كثيره أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كقول بعضهم إن الشاهد يوم الجمعه و المشهود يوم عرفه،و القول بأن الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفه، و القول بأن الشاهد يوم عرفه و المشهود يوم القيامه،و القول بأن الشاهد الملك يشهد على بنى آدم و المشهود يوم القيامه،و القول بأن الشاهد الذين يشهدون على الناس و المشهود الذين يشهد عليهم.

و القول بأن الشاهد هذه الأمه و المشهود سائر الأمم،و القول بأن الشاهد أعضاء بنى آدم و المشهود أنفسهم و القول بأن الشاهد الحجر الأسود و المشهود الحاج و القول بأن الشاهد الأيام و الليالى و المشهود بنو آدم،و القول بأن الشاهد الأنبياء و المشهود محمد ص، و القول بأن الشاهد هو الله و المشهود لا إله إلا الله.

و القول بأن الشاهد الخلق و المشهود الحق،و القول بأن الشاهد هو الله و المشهود يوم القيامه،و القول بأن الشاهد آدم و ذريته و المشهود يوم القيامه،و القول بأن الشاهد يوم الترويه و المشهود يوم عرفه،و القول بأنها يوم الإثنين و يوم الجمعه،و القول بأن الشاهد:

المقربون و المشهود عليون،و القول بأن الشاهد هو الطفل الذى قال لأمه فى قصه الأخدود:

اصبرى فإنك على الحق و المشهود الواقعه،و القول بأن الشاهد الملائكه المتعاقبون لكتابه الأعمال و المشهود قرآن الفجر إلى غير ذلك من أقوالهم.

و أكثر هذه الأقوال-كما ترى-مبنى على أخذ الشهاده بمعنى أداء ما حمل من الشهاده و بعضها على تفريق بين الشاهد و المشهود فى معنى الشهاده و قد عرفت ضعفه،و أن الأنسب للسياق أخذها بمعنى المعاينه و إن استلزم الشهاده بمعنى الأداء يوم القيامه،و أن الشاهد يقبل الانطباق على النبى ص.

كيف لا؟و قد سماه الله تعالى شاهدا إذ قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» :الأحزاب:۴۵،و سماه شهيدا إذ قال: «لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ» :الحج-۷۸،و قد عرفت معنى شهاده الأعمال من شهدائها فيما مر.

ثم إن جواب القسم محذوف يدل عليه قوله:« إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ » إلى تمام آيتين،و يشعر به أيضا قوله:« قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ »إلخ و هو وعيد الفاتنين و وعد المؤمنين الصالحين و أن الله يوفقهم على الصبر و يؤيدهم على حفظ إيمانهم من كيد الكائدين أن أخلصوا كما فعل بالمؤمنين فى قصه الأخدود.

قوله تعالى:« قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ »إشاره إلى قصه الأخدود لتكون توطئه و تمهيدا لما سيجىء من قوله:« إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا »إلخ و ليس جوابا للقسم البته.

و الأخدود الشق العظيم فى الأرض،و أصحاب الأخدود هم الجبابره الذين خدوا أخدودا و أضرموا فيها النار و أمروا المؤمنين بدخولها فأحرقوهم عن آخرهم نقما منهم لإيمانهم فقوله:« قُتِلَ »إلخ دعاء عليهم و المراد بالقتل اللعن و الطرد.

و قيل:المراد بأصحاب الأخدود المؤمنون و المؤمنات الذين أحرقوا فيه،و قوله:

« قُتِلَ »إخبار عن قتلهم بالإحراق و ليس من الدعاء فى شىء.و يضعفه ظهور رجوع الضمائر فى قوله:« إِذْ هُمْ عَلَيْها »و« هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ »و« ما نَقَمُوا »إلى أصحاب الأخدود،و المراد بها و خاصه بالثانى و الثالث الجبابره الناقمون دون المؤمنين المعذبين.

قوله تعالى:« اَلنّارِ ذاتِ الْوَقُودِ »بدل من الأخدود، و الوقود ما يشعل به النار من حطب و غيره،و فى توصيف النار بذات الوقود إشاره إلى عظمه أمر هذه النار و شده اشتعالها و أجيجها.

قوله تعالى:« إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ »أى فى حال أولئك الجبابره قاعدون فى أطراف النار المشرفه عليها.

قوله تعالى:« وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ »أى حضور ينظرون و يشاهدون إحراقهم و احتراقهم.

قوله تعالى:« وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّهِ » النقم بفتحتين الكراهه الشديده أى ما كرهوا من أولئك المؤمنين إلا إيمانهم بالله فأحرقوهم لأجل إيمانهم.

قوله تعالى:« اَلْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »أوصاف جاريه على اسم الجلاله تشير إلى الحجه على أن أولئك المؤمنين كانوا على الحق فى إيمانهم مظلومين فيما فعل بهم لا يخفى حالهم على الله و سيجزيهم خير الجزاء،و على أن أولئك الجبابره كانوا على الباطل مجترين على الله ظالمين فيما فعلوا و سيذوقون وبال أمرهم و ذلك أنه تعالى هو الله العزيز الحميد أى الغالب غير المغلوب على الإطلاق و الجميل فى فعله على الإطلاق فله وحده كل الجلال و الجمال فمن الواجب أن يخضع له و أن لا يتعرض لجانبه،و إذ كان له ملك السماوات و الأرض فهو المليك على الإطلاق له الأمر و له الحكم فهو رب العالمين فمن الواجب أن يتخذ إلها معبودا و لا يشرك به أحد فالمؤمنون به على الحق و الكافرون فى ضلال.

ثم إن الله-و هو الموجد لكل شيء-على كل شيء شهيد لا يخفى عليه شيء من خلقه و لا عمل من أعمال خلقه و لا يحتجب عنه إحسان محسن و لا إساءه مسيء فسيجزى كلا بما عمل.

و بالجمله إذ كان تعالى هو الله المتصف بهذه الصفات الكريمه كان على هؤلاء المؤمنين أن يؤمنوا به و لم يكن لأولئك الجبابره أن يتعرضوا لحالهم و لا أن يمسوهم بسوء.

و قال بعض المفسرين فى توجيه إجراء الصفات فى الآيه:إن القوم إن كانوا مشركين فالذى كانوا ينقمونه من المؤمنين و ينكرونه عليهم لم يكن هو الإيمان بالله تعالى بل نفى ما سواه من معبوداتهم الباطله،و إن كانوا معطله فالمنكر عندهم ليس إلا إثبات معبود غير معهود لهم لكن لما كان مآل الأمرين إنكار المعبود الحق الموصوف بصفات الجلال و الإكرام عبر بما عبر بإجراء الصفات عليه تعالى.

و فيه غفله عن أن المشركين و هم الوثنيه ما كانوا ينسبون إلى الله تعالى إلا الصنع و الإيجاد.

و أما الربوبيه التى تستتبع التدبير و الألوهيه التى تستوجب العباده فكانوا يقصرونها فى أربابهم و آلهتهم فيعبدونها دون الله سبحانه،فليس له تعالى عندهم إلا أنه رب الأرباب و إله الآلهه لا غير.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » الفتنه المحنه و التعذيب،و اَلَّذِينَ فَتَنُوا «إلخ»عام يشمل أصحاب الأخدود و مشركى قريش الذين كانوا يفتنون من آمن بالنبى ص من المؤمنين و المؤمنات بأنواع من العذاب ليرجعوا عن دينهم.

قال فى المجمع،:يسأل فيقال:كيف فصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق و هما واحد؟أجيب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب فى جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و لهم مع ذلك الإحراق بالنار انتهى.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ »وعد جميل للمؤمنين يطيب به نفوسهم كما أن ما قبله وعيد شديد للكفار الفاتنين المعذبين.

قوله تعالى:« إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ »الآيه إلى تمام سبع آيات تحقيق و تأكيد لما تقدم من الوعيد و الوعد،و البطش -كما ذكره الراغب-تناول الشيء بصوله.

و فی إضافه البطش إلی الرب و إضافه الرب إلی الکاف تطییب لنفس النبی ص بالتأیید و النصر،و إشاره إلی أن لجبابره أمته نصیبا من الوعید المتقدم.

قوله تعالی:« إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ »المقابله بین المبدئ و المعید یعطی أن المراد بالإبداء البدء،و الافتتاح بالشیء،قالوا:و لم یسمع من العرب الإبداء لکن القراءه ذلک و فی بعض القراءات الشاذه یبدأ بفتح الیاء و الدال.

و علی أی حال فالآیه تعلیل لشده بطشه تعالی و ذلک أنه تعالی مبدئ یوجد ما یریده من شیء إیجادا ابتدائیا من غیر أن یستمد علی ذلک من شیء غیر نفسه،و هو تعالی یعید کل ما کان إلی ما کان و کل حال فاتته إلی ما کانت علیه قبل الفوت فهو تعالی لا یمتنع علیه ما أراد و لا یفوته فائت زائل و إذ کان کذلک فهو القادر علی أن یحمل علی العبد المتعدی حده،من العذاب ما هو فوق حده و وراء طاقته و یحفظه علی ما هو علیه لیذوق العذاب قال تعالی: «وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نٰارُ جَهَنَّمَ لاٰ یُقْضیٰ عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَ لاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذٰابِهٰا» :فاطر:۳۶.

و هو القادر علی أن یعید ما أفسده العذاب إلی حالته الأولی لیذوق المجرم بذلک العذاب من غیر انقطاع قال تعالی: «إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِنٰا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ نٰاراً کُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَیْرَهٰا لِیَذُوقُوا الْعَذٰابَ» :النساء:۵۶.

و بهذا البیان یتضح:

أولا:أن سیاق قوله:« إِنَّهُ هُوَ »إلخ یفید القصر أی إن إبداع الوجود و إعادته لله سبحانه وحده إذ الصنع و الإیجاد ینتهی إلیه تعالی وحده.

و ثانیا:أن حدود الأشیاء إلیه تعالی و لو شاء أن لا یحد لم یحدا و بدل حدا من آخر فهو الذی حد العذاب و الفتنه فی الدنیا بالموت و الزوال و لو لم یشأ لم یحد کما فی عذاب الآخره.

و ثالثا:أن المراد من شده البطش-و هو الأخذ بعنف-أن لا دافع لأخذه و لا راد لحکمه کیفما حکم إلا أن یحول بین حکمه و متعلقه حکم آخر منه یقید الأول.

قوله تعالی:« وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ »أی کثیر المغفره و الموده ناظر إلی وعد المؤمنین کما أن قوله:« إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ »إلخ ناظر إلی وعید الکافرین.

قوله تعالی:« ذُو الْعَرْشِ الْمَجِیدُ فَعّٰالٌ لِمٰا یُرِیدُ » العرش عرش الملک،و ذو العرش کنایه عن الملک أی هو ملک له أن یتصرف فی مملکته کیفما تصرف و یحکم بما شاء و المجید

صفه من المجد و هو العظمه المعنويه و هی کمال الذات و الصفات،و قوله:« فَعّالٌ لِمٰا يُرِيدُ » أی لا یصرفه عما أراده صارف لا من داخل لضجر و کسل و ملل و تغیر إراده و غیرها و لا من خارج لمانع یحول بینه و بین ما أراد.

فله تعالی أن یوعد الذین فتنوا المؤمنین و المؤمنات بالنار و یعد الذین آمنوا و عملوا الصالحات بالجنه لأنه ذو العرش المجید و لن یخلف وعده لأنه فعال لما یرید.

قوله تعالی:« هَلْ أَتٰاکَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ »تقریر لما تقدم من شده بطشه تعالی و کونه ملکا مجیدا فعالا لما یرید،و فیه تسلیه للنبی ص و تطییب لنفسه الشریفه بالإشاره إلی حدیثهم،و معنی الآیتین ظاهر.

قوله تعالی:« بَلِ الَّذِينَ کَفَرُوا فِي تَکْذِيبٍ »لا یبعد أن یستفاد من السیاق کون المراد بالذین کفروا هم قوم النبی ص.

و فی الآیه إضراب عما تقدم من الموعظه و الحجه من حیث الأثر،و المعنی لا ینبغی أن یرجی منهم الإیمان بهذه الآیات البینات فإن الذین کفروا مصرون علی تکذیبهم لا ینتفعون بموعظه أو حجه.

و من هنا ظهر أن المراد بکون الذین کفروا فی تکذیب أی بظرفیه التکذیب لهم إصرارهم علیه.

قوله تعالی:« وَ اللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ » وراء الشیء الجهات الخارجه منه المحیطه به.إشاره إلی أنهم غیر معجزین لله سبحانه فهو محیط بهم قادر علیهم من کل جهه،و فیه أیضا تطییب لنفس النبی ص.

و عن بعضهم أن فی قوله:« مِنْ وَرٰائِهِمْ »تلویحا إلی أنهم اتخذوا الله وراءهم ظهریا، و هو مبنی علی أخذ وراء بمعنی خلف.

قوله تعالی:« بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ »إضراب عن إصرارهم علی تکذیب القرآن،و المعنی لیس الأمر کما یدعون بل القرآن کتاب مقرو عظیم فی معناه غزیر فی معارفه فی لوح محفوظ عن الکذب و الباطل مصون من مس الشیاطین.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن جابر بن عبد الله *أن النبی ص سئل عن

« اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ »فقال:الكواكب،و سئل عن« اَلَّذِی جَعَلَ فِی السَّمٰاءِ بُرُوجاً » فقال:الكواكب.قيل:ف« بُرُوجٍ مُشَیَّدَهٍ »فقال:قصور.

و فيه،أخرج عبد بن حميد و الترمذى و ابن أبى الدنيا فى الأصول و ابن جرير و ابن المنذر و ابن حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى سننه عن أبى هريره قال*:قال رسول الله ص:

اليوم الموعود يوم القيامه-و اليوم المشهود يوم عرفه-و الشاهد يوم الجمعه.الحديث.

أقول:و روى مثله بطرق أخرى عن أبى مالك و سعيد بن المسيب و جبير بن مطعم عنه(ص)،و لفظ الأخير: الشاهد يوم الجمعه و المشهود يوم عرفه:.

و روى هذا اللفظ عن عبد الرزاق و الفاريابى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن على بن أبى طالب .

و فيه،أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن على قال*: اليوم الموعود يوم القيامه، و الشاهد يوم الجمعه،و المشهود يوم النحر.

و فى المجمع،روى: أن رجلا دخل مسجد رسول الله ص-فإذا رجل يحدث عن رسول الله ص.

قال:فسألته عن الشاهد و المشهود فقال:نعم الشاهد يوم الجمعه و المشهود يوم عرفه، فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ص-فسألته عن ذلك فقال:أما الشاهد فيوم الجمعه و أما المشهود فيوم النحر.

فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار-و هو يحدث عن رسول الله ص-فقلت:أخبرنى عن شاهد و مشهود فقال:نعم أما الشاهد فمحمد و أما المشهود فيوم القيامه-أ ما سمعت الله سبحانه يقول:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّٰا أَرْسَلْنٰاکَ شٰاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً »و قال:« ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ وَ ذٰلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ ».

فسألت عن الأول فقالوا:ابن عباس،و سألت عن الثانى فقالوا:ابن عمرو،و سألت عن الثالث فقالوا:الحسن بن على.

أقول:و الحديث مروى بطرق مختلفه و ألفاظ متقاربه و قد تقدم فى تفسير الآيه أن ما ذكره(ع)أظهر بالنظر إلى سياق الآيات،و إن كان لفظ الشاهد و المشهود لا يأبى الانطباق على غيره أيضا بوجه.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« قُتِلَ أَصْحٰابُ الْأُخْدُودِ »قال:كان سببه أن الذى

هیج الحبشه-علی غزوه الیمن ذو نواس-و هو آخر من ملک من حمیر-تهود و اجتمعت معه حمیر علی الیهودیه-و سمی نفسه یوسف و أقام علی ذلک حینا من الدهر.

ثم أخبر أن بنجران بقایا قوم علی دین النصرانیه-و کانوا علی دین عیسی و حکم الإنجیل، و رأس ذلک الدین عبد الله بن بریامن-فحمله أهل دینه علی أن یسیر إلیهم-و یحملهم علی الیهودیه و یدخلهم فیها-فسار حتی قدم نجران-فجمع من کان بها علی دین النصرانیه-ثم عرض علیهم دین الیهودیه و الدخول فیها-فأبوا علیه فجادلهم و عرض علیهم-و حرص الحرص کله فأبوا علیه-و امتنعوا من الیهودیه و الدخول فیها و اختاروا القتل.

فاتخذ لهم أخدودا و جمع فیه الحطب-و أشعل فیه النار فمنهم من أحرق بالنار-و منهم من قتل بالسیف و مثل بهم کل مثله-فبلغ عدد من قتل و أحرق بالنار عشرین ألفا-و أفلت منهم رجل یدعی دوش ذو ثعلبان علی فرس له رکضه،و اتبعوه حتی أعجزهم فی الرمل، و رجع ذو نواس إلی صنیعه فی جنوده فقال الله:« قُتِلَ أَصْحٰابُ اَلْأُخْدُودِ -إلی قوله- اَلْعَزِیزِ الْحَمِیدِ ».

و فی المجمع،و روی سعید بن جبیر قال": لما انهزم أهل إسفندهان قال عمر بن الخطاب:

ما هم یهود و لا نصاری و لا لهم کتاب و کانوا مجوسا-فقال علی بن أبی طالب:بلی قد کان لهم کتاب رفع.

و ذلک أن ملکا لهم سکر فوقع علی ابنته-أو قال:علی أخته-فلما أفاق قال لها:

کیف المخرج مما وقعت فیه؟قالت:تجمع أهل مملکتک-و تخبرهم أنک تری نکاح البنات و تأمرهم أن یحلوه-فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن یتابعوه-فخد لهم أخدودا فی الأرض،و أوقد فیه النیران و عرضهم علیها-فمن أبی قبول ذلک قذفه فی النار،و من أجاب خلی سبیله:.

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور،عن عبد بن حمید عنه(ع) .

و عن تفسیر العیاشی،بإسناده عن جابر عن أبی جعفر(ع)قال*: أرسل علی(ع) إلی أسقف نجران یسأله عن أصحاب الأخدود-فأخبره بشیء فقال(ع):لیس کما ذکرت-و لکن سأخبرک عنهم:

إن الله بعث رجلا حبشیا نبیا و هم حبشیه-فکذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه فأسروه و أسروا أصحابه-ثم بنوا له حیرا ثم ملئوه نارا ثم جمعوا الناس-فقالوا:من کان علی دیننا و أمرنا فلیعتزل،و من کان علی دین هؤلاء فلیرم نفسه فی النار-فجعل أصحابه یتهافتون فی

النـار-فجـاءت امرأه معهـا صبی لهـا ابن شـهر-فلما هجمت هابت و رقت علی ابنها فنادی الصبی:لا تهابی و ارمینی و نفسک فی النار-فإن هذا و الله فی الله قلیل،فرمت بنفسها فی النار و صبیها،و کان ممن تکلم فی المهد.

أقول:و روی هـذا المعنی فی الـدر المنثور،عن ابن مردویه عن عبد الله بن نجی عنه (ع)،و روی أیضا عن ابن أبی حاتم من طریق عبد الله بن نجی عنه(ع)قال*:

کان نبی أصحاب الأخدود حبشیا.

و روی أیضا عن ابن أبی حاتم و ابن المنذر من طریق الحسن عنه(ع) *فی قوله تعالی:

« أَصْحٰابُ اَلْأُخْدُودِ »قال:هم الحبشه.

و لا یبعد أن یستفاد أن حدیث أصحاب الأخدود وقائع متعدده وقعت بالحبشه و الیمن و العجم و الإشاره فی الآیه إلی جمیعها و هناک روایات تقص القصه مع السکوت عن محل وقوعها.

و فی تفسیر القمی،":فی قـوله تعـالی:« بَـلْ هُـوَ قُرْآنٌ مَجِیـدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُـوظٍ »قـال:اللوح المحفوظ له طرفـان طرف علی یمین العرش-علی جبین إسـرافیل-فإذا تکلم الرب جل ذکره بالوحی-ضرب اللوح جبین إسرافیل فنظر فی اللوح-فیوحی بما فی اللوح إلی جبرئیل.

و فی الـدر المنثور،أخرج أبو الشـیخ و ابن مردویه عن ابن عبـاس قـال*:قال رسول الله ص: خلق الله لوحا من دره بیضاء دفتاه من زبرجـده خضـراء-کتـابه من نور یلحظ إلیه فی کل یوم ثلاث مائه و ستین لحظه-یحیی و یمیت و یخلق و یرزق و یعز و یـذل و یفعل ما یشاء.

أقول:و الروایات فی صفه اللوح کثیره مختلفه و هی علی نوع من التمثیل.

(۸۶) سوره الطارق مکیه و هی سبع عشره آیه(۱۷)

[سوره الطارق (۸۶): الآیات ۱ الی ۱۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلطّٰارِقِ (۱) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلطّٰارِقُ (۲) اَلنَّجْمُ اَلثّٰاقِبُ (۳) إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَیْهٰا حٰافِظٌ (۴) فَلْیَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ اَلصُّلْبِ وَ اَلتَّرٰائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلیٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ (۸) یَوْمَ تُبْلَی اَلسَّرٰائِرُ (۹) فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّهٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ (۱۰) وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلرَّجْعِ (۱۱) وَ اَلْأَرْضِ ذٰاتِ اَلصَّدْعِ (۱۲) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (۱۳) وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ (۱۴) إِنَّهُمْ یَکِیدُونَ کَیْداً (۱۵) وَ أَکِیدُ کَیْداً (۱۶) فَمَهِّلِ اَلْکٰافِرِینَ أَمْهِلْهُمْ رُوَیْداً (۱۷)

بیان

فی السوره إنذار بالمعاد و تستدل علیه بإطلاق القدره و تؤکد القول فی ذلک،و فیها إشاره إلی حقیقه الیوم،و تختتم بوعید الکفار.

و السوره ذات سیاق مکی.

قوله تعالی:« وَ السَّمٰاءِ وَ الطّٰارِقِ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الطّٰارِقُ النَّجْمُ الثّٰاقِبُ » الطرق فی الأصل-علی ما قیل-هو الضرب بشده یسمع له صوت و منه المطرقه و الطریق لأن السابله تطرقها بأقدامها ثم شاع استعماله فی سلوک الطریق ثم اختص بالإتیان لیلا لأن الآتی باللیل فی الغالب یجد الأبواب مغلقه فیطرقها و یدقها ثم شاع الطارق فی کل ما یظهر لیلا،و المراد بالطارق فی الآیه النجم الذی یطلع باللیل.

و الثقب فی الأصل بمعنی الخرق ثم صار بمعنی النیر المضیء لأنه یثقب الظلام بنوره و یأتی بمعنی العلو و الارتفاع و منه ثقب الطائر أی ارتفع و علا کأنه یثقب الجو بطیرانه.

فقوله:« وَ السَّمٰاءِ وَ الطّٰارِقِ »إقسام بالسماء و بالنجم الطالع لیلا،و قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الطّٰارِقُ »تفخیم لشأن المقسم به و هو الطارق،و قوله:« اَلنَّجْمُ الثّٰاقِبُ » بیان للطارق و الجمله فی معنی جواب استفهام مقدر کأنه لما قیل:و ما أدراک ما الطارق؟ سئل فقیل:فما هو الطارق؟فأجیب،و قیل:النجم الثاقب.

قوله تعالی:« إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَیْهٰا حٰافِظٌ »جواب للقسم و لما بمعنی إلا و المعنی ما من نفس إلا علیها حافظ،و المراد من قیام الحافظ علی حفظها کتابه أعمالها الحسنه و السیئه

على ما صدرت منها ليحاسب عليها يوم القيامه و يجزى بها فالحافظ هو الملك و المحفوظ العمل كما قال تعالى: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» :الانفطار:١٢.

و لا يبعد أن يكون المراد من حفظ النفس حفظ ذاتها و أعمالها،و المراد بالحافظ جنسه فتفيد أن النفوس محفوظه لا تبطل بالموت و لا تفسد حتى إذا أحيا الله الأبدان أرجع النفوس إليها فكان الإنسان هو الإنسان الدنيوى بعينه و شخصه ثم يجزيه بما يقتضيه أعماله المحفوظه عليه من خير أو شر.

و يؤيد ذلك كثير من الآيات الداله على حفظ الأشياء كقوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» :الم السجده:١١،و قوله: «اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ» :الزمر:۴۲.

و لا ينافى هذا الوجه ظاهر آيه الانفطار السابقه من أن حفظ الملائكه هو الكتابه فإن حفظ نفس الإنسان أيضا من الكتابه على ما يستفاد من قوله: «إِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» :الجاثيه:٢٩ و قد تقدمت الإشاره إليه.

و يندفع بهذا الوجه الاعتراض على ما استدل به على المعاد من إطلاق القدره كما سيجىء،و محصله أن إطلاق القدره إنما ينفع فيما كان ممكنا لكن إعاده الإنسان بعينه محال فإن الإنسان المخلوق ثانيا مثل الإنسان الدنيوى المخلوق أولا لا شخصه الذى خلق أولا و مثل الشىء غير الشىء لا عينه.

وجه الاندفاع أن شخصيه الشخص من الإنسان بنفسه لا ببدنه و النفس محفوظه فإذا خلق البدن و تعلقت به النفس كان هو الإنسان الدنيوى بشخصه و إن كان البدن بالقياس إلى البدن مع الغض عن النفس،مثلا لا عينا.

قوله تعالى:« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ »أى ما هو مبدأ خلقه؟و ما هو الذى صيره الله إنسانا؟ و الجمله متفرعه على الآيه السابقه و ما تدل عليه بفحواها بحسب السياق و محصل المعنى و إذ كانت كل نفس محفوظه بذاتها و عملها من غير أن تفنى أو ينسى عملها فليذعن الإنسان أن سيرجع إلى ربه و يجزى بما عمل و لا يستبعد ذلك و لينظر لتحصيل هذا الإذعان إلى مبدإ خلقه و يتذكر أنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب.

فالذى بدأ خلقه من ماء هذه صفته يقدر على رجعه و إحيائه بعد الموت.

و فی الإتیان بقوله:« خُلِقَ »مبنیا للمفعول و ترک ذکر الفاعل و هو الله سبحانه إیماء إلی ظهور أمره،و نظیره قوله:« خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ »إلخ.

قوله تعالی:« خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ » الدفق تصبب الماء و سیلانه بدفع و سرعه و الماء الدافق هو المنی و الجمله جواب عن استفهام مقدر یهدی إلیه قوله:« مِمَّ خُلِقَ ».

قوله تعالی:« یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ » الصلب الظهر،و الترائب جمع تریبه و هی عظم الصدر.

و قد اختلفت کلماتهم فی الآیه و ما قبلها اختلافا عجیبا،و الظاهر أن المراد بقوله:

« بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ »البعض المحصور من البدن بین جداری عظام الظهر و عظام الصدر (۱).

قوله تعالی:« إِنَّهُ عَلیٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ » الرجع الإعاده،و ضمیر« إِنَّهُ »له تعالی و اکتفی بالإضمار مع أن المقام مقام الإظهار لظهوره نظیر قوله:« خُلِقَ »مبنیا للمفعول.

و المعنی أن الذی خلق الإنسان من ماء صفته تلک الصفه،علی إعادته و إحیائه بعد الموت-و إعادته مثل بدئه-لقادر لأن القدره علی الشیء قدره علی مثله إذ حکم الأمثال فیما یجوز و فیما لا یجوز واحد.

قوله تعالی:« یَوْمَ تُبْلَی السَّرٰائِرُ »ظرف للرجع،و السریره ما أسره الإنسان و أخفاه فی نفسه،و البلاء الاختبار و التعرف و التصفح.

فالمعنی یوم یختبر ما أخفاه الإنسان و أسره من العقائد و آثار الأعمال خیرها و شرها فیمیز خیرها من شرها و یجزی الإنسان به فالآیه فی معنی قوله تعالی: «إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ» :البقره:۲۸۴.

قوله تعالی:« فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّهٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ »أی لا قدره له فی نفسه یمتنع بها من عذاب الله و لا ناصر له یدفع عنه ذلک أی لا قدره هناک یدفع عنه الشر لا من نفسه و لا من غیره.

قوله تعالی:« وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الرَّجْعِ وَ الْأَرْضِ ذٰاتِ الصَّدْعِ »إقسام بعد إقسام لتأکید أمر القیامه و الرجوع إلی الله.

و المراد بکون السماء ذات رجع ما یظهر للحس من سیرها بطلوع الکواکب بعد

۱- ۱) و قد أورد المراغی فی تفسیره فی ذیل الآیه عن بعض الأطباء توجیها دقیقا علمیا لهذه الآیه من أراده فلیراجعه.

غروبها و غروبها بعد طلوعها،و قيل:رجعها أمطارها،و المراد بكون الأرض ذات صدع تصدعها و انشقاقها بالنبات،و مناسبه القسمين لما أقسم عليه من الرجوع بعد الموت و الخروج من القبور ظاهره.

قوله تعالى:« إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ » الفصل إبانه أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجه،و التعبير بالفصل-و المراد الفاصل-للمبالغه كزيد عدل و الهزل خلاف الجد.

و الآيتان جواب القسم،و ضمير« إِنَّهُ »للقرآن و المعنى أقسم بكذا و كذا أن القرآن لقول فاصل بين الحق و الباطل و ليس هو كلاما لا جد فيه فما يحققه حق لا ريب فيه و ما يبطله باطل لا ريب فيه فما أخبركم به من البعث و الرجوع حق لا ريب فيه.

و قيل:الضمير لما تقدم من خبر الرجوع و المعاد،و الوجه السابق أوجه.

قوله تعالى:« إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَ أَكِيدُ كَيْداً »أي الكفار يحتالون بكفرهم و إنكارهم المعاد احتيالا يريدون به إطفاء نور الله و إبطال دعوتك،و احتال عليهم بعين أعمالهم بالاستدراج و الإملاء و الإضلال بالطبع على قلوبهم و جعل الغشاوه على سمعهم و أبصارهم احتيالا أسوقهم به إلى عذاب يوم القيامه.

قوله تعالى:« فَمَهِّلِ الْكٰافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً » التمهيل و الإمهال بمعنى واحد غير أن باب التفعيل يفيد التدريج و الإفعال يفيد الدفعه،و الرويد القليل.

و المعنى:إذا كان منهم كيد و منى كيد عليهم بعين ما يكيدون به و الله غالب على أمره، فانتظر بهم و لا تعاجلهم انتظر بهم قليلا فسيأتيهم ما أوعدهم به فكل ما هو آت قريب.

و فى التعبير أولا بمهل الظاهر فى التدريج و ثانيا مع التقييد برويدا بأمهل الظاهر فى الدفعه لطف ظاهر.

بحث روائی

فی تفسير القمی،":فی قوله تعالى:« إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ »قال:الملائكه.

و فيه،":فی قوله تعالى:« خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ »قال:النطفه التی تخرج بقوه.

و فيه،":فی قوله تعالى:« يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ »قال:الصلب الرجل و الترائب المرأه،و هو صدرها.

أقول:الروایه علی إضمارها و إرسالها لا تخلو من شیء.

و فیه،":فی قوله تعالی:« یَوْمَ تُبْلَی السَّرائِرُ »قال:یکشف عنها.

و فی المجمع،روی مرفوعا عن أبی الدرداء قال:قال رسول الله ص: ضمن الله خلقه أربع خصال: الصلاه،و الزکاه،و صوم شهر رمضان،و الغسل من الجنابه،و هی السرائر التی قال الله تعالی:یوم تبلی السرائر.

أقول:و لعله من قبیل ذکر بعض المصادیق کما تؤیده الروایه التالیه.

و فیه،عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ص:ما هذه السرائر-التی ابتلی الله بها العباد فی الآخره؟فقال:سرائرکم هی أعمالکم من الصلاه و الصیام-و الزکاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و کل مفروض-لأن الأعمال کلها سرائر خفیه فإن شاء الرجل قال:

صلیت و لم یصل و إن شاء قال:توضیت و لم یتوض-فذلک قوله:« یَوْمَ تُبْلَی السَّرائِرُ ».

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« فَما لَهُ مِنْ قُوَّهٍ وَ لا ناصِرٍ »قال:ما له من قوه یهوی بها علی خالقه،و لا ناصر من الله ینصره إن أراد به سوءا.

و فیه،":فی قوله تعالی:« وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ »قال:ذات المطر« وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ » أی ذات النبات.

و فی المجمع،: « إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ »یعنی أن القرآن یفصل بین الحق و الباطل-بالبیان عن کل واحد منهما:، و روی ذلک عن الصادق(ع) .

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه و الدارمی و الترمذی و محمد بن نصر و ابن الأنباری فی المصاحف عن الحارث الأعور قال*: دخلت المسجد فإذا الناس قد وقعوا فی الأحادیث- فأتیت علیا فأخبرته فقال:أ و قد فعلوها؟ سمعت رسول الله ص یقول:إنها ستکون فتنه.قلت:فما المخرج منها یا رسول الله-قال:کتاب الله فیه نبأ من قبلکم و خبر من بعدکم،و حکم ما بینکم،هو الفصل لیس بالهزل،من ترکه من جبار قصمه الله،من ابتغی الهوی فی غیره أضله الله،و هو حبل الله المتین،و هو الذکر الحکیم،و هو الصراط المستقیم،هو الذی لا تزیغ به الأهواء،و لا یشبع منه العلماء،و لا تلتبس منه الألسن،و لا یخلق من الرد،و لا تنقضی عجائبه-هو الذی لم ینته الجن إذ سمعته حتی قالوا- إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً یَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ .من قال به صدق،و من حکم به عدل،و من عمل به أجر،و من دعی إلیه هدی إلی صراط مستقیم.

أقول:و روی ما یقرب منه عن معاذ بن جبل عنه(ص)،و رواه مختصرا عن ابن مردویه عن علی(ع) .

(۸۷) سوره الأعلی مکیه و هی تسع عشره آیه(۱۹)

[سوره الأعلی (۸۷): الآیات ۱ الی ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّکَ اَلْأَعْلَی (۱) اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰی (۲) وَ اَلَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ (۳) وَ اَلَّذِی أَخْرَجَ اَلْمَرْعیٰ (۴) فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْویٰ (۵)
سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ (۶) إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اَللّٰهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ اَلْجَهْرَ وَ مٰا یَخْفیٰ (۷) وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْریٰ (۸) فَذَکِّرْ إِنْ نَفَعَتِ اَلذِّکْریٰ (۹) سَیَذَّکَّرُ
مَنْ یَخْشیٰ (۱۰) وَ یَتَجَنَّبُهَا اَلْأَشْقَی (۱۱) اَلَّذِی یَصْلَی اَلنّٰارَ اَلْکُبْریٰ (۱۲) ثُمَّ لاٰ یَمُوتُ فِیهٰا وَ لاٰ یَحْییٰ (۱۳) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّٰی (۱۴)
وَ ذَکَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰی (۱۵) بَلْ تُؤْثِرُونَ اَلْحَیٰاةَ اَلدُّنْیٰا (۱۶) وَ اَلْآخِرَةُ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ (۱۷) إِنَّ هٰذٰا لَفِی اَلصُّحُفِ اَلْأُولیٰ (۱۸) صُحُفِ
إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ (۱۹)

بیان

أمر بتوحیده تعالی علی ما یلیق بساحته المقدسه و تنزیه ذاته المتعالیه من أن یذکر مع اسمه اسم غیره أو یسند إلی غیره ما یجب أن یسند إلیه کالخلق و التدبیر و الرزق و وعد له(ص)بتأییده بالعلم و الحفظ و تمکینه من الطریقه التی هی أسهل و أیسر للتبلیغ و أنسب للدعوه.

و سیاق الآیات فی صدر السوره سیاق مکی و أما ذیلها أعنی قوله:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّی »إلخ فقد ورد من طرق أئمه أهل البیت(ع)و کذا من طریق أهل السنه أن المراد به زکاه الفطره و صلاه العید و من المعلوم أن الصوم و ما یتبعه من زکاه الفطره و صلاه العید إنما شرعت بالمدینه بعد الهجره فتکون آیات الذیل نازله بالمدینه.

فالسوره صدرها مکی و ذیلها مدنی،و لا ینافی ذلک ما جاء فی الآثار أن السوره مکیه فإنه لا یأبی الحمل علی صدر السوره.

قوله تعالی:« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی »أمر بتنزیه اسمه تعالی و تقدیسه،و إذ علق التنزیه علی الاسم-و ظاهر اللفظ الدال علی المسمی-و الاسم إنما یقع فی القول فتنزیهه أن لا یذکر معه ما هو تعالی منزه عنه کذکر الآلهه و الشرکاء و الشفعاء و نسبه الربوبیه إلیهم و کذکر بعض ما یختص به تعالی کالخلق و الإیجاد و الرزق و الإحیاء و الإماته و نحوها و نسبته إلی غیره تعالی أو کذکر بعض ما لا یلیق بساحه قدسه تعالی من الأفعال کالعجز و الجهل و الظلم و الغفله و ما یشبهها من صفات النقص و الشین و نسبته إلیه تعالی.

و بالجمله تنزیه اسمه تعالی أن یجرد القول عن ذکر ما لا یناسب ذکره ذکر اسمه تعالی و هو تنزیهه تعالی فی مرحله القول الموافق لتنزیهه فی مرحله الفعل.

و هو یلازم التوحید الکامل بنفی الشرک الجلی کما فی قوله: «وَ إِذٰا ذُکِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذٰا ذُکِرَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ إِذٰا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ» » :الزمر ۴۵ و قوله: «وَ إِذٰا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلیٰ أَدْبٰارِهِمْ نُفُوراً» :إسراء ۴۶.

و فی إضافه الاسم إلی الرب و الرب إلی ضمیر الخطاب تأیید لما قدمناه فإن المعنی سبح اسم ربک الذی اتخذته ربا و أنت تدعو إلی أنه الرب الإله فلا یقعن فی کلامک مع ذکر اسمه بالربوبیه ذکر من غیره بحیث ینافی تسمیه بالربوبیه علی ما عرف نفسه لک.

و قوله:« اَلْأَعْلَی »و هو الذی یعلو کل عال و یقهر کل شیء صفه« رَبِّکَ »دون الاسم و یعلل بمعناه الحکم أی سبح اسمه لأنه أعلی.

و قیل:معنی« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی »قل:سبحان ربی الأعلی کما عن ابن عباس و نسب إلیه أیضا أن المعنی صل.

و قیل:المراد بالاسم المسمی و المعنی نزهه تعالی عن کل ما لا یلیق بساحه قدسه من الصفات و الأفعال.

و قيل:إنه ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى و استشهد عليه بقول لبيد،إلى الحول ثم اسم السلام عليكما.فالمعنى سبح ربك الأعلى.

و قيل:المراد تنزيه أسمائه تعالى عما لا يليق بأن لا يئول مما ورد منها اسم من غير مقتض،و لا يبقى على ظاهره إذا كان ما وضع له لا يصح له تعالى،و لا يطلقه على غيره تعالى إذا كان مختصا كاسم الجلاله و لا يتلفظ به فى محل لا يناسبه كبيت الخلاء،و على هذا القياس و ما قدمناه من المعنى أوسع و أشمل و أنسب لسياق قوله الآتى« سَنُقْرِئُكَ فَلاٰ تَنْسىٰ » « وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ فَذَكِّرْ »فإن السياق سياق البعث إلى التذكره و التبليغ فبدأ أولا بإصلاح كلامه(ص)و تجريده عن كل ما يشعر بجلى الشرك و خفيه بأمره بتنزيه اسم ربه، و وعد ثانيا بإقرائه بحيث لا ينسى شيئا مما أوحى إليه و تسهيل طريقه التبليغ عليه ثم أمر بالتذكير و التبليغ فافهم.

قوله تعالى:« اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰى » خلق الشىء جمع أجزائه،و تسويته جعلها متساويه بحيث يوضع كل فى موضعه الذى يليق به و يعطى حقه كوضع كل عضو من أعضاء الإنسان فيما يناسبه من الموضع.

و الخلق و التسويه و إن كانا مطلقين لكنهما إنما يشملان ما فيه تركيب أو شائبه تركيب من المخلوقات.

و الآيه إلى تمام أربع آيات تصف التدبير الإلهى و هى برهان على ربوبيته تعالى المطلقه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدىٰ »أى جعل الأشياء التى خلقها على مقادير مخصوصه و حدود معينه فى ذواتها و صفاتها و أفعالها لا تتعداها و جهزها بما يناسب ما قدر لها فهداها إلى ما قدر فكل يسلك نحو ما قدر له بهدايه ربانيه تكوينيه كالطفل يهتدى إلى ثدى أمه و الفرخ إلى زق أمه و أبيه،و الذكر إلى الأنثى و ذى النفع إلى نفعه و على هذا القياس.

قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» :الحجر:

۲۱،و قال: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» :عبس:۲۰ و قال: «لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا» البقره:۱۴۸.

قوله تعالى:« وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ » المرعى ما ترعاه الدواب فالله تعالى هو الذى أخرجها أى أنبتها.

قوله تعالی:« فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْویٰ » الغثاء ما یقذفه السیل علی جانب الوادی من الحشیش و النبات،و المراد هنا-کما قیل-الیابس من النبات،و الأحوی الأسود.

و إخراج المرعی لتغذی الحیوان ثم جعله غثاء أحوی من مصادیق التدبیر الربوبی و دلائله کما أن الخلق و التسویه و التقدیر و الهدایه کذلک.

قوله تعالی:« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا یَخْفیٰ »قال فی المفردات،:و القراءه ضم الحروف و الکلمات بعضها إلی بعض فی الترتیل،و لیس یقال ذلک لکل جمع لا یقال:قرأت القوم إذا جمعتهم،و یدل علی ذلک أنه لا یقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءه،انتهی،و قال فی المجمع،:و الإقراء أخذ القراءه علی القارئ بالاستماع لتقویم الزلل،و القارئ التالی.انتهی.

و لیس إقراؤه تعالی نبیه ص القرآن مثل إقراء بعضنا بعضا باستماع المقری لما یقرؤه القارئ و إصلاح ما لا یحسنه أو یغلط فیه فلم یعهد من النبی ص أن یقرأ شیئا من القرآن فلا یحسنه أو یغلط فیه عن نسیان للوحی ثم یقرأ فیصلح بل المراد تمکینه من قراءه القرآن کما أنزل من غیر أن یغیره بزیاده أو نقص أو تحریف بسبب النسیان.

فقوله:« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ »وعد منه لنبیه(ص)أن یمکنه من العلم بالقرآن و حفظه علی ما أنزل بحیث یرتفع عنه النسیان فیقرؤه کما أنزل و هو الملاک فی تبلیغ الوحی کما أوحی إلیه.

و قوله:« إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ »استثناء مفید لبقاء القدره الإلهیه علی إطلاقها و أن هذه العطیه و هی الإقراء بحیث لا تنسی لا ینقطع عنه سبحانه بالإعطاء بحیث لا یقدر بعد علی إنسائک بل هو باق علی إطلاق قدرته له أن یشاء إنساءک متی شاء و إن کان لا یشاء ذلک فهو نظیر الاستثناء الذی فی قوله: «وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خٰالِدِینَ فِیهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ عَطٰاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ» :هود:۱۰۸ و قد تقدم توضیحه.

و لیس المراد بالاستثناء إخراج بعض أفراد النسیان من عموم النفی و المعنی سنقرئک فلا تنسی شیئا إلا ما شاء الله أن تنساه و ذلک أن کل إنسان علی هذه الحال یحفظ أشیاء و ینسی أشیاء فلا معنی لاختصاصه بالنبی ص بلحن الامتنان مع کونه مشترکا بینه و بین غیره فالوجه ما قدمناه.

و الآیه بسیاقها لا تخلو من تأیید لما قیل:إنه کان النبی ص إذا نزل علیه جبریل

بالوحی یقرؤه مخافه أن ینساه فکان لا یفرغ جبریل من آخر الوحی حتی یتکلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآیه لم ینس بعده شیئا.

و یقرب من الاعتبار أن تکون هذه الآیه أعنی قوله:« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ »نازله أولا ثم قوله: «لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا بَیٰانَهُ» :القیامه:۱۹ ثم قوله: «وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً» :طه:۱۱۴.

و قوله:« إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا یَخْفیٰ » الجهر کمال ظهور الشیء لحاسه البصر کقوله.

«فَقٰالُوا أَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَهً» :النساء:۱۵۳،أو لحاسه السمع کقوله: «إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ» :الأنبیاء:۱۱۰،و المراد بالجهر الظاهر للإدراک بقرینه مقابلته لقوله:« وَ مٰا یَخْفیٰ » من غیر تقییده بسمع أو بصر.

و الجمله فی مقام التعلیل لقوله.« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ »و المعنی سنصلح لک بالک فی تلقی الوحی و حفظه لأنا نعلم ظاهر الأشیاء و باطنها فنعلم ظاهر حالک و باطنها و ما أنت علیه من الاهتمام بأمر الوحی و الحرص علی طاعته فیما أمر به.

و فی قوله:« إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ »إلخ التفات من التکلم مع الغیر إلی الغیبه و النکته فیه الإشاره إلی حجه الاستثناء فإفاضه العلم و الحفظ للنبی ص إنما لا یسلب القدره علی خلافه و لا یحدها منه تعالی لأنه الله المستجمع لجمیع صفات الکمال و منها القدره المطلقه ثم جری الالتفات فی قوله:« إِنَّهُ یَعْلَمُ »إلخ لمثل النکته.

قوله تعالی:« وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْریٰ » الیسری -مؤنث أیسر-و هو وصف قائم مقام موصوفه المحذوف أی الطریقه الیسری و التیسیر التسهیل أی و نجعلک بحیث تتخذ دائما أسهل الطرق للدعوه و التبلیغ قولا و فعلا فتهدی قوما و تتم الحجه علی آخرین و تصبر علی أذاهم.

و کان مقتضی الظاهر أن یقال:و نیسر لک الیسری کما قال: «وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی» :طه:۲۶ و إنما عدل عن ذلک إلی قوله:« وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْریٰ »لأن الکلام فی تجهیزه تعالی نفس النبی الشریفه و جعله إیاها صالحه لتأدیه الرساله و نشر الدعوه. علی ما فی نیسر الیسری من إیهام تحصیل الحاصل.

فالمراد جعله(ص)صافی الفطره حقیقا علی اختیار الطریقه الیسری التی هی طریقه

الفطره فالآیه فی معنی قوله حکایه عن موسی: «حَقِیقٌ عَلیٰ أَنْ لاٰ أَقُولَ عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ» الأعراف:۱۰۵.

قوله تعالی:« فَذَکِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّکْریٰ »تفریع علی ما تقدم من أمره(ص) بتنزیه اسم ربه و وعده إقراء الوحی بحیث لا ینسی و تیسیره للیسری و هی الشرائط الضروریه التی یتوقف علیها نجاح الدعوه الدینیه.

و المعنی إذ تم لک الأمر بامتثال ما أمرناک به و إقرائک فلا تنسی و تیسیرک للیسری فذکر إن نفعت الذکری.

و قد اشترط فی الأمر بالتذکره أن تکون نافعه و هو شرط علی حقیقته فإنها إذا لم تنفع کانت لغوا و هو تعالی یجل عن أن یأمر باللغو فالتذکره لمن یخشی لأول مره تفید میلا من نفسه إلی الحق و هو نفعها و کذا التذکره بعد التذکره کما قال:« سَیَذَّکَّرُ مَنْ یَخْشیٰ »و التذکره للأشقی الذی لا خشیه فی قلبه لأول مره تفید تمام الحجه علیه و هو نفعها و یلازمها تجنبه و تولیه عن الحق کما قال:« وَ یَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَی »و التذکره بعد التذکره له لا تنفع شیئا و لذا أمر بالإعراض عن ذلک قال تعالی: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰی عَنْ ذِکْرِنٰا وَ لَمْ یُرِدْ إِلاَّ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا» :النجم:۲۹.

و قیل:الشرط شرط صوری غیر حقیقی و إنما هو إخبار عن أن الذکری نافعه لا محاله فی زیاده الطاعه و الانتهاء عن المعصیه کما یقال:سله إن نفع السؤال و لذا قال بعضهم«إن»« إِنْ »فی الآیه بمعنی قد،و قال آخرون:إنها بمعنی إذ.

و فیه أن کون الذکری نافعه مفیده دائما حتی فیمن یعاند الحق-و قد تمت علیه الحجه-ممنوع کیف؟و قد قیل فیهم: «سَوٰاءٌ عَلَیْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلیٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلیٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَهٌ» :البقره:۷.

و قیل:إن فی الکلام إیجازا بالحذف،و التقدیر فذکر إن نفعت الذکری و إن لم تنفع و ذلک لأنه(ص)بأس للتذکره و الإعذار فعلیه أن یذکر نفع أو لم ینفع فالآیه من قبیل قوله: «وَ جَعَلَ لَکُمْ سَرٰابِیلَ تَقِیکُمُ الْحَرَّ» :النحل:۸۱ أی و البرد.

و فیه أن وجوب التذکره علیه(ص)حتی فیما لا یترتب علیها أثرا أصلا ممنوع.

و قیل:إن الشرط مسوق للإشاره إلی استبعاد النفع فی تذکره هؤلاء المذکورین

نعيا عليهم كأنه قيل:افعل ما أمرت به لتوجر و إن لم ينتفعوا به.

و فيه أنه يرده قوله تعالى بعده بلا فصل:« سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ ».

قوله تعالى:« سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ »أى سيتذكر و يتعظ بالقرآن من فى قلبه شىء من خشيه الله و خوف عقابه.

قوله تعالى:« وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى »الضمير للذكرى و المراد بالأشقى بقرينه المقابله من ليس فى قلبه شىء من خشيه الله تعالى،و تجنب الشىء التباعد عنه،و المعنى و سيتباعد عن الذكرى من لا يخشى الله.

قوله تعالى:« اَلَّذِى يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ »الظاهر أن المراد بالنار الكبرى نار جهنم و هى نار كبرى بالقياس إلى نار الدنيا،و قيل:المراد بها أسفل دركات جهنم و هى أشدها عذابا.

قوله تعالى:« ثُمَّ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ »ثم للتراخى بحسب رتبه الكلام، و المراد من نفى الموت و الحياه عنه معا نفى النجاه نفيا مؤبدا فإن النجاه بمعنى انقطاع العذاب بأحد أمرين إما بالموت حتى ينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده و إما يتبدل صفه الحياه من الشقاء إلى السعاده و من العذاب إلى الراحه فالمراد بالحياه فى الآيه الحياه الطيبه على حد قولهم فى الحرض:لا حى فيرجى و لا ميت فينسى.

قوله تعالى:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّٰى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى » التزكى هو التطهر و المراد به التطهر من ألواث التعلقات الدنيويه الصارفه عن الآخره بدليل قوله بعد« بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا »إلخ،و الرجوع إلى الله بالتوجه إليه تطهر من الإخلاد إلى الأرض، و الإنفاق فى سبيل الله تطهر من لوث التعلق المالى حتى أن وضوء الصلاه تمثيل للتطهر عما كسبته الوجوه و الأيدى و الأقدام.

و قوله:« وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى »الظاهر أن المراد بالذكر الذكر اللفظى، و بالصلاه التوجه الخاص المشروع فى الإسلام.

و الآيتان بحسب ظاهر مدلولهما على العموم لكن ورد فى المأثور عن أئمه أهل البيت (ع)أنهما نزلتا فى زكاه الفطر و صلاه العيد و كذا من طرق أهل السنه.

قوله تعالى:« بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا »إضراب بالخطاب لعامه الناس على ما يدعو إليه طبعهم البشرى من التعلق التام بالدنيا و الاشتغال بتعميرها،و الإيثار

الاختیار، و قیل:الخطاب للکفار،و الکلام علی أی حال مسوق للعتاب و الالتفات لتأکیده.

قوله تعالی:« وَ الْآخِرَةُ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ »عد الآخره أبقی بالنسبه إلی الدنیا مع أنها باقیه أبدیه فی نفسها لأن المقام مقام الترجیح بین الدنیا و الآخره و یکفی فی الترجیح مجرد کون الآخره خیرا و أبقی بالنسبه إلی الدنیا و إن قطع النظر عن کونها باقیه أبدیه.

قوله تعالی:« إِنَّ هٰذٰا لَفِی الصُّحُفِ الْأُولیٰ صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ »الإشاره بهذا إلی ما بین فی قوله:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّٰی »إلی تمام أربع آیات،و قیل:هذا إشاره إلی مضمون قوله:« وَ الْآخِرَةُ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ ».

قیل:و فی إبهام الصحف و وصفها بالتقدم أولا ثم بیانها و تفسیرها بصحف إبراهیم و موسی ثانیا ما لا یخفی من تفخیم شأنها و تعظیم أمرها.

بحث روائی

فی تفسیر العیاشی،عن عقبه بن عامر الجهنی قال*: لما نزلت:« فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ »قال رسول الله ص:اجعلوها فی رکوعکم،و لما نزل« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی » قال:اجعلوها فی سجودکم:.

أقول:و رواه أیضا فی الدر المنثور،عن أحمد و أبی داود و ابن ماجه و ابن المنذر و ابن مردویه عن عقبه عنه(ص) .

و فی تفسیر القمی،":« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی »قال:قل سبحان ربی الأعلی« اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰی وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ »قال:قدر الأشیاء بالتقدیر الأول ثم هدی إلیها من یشاء.

و فیه،":فی قوله تعالی:« وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعیٰ »قال:أی النبات.و فی قوله:

« غُثٰاءً أَحْویٰ »قال:یصیر هشیما بعد بلوغه و یسود.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال*: کان النبی ص یستذکر القرآن مخافه أن ینساه-فقیل له:کفیناک ذلک و نزلت:« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ ».

و فی الفقیه،: و سئل الصادق(ع)عن قول الله عز و جل:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّٰی »قال قال:

من أخرج الفطره-قیل له:و« ذَکَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰی »قال:خرج إلی الجبانه (۱)فصلی:.

۱- ۱) الجبانه:الصحراء

أقول:و روى هذا المعنى أيضا عن حماد عن جرير عن أبى بصير و زراره عنه(ع) و رواه القمى فى تفسيره،مرسلا مضمرا .

و فى الدر المنثور،أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال*: كان رسول الله ص يقول:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى- وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى »ثم يقسم الفطره قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر.

أقول:و روى أيضا نزول الآيتين فى زكاه الفطره و صلاه العيد بطريقين عن أبى سعيد موقوفا،و كذا بطريقين عن ابن عمر و بطريق عن نائله بن الأصقع و بطريقين عن أبى العاليه و بطريق عن عطاء و بطريق عن محمد بن سيرين و بطريق عن إبراهيم النخعى و كذا عن عمرو بن عوف عن النبى ص.

و فى الخصال،عن عتبه بن عمرو الليثى عن أبى ذر فى حديث *قلت:يا رسول الله فما فى الدنيا مما أنزل الله عليك-شىء مما كان فى صحف إبراهيم و موسى؟قال:يا أبا ذر اقرأ « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى- وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا- وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ- إِنَّ هٰذٰا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ ».

أقول:يؤيد الحديث كون الإشاره بهذا إلى مجموع الآيات الأربع كما تقدم.

و فى البصائر،بإسناده عن أبى بصير قال*:قال أبو عبد الله(ع): عندنا الصحف التى قال الله:« صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ »قلت:الصحف هى الألواح؟قال:نعم.:

أقول:و رواه أيضا بطريق آخر عن أبى بصير عنه(ع)

و الظاهر أن المراد بكون الصحف هى الألواح كونها هى التوراه المعبر عنها فى مواضع من القرآن بالألواح كقوله تعالى: «وَ كَتَبْنٰا لَهُ فِي الْأَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» :الأعراف:۱۴۵ و قوله: «وَ أَلْقَى الْأَلْوٰاحَ» الأعراف:۱۵۰ و قوله: «أَخَذَ الْأَلْوٰاحَ» :الأعراف:۱۵۴.

و فى المجمع،روى عن أبى ذر أنه قال: قلت:يا رسول الله كم الأنبياء؟قال:مائه ألف نبى و أربعه و عشرون ألفا-قلت:يا رسول الله كم المرسلون منهم؟قال:ثلاث مائه و ثلاثه عشر و بقيتهم أنبياء.قلت:كان آدم نبيا؟قال:نعم كلمه الله و خلقه بيده.

يا أبا ذر أربعه من الأنبياء عرب:هود و صالح و شعيب و نبيك.

قلت:يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟قال:مائه و أربعه كتب أنزل منها على آدم عشره صحف،و على شيث خمسين صحيفه،و على أخنوخ و هو إدريس ثلاثين صحيفه-و هو

أول من خط بالقلم و على إبراهيم عشر صحائف-و التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان.

أقول:و روى ذلک فی الدر المنثور،عن عبد بن حمید و ابن مردویه و ابن عساکر عن أبی ذر*غیر أنه لم یذکر صحف آدم-و ذکر لموسى عشر صحف قبل التوراه .

(۸۸) سوره الغاشیه مکیه و هی ست و عشرون آیه(۲۶)

[سوره الغاشیه (۸۸): الآیات ۱ الی ۲۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ اَلْغٰاشِیَهِ (۱) وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ خٰاشِعَهٌ (۲) عٰامِلَهٌ نٰاصِبَهٌ (۳) تَصْلیٰ نٰاراً حٰامِیَهً (۴) تُسْقیٰ مِنْ عَیْنٍ آنِیَهٍ (۵) لَیْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِیعٍ (۶) لاٰ یُسْمِنُ وَ لاٰ یُغْنِی مِنْ جُوعٍ (۷) وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نٰاعِمَهٌ (۸) لِسَعْیِهٰا رٰاضِیَهٌ (۹) فِی جَنَّهٍ عٰالِیَهٍ (۱۰) لاٰ تَسْمَعُ فِیهٰا لاٰغِیَهً (۱۱) فِیهٰا عَیْنٌ جٰارِیَهٌ (۱۲) فِیهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَهٌ (۱۳) وَ أَکْوٰابٌ مَوْضُوعَهٌ (۱۴) وَ نَمٰارِقُ مَصْفُوفَهٌ (۱۵) وَ زَرٰابِیُّ مَبْثُوثَهٌ (۱۶) أَ فَلاٰ یَنْظُرُونَ إِلَى اَلْإِبِلِ کَیْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى اَلسَّمٰاءِ کَیْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى اَلْجِبٰالِ کَیْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَ إِلَى اَلْأَرْضِ کَیْفَ سُطِحَتْ (۲۰) فَذَکِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَکِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَیْهِمْ بِمُصَیْطِرٍ (۲۲) إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ کَفَرَ (۲۳) فَیُعَذِّبُهُ اَللّٰهُ اَلْعَذٰابَ اَلْأَکْبَرَ (۲۴) إِنَّ إِلَیْنٰا إِیٰابَهُمْ (۲۵) ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا حِسٰابَهُمْ (۲۶)

بیان

سوره إنذار و تبشیر تصف الغاشیه و هی یوم القیامه الذی یحیط بالناس تصفه بحال

ص :۲۷۲

الناس فيه من حيث انقسامهم فريقين:السعداء و الأشقياء و استقرارهم فيما أعد لهم من الجنه و النار و تنتهى إلى أمره(ص)أن يذكر الناس بفنون من التدبير الربوبى فى العالم الداله على ربوبيته تعالى لهم و رجوعهم إليه لحساب أعمالهم.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى:« هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ الْغٰاشِیَهِ »استفهام بداعى التفخيم و الإعظام،و المراد بالغاشيه يوم القيامه سميت بذلك لأنها تغشى الناس و تحيط بهم كما قال: «وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» :الكهف:۴۷،أو لأنها تغشى الناس بأهوالها بغته كما قيل،أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب.

قوله تعالى:« وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ خٰاشِعَهٌ »أى مذلله بالغم و العذاب يغشاها،و الخشوع إنما هو لأرباب الوجوه و إنما نسب إلى الوجوه لأن الخشوع و المذله يظهر فيها.

قوله تعالى:« عٰامِلَهٌ نٰاصِبَهٌ » النصب التعب و« عٰامِلَهٌ »خبر بعد خبر لوجوه،و كذا قوله:« نٰاصِبَهٌ »و« تَصْلىٰ »و« تُسْقىٰ »و« لَیْسَ لَهُمْ » و المراد من عملها و نصبها بقرينه مقابلتهما فى صفه أهل الجنه الآتيه بقوله:« لِسَعْیِهٰا رٰاضِیَهٌ »عملها فى الدنيا و نصبها فى الآخره فإن الإنسان إنما يعمل ما يعمل فى الدنيا ليسعد به و يظفر بالمطلوب لكن عملهم خبط باطل لا ينفعهم شيئا كما قال تعالى: «وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً» الفرقان:۲۳ فلا يعود إليهم من عملهم إلا النصب و التعب بخلاف أهل الجنه فإنهم لسعيهم الذى سعوه فى الدنيا راضون لما ساقهم إلى الجنه و الراحه.

و قيل:المراد أنها عامله فى النار ناصبه فيها فهى تعالج أنواع العذاب الذى تعذب به و تتعب لذلك.

و قيل:المراد أنها عامله فى الدنيا بالمعاصى ناصبه فى النار يوم القيامه.

قوله تعالى:« تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِیَهً »أى تلزم نارا فى نهايه الحراره.

قوله تعالى:« تُسْقىٰ مِنْ عَیْنٍ آنِیَهٍ »أى حاره بالغه فى حرارتها.

قوله تعالى:« لَیْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِیعٍ لاٰ یُسْمِنُ وَ لاٰ یُغْنِی مِنْ جُوعٍ »قيل: الضريع نوع من الشوك يقال له:الشبرق و أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس و هو أخبث طعام و أبشعه لا ترعاه دابه،و لعل تسميه ما فى النار به لمجرد المشابهه شكلا و خاصه.

قوله تعالى:« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ »من النعومه فيكون كنايه عن البهجه و السرور الظاهر على البشره كما قال: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ» :المطففين:۲۴،أو من النعمه أى متنعمه.قيل:و لم يعطف على قوله:« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ »إشاره إلى كمال البينونه بين حالى الفريقين.

قوله تعالى:« لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ »اللام للتقويه،و المراد بالسعى سعيها فى الدنيا بالعمل الصالح،و المعنى رضيت سعيها و هو عملها الصالح حيث جوزيت به جزاء حسنا.

قوله تعالى:« فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ -إلى قوله- وَ زَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ »المراد بعلوها ارتفاع درجاتها و شرفها و جلالتها و غزاره عيشها فإن فيها حياه لا موت معها،و لذه لا ألم يشوبها و سرورا لا غم و لا حزن يداخله لهم فيها فوق ما يشاءون.

و قوله:« لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً »أى لا تسمع تلك الوجوه فى الجنه كلمه ساقطه لا فائده فيها.

و قوله:« فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ »المراد بالعين جنسها فقد عد تعالى فيها عيونا فى كلامه كالسلسبيل و الشراب الطهور و غيرهما.

و قوله:« فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ » السرر جمع سرير و فى ارتفاعها جلاله القاعد عليها، « وَ أَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ » الأكواب جمع كوب و هو الإبريق لا خرطوم له و لا عروه يتخذ فيه الشراب« وَ نَمٰارِقُ مَصْفُوفَةٌ » النمارق جمع نمرقه و هى الوساده و كونها مصفوفه وضعها فى المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض على هيئه المجالس الفاخره فى الدنيا « وَ زَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ » الزرابى جمع زربيه مثلثه الزاى و هى البساط الفاخر و بثها بسطها للقعود عليها.

قوله تعالى:« أَ فَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ »بعد ما فرغ من وصف الغاشيه و بيان حال الفريقين،المؤمنين و الكفار عقبه بإشاره إجماليه إلى التدبير الربوبى الذى يفصح عن ربوبيته تعالى المقتضيه لوجوب عبادته و لازم ذلك حساب الأعمال و جزاء المؤمن بإيمانه و الكافر بكفره و الظرف الذى فيه ذلك هو الغاشيه.

و قد دعاهم أولا أن ينظروا إلى الإبل كيف خلقت؟و كيف صور الله سبحانه أرضا عادمه للحياه فاقده للشعور بهذه الصوره العجيبه فى أعضائها و قواها و أفاعيلها فسخرها لهم ينتفعون من ركوبها و حملها و لحمها و ضرعها و جلدها و وبرها حتى بولها و بعرتها فهل هذا كله توافق اتفاقى غير مطلوب بحياله.؟ و تخصيص الإبل بالذكر من جهه أن السوره مكيه و أول من تتلى عليهم الإعراب

و اتخاذ الآبال من أركان عيشتهم.

قوله تعالى:« وَ إِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ »و زينت بالشمس و القمر و سائر النجوم الزواهر بما فيها من المنافع لأهل الأرض و قد جعل دونها الهواء الذى يضطر إليه الحيوان فى تنفسه.

قوله تعالى:« وَ إِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ »و هى أوتاد الأرض المانعه من مورها و مخازن الماء التى تتفجر منها العيون و الأنهار و محافظ للمعادن.

قوله تعالى:« وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ »أى بسطت و سويت فصلحت لسكنى الإنسان و سهل فيها النقل و الانتقال و أغلب التصرفات الصناعيه التى للإنسان.

فهذه تدبيرات كليه مستنده إليه تعالى بلا ريب فيه فهو رب السماء و الأرض ما بينهما فهو رب العالم الإنسانى يجب عليهم أن يتخذوه ربا و يوحدوه و يعبدوه و أمامهم الغاشيه و هو يوم الحساب و الجزاء.

قوله تعالى:« فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ »تفريع على ما تقدم و المعنى إذا كان الله سبحانه هو ربهم لا رب سواه و أمامهم يوم الحساب و الجزاء لمن آمن منهم أو كفر فذكرهم بذلك.

و قوله:« إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ »بيان أن وظيفته-و هو رسول-التذكره رجاء أن يستجيبوا و يؤمنوا من غير إكراه و إلجاء.

قوله تعالى:« لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » المصيطر -و أصله المسيطر-المتسلط،و الجمله بيان و تفسير لقوله:« إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ».

قوله تعالى:« إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ »استثناء من المفعول المحذوف لقوله السابق:« فَذَكِّرْ » و التقدير فذكر الناس إلا من تولى منهم عن التذكره و كفر إذ تذكرته لغو لا فائده فيها، و معلوم أن التولى و الكفر إنما يكون بعد التذكره فالمنفى بالاستثناء هو التذكره بعد التذكره كأنه قيل:ذكرهم و أدم التذكره إلا لمن ذكرته فتولى عنها و كفر،فليس عليك إدامه تذكرته بل أعرض عنه فيعذبه الله العذاب الأكبر.

فقوله:« فَذَكِّرْ -إلى أن قال- إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْأَكْبَرَ »فى معنى قوله: «فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ X-إلى أن قال-X وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِى يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ» :الأعلى:١٢ و قد تقدم بيانه.

و قيل:الاستثناء من ضمير« عَلَيْهِمْ »فى قوله:« لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ »و المعنى لست عليهم بمتسلط إلا على من تولى منهم عن التذكره و أقام على الكفر فسيسلطك الله عليه و يأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله.

و قيل:الاستثناء منقطع و المعنى لست عليهم بمتسلط لكن من تولى و كفر منهم يعذبه الله العذاب الأكبر،و ما قدمناه من الوجه أرجح و أقرب.

قوله تعالى:« فَيُعَذِّبُهُ اللّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ »هو عذاب جهنم فالآيه كما تقدم محاذيه لقوله فى سوره الأعلى« اَلَّذِى يَصْلَى النّارَ الْكُبْرى ».

قوله تعالى:« إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ » الإياب الرجوع و« إِلَيْنا »خبر إن و إنما قدم للتأكيد و لرعايه الفواصل دون الحصر إذ لا قائل برجوع الناس إلى غير الله سبحانه و الآيه فى مقام التعليل للتعذيب المذكور فى الآيه السابقه.

قوله تعالى:« ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ »الكلام فيه كالكلام فى الآيه السابقه.

بحث روائی

فى المجمع،و قال أبو عبد الله(ع): كل ناصب و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الآيه- « عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً ».

أقول:و رواه فى ثواب الأعمال،مسندا و لفظه: كل ناصب و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الغايه« عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً ».

و فيه،عن ابن عباس قال:قال رسول الله ص: الضريع شيء فى النار يشبه الشوك-أمر من الصبر و أنتن من الجيفه-و أشد حرا من النار سماه الله الضريع.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً »قال:الهزل و الكذب.

و فيه،":فى قوله تعالى:« لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ »قال:بحافظ و لا كاتب عليهم.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى شيبه و أحمد و عبد بن حميد و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابن جرير و الحاكم و ابن مردويه و البيهقى فى الأسماء و الصفات عن جابر قال*:

قال رسول الله ص: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا:لا إله إلا الله-فإذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها-و حسابهم على الله ثم قرأ« فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ».

أقول:لا دلاله فی الروایه علی کون الاستثناء من ضمیر« عَلَیْهِمْ »و هو ظاهر.

و فیه،و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰی وَ کَفَرَ » یرید من لم یتعظ و لم یصدقک-و جحد ربوبیتی و کفر نعمتی« فَیُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْأَکْبَرَ »یرید الغلیظ الشدید الدائم« إِنَّ إِلَیْنٰا إِیٰابَهُمْ »یرید مصیرهم« ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا حِسٰابَهُمْ »یرید جزاءهم.

و فی النهج،: و سئل(ع):کیف یحاسب الله الخلق علی کثرتهم؟قال:کما یرزقهم علی کثرتهم.قیل:فکیف یحاسبهم و لا یرونه؟قال:کما یرزقهم و لا یرونه.

و فیه،قال الصادق(ع): کل أمه یحاسبها إمام زمانها،و یعرف الأئمه أولیاءهم و أعداءهم بسیماهم و هو قوله:« وَ عَلَی الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیمٰاهُمْ »الحدیث.

أقول:قد تقدم توضیح معنی الحدیث فی تفسیر الآیه من سوره الأعراف،و روی هذا المعنی فی البصائر،عن الصادق(ع)مسندا و فی الکافی،عن الباقر و الکاظم(ع) و فی الفقیه،عن الهادی(ع)فی الزیاره الجامعه.

(۸۹) سوره الفجر مکیه و هی ثلاثون آیه(۳۰)

[سوره الفجر (۸۹): الآیات ۱ الی ۳۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلْفَجْرِ (۱) وَ لَیٰالٍ عَشْرٍ (۲) وَ اَلشَّفْعِ وَ اَلْوَتْرِ (۳) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَسْرِ (۴) هَلْ فِی ذٰلِکَ قَسَمٌ لِذِی حِجْرٍ (۵) أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعٰادٍ (۶) إِرَمَ ذٰاتِ اَلْعِمٰادِ (۷) اَلَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِی اَلْبِلاٰدِ (۸) وَ ثَمُودَ اَلَّذِینَ جٰابُوا اَلصَّخْرَ بِالْوٰادِ (۹) وَ فِرْعَوْنَ ذِی اَلْأَوْتٰادِ (۱۰) اَلَّذِینَ طَغَوْا فِی اَلْبِلاٰدِ (۱۱) فَأَکْثَرُوا فِیهَا اَلْفَسٰادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذٰابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ (۱۴) فَأَمَّا اَلْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَکْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَیَقُولُ رَبِّی أَکْرَمَنِ (۱۵) وَ أَمّٰا إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ فَیَقُولُ رَبِّی أَهٰانَنِ (۱۶) کَلاّٰ بَلْ لاٰ تُکْرِمُونَ اَلْیَتِیمَ (۱۷) وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلیٰ طَعٰامِ اَلْمِسْکِینِ (۱۸) وَ تَأْکُلُونَ اَلتُّرٰاثَ أَکْلاً لَمًّا (۱۹) وَ تُحِبُّونَ اَلْمٰالَ حُبًّا جَمًّا (۲۰) کَلاّٰ إِذٰا دُکَّتِ اَلْأَرْضُ دَکًّا دَکًّا (۲۱) وَ جٰاءَ رَبُّکَ وَ اَلْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا (۲۲) وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ یَتَذَکَّرُ اَلْإِنْسٰانُ وَ أَنّٰی لَهُ اَلذِّکْریٰ (۲۳) یَقُولُ یٰا لَیْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَیٰاتِی (۲۴) فَیَوْمَئِذٍ لاٰ یُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ (۲۵) وَ لاٰ یُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ (۲۶) یٰا أَیَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ (۲۷) اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۲۸) فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی (۲۹) وَ اُدْخُلِی جَنَّتِی (۳۰)

بيان

فى السوره ذم التعلق بالدنيا المتعقب للطغيان و الكفران و إيعاد أهله بأشد عذاب الله فى الدنيا و الآخره فتبين أن الإنسان لقصور نظره و سوء فكره يرى أن ما آتاه الله من نعمه من كرامته على الله و أن ما يتلبس به من الفقر و العدم من هوانه فيطغى و يفسد فى الأرض إذا وجد و يكفر إذا فقد و قد اشتبه عليه الأمر فما يصيبه من القدره و الثروه و من الفقر و ضيق المعاش امتحان و ابتلاء إلهى ليظهر به ما ذا يقدم من دنياه لأخراه.

فليس الأمر على ما يتوهمه الإنسان و يقوله بل الأمر كما سيتذكره إذا وقع الحساب و حضر العذاب أن ما أصابه من فقر أو غنى أو قوه أو ضعف كان امتحانا إلهيا و كان يمكنه أن يقدم من يومه لغده فلم يفعل و آثر العقاب على الثواب فليس ينال الحياه السعيده فى الآخره إلا النفس المطمئنه إلى ربها المسلمه لأمره التى لا تتزلزل بعواصف الابتلاءات و لا يطغيه الوجدان و لا يكفره الفقدان.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى:« وَ الْفَجْرِ وَ لَيالٍ عَشْرٍ وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ هَلْ فِی ذلِکَ قَسَمٌ

ص :۲۷۸

لِذِی حِجْرٍ

» الفجر الصبح و الشفع الزوج،قال الراغب:الشفع ضم الشیء إلی مثله و یقال للمشفوع شفع.انتهی.و سری اللیل مضیه و إدباره،و الحجر العقل فقوله:« وَ الْفَجْرِ » إقسام بالصبح و کذا الحال فیما عطف علیه من لیال و الشفع و الوتر و اللیل.

و لعل ظاهر قوله:« وَ الْفَجْرِ »أن المراد به مطلق الفجر و لا یبعد أیضا أن یراد به فجر یوم النحر و هو عاشر ذی الحجه.

و قیل:المراد فجر ذی الحجه،و قیل:فجر المحرم أول السنه و قیل:فجر یوم الجمعه،و قیل فجر لیله جمع،و قیل:المراد به صلاه الفجر،و قیل:النهار کله و قیل:

فجر العیون من الصخور و غیرها و هی وجوه ردیه.

و قوله:« وَ لَیٰالٍ عَشْرٍ »لعل المراد بها اللیالی العشر من أول ذی الحجه إلی عاشرها و التنکیر للتفخیم.

و قیل:المراد بها اللیالی العشر من آخر شهر رمضان،و قیل:اللیالی العشر من أوله،و قیل اللیالی العشر من أول المحرم،و قیل:المراد عباده لیال عشر علی تقدیر أن یراد بالفجر صلاه الفجر.

و قوله« وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ »یقبل الانطباق علی یوم الترویه و یوم عرفه و هو الأنسب علی تقدیر أن یراد بالفجر و لیال عشر فجر ذی الحجه و العشر الأول من لیالیها.

و قیل:المراد صلاتا الشفع و الوتر فی آخر اللیل،و قیل:مطلق الصلاه فمنها شفع و منها وتر،و قیل:الشفع یوم النحر و الوتر یوم عرفه،و قیل:الشفع جمیع الخلق لأنه قال: «وَ خَلَقْنٰاکُمْ أَزْوٰاجاً» :النبأ:۸ و الوتر هو الله تعالی،و علی هذه الأقوال روایات ستوافیک فی البحث الروائی الآتی إن شاء الله.

و قیل:المراد الزوج و الفرد من العدد،و فی الإقسام بهما تذکیر بالعدد لما فی ضبط المقادیر به من عظیم النعمه من الله سبحانه،و قیل:الشفع و الوتر جمیع المخلوقات لأن الأشیاء إما زوج و إما فرد،و قیل:الوتر آدم شفع بزوجته،و قیل:الشفع الأیام و اللیالی و الوتر الیوم الذی لا لیل بعده و هو یوم القیامه،و قیل:الشفع الصفا و المروه و الوتر البیت الحرام،و قیل:الشفع أیام عاد و الوتر لیالیها،و قیل:الشفع أبواب الجنه و هی ثمانیه و الوتر أبواب جهنم و هی سبعه إلی غیر ذلک و هی کثیره أنهاها بعضهم إلی سته و ثلاثین قولا و لا یخلو أکثرها من تحکم.

و قوله:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ »أی یمضی فهو کقوله: «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» :المدثر:۳۳ و ظاهره أن اللام للجنس فالمراد به مطلق آخر اللیل،و قیل:المراد به لیله المزدلفه و هی لیله النحر التی یسری فیها الحاج من عرفات إلی المزدلفه فیجتمع فیها علی طاعه الله ثم یغدوا منها إلی منی و هو کما تری و خاصه علی القول بکون المراد بلیال عشر هو اللیالی العشر الأوائل منها.

و قوله:« هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ »الإشاره بذلک إلی ما تقدم من القسم، و الاستفهام للتقریر،و المعنی أن فی ذلک الذی قدمناه قسما کافیا لمن له عقل یفقه به القول و یمیز الحق من الباطل،و إذا أقسم الله سبحانه بأمر-و لا یقسم إلا بما له شرف و منزله-کان من القول الحق المؤکد الذی لا ریب فی صدقه.

و جواب الأقسام المذکوره محذوف یدل علیه ما سیذکر من عذاب أهل الطغیان و الکفران فی الدنیا و الآخره و ثواب النفوس المطمئنه،و أن إنعامه تعالی علی من أنعم علیه و إمساکه عنه فیمن أمسک إنما هو ابتلاء و امتحان.

و حذف الجواب و الإشاره إلیه علی طریق التکنیه أوقع و آکد فی باب الإنذار و التبشیر.

قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ »هم عاد الأولی قوم هود تکررت قصتهم فی القرآن الکریم و أشیر إلی أنهم کانوا بالأحقاف،و قد قدمنا ما یتحصل من قصصهم فی القرآن الکریم فی تفسیر سوره هود.

قوله تعالی:« إِرَمَ ذٰاتِ الْعِمٰادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِي الْبِلاٰدِ » العماد و جمعه عمد ما یعتمد علیه الأبنیه، و ظاهر الآیتین أن إرم کانت مدینه لهم معموره عدیمه النظیر ذات قصور عالیه و عمد ممدده،و قد انقطعت أخبار القوم عهدهم و انمحت آثارهم،فلا سبیل إلی الحصول علی تفصیل حالهم تطمئن إلیها النفس إلا ما قصه القرآن الکریم من إجمال قصتهم أنهم کانوا بعد قوم نوح قاطنین بالأحقاف و کانوا ذوی بسطه فی الخلق أولی قوه و بطش شدید،و کان لهم تقدم و رقی فی المدنیه و الحضاره لهم بلاد عامره و أراض خصبه ذات جنات و نخیل و زروع و مقام کریم و قد تقدمت القصه.

و قیل:المراد بإرم قوم عاد-و هو فی الأصل اسم أبیهم سموا باسم أبیهم کما یقال:

قریش و یراد به القرشیون و یطلق إسرائیل و یراد به بنو إسرائیل-و المراد بکونهم

ذات عماد كونهم أولى قوه و سطوه.

و المعنى:أ لم تر كيف فعل ربك بقوم عاد الـذين هم قوم إرم ذوو القوه و الشده الذين لم يخلق مثلهم فى بسـطه الجسم و القوه و البطش فى البلاد أو فى أقطار الأرض و لا يخلو من بعد من ظاهر اللفظ.

و أبعد منه ما قيل:إن المراد بكونهم ذات العماد أنهم كانوا أهل عمد سياره فى الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم.

و من الأساطير قصه جنه إرم المشهوره المرويه عن وهب بن منبه و كعب الأحبار.

قوله تعـالى:« وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جٰابُوا الصَّخْرَ بِالْوٰادِ » الجوب القطع أى قطعوا صـخر الجبال بنحتها بيوتا فهو فى معنى قوله: «وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبٰالِ بُيُوتاً» :الشعراء:۱۴۹.

قوله تعالى:« وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتٰادِ »هو فرعون موسى،و سـمى ذا الأوتاد- على ما فى بعض الروايات-لأنه كان إذا أراد أن يعـذب رجلا بسـطه على الأرض و وتد يديه و رجليه بأربعه أوتاد فى الأرض و ربما بسـطه على خشب و فعل به ذلك،و يؤيده ما حكاه الله من قوله يهدد السـحره إذ آمنوا بموسـى: «وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» طه:۷۱ فإنهم كانوا يوتدون يدى المصـلوب و رجليه على خشبه الصليب.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاٰدِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسٰادَ »صفه للمذكورين من عاد و ثمود و فرعون،و المعنى ظاهر.

قـوله تعـالى:« فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ »صب المـاء معروف و صب سوط العـذاب كنـايه عن التعـذيب المتتـابع المتواتر الشديد،و تنكير عذاب للتفخيم.

و المعنى فـأنزل ربك على كل من هؤلاء الطاغين المكثرين للفساد إثر طغيانهم و إكثارهم الفساد عـذابا شديـدا متتابعا متواليا لا يوصف.

قوله تعالى:« إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ » المرصاد المكان الذى يرصد منه و يرقب و كونه تعالى على المرصاد اسـتعاره تمثيليه شبه فيها حفظه تعـالى لأعمـال عبـاده بمن يقعـد على المرصاد يرقب من يراد رقوبه فيأخـذه حين يمر به و هو لا يشـعر فالله سـبحانه رقيب يرقب أعمال عباده حتى إذا طغوا و أكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب.

و فى الآـيه تعليل ما تقـدم من حـديث تعـذيب الطغاه المكثرين للفساد من الماضـين و فى قوله:« رَبَّكَ »بإضافه الرب إلى ضـمير الخطاب تلويح إلى أن سنه العذاب جاريه فى أمته

(ص)على ما جرت عليه فى الأمم الماضين.

قوله تعالى:« فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ » متفرع على ما قبله،فيه تفصيل حال الإنسان إذا أوتى من نعم الدنيا أو حرم كأنه قيل:

إن الإنسان تحت رقوب إلهى يرصده ربه هل يصلح أو يفسد؟و يبتليه و يمتحنه فيما آتاه من نعمه أو حرمه هذا هو الأمر فى نفسه و أما الإنسان فإنه إذا أنعم الله عليه بنعمه حسب أن ذلك إكرام إلهى له أن يفعل بها ما يشاء فيطغى و يكثر الفساد،و إذا أمسك و قدر عليه رزقه حسب أنه إهانه إلهيه فيكفر و يجزع.

فقوله:« فَأَمَّا الْإِنْسانُ »المراد به النوع بحسب الطبع الأولى فاللام للجنس دون الاستغراق.

و قوله:« إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ »أى امتحنه و اختبره،و العامل فى الظرف محذوف تقديره كائنا إذا«إلخ»و قيل:العامل فيه« فَيَقُولُ ».

و قوله:« فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ »تفسير للابتلاء،و المراد بالإكرام و التنعيم الصوريان و إن شئت فقل:الإكرام و التنعيم حدوثا لا بقاء أى أنه تعالى أكرمه و آتاه النعمه ليشكره و يعبده لكنه جعلها نقمه على نفسه تستتبع العذاب.

و قوله:« فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ »أى جعلنى على كرامه منه بالنعم التى آتانيها و إن شئت فقل:القدره و الجده الموهوبتان إكرام و تنعيم حدوثا و بقاء فلى أن أفعل ما أشاء.

و الجمله أعنى قوله:« فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ »حكايه ما يراه الإنسان بحسب الطبع،و قول الإنسان:

« رَبِّى أَكْرَمَنِ »الظاهر فى نسبه التدبير إلى الله سبحانه-و لا يقول به الوثنيه و المنكرون للصانع-مبنى على اعترافه بحسب الفطره به تعالى و إن استنكف عنه لسانا،و أيضا لرعايه المقابله مع قوله:« إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ ».

قوله تعالى:« وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهانَنِ »أى و أما إذا ما امتحنه و اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربى أذلنى و استخف بى.

و يظهر من مجموع الآيتين أولا-حيث كرر الابتلاء و أثبته فى صورتى التنعيم و الإمساك عنه أن إيتاء النعم و الإمساك عنه جميعا من الابتلاء و الامتحان الإلهى كما قال: «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» :الأنبياء:۳۵ لا كما يراه الإنسان.

و ثانيا أن إيتاء النعم بما أنه فضل و رحمه إكرام إن لم يبدلها الإنسان نقما على نفسه.

و ثالثا أن الآيتين معا تفيدان أن الإنسان يرى سعادته فى الحياه هى التنعم فى الدنيا بنعم الله تعالى و هو الكرامه عنده و الحرمان منه شقاء عنده و الحال أن الكرامه هى فى التقرب إليه تعالى بالإيمان و العمل الصالح سواء فى ذلك الغنى و الفقر و أى وجدان و فقدان فإنما ذلك بلاء و امتحان.

و لهم فى معنى الآيتين وجوه أخر تركنا التعرض لها لقله الجدوى.

قوله تعالى:« كَلاّٰ بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ »ردع لقولهم:

إن الكرامه هى فى الغنى و التنعم،و فى الفقر و الفقدان هوان و مذله،و المعنى ليس كما تقولون و إنما إيتاؤه تعالى النعمه و إمساكه عنه كل ذلك ابتلاء و امتحان يختبر به حال الإنسان من حيث عبوديته.

و فى قوله:« بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ »إلخ إضراب يؤكد الردع بذكر بعض التنعم الذى لا يجامع الكرامه البته كعدم إكرامهم اليتيم بأكل تراثه و منعه منه و عدم التحريض على إطعام المسكين حبا للمال فالفطره الإنسانيه لا يرتاب فى أن لا كرامه فى غنى هذا شأنه.

و فى الإضراب مضافا إلى أصل الردع تقريع و لتشديد هذا التقريع وقع الالتفات من الغيبه إلى الخطاب.

فقوله:« بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ »عدم إكرامه حرمانه من تراث أبيه-كما كانوا يحرمون صغار الأولاد من الإرث-و تركه صفر الكف بلغ به الجهد ما بلغ كما تؤيده الآيه التاليه« وَ تَأْكُلُونَ التُّرٰاثَ »إلخ.

و قوله:« وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ »أصله و لا تتحاضون،و هو تحريض بعضهم بعضا على التصدق على المساكين المعدمين،و منشؤه حب المال كما فى الآيه الآتيه « وَ تُحِبُّونَ الْمٰالَ »إلخ.

قوله تعالى:« وَ تَأْكُلُونَ التُّرٰاثَ أَكْلاً لَمًّا » اللم أكل الإنسان نصيب نفسه و غيره و أكله ما يجده من دون أن يميز الطيب من الخبيث،و الآيه تفسير لعدم إكرامهم اليتيم كما تقدم.

قوله تعالى:« وَ تُحِبُّونَ الْمٰالَ حُبًّا جَمًّا » الجم الكثير العظيم،و الآيه تفسر عدم تحاضهم على طعام المسكين كما تقدم.

قوله تعالى:« كَلاّٰ إِذٰا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا » الدك هو الدق الشديد،و المراد بالظرف حضور يوم القيامه.

ص :٢٨٣

ردع ثان عما يقوله الإنسان فی حالی الغنی و الفقر،و قوله:« إِذٰا دُكَّتِ الْأَرْضُ »إلخ فی مقام التعليل للردع،و محصل المعنى ليس كما يقوله الإنسان فإنه سيتذكر إذا قامت القيامه إن الحياه الدنيا و ما فيها من الغنى و الفقر و أضرابهما لم تكن مقصوده بالذات بل كانت ابتلاء و امتحانا من الله تعالى يميز به السعيد من الشقی و يهيئ الإنسان فيها ما يعيش به فی الآخره و قد التبس عليه الأمر فحسبها كرامه مقصوده بالذات فاشتغل بها و لم يقدم لحياته الآخره شيئا فيتمنى عند ذلک و يقول:يا ليتنی قدمت لحياتی و لن يصرف التمنی عنه شيئا من العذاب.

قوله تعالى:« وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا »نسبه المجیء إليه تعالى من المتشابه الذی يحكمه قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» :الشورى:١١ و ما ورد فی آيات القيامه من خواص اليوم كتقطع الأسباب و ارتفاع الحجب عنهم و ظهور أن الله هو الحق المبين.

و إلى ذلک يرجع ما ورد فی الروايات أن المراد بمجيئه تعالى مجیء أمره قال تعالى:

«وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ» :الانفطار:١٩،و يؤيد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمٰامِ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ» :البقره:٢١٠ إذا انضم إلى قوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ» :النحل:٣٣ و عليه فهناک مضاف محذوف و التقدير جاء أمر ربک أو نسبه المجیء إليه تعالى من المجاز العقلی.

و الكلام فی نسبه المجیء إلى الملائكه و كونهم صفا صفا كما مر.

قوله تعالى:« وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ »إلى آخر الآيه لا يبعد أن يكون المراد بالمجیء بجهنم إبرازها لهم كما فی قوله تعالى: «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ» :النازعات:٣٦ و قوله:

«وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ» :الشعراء:٩١،و قوله: «لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» :ق:٢٢.

و قوله:« يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ »أی يتذكر أجلى التذكر أن ما كان يؤتاه فی الحياه الدنيا من خير أو شر كان من ابتلاء الله و امتحانه و أنه قصر فی أمره،هذا ما يفيده السياق.

و قوله:« وَ أَنّٰى لَهُ الذِّكْرىٰ »أی و من أين له الذكرى كنايه عن عدم انتفاعه بها فإن الذكرى إنما تنفع فيما أمكنه أن يتدارک ما فرط فيه بتوبه و عمل صالح و اليوم يوم الجزاء لا يوم الرجوع و العمل.

قوله تعالى:« يَقُولُ يٰا لَيْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَيٰاتِی »أی لحياتی هذه و هی الحياه الآخره أو المراد الحياه الحقيقيه و هی الحياه الآخره على ما نبه تعالى عليه بقوله: «وَ مٰا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا

إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ» :العنکبوت:۶۴.

و المراد بالتقدیم للحیاه تقدیم العمل الصالح للحیاه الآخره و ما فی الآیه تمن یتمناه الإنسان عند ما یتذکر یوم القیامه و یشاهد أنه لا ینفعه.

قوله تعالی:« فَیَوْمَئِذٍ لا یُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ وَ لا یُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ »ضمیرا عذابه و وثاقه لله تعالی و المعنی فیومئذ لا یعذب عذاب الله أحد من الخلق و لا یوثق وثاق الله أحد من الخلق أی إن عذابه و وثاقه تعالی یومئذ فوق عذاب الخلق و وثاقهم،تشدید فی الوعید.

و قرئ« لا یُعَذِّبُ »بفتح الذال و« وَ لا یُوثِقُ »بفتح الثاء بالبناء للمفعول و ضمیرا عذابه و وثاقه علی هذا للإنسان و المعنی لا یعذب أحد یومئذ مثل عذاب الإنسان و لا یوثق أحد یومئذ مثل وثاقه.

قوله تعالی:« یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ »الذی یعطیه سیاق المقابله بین هذه النفس بما ذکر لها من الأوصاف و عین لها من حسن المنقلب و بین الإنسان المذکور قبل بما ذکر له من وصف التعلق بالدنیا و الطغیان و الفساد و الکفران،و ما أوعد من سوء المصیر هو أن النفس المطمئنه هی التی تسکن إلی ربها و ترضی بما رضی به فتری نفسها عبدا لا یملک لنفسه شیئا من خیر أو شر أو نفع أو ضر و یری الدنیا دار مجاز و ما یستقبله فیها من غنی أو فقر أو أی نفع و ضر ابتلاء و امتحانا إلهیا فلا یدعوه تواتر النعم علیه إلی الطغیان و إکثار الفساد و العلو و الاستکبار،و لا یوقعه الفقر و الفقدان فی الکفر و ترک الشکر بل هو فی مستقر من العبودیه لا ینحرف عن مستقیم صراطه بإفراط أو تفریط.

قوله تعالی:« اِرْجِعِی إِلی رَبِّکِ راضِیَهً مَرْضِیَّهً »خطاب ظرفه جمیع یوم القیامه من لدن إحیائها إلی استقرارها فی الجنه بل من حین نزول الموت إلی دخول جنه الخلد و لیس خطابا واقعا بعد الحساب کما ذکره بعضهم.

و توصیفها بالراضیه لأن اطمئنانها إلی ربها یستلزم رضاها بما قدر و قضی تکوینا أو حکم به تشریعا فلا تسخطها سانحه و لا تزیغها معصیه،و إذا رضی العبد من ربه رضی الرب منه إذ لا یسخطه تعالی إلا خروج العبد من زی العبودیه فإذا لزم طریق العبودیه استوجب ذلک رضی ربه و لذا عقب قوله« راضِیَهً »بقوله« مَرْضِیَّهً ».

قوله تعالی:« فَادْخُلِی فِی عِبادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی »تفریع علی قوله« اِرْجِعِی إِلی رَبِّکِ » و فیه دلاله علی أن صاحب النفس المطمئنه فی زمره عباد الله حائز مقام العبودیه.

و ذلک أنه لما اطمأن إلی ربه انقطع عن دعوی الاستقلال و رضی بما هو الحق من ربه فرأی ذاته و صفاته و أفعاله ملکا طلقا لربه فلم یرد فیما قدر و قضی و لا فیما أمر و نهی إلا ما أراده ربه،و هذا ظهور العبودیه التامه فی العبد ففی قوله:« فَادْخُلِي فِي عِبَادِي » تقریر لمقام عبودیتها.

و فی قوله:« وَ ادْخُلِي جَنَّتِي »تعیین لمستقرها،و فی إضافه الجنه إلی ضمیر التکلم تشریف خاص،و لا یوجد فی کلامه تعالی إضافه الجنه إلی نفسه تعالی و تقدس إلا فی هذه الآیه.

بحث روائی

فی المجمع،: فی قوله تعالی:« وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ »،و قیل:الشفع الخلق لأنه قال:

« وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً »و الوتر الله تعالی:،عن عطیه العوفی و أبی صالح و ابن عباس و مجاهد و هی روایه أبی سعید الخدری عن النبی ص ،و قیل:

الشفع و الوتر الصلاه منها شفع و منها وتر: و هی روایه عن ابن حصین عن النبی ص ،و قیل:

الشفع یوم النحر و الوتر یوم عرفه:عن ابن عباس و عکرمه و الضحاک، و هی روایه جابر عن النبی ص و الوجه فیه أن یوم النحر یشفع بیوم نفر بعده و یتفرد یوم عرفه بالموقف،و قیل:

الشفع یوم الترویه و الوتر یوم عرفه: و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

أقول:الروایات الثلاث المشار إلیها مرویه عن النبی ص من طرق أهل السنه و یمکن الجمع بینها بأن المراد مطلق الشفع و الوتر و الروایات من قبیل الإشاره إلی بعض المصادیق.

و فی تفسیر القمی،":« وَ لَيَالٍ عَشْرٍ »قال:عشر ذی الحجه« وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ »قال:

الشفع رکعتان و الوتر رکعه،

و فی حدیث: الشفع الحسن و الحسین-و الوتر أمیر المؤمنین(ع)« وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ »قال:هی لیله جمع.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله:« لِذِي حِجْرٍ »یقول:لذی عقل.

و فی العلل،بإسناده إلی أبان الأحمر قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:« وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ »لأی شیء سمی ذا الأوتاد؟فقال:لأنه کان إذا عذب رجلا-بسطه علی الأرض علی وجهه و مد یدیه و رجلیه-فأوتدها بأربعه أوتاد فی الأرض.

و ربما بسطه علی خشب منبسط-فوتد رجلیه و یدیه بأربعه أوتاد-ثم ترکه علی حاله حتی یموت-فسماه الله عز و جل فرعون ذا الأوتاد.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ »و

روی عن علی(ع)أنه قال:

إن معناه إن ربک قادر أن یجزی أهل المعاصی جزاءهم.

أقول:بناء الروایه علی أخذ الجمله استعاره تمثیلیه.

و فیه،عن الصادق(ع)أنه قال: المرصاد قنطره علی الصراط لا یجوزها عبد بمظلمه عبد.

و عن الغوالی،عن الصادق(ع)فی حدیث *فی تفسیر قوله تعالی:« وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً-فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ »إنما ظن بمعنی استیقن إن الله تعالی لن یضیق علیه رزقه-أ لا تسمع قول الله تعالی:« وَ أَمّٰا إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ »أی ضیق علیه.

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله:« کَلاّٰ إِذٰا دُکَّتِ الْأَرْضُ دَکًّا دَکًّا »قال:هی الزلزله.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن علی بن أبی طالب قال*:قال رسول الله ص:

هل تدرون ما تفسیر هذه الآیه« کَلاّٰ إِذٰا دُکَّتِ الْأَرْضُ -إلی قوله- وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ » قال:إذا کان یوم القیامه تقاد جهنم بسبعین ألف زمام-بید سبعین ألف ملک فتشرد شرده- لو لا أن الله حبسها لأحرقت السماوات و الأرض:.

أقول:و هو مروی أیضا عن أبی سعید و ابن مسعود و من طرق الشیعه فی أمالی الشیخ،بإسناده عن داود بن سلیمان عن الرضا عن آبائه عن علی(ع)عن النبی ص .

و فی العیون،فی باب ما جاء عن الرضا من أخبار التوحید بإسناده عن علی بن فضال عن أبیه قال*: سألت الرضا(ع)عن قول الله عز و جل: « وَ جٰاءَ رَبُّکَ وَ الْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا » فقال:إن الله سبحانه لا یوصف بالمجیء و الذهاب-تعالی عن الانتقال إنما یعنی بذلک و جاء أمر ربک.

و فی الکافی،بإسناده عن سدیر الصیرفی قال*: قلت لأبی عبد الله(ع):جعلت فداک یا ابن رسول الله-هل یکره المؤمن علی قبض روحه؟قال:لا و الله إنه إذا أتاه ملک الموت لیقبض روحه-جزع عند ذلک فیقول ملک الموت:یا ولی الله لا تجزع فوالذی بعث محمدا لأنی أبر بک-و أشفق علیک من والد رحیم لو حضرک،افتح عینیک فانظر.

قال:و یمثل له رسول الله ص و أمیر المؤمنین-و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه من

ذریتهم(ع)-فیقال له:هذا رسول الله و أمیر المؤمنین-و فاطمه و الحسن و الحسین- و الأئمه(ع)رفقاؤک.

قال:فیفتح عینیه فینظر-فینادی روحه مناد من قبل رب العزه-فیقول:یا أیتها النفس المطمئنه إلی محمد و أهل بیته-ارجعی إلی ربک راضیه بالولایه مرضیه بالثواب-فادخلی فی عبادی یعنی محمدا و أهل بیته-و ادخلی جنتی-فما من شیء أحب إلیه من استلال روحه و اللحوق بالمنادی.

أقول:و روی هذا المعنی القمی فی تفسیره و البرقی فی المحاسن،.

(۹۰) سوره البلد مکیه و هی عشرون آیه(۲۰)

[سوره البلد (۹۰): الآیات ۱ الی ۲۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (۱) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (۲) وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِی کَبَدٍ (۴) أَ یَحْسَبُ أَنْ لَنْ یَقْدِرَ عَلَیْهِ أَحَدٌ (۵) یَقُولُ أَهْلَکْتُ مٰالاً لُبَداً (۶) أَ یَحْسَبُ أَنْ لَمْ یَرَهُ أَحَدٌ (۷) أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ (۸) وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَیْنِ (۹) وَ هَدَیْنٰاهُ اَلنَّجْدَیْنِ (۱۰) فَلاَ اقْتَحَمَ اَلْعَقَبَهَ (۱۱) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْعَقَبَهُ (۱۲) فَکُّ رَقَبَهٍ (۱۳) أَوْ إِطْعٰامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَهٍ (۱۴) یَتِیماً ذٰا مَقْرَبَهٍ (۱۵) أَوْ مِسْکِیناً ذٰا مَتْرَبَهٍ (۱۶) ثُمَّ کٰانَ مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَهِ (۱۷) أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ (۱۸) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِنٰا هُمْ أَصْحٰابُ اَلْمَشْأَمَهِ (۱۹) عَلَیْهِمْ نٰارٌ مُؤْصَدَهٌ (۲۰)

بيان

تذكر السوره أن خلقه الإنسان مبنيه على التعب و المشقه فلا تجد شأنا من شئون الحياه إلا مقرونا بمراره الكد و التعب من حين يلج فی جثمانه الروح إلى أن يموت فلا راحه له عاريه من التعب و المشقه و لا سعاده له خالصه من الشقاء و المشأمه إلا فی الدار الآخره عند الله.

فليتحمل ثقل التكاليف الإلهيه بالصبر على الطاعه و عن المعصيه و ليجد فی نشر الرحمه على المبتلين بنوائب الدهر كاليتم و الفقر و المرض و أضرابها حتى يكون من أصحاب الميمنه و إلا فآخرته كأولاه و هو من أصحاب المشأمه عليهم نار مؤصده.

و سياق آيات السوره،يشبه السياق المكی فيؤيد به كون السوره مكيه و قد ادعى بعضهم عليه الإجماع،و قيل:السوره مدنيه و السياق لا يساعد عليه،و قيل:مدنيه إلا أربع آيات من أولها و سيأتی فی البحث الروائی التالی إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى:« لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ »ذكروا أن المراد بهذا البلد مكه و تؤيده مكيه سياق السوره و قوله:« وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدَ »خاصه بناء على كون المراد بوالد هو إبراهيم (ع)على ما سيجیء.

قوله تعالى:« وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ »حال من هذا البلد،و وضع الظاهر موضع الضمير فی قوله:« بِهَذَا الْبَلَدِ »للدلاله على عظم شأنه و الاعتناء بأمره و هو البلد الحرام، و الحل مصدر كالحلول بمعنى الإقامه و الاستقرار فی مكان و المصدر بمعنى الفاعل.

و المعنى أقسم بهذا البلد و الحال أنك حال به مقيم فيه و فی ذلك تنبيه على تشرف مكه بحلوله(ص)فيها و كونها مولده و مقامه.

و قيل:الجمله معترضه بين القسم و المقسم به و المراد بالحل المستحل الذی لا حرمه له قال فی الكشاف،:و اعترض بين القسم و المقسم عليه بقوله:« وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ » يعنی و من المكابده أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فی غير الحرم-عن شرحبيل-يحرمون أن يقتلوا بها صيدا و يعضدوا (1)بها شجره و يستحلون إخراجك و قتلك،و فيه تثبيت من رسول الله ص و بعث على

١- ١) عضد الشجره:قطعها و نثر ورقها للإبل.و شرحبيل راوی الحديث.

احتمال ما كان يكابد من أهل مكه و تعجيب من حالهم فى عداوته انتهى.

ثم قال:أو سلى رسول الله ص بالقسم ببلده أن الإنسان لا يخلو من مقاساه الشدائد و اعترض بأن وعده فتح مكه تتميما للتسليه و التنفيس عنه فقال:« وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ »يعنى و أنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل و الأسر إلى آخر ما قال،و محصله تفسير الحل بمعنى المحل ضد المحرم،و المعنى و سنحل لك يوم فتح مكه حينا فنقاتل و تقتل فيه من شئت.

قوله تعالى:« وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ »لزوم نوع من التناسب و الارتباط بين القسم و المقسم عليه يستدعى أن يكون المراد بوالد و ما ولد من بينه و بين البلد المقسم به نسبه ظاهره و ينطبق على إبراهيم و ولده إسماعيل(ع)و هما السببان الأصليان لبناء بلده مكه و البانيان للبيت الحرام قال تعالى: «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰاهِيمُ الْقَوٰاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمٰاعِيلُ» :البقره:۱۲۷ و إبراهيم(ع)هو الذى سأل الله أن يجعل مكه بلدا آمنا قال تعالى:

«وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِناً» :إبراهيم:۳۵.و تنكير« وٰالِدٍ »للتعظيم و التفخيم،و التعبير بقوله« وَ مٰا وَلَدَ »دون أن يقال:و من ولد،للدلاله على التعجيب من أمره مدحا كما فى قوله: «وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ» :آل عمران:۳۶.

و المعنى و أقسم بوالد عظيم الشأن هو إبراهيم و ما ولد من ولد عجيب أمره مبارك أثره و هو إسماعيل ابنه و هما البانيان لهذا البلد فمفاد الآيات الثلاث الإقسام بمكه المشرفه و بالنبى ص الذى هو حل فيها و بإبراهيم و إسماعيل اللذين بنياها.

و قيل:المراد بالوالد إبراهيم و بما ولد جميع أولاده من العرب.

و فيه أن من البعيد أن يقارن الله سبحانه بين النبى ص و إبراهيم(ع)و بين أمثال أبى لهب و أبى جهل و غيرهم من أئمه الكفر فيقسم بهم جميعا فى سياق،و قد تبرأ إبراهيم(ع)ممن لم يتبعه من بنيه على التوحيد إذ قال فيما حكاه الله: «وَ اجْنُبْنِى وَ بَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنٰامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النّٰاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصٰانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» :إبراهيم:۳۶.

فعلى من يفسر ما ولد بأولاد إبراهيم أن يخصهم بالمسلمين من ذريته كما فى دعاء إبراهيم و إسماعيل عند بنائهما الكعبه على ما حكاه الله: «رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنٰا مَنٰاسِكَنٰا وَ تُبْ عَلَيْنٰا» :البقره:۱۲۸.

و قیل:المراد بوالد و ما ولد،آدم(ع)و ذریته جمیعا بتقریب أن المقسم علیه بهذه الأقسام خلق الإنسان فی کبد و قد سن الله فی خلق هذا النوع و إبقاء وجوده سنه الولاده فقد أقسم فی هذه الآیات بمحصول هذه السنه و هو الوالد و ما ولد علی أن الإنسان فی کد و تعب بحسب نوع خلقته من حین یحیی إلی حین یموت.

و هذا الوجه فی نفسه لا بأس به لکن یبقی علیه بیان المناسبه بین بلده مکه و بین والد و کل مولود فی الجمع بینهما فی الأقسام.

و قیل:المراد بهما آدم و الصالحون من ذریته،و کان الوجه فیه تنزیهه تعالی من أن یقسم بأعدائه الطغاه و المفسدین من الکفار و الفساق.

و قیل:المراد بهما کل والد و کل مولود و قیل:من یلد و من لا یلد منهم بأخذ«ما» فی« مٰا وَلَدَ »نافیه لا موصوله.

و قیل:المراد بوالد هو النبی ص و بما ولد أمته لأنه بمنزله الأب لأمته و هی وجوه بعیده.

قوله تعالی:« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِی کَبَدٍ » الکبد الکد و التعب،و الجمله جواب القسم فاشتمال الکبد علی خلق الإنسان و إحاطه الکد و التعب به فی جمیع شئون حیاته مما لا یخفی علی ذی لب فلیس یقصد نعمه من نعم الدنیا إلا خالصه فی طیبها محضه فی هنائها و لا ینال شیئا منها إلا مشوبه بما ینغص العیش مقرونه بمقاساه و مکابده مضافا إلی ما یصیبه من نوائب الدهر و یفاجئه من طوارق الحدثان.

قوله تعالی:« أَ یَحْسَبُ أَنْ لَنْ یَقْدِرَ عَلَیْهِ أَحَدٌ »بمنزله النتیجه لحجه الآیه السابقه تقریرها أن الإنسان لما کانت خلقته مبنیه علی کبد مظروفه له لا ینال قط شیئا مما یرید إلا دون ما یرید أو غیر ما یرید فهو محاط فی خلقه مغلوب فی إرادته مقهور فیما قدر له من الأمر و الذی یغلبه فی إرادته و یقهره علی التلبس بما قدر له و هو الله سبحانه یقدر علیه من کل جهه فله أن یتصرف فیه بما شاء و یأخذه إذا أراد.

فلیس للإنسان أن یحسب أن لن یقدر علیه أحد فیدعوه ذلک إلی أن یعلو علی الله و یستکبر عن عبادته أو یعطیه فی بعض ما أمر به کالإنفاق فی سبیله فیستکثره و یمتن به علی الله أو یمکر به تعالی بعد ما عمله ریاء و سمعه عملا لوجه الکریم فیقول:أهلکت مالا لبدا.

قوله تعالی:« یَقُولُ أَهْلَکْتُ مٰالاً لُبَداً » اللبد الکثیر،سیاق الآیه و ما یتلوها من الآیات إلی آخر السوره مشعر بأنه کان هناک بعض من أظهر الإسلام أو مال إلیه فقد أنفق

بعض ماله و امتن به مستكثرا له بقوله:« أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً »فنزلت الآيات و رد الله عليه بأن الفوز بميمنه الحياه لا يتم إلا باقتحام عقبه الإنفاق فى سبيل الله و الدخول فى زمره الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و المرحمه،و يتأيد به ما سيأتى فى البحث الروائى إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى:« أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ »إنكار لما هو لازم قول الإنسان« أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً »على طريق التكنيه و محصل المعنى أن لازم إخبار الإنسان بإهلاكه مالا لبدا أنه يحسب أنا فى غفله و جهل بما أنفق و قد أخطأ فى ذلك فالله سبحانه بصير بما أنفق لكن هذا المقدار لا يكفى فى الفوز بميمنه الحياه بل لا بد له من أن يتحمل ما هو أزيد من ذلك من مشاق العبوديه فيقتحم العقبه و يكون مع المؤمنين فى جميع ما هم فيه.

قوله تعالى:« أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ » النجد الطريق المرتفع،و المراد بالنجدين طريق الخير و طريق الشر و سميا النجدين لما فى سلوك كل منهما من الجهد و الكدح،و فسرا بثديى الأم و هو بعيد.

و قوله:« أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ »أى جهزناه فى بدنه بما يبصر به فيحصل له العلم بالمرئيات على سعه نطاقها،و قوله:« وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ »أى أ و لم نجعل له لسانا و شفتين يستعين بها على التكلم و الدلاله على ما فى ضميره من العلم و يهتدى بذلك غيره على العلم بالأمور الغائبه عن البصر.

و قوله:« وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ »أى علمناه طريق الخير و طريق الشر بإلهام منا فهو يعرف الخير و يميزه من الشر فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا» :الشمس:٨.

و فى الآيات الثلاث حجه على قوله:« أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ »أى على أنه تعالى يرى أعمال عباده و يعلم ما فى ضمائرهم من وجوه الأعمال و يميز الخير من الشر و الحسنه من السيئه.

محصلها أن الله سبحانه هو الذى يعرف المرئيات للإنسان بوسيله عينيه و كيف يتصور أن يعرفه أمرا و هو لا يعرفه؟و هو الذى يدل الإنسان على ما فى الضمير بواسطه الكلام و هل يعقل أن يكشف له عما هو فى حجاب عنه؟و هو الذى يعلم الإنسان و يميز له الخير و الشر بالإلهام و هل يمكن معه أن يكون هو نفسه لا يعلم به و لا يميزه؟فهو تعالى يرى ما عمله الإنسان و يعلم ما ينويه بعمله و يميز كونه خيرا أو شرا و حسنه أو سيئه.

قوله تعالى:« فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » الاقتحام الدخول بسرعه و ضغط و شده،و العقبه الطريق الصعب الوعر الذى فيه صعود من الجبل،و اقتحام العقبه إشاره إلى الإنفاق الذى

يشق على منفقه كما سيصرح به.

و قيل:الجمله دعاء على الإنسان القائل:أهلكت مالا لبدا،و ليس بشيء.

قوله تعالى:« وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الْعَقَبَةُ »تفخيم لشأنها كما مر فی نظائره.

قوله تعالى:« فَكُّ رَقَبَةٍ »أی عتقها و تحريرها أو التقدير هی أی العقبه فك رقبه فالمراد بالعقبه نفس الفك الذی هو العمل و اقتحامه الإتيان به،و الإتيان بالعمل نفس العمل.

و به يظهر فساد قول بعضهم إن فك رقبه اقتحام للعقبه لا نفس العقبه فهناك مضاف محذوف يعود إليه الضمير و التقدير و ما أدراك ما اقتحام العقبه هو-أی الاقتحام-فك رقبه.

و ما ذكر فی بيان العقبه من فك الرقبه و الإطعام فی يوم ذی مسغبه من مصاديق نشر الرحمه خص بالذكر لمكان الأهميه،و قدم فك الرقبه و ابتدئ به لكمال عنايه الدين بفك الرقاب.

قوله تعالى:« أَوْ إِطْعٰامٌ فِی يَوْمٍ ذِی مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذٰا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذٰا مَتْرَبَةٍ » المسغبه المجاعه،و المقربه القرابه بالنسب،و المتربه من التراب و معناها الالتصاق بالتراب من شده الفقر،و المعنى أو إطعام فی يوم المجاعه يتيما من ذی القربى أو مسكينا شديد الفقر.

قوله تعالى:« ثُمَّ كٰانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ » المرحمه مصدر ميمی من الرحمه،و التواصی بالصبر وصيه بعضهم بعضا بالصبر على طاعه الله و التواصی بالمرحمه وصيه بعضهم بعضا بالرحمه على ذوی الفقر و الفاقه و المسكنه.

و الجمله أعنی قوله:« ثُمَّ كٰانَ »إلخ معطوفه على قول:« اِقْتَحَمَ »و التقدير فلا اقتحم العقبه و لا كان من الذين آمنوا«إلخ»و قيل فيها غير ذلك مما لا جدوى فيه.

قوله تعالى:« أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ »بمعنى اليمن مقابل الشؤم،و الإشاره بأولئك إلى ما يدل عليه السياق السابق أی الذين اقتحموا العقبه و كانوا من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و المرحمه أصحاب اليمن لا يرون مما قدموه من الإيمان و عملهم الصالح إلا أمرا مباركا جميلا مرضيا.

و قيل:المراد بالميمنه جهه اليمين و أصحاب الميمنه هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم، و مقابله الميمنه بالمشأمه لا تلائمه.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا هُمْ أَصْحٰابُ الْمَشْأَمَةِ »الآيات الآفاقيه و الأنفسيه آيات و أدله عليه تعالى تدل على توحده فی الربوبيه و الألوهيه و سائر ما يتفرع عليه و ردها كفر بها و الكفر بها كفر بالله و كذا القرآن الكريم و آياته،و كذا ما نزل و بلغ من

طریق الرساله.

و الظاهر أن المراد بالآیات مطلقها،و المشأمه خلاف المیمنه.

قوله تعالی:« عَلَیْهِمْ نٰارٌ مُؤْصَدَهٌ »أی مطبقه.

بحث روائی

فی المجمع،":فی قوله:« وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ »قیل:معناه و أنت محل بهذا البلد و هو ضد المحرم،و المراد أنت حلال لک قتل من رأیت من الکفار،و ذلک حین أمر بالقتال یوم فتح مکه-فأحلها الله له حتی قاتل و قتل،و قد قال(ص):لم یحل لأحد قبلی و لا یحل لأحد بعدی-و لم یحل لی إلا ساعه من نهار":.عن ابن عباس و مجاهد و عطاء.

و فیه،: فی الآیه و قیل:لا-أقسم بهذا البلد-و أنت حلال منتهک الحرمه مستباح العرض لا تحترم-فلا تبقی للبلد حرمه حیث هتکت:عن أبی مسلم و هو المروی عن أبی عبد الله(ع).

قال:کانت قریش تعظم البلد و تستحل محمدا فیه فقال:« لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ »یرید أنهم استحلوک فیه و کذبوه و شتموک،و کانوا لا یأخذ الرجل منهم فیه قاتل أبیه-و یتقلدون لحاء شجر الحرم-فیأمنون بتقلدهم إیاه-فاستحلوا من رسول الله ص ما لم یستحلوه من غیره-فعاب الله ذلک علیهم.

و فیه،: فی قوله تعالی:« وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ »قیل:آدم و ما ولد من الأنبیاء و الأوصیاء و أتباعهم.: عن أبی عبد الله(ع) .

أقول:و المعانی السابقه مرویه من طرق أهل السنه فی أحادیث موقوفه،و روی القمی فی تفسیره الأخیرتین بالإرسال و الإضمار.

و فی تفسیر القمی،":« یَقُولُ أَهْلَکْتُ مٰالاً لُبَداً »قال:اللبد المجتمع و

فی المجمع،": فی الآیه قیل:هو الحارث بن نوفل بن عبد مناف-و ذلک أنه أذنب ذنبا فاستفتی رسول الله ص-فأمره أن یکفر فقال:لقد ذهب مالی فی الکفارات و النفقات-منذ دخلت فی دین محمد":،عن مقاتل.

و فی المجمع،: أنه قیل لأمیر المؤمنین(ع):إن أناسا یقولون فی قوله:« وَ هَدَیْنٰاهُ النَّجْدَیْنِ »:أنهما الثدیان-فقال:لا،هما الخیر و الشر.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن حمزه بن محمد عن أبی عبد الله(ع)قال*: سألته عن قول الله تعالی:« وَ هَدَیْنٰاهُ النَّجْدَیْنِ »قال:نجد الخیر و الشر:.

أقول:و روی فی الدر المنثور،هذا المعنی بطرق عن علی(ع)و أنس و أبی أمامه و غیرهم عن النبی ص و رواه القمی فی تفسیره،مرسلا مضمرا .

و فی الکافی،بإسناده عن جعفر بن خلاد قال*: کان أبو الحسن الرضا(ع)إذا أکل أتی بصحفه-فتوضع قرب مائدته-فیعمد إلی أطیب الطعام مما یؤتی به-فیأخذ من کل شیء شیئا فیضع فی تلک الصحفه-ثم یأمر بها للمساکین-ثم یتلو هذه الآیه« فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ ».

ثم یقول:علم الله عز و جل-أنه لیس کل إنسان یقدر علی عتق رقبه-فجعل لهم السبیل إلی الجنه.

و فی المجمع،و روی مرفوعا عن البراء بن عازب قال*: جاء أعرابی إلی النبی ص فقال:یا رسول الله-علمنی عملا یدخلنی الجنه-قال:إن کنت أقصرت الخطبه لقد أعرضت المسأله،أعتق النسمه و فک الرقبه،فقال أ و لیسا واحدا؟قال:لا،عتق الرقبه أن یتفرد بعتقها-و فک الرقبه أن یعین فی ثمنها،و الفیء علی ذی الرحم الظالم.

فإن لم یکن ذلک فأطعم الجائع و اسق الظمآن-و أمر بالمعروف و أنه عن المنکر-فإن لم تطق ذلک فکف لسانک إلا من خیر.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« أَوْ مِسْکِیناً ذٰا مَتْرَبَهٍ »قال:لا یقیه من التراب شیء.

(۹۱) سوره الشمس مکیه و هی خمس عشره آیه(۱۵)

[سوره الشمس (۹۱): الآیات ۱ الی ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا (۱) وَ اَلْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا (۲) وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا (۳) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَغْشٰاهٰا (۴) وَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا بَنٰاهٰا (۵) وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا طَحٰاهٰا (۶) وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا (۷) فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا (۸) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّٰاهٰا (۹) وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا (۱۰) کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰاهٰا (۱۱) إِذِ اِنْبَعَثَ أَشْقٰاهٰا (۱۲) فَقٰالَ لَهُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ نٰاقَهَ اَللّٰهِ وَ سُقْیٰاهٰا (۱۳) فَکَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَیْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰاهٰا (۱۴) وَ لاٰ یَخٰافُ عُقْبٰاهٰا (۱۵)

بیان

تـذکر السوره أن فلاـح الإنسان-و هو یعرف التقوی و الفجور بتعریف إلهی و إلهام باطنی-أن یزکی نفسه و ینمیها إنماء صالحا بتحلیتها بالتقوی و تطهیرها من الفجور، و الخیبه و الحرمان من السعاده لمن یدسیها،و یستشـهد لـذلک بما جری علی ثمود من عذاب الاستئصال لما کذبوا رسولهم صالحا و عقروا الناقه،و فی ذلک تعریض لأهل مکه، و السوره مکیه بشهاده من سیاقها.

قوله تعالی:« وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها »فی المفردات،: الضـحی انبسـاط الشـمس و امتـداد النهـار و سـمی الوقت به انتهی.و الضـمیر للشمس،و فی الآیه إقسام بالشمس و انبساط ضوئها علی الأرض.

قوله تعالی:« وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها »عطف علی الشمس و الضمیر لها و إقسام بالقمر حال کونه تالیا للشمس،و المراد بتلوه لها إن کان کسبه النور منها فالحال حال دائمه و إن کان طلوعه بعد غروبها فالإقسام به من حال کونه هلالا إلی حال تبدره.

قوله تعالی:« وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها » التجلیه الإظهار و الإبراز،و ضمیر التأنیث للأرض، و المعنی و أقسم بالنهار إذا أظهر الأرض للأبصار.

و قیل:ضـمیر الفاعل فی« جَلّاها »للنهار و ضمیر المفعول للشمس،و المراد الإقسام بحال إظهار النهار للشمس فإنها تنجلی و تظهر إذا انبسط النهار،و فیه أنه لا یلائم ما تقدمه فإن الشمس هی المظهره للنهار دون العکس.

و قیل:الضـمیر المؤنث للـدنیا،و قیل:للظلمه،و قیل:ضـمیر الفاعل لله تعالی و ضـمیر المفعول للشـمس،و المعنی و أقسم بالنهار إذا أظهر الله الشمس،و هی وجوه بعیده.

قوله تعالی:« وَ اللَّیْلِ إِذا یَغْشاها »أی یغطی الأرض،فالضمیر للأرض کما فی« جَلّاها »

و قيل:للشمس و هو بعيد فالليل لا يغطى الشمس و إنما يغطى الأرض و ما عليها.

و التعبير عن غشيان الليل الأرض بالمضارع بخلاف تجليه النهار لها حيث قيل:« وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها »للدلاله على الحال ليكون فيه إيماء إلى غشيان الفجور الأرض فى الزمن الحاضر الذى هو أوائل ظهور الدعوه الإسلاميه لما تقدم أن بين هذه الأقسام و بين المقسم بها نوع اتصال و ارتباط،هذا مضافا إلى رعايه الفواصل.

قوله تعالى:« وَ السَّماءِ وَ ما بَناها وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها » طحو الأرض و دحوها بسطها،و«ما»فى« وَ ما بَناها »و« ما طَحاها »موصوله،و الذى بناها و طحاها هو الله تعالى و التعبير عنه تعالى بما دون من لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم و التعجيب فالمعنى و أقسم بالسماء و الشىء القوى العجيب الذى بناها و أقسم بالأرض و الشىء القوى العجيب الذى بسطها.

و قيل:ما مصدريه و المعنى و أقسم بالسماء و بنائها و الأرض و طحوها،و السياق -و فيه قوله:« وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها فَأَلْهَمَها »إلخ- لا يساعده.

قوله تعالى:« وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها »أى و أقسم بنفس و الشىء ذى القدره و العلم و الحكمه الذى سواها و رتب خلقتها و نظم أعضاءها و عدل بين قواها.

و تنكير« نَفْسٍ »قيل:للتنكير،و قيل:للتفخيم و لا يبعد أن يكون التنكير للإشاره إلى أن لها وصفا و أن لها نبأ.

و المراد بالنفس النفس الإنسانيه مطلقا و قيل:المراد بها نفس آدم(ع)و لا يلائمه السياق و خاصه قوله:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها »إلا بالاستخدام على أنه لا موجب للتخصيص.

قوله تعالى:« فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها » الفجور -على ما ذكره الراغب-شق ستر الديانه فالنهى الإلهى عن فعل أو عن ترك حجاب مضروب دونه حائل بين الإنسان و بينه و اقتراف المنهى عنه شق للستر و خرق للحجاب.

و التقوى -على ما ذكره الراغب-جعل النفس فى وقايه مما يخاف،و المراد بها بقرينه المقابله فى الآيه بينها و بين الفجور التجنب عن الفجور و التحرز عن المنافى و قد فسرت فى الروايه بأنها الورع عن محارم الله.

و الإلهام الإلقاء فى الروع و هو إفاضته تعالى الصور العمليه من تصور أو تصديق على النفس.

ص :۲۹۷

و تعلیق الإلهام علی عنوانی فجور النفس و تقواها للدلاله علی أن المراد تعریفه تعالی للإنسان صفه فعله من تقوی أو فجور وراء تعریفه متن الفعل بعنوانه الأولی المشترک بین التقوی و الفجور کأکل المال مثلا المشترک بین أکل مال الیتیم الذی هو فجور و بین أکل مال نفسه الذی هو من التقوی،و المباشره المشترکه بین الزنا و هو فجور و النکاح و هو من التقوی و بالجمله المراد أنه تعالی عرف الإنسان کون ما یأتی به من فعل فجورا أو تقوی و میز له ما هو تقوی مما هو فجور.

و تفریع الإلهام علی التسویه فی قوله:« وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا »إلخ للإشاره إلی أن إلهام الفجور و التقوی و هو العقل العملی من تکمیل تسویه النفس فهو من نعوت خلقتها کما قال تعالی: «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا لاٰ تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ» :الروم:۳۰.

و إضافه الفجور و التقوی إلی ضمیر النفس للإشاره إلی أن المراد بالفجور و التقوی الملهمین الفجور و التقوی المختصین بهذه النفس المذکوره و هی النفس الإنسانیه و نفوس الجن علی ما یظهر من الکتاب العزیز من کونهم مکلفین بالإیمان و العمل الصالح.

قوله تعالی:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّٰاهٰا وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا » الفلاح هو الظفر بالمطلوب و إدراک البغیه،و الخیبه خلافه،و الزکاه نمو النبات نموا صالحا ذا برکه و التزکیه إنماؤه کذلک،و التدسی -و هو من الدس بقلب إحدی السینین یاء-إدخال الشیء فی الشیء بضرب من الإخفاء،و المراد بها بقرینه مقابله التزکیه:الإنماء علی غیر ما یقتضیه طبعها و رکبت علیه نفسها.

و الآیه أعنی قوله:« قَدْ أَفْلَحَ »إلخ جواب القسم،و قوله:« وَ قَدْ خٰابَ »إلخ معطوف علیه.

و التعبیر بالتزکیه و التدسی عن إصلاح النفس و إفسادها مبتن علی ما یدل علیه قوله:

« فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا »علی أن من کمال النفس الإنسانیه أنها ملهمه ممیزه-بحسب فطرتها-للفجور من التقوی أی إن الدین و هو الإسلام لله فیما یریده فطری للنفس فتحلیه النفس بالتقوی تزکیه و إنماء صالح و تزوید لها بما یمدها فی بقائها قال تعالی:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّٰادِ التَّقْویٰ وَ اتَّقُونِ یٰا أُولِی الْأَلْبٰابِ» :البقره:۱۹۷ و أمرها فی الفجور علی خلاف التقوی.

قوله تعالى:« كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا »الطغوى مصدر كالطغيان،و الباء للسببيه.

و الآيه و ما يتلوها إلى آخر السوره استشهاد و تقرير لما تقدم من قوله« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا »إلخ.

قوله تعالى:« إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا »ظرف لقوله:« كَذَّبَتْ »أو لقوله:« بِطَغْوَاهَا » و المراد بأشقى ثمود هو الذى عقر الناقه و اسمه على ما فى الروايات قدار بن سالف و قد كان انبعاثه ببعث القوم كما تدل عليه الآيات التاليه بما فيها من ضمائر الجمع.

قوله تعالى:« فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَ سُقْيَاهَا »المراد برسول الله صالح(ع) نبى ثمود، و قوله:« نَاقَةَ اللَّهِ »منصوب على التحذير،و قوله:« وَ سُقْيَاهَا »معطوف عليه.

و المعنى فقال لهم صالح برساله من الله:احذروا ناقه الله و سقياها و لا تتعرضوا لها بقتلها أو منعها عن نوبتها فى شرب الماء،و قد فصل الله القصه فى سوره هود و غيرها.

قوله تعالى:« فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا » العقر إصابه أصل الشىء و يطلق على نحر البعير و القتل،و الدمدمه على الشىء الإطباق عليه يقال:

دمدم عليه القبر أى أطبقه عليه و المراد شمولهم بعذاب يقطع دابرهم و يمحو أثرهم بسبب ذنبهم.

و قوله:« فَسَوَّاهَا »الظاهر أن الضمير لثمود باعتبار أنهم قبيله أى فسواها بالأرض أو هو تسويه الأرض بمعنى تسطيحها و إعفاء ما فيها من ارتفاع و انخفاض.

و قيل:الضمير للدمدمه المفهومه من قوله:« فَدَمْدَمَ »و المعنى فسوى الدمدمه بينهم فلم يفلت منهم قوى و لا ضعيف و لا كبير و لا صغير.

قوله تعالى:« وَ لاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا »الضمير للدمدمه أو التسويه،و الواو للاستئناف أو الحال.

و المعنى:و لا يخاف ربهم عاقبه الدمدمه عليهم و تسويتهم كما يخاف الملوك و الأقوياء عاقبه عقاب أعدائهم و تبعته،لأن عواقب الأمور هى ما يريده و على وفق ما يأذن فيه فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: «لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ» :الأنبياء:٢٣.

و قيل:ضمير« لاَ يَخَافُ »للأشقى،و المعنى و لا يخاف عاقر الناقه عقبى ما صنع بها.

و قيل:ضمير« لاَ يَخَافُ »لصالح و ضمير« عُقْبَاهَا »للدمدمه و المعنى و لا يخاف صالح عقبى الدمدمه عليهم لثقته بالنجاه و ضعف الوجهين ظاهر.

بحث روائی

فی تفسیر القمی، ":فی قوله تعالی:« وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا »قال:خلقها و صورها.

و فی المجمع،و روی زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) *فی قوله تعالی:« فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا »قال:بین لها ما یأتی و ما یترک،و فی قوله تعالی:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا »قال:قد أفلح من أطاع« وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا »قال:

قد خاب من عصی.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و مسلم و ابن جریر و ابن المنذر و ابن مردویه عن عمران بن حصین *أن رجلا قال:یا رسول الله-أ رأیت ما یعمل الناس الیوم-و یکدحون فیه شیء قد قضی علیهم-و مضی علیهم فی قدر قد سبق؟أو فیما یستقبلون به نبیهم و اتخذت علیهم به الحجه؟قال:بل شیء قضی علیهم.

قال:فلم یعملون إذا؟قال:من کان الله خلقه لواحده من المنزلتین هیأه لعملها- و تصدیق ذلک فی کتاب الله« وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا ».

أقول:قوله:أو فیما یستقبلون إلخ الظاهر أن الهمزه فیه للاستفهام و الواو للعطف و المعنی و هل فی طاعتهم لنبیهم قضاء من الله و قدر قد سبق؟و قوله:فلم یعملون إذا، أی فما معنی عملهم و استناد الفعل إلیهم.؟ و قوله(ص):من کان الله إلخ معناه أن وجوب صدور الفعل حسنه أو سیئه منهم بالنظر إلی القضاء و القدر السابقین لا ینافی إمکان صدوره بالنظر إلی الإنسان و اختیاره، و قد اتضح ذلک فی الأبحاث السابقه من الکتاب مرارا.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم و أبو الشیخ و ابن مردویه و الدیلمی عن جویبر عن الضحاک عن ابن عباس:سمعت رسول الله ص یقول: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا »الآیه أفلحت نفس زکاها الله-و خابت نفس خیبها الله من کل خیر.

أقول:انتساب التزکیه و التخییب إلیه تعالی بوجه لا ینافی انتسابهما بالطاعه و المعصیه إلی الإنسان.

و إنما ینتسب إلی الله سبحانه من الإضلال ما کان علی طریق المجازاه کما قال: «وَ مٰا یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِینَ» :البقره:۲۶.

و فی المجمع،و قد صحت الروایه بالإسناد عن عثمان بن صهیب عن أبیه قال*:قال رسول الله ص لعلی بن أبی طالب: من أشقی الأولین؟قال:عاقر الناقه.قال:صدقت-فمن أشقی الآخرین؟قال:قلت:لا أعلم یا رسول الله.قال:الذی یضربک علی هذه فأشار إلی یافوخه:.

أقول:و روی فیه هذا المعنی أیضا عن عمار بن یاسر .

و فی تفسیر البرهان،:و روی الثعلبی و الواحدی بإسنادهما عن عمار و عن عثمان بن صهیب و عن الضحاک و روی ابن مردویه بإسناده عن جابر بن سمره و عن عمار و عن ابن عدی أو عن الضحاک و روی الخطیب فی التاریخ،عن جابر بن سمره و روی الطبری و الموصلی و روی أحمد عن الضحاک عن عمار أنه قال*:قال النبی ص: یا علی أشقی الأولین عاقر الناقه- و أشقی الآخرین قاتلک،و فی روایه من یخضب هذه من هذا.

(۹۲) سوره اللیل مکیه و هی إحدی و عشرون آیه(۲۱)

[سوره اللیل (۹۲): الآیات ۱ الی ۲۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ (۱) وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰی (۲) وَ مٰا خَلَقَ اَلذَّکَرَ وَ اَلْأُنْثیٰ (۳) إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتّٰی (۴) فَأَمّٰا مَنْ أَعْطیٰ وَ اِتَّقیٰ (۵) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنیٰ (۶) فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْریٰ (۷) وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اِسْتَغْنیٰ (۸) وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنیٰ (۹) فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْعُسْریٰ (۱۰) وَ مٰا یُغْنِی عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰی (۱۱) إِنَّ عَلَیْنٰا لَلْهُدیٰ (۱۲) وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَهَ وَ اَلْأُولیٰ (۱۳) فَأَنْذَرْتُکُمْ نٰاراً تَلَظّٰی (۱۴) لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ اَلْأَشْقَی (۱۵) اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی (۱۶) وَ سَیُجَنَّبُهَا اَلْأَتْقَی (۱۷) اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّٰی (۱۸) وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزیٰ (۱۹) إِلاَّ اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ اَلْأَعْلیٰ (۲۰) وَ لَسَوْفَ یَرْضیٰ (۲۱)

بیان

غرض السوره الإنذار و تسلک إلیه بالإشاره إلی اختلاف مساعی الناس و أن منهم من أنفق و اتقی و صدق بالحسنی فسیمکنه الله من حیاه خالده سعیده و منهم من بخل و استغنی و کذب بالحسنی فسیسلک الله به إلی شقاء العاقبه،و فی السوره اهتمام و عنایه خاصه بأمر الإنفاق المالی.

و السوره تحتمل المکیه و المدنیه بحسب سیاقها.

قوله تعالی:« وَ اللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ »إقسام باللیل إذا یغشی النهار علی حد قوله تعالی:

«یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهٰارَ» :الأعراف:۵۴،و یحتمل أن یکون المراد غشیانه الأرض أو الشمس.

قوله تعالی:« وَ النَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰی »عطف علی اللیل،و التجلی ظهور الشیء بعد خفائه، و التعبیر عن صفه اللیل بالمضارع و عن صفه النهار بالماضی حیث قیل:« یَغْشیٰ »و« تَجَلّٰی » تقدم فیه وجه فی تفسیر أول السوره السابقه.

قوله تعالی:« وَ مٰا خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثیٰ »عطف علی اللیل کسابقه،و« مٰا »موصوله و المراد به الله سبحانه و إنما عبر بما،دون من،إیثارا للإبهام المشعر بالتعظیم و التفخیم و المعنی و أقسم بالشیء العجیب الذی أوجد الذکر و الأنثی المختلفین علی کونهما من نوع واحد.

و قیل:ما مصدریه و المعنی و أقسم بخلق الذکر و الأنثی و هو ضعیف.

و المراد بالذکر و الأنثی مطلق الذکر و الأنثی أینما تحققا،و قیل:الذکر و الأنثی من الإنسان،و قیل:المراد بهما آدم و زوجته حواء،و أوجه الوجوه أولها.

قوله تعالی:« إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتّٰی » السعی هو المشی السریع،و المراد به العمل من حیث یهتم به،و هو فی معنی الجمع،و شتی جمع شتیت بمعنی المتفرق کمرضی جمع مریض.

و الجمله جواب القسم و المعنی أقسم بهذه المتفرقات خلقا و أثرا أن مساعیکم لمتفرقات فی نفسها و آثارها فمنها إعطاء و تقوی و تصدیق و لها أثر خاص بها،و منها بخل و استغناء و تکذیب و لها أثر خاص بها.

قوله تعالی:« فَأَمّٰا مَنْ أَعْطیٰ وَ اتَّقیٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنیٰ فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْریٰ »تفصیل تفرق مساعیهم و اختلاف آثارها.

و المراد بالإعطاء إنفاق المال لوجه الله بقرینه مقابلته للبخل الظاهر فی الإمساک عن

إنفاق المال و قوله بعد:« وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى ».

و قوله:« وَ اتَّقىٰ »كالمفسر للإعطاء يفيد أن المراد هو الإعطاء على سبيل التقوى الدينيه.

و قوله:« وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ »الحسنى صفه قائمه مقام الموصوف و الظاهر أن التقدير بالعده الحسنى و هى ما وعد الله من الثواب على الإنفاق لوجهه الكريم و هو تصديق البعث و الإيمان به و لازمه الإيمان بوحدانيته تعالى فى الربوبيه و الألوهيه،و كذا الإيمان بالرساله فإنها طريق بلوغ وعده تعالى للثواب.

و محصل الآيتين أن يكون مؤمنا بالله و رسوله و اليوم الآخر و ينفق المال لوجه الله و ابتغاء ثوابه الذى وعده بلسان رسوله.

و قوله:« فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ » التيسير التهيئه و الإعداد و اليسرى الخصله التى فيها يسر من غير عسر،و توصيفها باليسر بنوع من التجوز فالمراد من تيسيره لليسرى توفيقه للأعمال الصالحه بتسهيلها عليه من غير تعسير أو جعله مستعدا للحياه السعيده عند ربه و دخول الجنه بسبب الأعمال الصالحه التى يأتى بها،و الوجه الثانى أقرب و أوضح انطباقا على ما هو المعهود من مواعد القرآن.

قوله تعالى:« وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى » البخل مقابل الإعطاء،و الاستغناء طلب الغنى و الثروه بالإمساك و الجمع،و المراد بالتكذيب بالحسنى الكفر بالعده الحسنى و ثواب الله الذى بلغه الأنبياء و الرسل و يرجع إلى إنكار البعث.

و المراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحه،بتثقيلها عليه و عدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب.

و قوله:« وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى » التردى هو السقوط من مكان عال و يطلق على الهلاك فالمراد سقوطه فى حفره القبر أو فى جهنم أو هلاكه.

و« مٰا »استفهاميه أو نافيه أى أى شيء يغنيه ماله إذا مات و هلك أو ليس يغنى عنه ماله إذا مات و هلك.

قوله تعالى:« إِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدىٰ وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولىٰ »تعليل لما تقدم من حديث تيسيره لليسرى و للعسرى أو الإخبار به بأوجز بيان،محصله أنا إنما نفعل هذا التيسير أو نبين هذا البيان لأنه من الهدى و الهدى علينا لا يزاحمنا فى ذلك شيء و لا يمنعنا عنه مانع.

ص :۳۰۳

فقوله:« إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدىٰ »يفيد أن هدى الناس مما قضى سبحانه به و أوجبه على نفسه بمقتضى الحكمه و ذلك أنه خلقهم ليعبدوه كما قال: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ» :الذاريات:۵۶ فجعل عبادته غايه لخلقهم و جعلها صراطا مستقيما إليه كما قال: «إِنَّ اللّٰهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ» :آل عمران:۵۱،و قال: «وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرٰاطِ اللّٰهِ» :الشورى:۵۳ و قضى على نفسه أن يبين لهم سبيله و يهديهم إليه بمعنى إراءه الطريق سواء سلكوها أم تركوها كما قال: «وَ عَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهٰا جٰائِرٌ» :النحل:۹،و قال: «وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِی السَّبِيلَ» :الأحزاب:۴ و قال:

«إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً» :الإنسان:۳ و لا ينافى ذلك قيام غيره تعالى بأمر هذا المعنى من الهدى بإذنه كالأنبياء كما قال تعالى: «وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ» :الشورى:۵۲،و قال: «قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِی أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی» :يوسف:۱۰۸.

و قد تقدم لهذه المسأله بيان عقلى فى مباحث النبوه فى الجزء الثانى من الكتاب.

هذا فى الهدايه بمعنى إراءه الطريق و أما الهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب-و المطلوب فى المقام الآثار الحسنه التى تترتب على الاهتداء بهدى الله و التلبس بالعبوديه كالحياه الطيبه المعجله فى الدنيا و الحياه السعيده الأبديه فى الآخره-فمن البين أنه من قبيل الصنع و الإيجاد الذى يختص به تعالى فهو مما قضى به الله و أوجبه على نفسه و سجله بوعده الحق قال تعالى:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدٰایَ فَلاٰ يَضِلُّ وَ لاٰ يَشْقىٰ» :طه:۱۲۳،و قال: «مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاهً طَيِّبَهً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ» النحل:۹۷،و قال: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيلاً» :النساء:۱۲۲.

و لا ينافى انتساب هذا المعنى من الهدايه إليه تعالى بنحو الأصاله انتسابه إلى غيره تعالى بنحو التبع بتخلل الأسباب بينه تعالى و بين ما ينسب إليه من الأثر بإذنه.

و معنى الآيه-إن كان المراد بالهدى إراءه الطريق-أنا إنما نبين لكم ما نبين لأنه من إراءه طريق العبوديه و إراءه الطريق علينا،و إن كان المراد به الإيصال إلى المطلوب أنا إنما نيسر هؤلاء لليسرى من الأعمال الصالحه أو من الحياه السهله الأبديه و دخول الجنه لأنه من إيصال الأشياء إلى غاياتها و علينا ذلك.

و أما التيسير للعسرى فهو مما يتوقف عليه التيسير لليسرى «لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ» :الأنفال:۳۷ و قد قال سبحانه فی القرآن الذی هو هدی للعالمین: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً» :إسراء:۸۲.

و یمکن أن یکون المراد به مطلق الهدایه أعم من الهدایه التکوینیه الحقیقیه و التشریعیه الاعتباریه-علی ما هو ظاهر إطلاق اللفظ-فله تعالی الهدایه الحقیقیه کما قال: «الَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ» :طه:۵۰،و الهدایه الاعتباریه کما قال: «إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً» :الإنسان:۳.

و قوله:« وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولىٰ »أی عالم البدء و عالم العود فکل ما یصدق علیه أنه شیء فهو مملوک له تعالی بحقیقه الملک الذی هو قیام وجوده بربه القیوم و یتفرع علیه الملک الاعتباری الذی من آثاره جواز التصرفات.

فهو تعالی یملک کل شیء من کل جهه فلا یملک شیء منه شیئا فلا معارض یعارضه و لا مانع یمنعه و لا شیء یغلبه کما قال: «وَ اللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» :الرعد:۴۱ و قال:

«وَ اللّٰهُ غٰالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ» :یوسف:۲۱،و قال: «وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ» :إبراهیم:۲۷.

قوله تعالی: «فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰاراً تَلَظّٰى لاٰ يَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى »تفریع علی ما تقدم أی إذا کان الهدی علینا فأنذرتکم نار جهنم و بذلک یوجه ما فی قوله:

« فَأَنْذَرْتُكُمْ »من الالتفات عن التکلم مع الغیر إلی التکلم وحده أی إذا کان الهدی مقضیه محتومه فالمنذر بالأصاله هو الله و إن کان بلسان رسوله.

و تلظی النار تلهبها و توهجها،و المراد بالنار التی تتلظی جهنم کما قال تعالی: «كَلاّٰ إِنَّهٰا لَظىٰ» :المعارج:۱۵.

و المراد بالأشقی مطلق الکافر الذی یکفر بالتکذیب و التولی فإنه أشقی من سائر من شقی فی دنیاه فمن ابتلی فی بدنه شقی و من أصیب فی ماله أو ولده مثلا شقی و من خسر فی أمر آخرته شقی و الشقی فی أمر آخرته أشقی من غیره لکون شقوته أبدیه لا مطمع فی التخلص منها بخلاف الشقوه فی شأن من شئون الدنیا فإنها مقطوعه لا محاله مرجوه الزوال عاجلا.

فالمراد بالأشقی هو الکافر المکذب بالدعوه الحقه المعرض عنها علی ما یدل علیه توصیفه بقوله:« اَلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى »و یؤیده إطلاق الإنذار،و أما الأشقی بمعنی أشقی

الناس كلهم فمما لا يساعد عليه السياق البته.

و المراد بصلى النار اتباعها و لزومها فيفيد معنى الخلود و هو مما قضى الله به فى حق الكافر،قال تعالى: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» :البقره:٣٩.

و بذلك يندفع ما قيل:إن قوله:« لاٰ يَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَى »ينفى عذاب النار عن فساق المؤمنين على ما هو لازم القصر فى الآيه،وجه الاندفاع أن الآيه إنما تنفى عن غير الكافر الخلود فيها دون أصل الدخول.

قوله تعالى:« وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِى يُؤْتِى مٰالَهُ يَتَزَكّٰى وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ » التجنيب التبعيد،و ضمير« سَيُجَنَّبُهَا »للنار،و المعنى سيبعد عن النار الأتقى.

و المراد بالأتقى من هو أتقى من غيره ممن يتقى المخاطر فهناك من يتقى ضيعه النفوس كالموت و القتل و من يتقى فساد الأموال و من يتقى العدم و الفقر فيمسك عن بذل المال و هكذا و منهم من يتقى الله فيبذل المال،و أتقى هؤلاء الطوائف من يتقى الله فيبذل المال لوجهه و إن شئت فقل يتقى خسران الآخره فيتزكى بالإعطاء.

فالمفضل عليه للأتقى هو من لا يتقى بإعطاء المال و إن اتقى سائر المخاطر الدنيويه أو اتقى الله بسائر الأعمال الصالحه.

فالآيه عامه بحسب مدلولها غير خاصه و يدل عليه توصيف الأتقى بقوله:« اَلَّذِى يُؤْتِى مٰالَهُ »إلخ و هو وصف عام و كذا ما يتلوه،و لا ينافى ذلك كون الآيات أو جميع السوره نازله لسبب خاص كما ورد فى أسباب النزول.

و أما إطلاق المفضل عليه بحيث يشمل جميع الناس من طالح أو صالح و لازمه انحصار المفضل فى واحد مطلقا أو واحد فى كل عصر،و يكون المعنى و سيجنبها من هو أتقى الناس كلهم و كذا المعنى فى نظيره:لا يصلاها إلا أشقى الناس كلهم فلا يساعد عليه سياق آيات صدر السوره،و كذا الإنذار العام الذى فى قوله:« فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰاراً تَلَظّٰى »فلا معنى لأن يقال:أنذرتكم جميعا نارا لا يخلد فيها إلا واحد منكم جميعا و لا ينجو منها إلا واحد منكم جميعا.

و قوله:« اَلَّذِى يُؤْتِى مٰالَهُ يَتَزَكّٰى »صفه للأتقى أى الذى يعطى و ينفق ماله يطلب بذلك أن ينمو نماء صالحا.

و قوله:« وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ »تقرير لمضمون الآيه السابقه أی ليس لأحد عنده من نعمه تجزی تلک النعمه بما يؤتيه من المال و تكافأ و إنما يؤتيه لوجه الله و يؤيد هذا المعنى تعقيبه بقوله:« إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ ».

فالتقدير من نعمه تجزی به،و إنما حذف الظرف رعايه للفواصل،و يندفع بذلک ما قيل:إن بناء« تُجْزىٰ »للمفعول لأن القصد ليس لفاعل معين.

قوله تعالى:« إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ »استثناء منقطع و المعنى و لكنه يؤتی ماله طلبا لوجه ربه الأعلى و قد تقدم كلام فی معنى وجه الله تعالى و فی معنى الاسم الأعلى.

قوله تعالى:« وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ »أی و لسوف يرضى هذا الأتقى بما يؤتيه ربه الأعلى من الأجر الجزيل و الجزاء الحسن الجميل.

و فی ذكر صفتی الرب و الأعلى إشعار بأن ما يؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء و أعلاه و هو المناسب لربوبيته تعالى و علوه،و من هنا يظهر وجه الالتفات فی الآيه السابقه فی قوله:

« وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ »من سياق التكلم وحده إلى الغيبه بالإشاره إلى الوصفين:ربه الأعلى.

بحث روائی

فی الكافی،بإسناده عن محمد بن مسلم قال*: قلت لأبی جعفر(ع):قول الله عز و جل- « وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ »« وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ »و ما أشبه ذلک؟فقال:إن لله عز و جل أن يقسم من خلقه بما شاء،و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به:.

أقول:و رواه فی الفقيه،بإسناده عن علی بن مهزيار عن أبی جعفر الثانی(ع): .

و فی تفسير القمی،":فی قوله تعالى:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ »قال:حين يغشى النهار و هو قسم.

و عن الحميری فی قرب الإسناد،عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبی نصر عن أبی الحسن الرضا(ع)قال*:سمعته يقول: فی تفسير« وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ »إن رجلا كان لرجل فی حائطه نخله فكان يضر به-فشكا ذلک إلى رسول الله ص فدعاه - فقال:أعطنی نخلتک بنخله فی الجنه فأبى-فسمع ذلک رجل من الأنصار يكنى أبا الدحداح-فجاء إلى صاحب النخله فقال:بعنی نخلتک بحائطی فباعه فجاءه إلى رسول الله ص-فقال:يا رسول الله قد اشتريت نخله فلان بحائطی-فقال رسول الله:لک بدلها نخله فی الجنه.

فأنزل الله تعالى على نبيه« وَ مٰا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ- إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى فَأَمّٰا

مَنْ أَعْطىٰ

»يعنى النخله« وَ اتَّقىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ »هو ما عند رسول الله ص- فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ -إلى قوله- تَرَدّىٰ »:.

أقول:و رواه القمى فى تفسيره،مرسلا مضمرا:

،و قوله:الزوجين تفسير منه(ع) للذكر و الأنثى.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى »قال:أبو الدحداح.

أقول:هذا ما من طرق الشيعه عن أئمه أهل البيت(ع).

و روى الطبرسى فى مجمع البيان،القصه عن الواحدى بإسناده عن عكرمه عن ابن عباس و فيه" *أن الأنصارى ساوم صاحب النخله فى نخله فى نخلته-ثم اشتراها منه بأربعين نخله ثم وهبها للنبى ص-فوهبها النبى لصاحب الدار،ثم روى الطبرسى عن عطاء أن اسم الرجل أبو الدحداح":، و روى السيوطى فى الدر المنثور،القصه عن ابن أبى حاتم عن ابن عباس و ضعفه .

و قد ورد من طرق أهل السنه أن السوره نزلت فى أبى بكر قال الرازى فى التفسير الكبير،:أجمع المفسرون منا على أن المراد منه-يعنى من الأتقى-أبو بكر،و اعلم أن الشيعه بأسرهم ينكرون هذه الروايه،و يقولون إنما نزلت فى حق على بن أبى طالب و الدليل عليه قوله تعالى:« وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاهَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ »فقوله:« اَلْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مٰالَهُ يَتَزَكّٰى »إشاره إلى ما فى تلك الآيه من قوله:« وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاهَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ »ثم أخذ الأتقى بمعنى أفضل الخلق أى أتقى الناس جميعا و قد تقدم الكلام فيه.

أما ما نسب إلى الشيعه بأسرهم من القول فالمعتمد عليه من طرقهم صحيح الحميرى المتقدم و ما فى معناه من الروايات الداله على نزولها فى أبى الدحداح الأنصارى.

نعم ورد فى

روايه ضعيفه عن البرقى عن إسماعيل بن مهران عن أيمن بن محرز عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع)و فيها، *و أما قوله:« وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى »قال رسول الله ص و من تبعه،و« اَلَّذِي يُؤْتِي مٰالَهُ يَتَزَكّٰى »قال:ذاك أمير المؤمنين(ع)و هو قوله:

« وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاهَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ »و قوله:« وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزىٰ »فهو رسول الله الذى ليس لأحد عنده من نعمه تجزى- و نعمته جاريه على جميع الخلق(ص).

و الروايه على ضعف (١)سندها من قبيل الجرى و التطبيق دون التفسير و من واضح الدليل عليه تطبيقه الموصوف على رسول الله ص و الوصف على على(ع)ثم الآيه

١- ١) أيمن بن محرز مجهول.

التاليه على النبى ص و لو كانت من التفسير لفسد بـذلك النظم قطعا.هذا لو كانت الواو فى قوله:«و اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّی »من الروایه و لو فرضت من الآیه کانت الروایه من روایات التحریف المردوده.

و عن الحمیری عن أحمـد بن محمـد عن أحمـد بن محمـد بن أبی نصـر عن أبی الحسن الرضا (ع)قال، *قلت:قول الله تبارک و تعالی« إِنَّ عَلَیْنٰا لَلْهُدیٰ »قال:إن الله یهدی من یشاء و یضل من یشاء.

فقلت له:أصلحک الله إن قوما من أصحابنا یزعمون-أن المعرفه مکتسبه-و أنهم إن ینظروا من وجه النظر أدرکوه.

فأنکر ذلک و قال:ما لهؤلاء القوم لا یکتسبون الخیر لأنفسهم؟لیس أحد من الناس-إلا و یجب أن یکون خیرا ممن هو خیر منه-هؤلاء بنو هاشم موضعهم موضعهم و قرابتهم قرابتهم-و هم أحق بهذا الأمر منکم-أ فتری أنهم لا ینظرون لأنفسهم؟و قد عرفتم و لم یعرفوا.

قال أبو جعفر: لو استطاع الناس لأحبونا.

أقول:أما الهدایه -و المراد بها الإیصال إلی المطلوب-فهی لله تعالی لأنها من شـئون الربوبیه،و أما الإضـلال و المراد به الإضـلال علی سبیـل المجـازاه دون الإضـلال الابتـدائی الـذی لا یضـاف إلیه تعالی فهو الله أیضا لکونه إمساکا عن إنزال الرحمه و عـدما للهدایه و إذا کانت الهدایه له فالإمساک عنه أیضا منسوب إلیه تعالی.

(٩٣) سوره الضحی مکیه أو مدنیه و هی إحدی عشره آیه(١١)

[سوره الضحی (٩٣): الآیات ١ الی ١١]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلضُّحیٰ (١) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا سَجیٰ (٢) مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ (٣) وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولیٰ (۴) وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ (۵) أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآویٰ (۶) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ (٧) وَ وَجَدَکَ عٰائِلاً فَأَغْنیٰ (٨) فَأَمَّا اَلْیَتِیمَ فَلاٰ تَقْهَرْ (٩) وَ أَمَّا اَلسّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (١١)

بیان

قیل:انقطع الوحی عن النبی ص أیاما حتی قالوا:إن ربه ودعه فنزلت السوره فطیب الله بها نفسه،و السوره تحتمل المکیه و المدنیه.

قوله تعالی:« وَ الضُّحیٰ وَ اللَّیْلِ إِذٰا سَجیٰ »إقسام،و الضحی -علی ما فی المفردات،- انبساط الشمس و امتداد النهار و سمی الوقت به،و سجو اللیل سکونه و هو غشیان ظلمته.

قوله تعالی:« مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ » التودیع الترک،و القلی بکسر القاف البغض أو شدته،و الآیه جواب القسم،و مناسبه نور النهار و ظلمه اللیل لنزول الوحی و انقطاعه ظاهره.

قوله تعالی:« وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولیٰ »فی معنی الترقی بالنسبه إلی ما تفیده الآیه السابقه من کونه(ص)علی ما هو علیه من موقف الکرامه و العنایه الإلهیه کأنه قیل:أنت علی ما کنت علیه من الفضل و الرحمه ما دمت حیا فی الدنیا و حیاتک الآخره خیر لک من حیاتک الدنیا.

قوله تعالی:« وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ »تقریر و تثبیت لقوله:« وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولیٰ »و قد اشتمل الوعد علی عطاء مطلق یتبعه رضی مطلق.

و قیل:الآیه ناظره إلی الحیاتین جمیعا دون الحیاه الآخره فقط.

قوله تعالی:« أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآویٰ »الآیه و ما یتلوها من الآیتین إشاره إلی بعض نعمه تعالی العظام علیه(ص)فقد مات أبوه و هو فی بطن أمه ثم ماتت أمه و هو ابن سنتین ثم مات جده الکفیل له و هو ابن ثمان سنین فکفله عمه و رباه.

و قیل:المراد بالیتیم الوحید الذی لا نظیر له فی الناس کما یقال:در یتیم،و المعنی أ لم یجدک وحیدا بین الناس فآوی الناس إلیک و جمعهم حولک.

قوله تعالی:« وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ »المراد بالضلال عدم الهدایه و المراد بکونه(ص) ضالا حاله فی نفسه مع قطع النظر عن هدایته تعالی فلا هدی له(ص)و لا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد کانت نفسه فی نفسها ضاله و إن کانت الهدایه الإلهیه ملازمه لها منذ وجدت فالآیه فی معنی قوله تعالی: «مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتٰابُ وَ لاَ الْإِیمٰانُ»

:الشوری:۵۲،و من هـذا البـاب قول موسـی علی مـا حکی الله عنه: «فَعَلْتُهٰا إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّٰالِّینَ» :الشـعراء:۲۰ أی لم أهتـد بهدی الرساله بعد.

و یقرب منه ما قیل:إن المراد بالضلال الذهاب من العلم کما فی قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰاهُمٰا فَتُذَکِّرَ إِحْدٰاهُمَا الْأُخْریٰ» :البقره:۲۸۲،و یؤیده قوله: «وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغٰافِلِینَ» :یوسف:۳.

و قیل المعنی وجدک ضالا بین الناس لا یعرفون حقک فهداهم إلیک و دلهم علیک.

و قیل:إنه إشاره إلی ضـلاله فی طریق مکه حینما کانت تجیء به حلیمه بنت أبی ذؤیب من البـدو إلی جـده عبد المطلب علی ما روی.

و قیل:إشاره إلی ما روی من ضلاله فی شعاب مکه صغیرا.

و قیل:إشاره إلی ما روی من ضلاله فی مسیره إلی الشام مع عمه أبی طالب فی قافله میسره غلام خدیجه.

و قیل:غیر ذلک و هی وجوه ضعیفه ظاهره الضعف.

قوله تعالی:« وَ وَجَدَکَ عٰائِلاً فَأَغْنیٰ » العائل الفقیر الـذی لا مال له و قد کان(ص) فقیرا لا مال له فأغناه الله بعد ما تزوج بخدیجه بنت خویلد(ع)فوهبت له مالها و کان لها مال کثیر، و قیل المراد بالإغناء استجابه دعوته.

قوله تعالی:« فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلاٰ تَقْهَرْ »قال الراغب: القهر الغلبه و التذلیل معا و یستعمل فی کل واحد منهما،انتهی.

قوله تعالی:« وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ » النهر هو الزجر و الرد بغلظه.

قوله تعالی:« وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ » التحدیث بالنعمه ذکرها قولا و إظهارها فعلا و ذلک شکرها،و هذه الأوامر عامه للناس و إن کانت موجهه إلی النبی ص.

و الآیات الثلاث متفرعه علی الآیات الثلاث التی تسـبقها و تـذکر نعمه تعالی علیه کأنه قیل:فقـد وجـدت ما یجـده الیتیم من ذله الیتیم و انکساره فلا تقهر الیتیم باسـتذلاله فی نفسه أو ماله،و وجـدت مراره حاجه الضال إلی الهدی و العائل إلی الغنی فلا تزجر سائلا یسألک رفع حاجته إلی هـدی أو معاش،و وجدت أن ما عندک نعمه أنعمها علیک ربک بجوده و کرمه و رحمته فاشـکر نعمته بالتحدیث بها و لا تسترها.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ الضُّحىٰ »قال:إذا ارتفعت الشمس « وَ اللَّيْلِ إِذٰا سَجىٰ »قال:إذا أظلم.

و فيه،":فی قوله تعالی« وَ مٰا قَلىٰ »قال:لم يبغضک.

و فی الدر المنثور،:فی قوله تعالی:« وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ »:

أخرج ابن أبی شيبه عن ابن مسعود قال:قال رسول الله ص: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخره علی الدنيا- « وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ ».

و فيه،أخرج العسكری فی المواعظ و ابن لآل و ابن النجار عن جابر بن عبد الله قال*:

دخل رسول الله ص علی فاطمه-و هی تطحن بالرحی و عليها كساء من حله الإبل-فلما نظر إليها قال:يا فاطمه تعجلی-فتجرعی مراره الدنيا لنعيم الآخره غدا-فأنزل الله « وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ ».

أقول:تحتمل الروايه نزول الآيه وحدها بعد نزول بقيه آيات السوره قبلها ثم الإلحاق و تحتمل نزولها وحدها ثانيا.

و فيه،أخرج ابن المنذر و ابن مردويه و أبو نعيم فی الحليه من طريق حرب بن شريح قال*: قلت لأبی جعفر محمد بن علی بن الحسين:أ رأيت هذه الشفاعه التی يتحدث بها أهل العراق أ حق هی؟قال:إی و الله حدثنی عمی محمد بن الحنفيه-عن علی أن رسول الله ص قال:أشفع لأمتی حتی ينادينی ربی:أ رضيت يا محمد؟فأقول:نعم يا رب رضيت.

ثم أقبل علی فقال:إنكم تقولون يا معشر أهل العراق،إن أرجی آيه فی كتاب الله:

« يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ-لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ-إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً » قلت:إنا لنقول ذلک،قال:فكلنا أهل البيت نقول:إن أرجی آيه فی كتاب الله- « وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ »الشفاعه.

و فی تفسير البرهان،عن ابن بابويه بإسناده عن ابن الجهم عن الرضا(ع) *فی مجلس المأمون قال:قال الله تعالی لنبيه محمد ص:« أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوىٰ »يقول:أ لم يجدک وحيدا فآوی إليک الناس؟« وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ »يعنی عند قومک« فَهَدىٰ »أی هداهم إلی معرفتک؟« وَ وَجَدَکَ عٰائِلاً فَأَغْنىٰ »يقول:أغناک بأن جعل دعاءک مستجابا؟فقال

المأمون:بارک الله فیک یا ابن رسول الله.

و فیه،عن البرقی بإسناده عن عمرو بن أبی نصر قال*:حدثنی رجل من أهل البصره قال: رأیت الحسین بن علی(ع)و عبد الله بن عمر-یطوفان بالبیت-فسألت ابن عمر فقلت:قول الله تعالی:« وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ »قال:أمره أن یحدث بما أنعم الله علیه.

ثم إنی قلت للحسین بن علی(ع):قول الله تعالی:« وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ » قال:أمره أن یحدث بما أنعم الله علیه من دینه.

و فی الدر المنثور،عن البیهقی عن الحسن بن علی *فی قوله:« وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ » قال:إذا أصبت خیرا فحدث إخوانک.

و فیه،أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبی ص قال*: من أبلی بلاء فذکره فقد شکره-و من کتمه فقد کفره،و من تحلی بما لم یعط فإنه کلابس ثوب زور.

(۹۴) سوره أ لم نشرح مکیه أو مدنیه و هی ثمان آیات(۸)

[سوره الشرح (۹۴): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (۱) وَ وَضَعْنٰا عَنْکَ وِزْرَکَ (۲) اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ (۳) وَ رَفَعْنٰا لَکَ ذِکْرَکَ (۴) فَإِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ یُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ یُسْراً (۶) فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (۷) وَ إِلیٰ رَبِّکَ فَارْغَبْ (۸)

بیان

أمر بالنصب فی الله و الرغبه إلیه توصل إلیه بتقدمه الامتنان و السوره تحتمل المکیه و المدنیه و سیاق آیاتها أوفق للمدنیه.

و فی بعض الروایات عن أئمه أهل البیت(ع)أن الضحی و أ لم نشرح سوره

واحده،و یروی ذلک أیضا عن طاووس و عمر بن عبد العزیز قال الرازی فی التفسیر الکبیر بعد نقله عنهما و الذی دعاهما إلی ذلک هو أن قوله تعالی:« أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ »کالعطف علی قوله:« أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً »و لیس کذلک لأن الأول کان نزوله حال اغتمام الرسول ص من إیذاء الکفار فکانت حال محنه و ضیق صدر،و الثانی یقتضی أن یکون حال النزول منشرح الصدر طیب القلب فأنی یجتمعان انتهی.

و فیه أن المراد بشرح صدره(ص)فی الآیه جعله بحیث یسع ما یلقی إلیه من الحقائق و لا یضیق بما ینزل علیه من المعارف و ما یصیبه من أذی الناس فی تبلیغها کما سیجیء لا طیب القلب و السرور کما فسره.

و یدل علی ذلک

ما رواه ابن أبی حاتم عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال*:قال رسول الله ص: لقد سألت ربی مسأله وددت أنی لم أسأله-قلت:أی رب أنه قد کان أنبیاء قبلی منهم-من سخرت له الریح-و منهم من کان یحیی الموتی.قال:فقال:أ لم أجدک یتیما فآویتک؟قال:قلت:بلی-قال:أ لم أجدک ضالا فهدیتک؟قال:قلت:

بلی أی رب.قال:أ لم أشرح لک صدرک و وضعت عنک وزرک؟قال:قلت:بلی أی رب ، و للکلام تتمه ستوافیک فی تفسیر سوره الإیلاف إن شاء الله تعالی.

قوله تعالی:« أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ »قال الراغب:أصل الشرح بسط اللحم و نحوه یقال:شرحت اللحم و شرحته و منه شرح الصدر أی بسطته بنور إلهی و سکینه من جهه الله و روح منه قال تعالی:« رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی »« أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ » « فَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ »انتهی.

و ترتب الآیات الثلاث الأول فی مضامینها ثم تعلیلها بقوله:« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً » الظاهر فی الانطباق علی حاله(ص)فی أوائل دعوته و أواسطها و أواخرها ثم تکرار التعلیل ثم تفریع آیتی آخر السوره کل ذلک یشهد علی کون المراد بشرح صدره(ص) بسطه بحیث یسع ما یلقی إلیه من الوحی و یؤمر بتبلیغه و ما یصیبه من المکاره و الأذی فی الله،و بعباره أخری جعل نفسه المقدسه مستعده تامه الاستعداد لقبول ما یفاض علیها من جانب الله تعالی.

قوله تعالی:« وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ » الوزر الحمل الثقیل،و إنقاض الظهر کسره بحیث یسمع له صوت کما یسمع من السریر و نحوه عند استقرار شیء ثقیل

علیه،و المراد به ظهور ثقل الوزر علیه ظهورا بالغا.

و وضع الوزر إذهاب ما یحس من ثقله و جمله:« وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ »معطوفه علی قوله:« أَ لَمْ نَشْرَحْ »إلخ لما أن معناه قد شرحنا لک صدرک.

و المراد بوضع وزره(ص)علی ما یفیده السیاق-و قد أشرنا إلیه-إنفاذ دعوته و إمضاء مجاهدته فی الله بتوفیق الأسباب فإن الرساله و الدعوه و ما یتفرع علی ذلک هی الثقل الذی حمله إثر شرح صدره.

و قیل:وضع الوزر إشاره إلی ما وردت به الروایه أن ملکین نزلا علیه و فلقا صدره و أخرجا قلبه و طهراه ثم رداه إلی محله و ستوافیک روایته.

و قیل:المراد بالوزر ما صدر عنه(ص)قبل البعثه،و قیل:غفلته عن الشرائع و نحوها مما یتوقف علی الوحی مع تطلبه،و قیل:حیرته فی بعض الأمور کأداء حق الرساله،و قیل:الوحی و ثقله علیه فی بادئ أمره،و قیل:ما کان یری من ضلال قومه و عنادهم مع عجزه عن إرشادهم،و قیل:ما کان یری من تعدیهم و مبالغتهم فی إیذائه، و قیل:همه لوفاه عمه أبی طالب و زوجه خدیجه،و قیل:الوزر المعصیه و رفع الوزر عصمته، و قیل:الوزر ذنب أمته و وضعه غفرانه.

و هذه الوجوه بعضها سخیف و بعضها ضعیف لا یلائم السیاق،و هی بین ما قیل به و بین ما احتمل احتمالا.

قوله تعالی:« وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ » رفع الذکر إعلاؤه عن مستوی ذکر غیره من الناس و قد فعل سبحانه به ذلک،و من رفع ذکره أن قرن الله اسمه(ص)باسمه فاسمه قرین اسم ربه فی الشهادتین اللتین هما أساس دین الله،و علی کل مسلم أن یذکره مع ربه کل یوم فی الصلوات الخمس المفروضه،و من اللطف وقوع الرفع بعد الوضع فی الآیتین.

قوله تعالی:« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً »لا یبعد أن یکون تعلیلا لما تقدم من وضع الوزر و رفع الذکر فما حمله الله من الرساله و أمر به من الدعوه-و ذلک أثقل ما یمکن لبشر أن یحمله-کان قد اشتد علیه الأمر بذلک،و کذا تکذیب قومه دعوته و استخفافهم به و إصرارهم علی إمحاء ذکره کان قد اشتد علیه فوضع الله وزره الذی حمله بتوفیق الناس لإجابه دعوته و رفع ذکره الذی کانوا یریدون إمحاءه و کان ذلک جریا علی سنته تعالی فی الکون من الإتیان بالیسر بعد العسر فعلل رفع الشده عنه(ص)بما أشار إلیه من

سنته،و على هذا فاللام فى«العسر»للجنس دون الاستغراق و لعل السنه سنه تحول الحوادث و تقلب الأحوال و عدم دوامها.

و عن الزمخشرى فى الكشاف،أن الفاء فى« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ »إلخ فصيحه و الكلام مسوق لتسليته(ص)بالوعد الجميل.

قال:كان المشركون يعيرون رسول الله ص و المؤمنين بالفقر و الضيقه حتى سبق إلى ذهنه الشريف أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله و احتقارهم فذكره سبحانه ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً كأنه قال:خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسرا.

و ظاهره أن اللام فى العسر للعهد دون الجنس و أن المراد باليسر ما رزقه الله المؤمنين بعد من الغنائم الكثيره.

و هو ممنوع فذهنه الشريف(ص)أجل من أن يخفى عليه حالهم و أنهم إنما يرغبون عن دعوته استكبارا على الحق و استعلاء على الله على أن القوم لم يرغبوا فى الإسلام حتى بعد ظهور شوكته و إثراء المؤمنين و قد أيأس الله نبيه من إيمان أكثرهم حيث قال: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ X-إلى أن قال-X وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ» :يس:١٠ و الآيات مكيه و قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ» :البقره:۶ و الآيه مدنيه.

و لو حمل اليسر بعد العسر على شوكه الإسلام و رفعته بعد ضعته مع أخذ السوره مكيه لم يكن به كثير بأس.

قوله تعالى:« إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً »تكرار للتأكيد و التثبيت و قيل:استئناف و ذكروا أن فى الآيتين دلاله على أن مع العسر الواحد يسران بناء على أن المعرفه إذا أعيدت ثانيه فى الكلام كان المراد بها عين الأولى بخلاف النكره كما أنه لو قيل:إذا اكتسبت الدرهم أو درهما فأنفق الدرهم كان المراد بالثانى هو الأول بخلاف ما لو قيل:

إذا اكتسبت درهما فأنفق درهما و ليست القاعده بمطرده.

و التنوين فى« يُسْراً »للتنويع لا للتفخيم كما ذكره بعضهم،و المعيه معيه التوالى دون المعيه بمعنى التحقق فى زمان واحد.

قوله تعالى:« فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَ إِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ »خطاب للنبى ص متفرع

على ما بين قبل من تحميله الرساله و الدعوه و منه تعالى عليه بما من من شرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر و كل ذلك من اليسر بعد العسر.

و عليه فالمعنى إذا كان العسر يأتى بعده اليسر و الأمر فيه إلى الله لا غير فإذا فرغت مما فرض عليك فأتعب نفسك فى الله-بعبادته و دعائه-و ارغب فيه ليمن عليك بما لهذا التعب من الراحه و لهذا العسر من اليسر.

و قيل:المراد إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل،و قيل:إذا فرغت من الصلاه فانصب فى الدعاء،و ما يتضمنه القولان بعض المصاديق.

و قيل:المعنى إذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العباده و قيل:المراد إذا فرغت من دنياك فانصب فى آخرتك و قيل غير ذلك و هى وجوه ضعيفه.

بحث روائى

فى الدر المنثور،أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن أبى بن كعب *أن أبا هريره قال:يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوه؟فاستوى رسول الله ص جالسا و قال:لقد سألت أبا هريره-إنى لفى صحراء ابن عشرين سنه و أشهرا-إذا بكلام فوق رأسى و إذا رجل يقول لرجل:أ هو هو؟فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط،و أرواح لم أجدها فى خلق قط-و ثياب لم أجدها على أحد قط-فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى-لا أجد لأحدهما مسا.

فقال أحدهما لصاحبه:أضجعه فأضجعنى بلا قصر و لا هصر-فقال أحدهما:أفلق صدره فحوى أحدهما إلى صدرى-ففلقه فيما أرى بلا دم و لا وجع-فقال له:أخرج الغل و الحسد- فأخرج شيئا كهيئه العلقه ثم نبذها فطرحها-فقال له:أدخل الرأفه و الرحمه-فإذا مثل الذى أخرج شبه الفضه-ثم هز إبهام رجلى اليمنى و قال:اغد و أسلم-فرجعت بها أغدو بها رقه على الصغير و رحمه للكبير.

أقول:و فى نقل بعضهم-كما فى روح المعانى،-ابن عشر حجج مكان قوله:ابن عشرين سنه و أشهرا،و فى بعض الروايات نقل القصه عند نزول سوره اقرأ باسم ربك و فى بعضها كما فى صحيح البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى نقل القصه عند إسراء النبى.

و القصه على أى حال من قبيل التمثل بلا إشكال،و قد أطالوا البحث فى توجيه ما

تتضمنه على أنها واقعه ماديه فتمحلوا بوجوه لا جدوى فى التعرض لها بعد فساد أصلها.

و فيه،أخرج أبو يعلى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن حبان و ابن مردويه و أبو نعيم فى الدلائل عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ص قال*: أتانى جبرئيل فقال:

إن ربك يقول:تدرى كيف رفعت ذكرك؟قلت:الله أعلم-قال:إذا ذكرت معى.

و فيه،أخرج عبد الرزاق و ابن جرير و الحاكم و البيهقى عن الحسن قال*: خرج النبى ص يوما مسرورا و هو يضحك و يقول:لن يغلب عسر يسرين« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ».

و فى المجمع،: فى قوله تعالى:« فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَ إِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ »معناه فإذا فرغت من الصلاه المكتوبه-فانصب إلى ربك فى الدعاء و ارغب إليه فى المسأله:.قال:

و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) .

(۹۵) سوره التين مكيه و هى ثمان آيات(۸)

[سوره التين (۹۵): الآيات ۱ الى ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

وَ اَلتِّينِ وَ اَلزَّيْتُونِ (۱) وَ طُورِ سِينِينَ (۲) وَ هٰذَا اَلْبَلَدِ اَلْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴) ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ (۵) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمٰا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (۷) أَ لَيْسَ اَللّٰهُ بِأَحْكَمِ اَلْحٰاكِمِينَ (۸)

بيان

تذكر السوره البعث و الجزاء و تسلك إليه من طريق خلق الإنسان فى أحسن تقويم ثم اختلافهم بالبقاء على الفطره الأولى و خروجهم منها بالانحطاط إلى أسفل سافلين و وجوب التمييز بين الطائفتين جزاء باقتضاء الحكمه.

و السوره مكيه و تحتمل المـدنيه و يؤيد نزولها بمكه قوله:« وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ » و ليس بصـريح فيه لاحتمال نزولها بعد الهجره و هو(ص)بمكه.

قوله تعالى:« وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ »قيل:المراد بالتين و الزيتون الفاكهتان المعروفتان أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمه و الخواص النافعه، و قيل المراد بهما شـجرتا التين و الزيتون،و قيل:المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق و بالزيتون الجبل الـذى عليه بيت المقـدس،و لعل إطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبتيهما و لعل الإقسام بهما لكونهما مبعثى جم غفير من الأنبياء و قيل غير ذلك.

و المراد بطور سينين الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى بن عمران(ع)، و يسمى أيضا طور سيناء.

و المراد بهـذا البلـد الأـمين مكه المشـرفه لأـن الأـمن خاصه مشـرعه للحرم و هى فيه قال تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً» :العنكبوت:۶۷ و فى دعاء إبراهيم (ع)على ما حكى الله عنه: «رَبِّ اجْعَلْ هٰـذٰا بَلَـداً آمِناً» :البقره:۱۲۶،و فى دعائه ثانيا: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً» :إبراهيم:۳۵.

و فى الإشاره بهذا إلى البلد تثبيت التشـريف عليه بالتشـخيص و توصيفه بالأمين إما لكونه فعيلا بمعنى الفاعل و يفيد معنى النسبه و المعنى ذى الأـمن كاللاـبن و التامر و إما لكونه فعيلا بمعنى المفعول و المراد البلـد الـذى يؤمن الناس فيه أى لا يخاف فيه من غوائلهم ففى نسبه الأمن إلى البلد نوع تجوز.

قوله تعـالى:« لَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسٰـانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ »جواب للقسم و المراد بكون خلقه فى أحسن تقويم اشـتمال التقويم عليه فى جميع شـئونه و جهـات وجوده،و التقويم جعـل الشـىء ذا قوام و قوام الشـىء مـا يقوم به و يثبت فالإنسـان و المراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقه.

و معنى كونه ذا أحسن قوام بحسب الخلقه على ما يسـتفاد من قوله بعد:« ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْـفَلَ سٰافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ »إلخ صلوحه بحسب الخلقه للعروج إلى الرفيع الأـعلى و الفوز بحيـاه خالـده عنـد ربه سـعيده لاـ شـقوه معها،و ذلك بما جهزه الله به من العلم النافع و مكنه منه من العمل الصالح قال تعالى: «وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا» :الشـمس:۸ فإذا آمن بما علم و زاول صالح العمـل رفعه الله إليه كمـا قـال: «إِلَيْهِ يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَـلُ الصّٰالِحُ يَرْفَعُهُ» :فـاطر:۱۰،و قـال: «وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْـوىٰ مِنْكُمْ» :الحج:۳۷.

و قال: «يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكَمْ وَ الَّذِينَ أَوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» :المجادله:١١ و قال:

«فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الـدَّرَجَاتُ الْعُلىٰ» :طه:٧۵ إلى غير ذلـک من الآيـات الـداله على ارتفـاع مقـام الإنسـان و ارتقـائه بالإيمان و العمل الصالح عطاء من الله غير مجذوذ،و قد سماه تعالى أجرا كما يشير إليه قوله الآتى:« فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ».

قوله تعالى:« ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ »ظاهر الرد أن يكون بمعناه المعروف فأسفل منصوب بنزع الخافض،و المراد بأسفل سافلين مقام منحط هو أسفل من سفل من أهل الشقوه و الخسران و المعنى ثم رددنا الإنسان إلى أسفل من سفل من أهل العذاب.

و احتمـل أن يكون الرد بمعنى الجعـل أى جعلنـاه أسـفل سـافلين،و أن يكون بمعنى التغيير و المعنى ثم غيرناه حال كونه أسـفل جمع سافلين،و المراد بالسفاله على أى حال الشقاء و العذاب.

و قيل:المراد بخلق الإنسان فى أحسن تقويم ما عليه وجوده أوان الشباب من استقامه القوى و كمال الصوره و جمال الهيئه،و برده إلى أسـفل سـافلين رده إلى الهرم بتضـعيف قواه الظـاهره و الباطنه و نكس خلقته فتكون الآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ» :يس:۶٨.

و فيه أنه لا يلائمه مـا فى قوله:« إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ »من الاسـتثناء الظـاهر فى المتصل فإن حكم الخلق عام فى المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح و دعوى أن المؤمن أو المؤمن الصالح مصون من ذلک مجازفه.

و كذا القول بأن المراد بالإنسان هو الكافر و المراد بالرد رده إلى جهنم أو إلى نكس الخلق و الاستثناء منقطع.

قوله تعـالى:« إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »أى غير مقطوع استثناء متصل من جنس الإنسان،و تفريع قوله:« فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »عليه يؤيد كون المراد من رده إلى أسفل سافلين رده إلى الشقاء و العذاب.

قوله تعـالى:« فَمٰا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحٰاكِمِينَ »الخطاب للإنسان باعتبار الجنس،و قيل للنبى ص و المراد غيره،و« فَمٰا »استفهاميه توبيخيه،و« بِالدِّينِ » متعلق بيكـذبک،و الـدين الجزاء و المعنى-على مـا قيـل-مـا الـذى يجعلك مكـذبا بالجزاء يوم القيامه بعد ما جعلنا الإنسان طائفتين طائفه مردوده إلى أسفل سافلين و طائفه مأجوره أجرا غير ممنون.

و قوله:« أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحٰاكِمِينَ »الاستفهام للتقرير و كونه تعالى أحكم الحاكمين هو كونه فوق كل حاكم فى إتقان الحكم و حقيته و نفوذه من غير اضطراب و وهن و بطلان فهو تعالى يحكم فى خلقه و تدبيره بما من الواجب فى الحكمه أن يحكم به الناس من حيث الإتقان و الحسن و النفوذ و إذا كان الله تعالى أحكم الحاكمين و الناس طائفتان مختلفتان اعتقادا و عملا فمن الواجب فى الحكمه أن يميز بينهم بالجزاء فى حياتهم الباقيه و هو البعث.

فالتفريع فى قوله:« فَمٰا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ »من قبيل تفريع النتيجه على الحجه و قوله:« أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحٰاكِمِينَ »تتميم للحجه المشار إليها بما يتوقف عليه تمامها.

و المحصل أنه إذا كان الناس خلقوا فى أحسن تقويم ثم اختلفوا فطائفه خرجت عن تقويمها الأحسن و ردت إلى أسفل سافلين و طائفه بقيت فى تقويمها الأحسن و على فطرتها الأولى و الله المدبر لأمرهم أحكم الحاكمين،و من الواجب فى الحكمه أن تختلف الطائفتان جزاء،فهناك يوم تجزى فيه كل طائفه بما عملت و لا مسوغ للتكذيب به.

فالآيات-كما ترى-فى معنى قوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ» :_ص:٢٨،و قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَ مَمٰاتُهُمْ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ» :الجاثيه:٢١.

و بعض من جعل الخطاب فى قوله:« فَمٰا يُكَذِّبُكَ »للنبى ص جعل«ما»بمعنى من و الحكم بمعنى القضاء،و عليه فالمعنى إذا كان الناس مختلفين و لازم ذلك اختلاف جزائهم فى يوم معد للجزاء فمن الذى ينسبك إلى الكذب بالجزاء أ ليس الله بأقضى القاضين فهو يقضى بينك و بين المكذبين لك بالدين.

و أنت خبير بأن فيه تكلفا من غير موجب.

بحث روائى

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ- وَ طُورِ سِينِينَ وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ » التين المدينه و الزيتون بيت المقدس-و طور سينين الكوفه و هذا البلد الأمين مكه.

أقول:و قد ورد هذا المعنى فى بعض الروايات عن موسى بن جعفر عن آبائه(ع)

عن النبی ص و لا یخلو من شیء،

و فی بعضها: أن التین و الزیتون الحسن و الحسین و الطور علی-و البلد الأمین النبی ص و لیس من التفسیر فی شیء.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن جابر بن عبد الله *أن خزیمه بن ثابت و لیس بالأنصاری سأل النبی ص-عن البلد الأمین فقال:مکه.

(۹۶) سوره العلق مکیه و هی تسع عشره آیه(۱۹)

[سوره العلق (۹۶): الآیات ۱ الی ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ اَلَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ اَلْأَکْرَمُ (۳) اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ اَلْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ یَعْلَمْ (۵)
کَلاّٰ إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ (۶) أَنْ رَآهُ اِسْتَغْنیٰ (۷) إِنَّ إِلیٰ رَبِّکَ اَلرُّجْعیٰ (۸) أَ رَأَیْتَ اَلَّذِی یَنْهیٰ (۹) عَبْداً إِذٰا صَلّٰی (۱۰) أَ رَأَیْتَ إِنْ
کٰانَ عَلَی اَلْهُدیٰ (۱۱) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْویٰ (۱۲) أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی (۱۳) أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اَللّٰهَ یَریٰ (۱۴) کَلاّٰ لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعاً
بِالنّٰاصِیَهِ (۱۵) نٰاصِیَهٍ کٰاذِبَهٍ خٰاطِئَهٍ (۱۶) فَلْیَدْعُ نٰادِیَهُ (۱۷) سَنَدْعُ اَلزَّبٰانِیَهَ (۱۸) کَلاّٰ لاٰ تُطِعْهُ وَ اُسْجُدْ وَ اِقْتَرِبْ (۱۹)

بیان

أمر للنبی ص بتلقی القرآن بالوحی منه تعالی و هی أول سوره نزلت من القرآن، و سیاق آیاتها لا یأبی نزولها دفعه واحده کما سنشیر إلیه،و هی مکیه قطعا.

قوله تعالی:« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ »قال الراغب:

و القراءه ضم الحروف و الکلمات بعضها إلی بعض فی الترتیل،و لیس یقال ذلک لکل

جمع لا يقال:قرأت القوم إذا جمعتهم،و يدل على ذلک أنه لا يقال:للحرف الواحد إذا تفوه به:قراءه انتهى.

و على أى حال،يقال:قرأت الکتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف و الکلمات بضم بعضها إلى بعض فى الذهن و إن لم تتلفظ بها،و يقال:قرأته إذا جمعت الحروف و الکلمات بضم بعضها إلى بعض فى التلفظ،و يقال قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه و کلماته فى سمعه و يطلق عليها بهذا المعنى التلاوه أيضا قال تعالى: «رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً» :البينه:٢.

و ظاهر إطلاق قوله:« اِقْرَأْ »المعنى الأول و المراد به الأمر بتلقى ما يوحيه إليه ملک الوحى من القرآن فالجمله أمر بقراءه الکتاب و هى من الکتاب کقول القائل فى مفتتح کتابه لمن أرسله إليه:اقرأ کتابى هذا و اعمل به فقوله هذا أمر بقراءه الکتاب و هو من الکتاب.

و هذا السياق يؤيد أولا ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبى ص.

و ثانيا أن التقدير اقرأ القرآن أو ما فى معناه،و ليس المراد مطلق القراءه باستعمال «اقرأ»استعمال الفعل اللازم بالإعراض عن المفعول،و لا المراد القراءه على الناس بحذف المتعلق و إن کان ذلک من أغراض النزول کما قال: «وَ قُرْآناً فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّٰاسِ عَلىٰ مُکْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِيلاً» :إسراء:١٠۶،و لا أن قوله:« بِاسْمِ رَبِّکَ »مفعول« اِقْرَأْ »و الباء زائده و التقدير اقرأ اسم ربک أى بسمل.

و قوله:« بِاسْمِ رَبِّکَ »متعلق بمقدر نحو مفتتحا و مبتدئا أو باقرأ و الباء للملابسه و لا ينافى ذلک کون البسمله المبتدأه بها السوره جزء من السوره فهى من کلام الله افتتح سبحانه بها و أمر أن يقرأ مبتدئا بها کما أمر أن يقرأ قوله:« اِقْرَأْ بِاسْمِ »إلخ ففيه تعليم بالعمل نظير الأمر بالاستثناء فى قوله: «وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فٰاعِلٌ ذٰلِکَ غَداً إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ» الکهف:٢۴ فافهم ذلک.

و فى:قوله« رَبِّکَ الَّذِي خَلَقَ »إشاره إلى قصر الربوبيه فى الله عز اسمه و هو توحيد الربوبيه المقتضيه لقصر العباده فيه فإن المشرکين کانوا يقولون:إن الله سبحانه ليس له إلا الخلق و الإيجاد و أما الربوبيه و هى الملک و التدبير فلمقربى خلقه من الملائکه و الجن و الإنس فدفعه الله بقوله:« رَبِّکَ الَّذِي خَلَقَ »الناص على أن الربوبيه و الخلق له وحده.

و قوله:« خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ »المراد جنس الإنسان المتناسل و العلق الدم المنجمد

و المراد به ما يستحيل إليه النطفه فى الرحم.

ففى الآيه إشاره إلى التدبير الإلهى الوارد على الإنسان من حين كان علقه إلى حين يصير إنسانا تاما كاملا له من أعاجيب الصفات و الأفعال ما تتحير فيه العقول فلم يتم الإنسان إنسانا و لم يكمل إلا بتدبير متعاقب منه تعالى و هو بعينه خلق بعد خلق فهو تعالى رب مدبر لأمر الإنسان بعين أنه خالق له فليس للإنسان إلا أن يتخذه وحده ربا ففى الكلام احتجاج على توحيد الربوبيه.

قوله تعالى:« اِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ »أمر بالقراءه ثانيا تأكيدا للأمر الأول على ما هو ظاهر سياق الإطلاق.

و قيل:المراد به الأمر بالقراءه على الناس و هو التبليغ بخلاف الأمر الأول فالمراد به الأمر بالقراءه لنفسه،كما قيل:إن المراد بالأمرين جميعا الأمر بالقراءه على الناس، و الوجهان غير ظاهرين.

و قوله:« وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ »أى الذى يفوق عطاؤه عطاء ما سواه فهو تعالى يعطى لا عن استحقاق و ما من نعمه إلا و ينتهى إيتاؤها إليه تعالى.

و قوله:« اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ »الباء للسببيه أى علم القراءه أو الكتابه و القراءه بواسطه القلم و الجمله حاليه أو استئنافيه،و الكلام مسوق لتقويه نفس النبى ص و إزاله القلق و الاضطراب عنها حيث أمر بالقراءه و هو أمى لا يكتب و لا يقرأ كأنه قيل:اقرأ كتاب ربك الذى يوحيه إليك و لا تخف و الحال أن ربك الأكرم الذى علم الإنسان القراءه بواسطه القلم الذى يخط به فهو قادر على أن يعلمك قراءه كتابه و أنت أمى و قد أمرك بالقراءه و لو لم يقدرك عليها لم يأمرك بها.

ثم عمم سبحانه النعمه فذكر تعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال:« عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ »و فيه مزيد تقويه لقلب النبى ص و تطييب لنفسه.

و المراد بالإنسان الجنس كما هو ظاهر السياق و قيل:المراد به آدم(ع)،و قيل:

إدريس(ع)لأنه أول من خط بالقلم،و قيل:كل نبى كان يكتب و هى وجوه ضعيفه بعيده عن الفهم.

قوله تعالى:« كَلاّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى »ردع عما يستفاد من الآيات السابقه أنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم و سائر ما علم و التعليم

من طریق الوحی فعلی الإنسان أن یشکره علی ذلک لکنه یکفر بنعمته تعالی و یطغی.

و قوله:« إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی »أن یتعدی طوره،و هو إخبار بما فی طبع الإنسان ذلک کقوله: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفّارٌ» :إبراهیم:۳۴.

و قوله:« أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی »من الرأی دون الرؤیه البصریه،و فاعل« رَآهُ »و مفعوله الإنسان.و جمله« أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی »فی مقام التعلیل أی لیطغی لأنه یعتقد نفسه مستغنیا عن ربه المنعم علیه فیکفر به،و ذلک أنه یشتغل بنفسه و الأسباب الظاهریه التی یتوصل بها إلی مقاصده فیغفل عن ربه من غیر أن یری حاجه منه إلیه تبعثه إلی ذکره و شکره علی نعمه فینساه و یطغی.

قوله تعالی:« إِنَّ إِلی رَبِّکَ الرُّجْعی » الرجعی هو الرجوع و الظاهر من سیاق الوعید الآتی أنه وعید و تهدید بالموت و البعث،و الخطاب للنبی ص،و قیل:الخطاب للإنسان بطریق الالتفات للتشدید،و الأول أظهر.

قوله تعالی:« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهی عَبْداً إِذا صَلّی أَ رَأَیْتَ إِنْ کانَ عَلَی الْهُدی أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوی أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّی أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ یَری »بمنزله ذکر بعض المصادیق للإنسان الطاغی و هو کالتوطئه لوعیده بتصریح العقاب و النهی عن طاعته و الأمر بعبادته تعالی، و المراد بالعبد الذی کان یصلی هو النبی ص علی ما یستفاد من آخر الآیات حیث ینهاه (ص)عن طاعه ذلک الناهی و یأمره بالسجود و الاقتراب.

و سیاق الآیات-علی تقدیر کون السوره أول ما نزل من القرآن و نزولها دفعه واحده- یدل علی صلاه النبی ص قبل نزول القرآن و فیه دلاله علی نبوته قبل رسالته بالقرآن.

و أما ما ذکره بعضهم أنه لم یکن الصلاه مفروضه فی أول البعثه و إنما شرعت لیله المعراج علی ما فی الأخبار و هو قوله تعالی: «أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ» :إسراء:۷۸.

ففیه أن المسلم من دلالتها أن الصلوات الخمس الیومیه إنما فرضت بهیئتها الخاصه رکعتین رکعتین لیله المعراج و لا دلاله فیها علی عدم تشریعها قبل و قد ورد فی کثیر من السور المکیه و منها النازله قبل سوره الإسراء کالمدثر و المزمل و غیرهما ذکر الصلاه بتعبیرات مختلفه و إن لم یظهر فیها من کیفیتها إلا أنها کانت مشتمله علی تلاوه شیء من القرآن و السجود.

و قد ورد فی بعض الروایات صلاه النبی ص مع خدیجه و علی فی أوائل البعثه و إن لم یذکر کیفیه صلاتهم.

و بالجمله قوله:« أَ رَأَیْتَ »بمعنی أخبرنی،و الاستفهام للتعجیب،و المفعول الأول لقوله:

« أَ رَأَیْتَ »الأول قوله:« اَلَّذِی یَنْهیٰ »و لأرأیت الثالث ضمیر عائد إلی الموصول،و لأرأیت الثانی ضمیر عائد إلی قوله:« عَبْداً »و المفعول الثانی لأرأیت فی المواضع الثلاث قوله:

« أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ یَریٰ ».

و محصل معنی الآیات أخبرنی عن الذی ینهی عبدا إذا صلی و عبد الله الناهی یعلم أن الله یری ما یفعله کیف یکون حاله.أخبرنی عن هذا الناهی إن کان ذاک العبد المصلی علی الهدی أو أمر بالتقوی کیف یکون حال هذا الناهی و هو یعلم أن الله یری.

أخبرنی عن هذا الناهی أن تلبس بالتکذیب للحق و التولی عن الإیمان به و نهی العبد المصلی عن الصلاه و هو یعلم أن الله یری؟هل یستحق إلا العذاب.؟ و قیل:المفعول الأول لأرأیت فی جمیع المواضع الثلاث هو الموصول أو الضمیر العائد إلیه تحرزا عن التفکیک بین الضمائر.

و الأولی علی هذا أن یجعل معنی قوله:« أَ رَأَیْتَ إِنْ کٰانَ عَلَی الْهُدیٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْویٰ » أخبرنی عن هذا الناهی إن کان علی الهدی أو أمر بالتقوی و هو یعلم أن الله یری ما ذا کان یجب علیه أن یفعله و یأمر به؟و کیف یکون حاله و قد نهی عن عباده الله سبحانه؟ و هو مع ذلک معنی بعید و لا بأس بالتفکیک بین الضمائر مع مساعده السیاق و إعانه القرائن.

و قوله:« أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ یَریٰ »المراد به العلم علی طریق الاستلزام فإن لازم الاعتقاد بأن الله خالق کل شیء هو الاعتقاد بأن له علما بکل شیء و إن غفل عنه و قد کان الناهی وثنیا مشرکا و الوثنیه معترفون بأن الله هو خالق کل شیء و ینزهونه عن صفات النقص فیرون أنه تعالی لا یجهل شیئا و لا یعجز عن شیء و هکذا.

قوله تعالی:« کَلاّٰ لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّٰاصِیَهِ نٰاصِیَهٍ کٰاذِبَهٍ خٰاطِئَهٍ »قال فی المجمع،:

و السفع الجذب الشدید یقال:سفعت بالشیء إذا قبضت علیه و جذبته جذبا شدیدا.

انتهی،و فی توصیف الناصیه بالکذب و الخطإ و هما وصفا صاحب الناصیه مجاز.

و فی الکلام ردع و تهدید شدید،و المعنی لیس الأمر کما یقول و یرید أو لیس له ذلک.

أقسم لئن لم يكف عن نهيه و لم ينصرف لنأخذن بناصيته أخذ الذليل المهان و نجذبنه إلى العذاب تلك الناصيه التى صاحبها كاذب فيما يقول خاطئ فيما يفعل،و قيل:المعنى لنسمن ناصيته بالنار و نسودنها.

قوله تعالى:« فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ » النادى المجلس و كان المراد به أهل المجلس أى الجمع الذين يجتمع بهم،و قيل:الجليس،و الزبانيه الملائكه الموكلون بالنار،و قيل:

الزبانيه فى كلامهم الشرط،و الأمر تعجيزى أشير به إلى شده الأخذ و المعنى فليدع هذا الناهى جمعه لينجوه منا سندع الزبانيه الغلاظ الشداد الذين لا ينفع معهم نصر ناصر.

قوله تعالى:« كَلّا لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ »تكرار الردع للتأكيد،و قوله:« لا تُطِعْهُ »أى لا تطعه فى النهى عن الصلاه و هى القرينه على أن المراد بالسجود الصلاه،و لعل الصلاه التى كان(ص)يأتى بها يومئذ كانت تسبيحه تعالى و السجود له و قيل:المراد به السجود لقراءه هذه السوره التى هى إحدى العزائم الأربع فى القرآن.

و الاقتراب التقرب إلى الله،و قيل:الاقتراب من ثواب الله تعالى.

بحث روائى

فى الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و ابن جرير و ابن الأنبارى فى المصاحف و ابن مردويه و البيهقى من طريق ابن شهاب عن عروه بن الزبير عن عائشه أم المؤمنين أنها قالت*: أول ما بدئ به رسول الله ص من الوحى-الرؤيا الصالحه فى النوم-فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ثم حبب إليه الخلاء و كان يخلو بغار حراء-فيتحنث فيه و هو التعبد الليالى ذوات العدد- قبل أن ينزع إلى أهله و يتزود لذلك- ثم يرجع إلى خديجه فيتزود لمثلها-حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء-فجاءه الملك فقال:اقرأ قال:قلت:ما أنا بقارئ.قال:

فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى-فقال:اقرأ فقلت:ما أنا بقارئ-قال:

فأخذنى فغطنى الثانيه حتى بلغ منى الجهد-ثم أرسلنى فقال:اقرأ فقلت:ما أنا بقارئ- فأخذنى فغطنى الثالثه حتى بلغ منى الجهد- ثم أرسلنى فقال:« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ- خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ- اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الآيه.

فرجع بها رسول الله ص يرجف فؤاده-فدخل على خديجه بنت خويلد فقال:زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع-فقال لخديجه و أخبرها الخبر:لقد خشيت على نفسى فقالت خديجه:كلا ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم-و تحمل الكل و تكسب (۱)المعدوم و تقرى الضيف-و تعين على نوائب الحق (۲).

فانطلقت به خديجه-حتى أتت ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى-ابن عم خديجه و كان امرأ قد تنصر فى الجاهليه،و كان يكتب الكتاب العبرانى-فيكتب من الإنجيل بالعبرانيه ما شاء الله أن يكتب،و كان شيخا كبيرا قد عمى-فقالت له خديجه:يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقه:يا ابن أخى ما ذا ترى؟فأخبره رسول الله ص خبر ما رأى-فقال له ورقه:هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى!يا ليتنى أكون فيها جذعا-يا ليتنى أكون فيها حيا إذ يخرجك قومك-فقال رسول الله ص:أ و مخرجى هم؟قال:نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، و إن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا-ثم لم ينشب ورقه أن توفى و فتر الوحى.

قال ابن شهاب:و أخبرنى أبو سلمه بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال و هو يحدث عن فتره الوحى فقال فى حديثه*:بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء- فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء-جالس على كرسى بين السماء و الأرض-فرعبت منه فرجعت فقلت:زملونى زملونى-فأنزل الله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ- وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ فحمى الوحى و تتابع.

و فيه،أخرج ابن أبى شيبه و ابن جرير و أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الله بن شداد قال*:

أتى جبريل محمدا ص فقال:يا محمد اقرأ.قال:و ما أقرأ فضمه ثم قال:يا محمد اقرأ.قال:و ما أقرأ.قال: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ .حتى بلغ« ما لَمْ يَعْلَمْ ».

فجاء إلى خديجه فقال:يا خديجه-ما أراه إلا قد عرض لى-قالت:كلا و الله ما كان ربك يفعل ذلك بك-و ما أتيت فاحشه قط-فأتت خديجه ورقه فأخبرته الخبر قال:لئن كنت صادقه إن زوجك لنبى-و ليلقين من أمته شده و لئن أدركته لأومنن به.

قال:ثم أبطأ عليه جبريل فقالت خديجه:ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله-

---

۱- ۱) تكسى ط.

۲- ۲) الخلق ط.

« وَ الضُّحىٰ وَ اللَّيْلِ إِذٰا سَجىٰ مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلىٰ ».

أقول:و فی روایه: أن الذی ألقاه جبریل سوره الحمد.

و القصه لا تخلو من شیء و أهون ما فیها من الإشکال شک النبی ص فی کون ما شاهده وحیا إلهیا من ملک سماوی ألقی إلیه کلام الله و تردده بل ظنه أنه من مس الشیاطین بالجنون،و أشکل منه سکون نفسه فی کونه نبوه إلی قول رجل نصرانی مترهب و قد قال تعالی: «قُلْ إِنِّی عَلىٰ بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّی» :الأنعام:۵۷ و أی حجه بینه فی قول ورقه؟ و قال تعالی:« قُلْ هٰذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّٰهِ عَلىٰ بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی »فهل بصیرته(ص) هی سکون نفسه إلی قول ورقه؟و بصیره من اتبعه سکون أنفسهم إلی سکون نفسه إلی ما لا حجه فیه قاطعه؟و قال تعالی: «إِنّٰا أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ کَمٰا أَوْحَیْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِیِّینَ مِنْ بَعْدِهِ» :النساء:۱۶۳ فهل کان اعتمادهم فی نبوتهم علی مثل ما تقصه هذه القصه؟ و الحق أن وحی النبوه و الرساله یلازم الیقین من النبی و الرسول بکونه من الله تعالی علی ما ورد عن أئمه أهل البیت(ع).

و فی المجمع،": فی قوله:« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهىٰ »الآیه-أن أبا جهل قال:هل یعفر محمد وجهه بین أظهرکم؟قالوا:نعم.قال:فبالذی یحلف به-لئن رأیته یفعل ذلک لأطأن رقبته- فقیل له:ها هو ذلک یصلی فانطلق لیطأ علی رقبته-فما فجأهم إلا و هو ینکص علی عقبیه و یتقی بیدیه -فقالوا:ما لک یا أبا الحکم؟قال:إن بینی و بینه خندقا من نار و هؤلاء أجنحه،و قال نبی الله:و الذی نفسی بیده-لو دنا منی لاختطفته الملائکه عضوا عضوا- فأنزل الله« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهىٰ »إلی آخر السوره":. رواه مسلم فی الصحیح .

و فی تفسیر القمی،":فی الآیه:کان الولید بن المغیره ینهی الناس عن الصلاه-و أن یطاع الله و رسوله فقال الله:« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهىٰ عَبْداً إِذٰا صَلّٰی ».

أقول:مفاده لا یلائم ظهور سیاق الآیات فی کون المصلی هو النبی ص.

و فی المجمع،فی الحدیث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص قال*: أقرب ما یکون العبد من الله إذا کان ساجدا.

و فی الکافی،بإسناده إلی الوشاء قال:سمعت الرضا(ع)یقول: أقرب ما یکون العبد من الله و هو ساجد-و ذلک قوله:« وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ ».

و فی المجمع،روی عبد الله بن سنان عن أبی عبد الله(ع)قال*: العزائم الم التنزیل و حم السجده و النجم إذا هوی-و اقرأ باسم ربک،و ما عداها فی جمیع القرآن مسنون و لیس بمفروض.

(۹۷) سوره القدر مکیه و هی خمس آیات(۵)

[سوره القدر (۹۷): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهِ اَلْقَدْرِ (۱) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ اَلْقَدْرِ (۲) لَیْلَهُ اَلْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (۳) تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ اَلرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ (۴) سَلاٰمٌ هِیَ حَتّٰی مَطْلَعِ اَلْفَجْرِ (۵)

بیان

تذکر السوره إنزال القرآن فی لیله القدر و تعظم اللیله بتفضیلها علی ألف شهر و تنزل الملائکه و الروح فیها،و السوره تحتمل المکیه و المدنیه و لا یخلو بعض (۱)ما روی فی سبب نزولها عن أئمه أهل البیت (ع)و غیرهم من تأیید لکونها مدنیه.

قوله تعالی:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ »ضمیر« أَنْزَلْنٰاهُ »للقرآن و ظاهره جمله الکتاب العزیز لا بعض آیاته و یؤیده التعبیر بالإنزال الظاهر فی اعتبار الدفعه دون التنزیل الظاهر فی التدریج.

و فی معنی الآیه قوله تعالی: «وَ الْکِتٰابِ الْمُبِینِ إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبٰارَکَهٍ» :الدخان:۳ و ظاهره الإقسام بجمله الکتاب المبین ثم الإخبار عن إنزال ما أقسم به جمله.

فمدلول الآیات أن للقرآن نزولا جملیا علی النبی ص غیر نزوله التدریجی الذی تم فی مده ثلاث و عشرین سنه کما یشیر إلیه قوله: «وَ قُرْآناً فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّٰاسِ عَلیٰ مُکْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِیلاً» :إسراء:۱۰۶ و قوله: «وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً وٰاحِدَهً کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَکَ وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِیلاً» :الفرقان:۳۲.

فلا یعبأ بما قیل:إن معنی قوله:« أَنْزَلْنٰاهُ »ابتدأنا بإنزاله و المراد إنزال بعض القرآن.

ص: ۳۳۰

۱- ۱) و هو ما دل علی أن السوره بعد رؤیا النبی ص أن بنی أمیه یصعدون منبره فاغتم فسلاه الله بها.

و لیس فی کلامه تعالی ما یبین أن اللیله أیه لیله هی غیر ما فی قوله تعالی: «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» :البقره:۱۸۵ فإن الآیه بانضمامها إلی آیه القدر تدل علی أن اللیله من لیالی شهر رمضان.و أما تعیینها أزید من ذلک فمستفاد من الأخبار و سیجیء بعض ما یتعلق به فی البحث الروائی التالی إن شاء الله.

و قد سماها الله تعالی لیله القدر،و الظاهر أن المراد بالقدر التقدیر فهی لیله التقدیر یقدر الله فیها حوادث السنه من اللیله إلی مثلها من قابل من حیاه و موت و رزق و سعاده و شقاء و غیر ذلک کما یدل علیه قوله فی سوره الدخان فی صفه اللیله: «فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا کُنّا مُرْسِلِینَ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ» :الدخان:۶ فلیس فرق الأمر الحکیم إلا أحکام الحادثه الواقعه بخصوصیاتها بالتقدیر.

و یستفاد من ذلک أن اللیله متکرره بتکرر السنین ففی شهر رمضان من کل سنه قمریه لیله تقدر فیها أمور السنه من اللیله إلی مثلها من قابل إذ لا معنی لفرض لیله واحده بعینها أو لیال معدوده فی طول الزمان تقدر فیها الحوادث الواقعه التی قبلها و التی بعدها و إن صح فرض واحده من لیالی القدر المتکرره ینزل فیها القرآن جمله واحده.

علی أن قوله:« یُفْرَقُ »-و هو فعل مضارع-ظاهر فی الاستمرار،و قوله:« خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ »و« تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ »إلخ یؤید ذلک.

فلا وجه لما قیل:إنها کانت لیله واحده بعینها نزل فیها القرآن من غیر أن یتکرر، و کذا ما قیل:إنها کانت تتکرر بتکرر السنین فی زمن النبی ص ثم رفعها الله،و کذا ما قیل:إنها واحده بعینها فی جمیع السنه و کذا ما قیل:إنها فی جمیع السنه غیر أنها تتبدل بتکرر السنین فسنه فی شهر رمضان و سنه فی شعبان و سنه فی غیرهما.

و قیل: القدر بمعنی المنزله و إنما سمیت لیله القدر للاهتمام بمنزلتها أو منزله المتعبدین فیها،و قیل:القدر بمعنی الضیق و سمیت لیله القدر لضیق الأرض فیها بنزول الملائکه.و الوجهان کما تری.

فمحصل الآیات-کما تری-أنها لیله بعینها من شهر رمضان من کل سنه فیها أحکام الأمور بحسب التقدیر،و لا ینافی ذلک وقوع التغیر فیها بحسب التحقق فی ظرف السنه فإن التغیر فی کیفیه تحقق المقدر أمر و التغیر فی التقدیر أمر آخر کما أن إمکان التغیر فی

الحوادث الکونیه بحسب المشیه الإلهیه لا ینافی تعینها فی اللوح المحفوظ قال تعالی:

«وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتٰابِ» :الرعد:۳۹.

علی أن لاستحکام الأمور بحسب تحققها مراتب من حیث حضور أسبابها و شرائطها تامه و ناقصه و من المحتمل أن تقع فی لیله القدر بعض مراتب الأحکام و یتأخر تمام الأحکام إلی وقت آخر لکن الروایات کما ستأتی لا تلائم هذا الوجه.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ الْقَدْرِ »کنایه عن جلاله قدر اللیله و عظم منزلتها و یؤکد ذلک إظهار الاسم مره بعد مره حیث قیل:« مٰا لَیْلَهُ الْقَدْرِ لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ » و لم یقل:و ما أدراک ما هی هی خیر.

قوله تعالی:« لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ »بیان إجمالی لما أشیر إلیه بقوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ الْقَدْرِ »من فخامه أمر اللیله.

و المراد بکونها خیرا من ألف شهر خیریتها منها من حیث فضیله العباده علی ما فسره المفسرون و هو المناسب لغرض القرآن و عنایته بتقریب الناس إلی الله فإحیاؤها بالعباده خیر من عباده ألف شهر،و یمکن أن یستفاد ذلک من المبارکه المذکوره فی سوره الدخان فی قوله:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبٰارَکَهٍ »و هناک معنی آخر سیأتی فی البحث الروائی التالی إن شاء الله.

قوله تعالی:« تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ »تنزل أصله تتنزل، و الظاهر من الروح هو الروح الذی من الأمر قال تعالی: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» إسراء:۸۵ و الإذن فی الشیء الرخصه فیه و هو إعلام عدم المانع منه.

و« مِنْ »فی قوله:« مِنْ کُلِّ أَمْرٍ »قیل:بمعنی الباء و قیل:لابتداء الغایه و تفید السببیه أی بسبب کل أمر إلهی،و قیل:للتعلیل بالغایه أی لأجل تدبیر کل أمر من الأمور و الحق أن المراد بالأمر إن کان هو الأمر الإلهی المفسر بقوله «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ» :یس:۸۲ فمن للابتلاء و تفید السببیه و المعنی تتنزل الملائکه و الروح فی لیله القدر بإذن ربهم مبتدأ تنزلهم و صادرا من کل أمر إلهی.

و إن کان هو الأمر من الأمور الکونیه و الحوادث الواقعه فمن بمعنی اللام التعلیلیه و المعنی تتنزل الملائکه و الروح فی اللیله بإذن ربهم لأجل تدبیر کل أمر من الأمور الکونیه.

قوله تعالی:« سَلاٰمٌ هِیَ حَتّٰی مَطْلَعِ الْفَجْرِ »قال فی المفردات،: السلام و السلامه التعری

من الآفات الظاهره و الباطنه انتهى فيكون قوله:« سَلاٰمٌ هِيَ »إشاره إلى العنايه الإلهيه بشمول الرحمه لعباده المقبلين إليه و سد باب نقمه جديده تختص بالليله و يلزمه بالطبع وهن كيد الشياطين كما أشير إليه فى بعض الروايات.

و قيل:المراد به أن الملائكه يسلمون على من مروا به من المؤمنين المتعبدين و مرجعه إلى ما تقدم.

و الآيتان أعنى قوله:« تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَةُ »إلى آخر السوره فى معنى التفسير لقوله:

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

بحث روائى

فى تفسير البرهان،عن الشيخ الطوسى عن أبى ذر قال*: قلت يا رسول الله القدر شىء يكون على عهد الأنبياء-ينزل عليهم فيها الأمر فإذا مضوا رفعت؟قال:

لا بل هى إلى يوم القيامه.

أقول:و فى معناه غير واحد من الروايات من طرق أهل السنه.

و فى المجمع،و عن حماد بن عثمان عن حسان بن أبى على قال*: سألت أبا عبد الله(ع) عن ليله القدر-قال:اطلبها فى تسع عشره-و إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين.

أقول:و فى معناه غيرها،و فى بعض الأخبار الترديد بين ليلتين الإحدى و العشرين و الثلاث و العشرين كروايه العياشى عن عبد الواحد عن الباقر(ع)و يستفاد من روايات أنها ليله ثلاث و عشرين و إنما لم يعين تعظيما لأمرها أن لا يستهان بها بارتكاب المعاصى.

و فيه،أيضا فى روايه عبد الله بن بكير عن زراره عن أحدهما(ع)قال*: ليله ثلاث و عشرين هى ليله الجهنى،و حديثه أنه قال لرسول الله ص.إن منزلى نائى عن المدينه فمرنى بليله أدخل فيها-فأمره بليله ثلاث و عشرين.

أقول:و حديث الجهنى و اسمه عبد الله بن أنيس الأنصارى مروى من طرق أهل السنه أيضا أورده فى الدر المنثور،عن مالك و البيهقى.

و فى الكافى،بإسناده عن زراره قال*:قال أبو عبد الله(ع): التقدير فى تسع عشره،و الإبرام فى ليله إحدى و عشرين،و الإمضاء فى ليله ثلاث و عشرين.

أقول:و فى معناها روايات أخر.

فقد اتفقت أخبار أهل البيت(ع)أنها باقيه متكرره كل سنه،و أنها ليله من ليالى شهر رمضان و أنها إحدى الليالى الثلاث.

و أما من طرق أهل السنه فقد اختلفت الروايات اختلافا عجيبا يكاد لا يضبط و المعروف عندهم أنها ليله سبع و عشرون فيها نزل القرآن،و من أراد الحصول عليها فليراجع الدر المنثور و سائر الجوامع.

و فى الدر المنثور،أخرج الخطيب عن ابن المسيب قال*:قال رسول الله ص: رأيت بنى أميه يصعدون منبرى فشق ذلك على- فأنزل الله إنا أنزلناه فى ليله القدر:.

أقول:و روى أيضا مثله عن الخطيب فى تاريخه،عن ابن عباس

،و أيضا ما فى معناه عن الترمذى و ابن جرير و الطبرانى و ابن مردويه و البيهقى عن الحسن بن على و هناك روايات كثيره فى هذا المعنى من طرق الشيعه عن أئمه أهل البيت(ع)و فيها أن الله تعالى سلا نبيه ص بإعطاء ليله القدر و جعلها خيرا من ألف شهر و هى مده ملك بنى أميه.

و فى الكافى،بإسناده عن ابن أبى عمير عن غير واحد عن أبى عبد الله(ع) *قال له بعض أصحابنا و لا- أعلمه إلا- سعيد السمان:كيف تكون ليله القدر خيرا من ألف شهر؟ قال:العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر-ليس فيها ليله القدر.

و فيه،بإسناده عن الفضيل و زراره و محمد بن مسلم عن حمران *أنه سأل أبا جعفر(ع) عن قول الله عز و جل:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبٰارَكَةٍ »قال:نعم ليله القدر و هى فى كل سنه فى شهر رمضان-فى العشر الأواخر-فلم ينزل القرآن إلا فى ليله القدر-قال الله عز و جل:

« فِيهٰا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ».

قال:يقدر فى ليله القدر كل شىء-يكون فى تلك السنه إلى مثلها من قابل:خير و شر طاعه و معصيه و مولود و أجل أو رزق-فما قدر فى تلك الليله و قضى فهو المحتوم-و لله عز و جل فيه المشيه.

قال:قلت:« لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ »أى شىء عنى بذلك؟فقال:و العمل الصالح فيها من الصلاه و الزكاه-و أنواع الخير خير من العمل فى ألف شهر-ليس فيها ليله القدر،و لو لا ما يضاعف الله تبارك و تعالى للمؤمنين ما بلغوا-و لكن الله يضاعف لهم الحسنات.

أقول:و قوله:و لله فيه المشيه يريد به إطلاق قدرته تعالى فله أن يشاء ما يشاء

و إن حتم فإن إيجابه الأمر لا يفيد القدره المطلقه فله أن ينقض القضاء المحتوم و إن كان لا يشاء ذلك أبدا.

و فى المجمع،روى ابن عباس عن النبى ص أنه قال*: إذا كان ليله القدر تنزل الملائكه- الذين هم سكان سدره المنتهى و منهم جبرائيل-فينزل جبرائيل و معه ألويه-ينصب لواء منها على قبرى و لواء على بيت المقدس-و لواء فى المسجد الحرام و لواء على طور سيناء-و لا يدع فيها مؤمنا و لا مؤمنه إلا سلم عليه-إلا مدمن خمر و آكل لحم الخنزير (1)و المتضمخ بالزعفران.

و فى تفسير البرهان،عن سعد بن عبد الله بإسناده عن أبى بصير قال*: كنت مع أبى عبد الله (ع)فذكر شيئا من أمر الإمام إذا ولد- فقال:استوجب زياده الروح فى ليله القدر- فقلت:جعلت فداك أ ليس الروح هو جبرئيل؟فقال:جبرئيل من الملائكه و الروح أعظم من الملائكه-أ ليس أن الله عز و جل يقول:« تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ ».

أقول:و الروايات فى ليله القدر و فضلها كثيره جدا،و قد ذكرت فى بعضها لها علامات ليست بدائمه و لا أكثريه كطلوع الشمس صبيحتها و لا شعاع لها و اعتدال الهواء فيها أغمضنا عنها.

(98) سوره البينه مدنيه و هى ثمان آيات(8)

[سوره البينه (98): الآيات 1 الى 8]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ اَلْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اَللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (2) فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَ مٰا تَفَرَّقَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَيِّنَةُ (4) وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ (5) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ اَلْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ اَلْبَرِيَّةِ (7) جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)

1- 1) تضمخ بالطيب تلطخ به.

بیان

تسجل السوره رساله محمد ص لعامه أهل الكتاب و المشركين و بعباره أخرى للمليين و غيرهم و هم عامه البشر فتفيد عموم الرساله و أنها مما كانت تقتضيه السنه الإلهيه -سنه الهدايه-التى تشير إليها أمثال قوله تعالى: «إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً» :الإنسان:٣،و قوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ» :فاطر:٢۴،و تحتج على عموم دعوته(ص)بأنها لا تتضمن إلا ما يصلح المجتمع الإنسانى من الاعتقاد و العمل على ما سيتضح إن شاء الله.

و السوره تحتمل المكيه و المدنيه و إن كان سياقها بالمدنيه أشبه.

قوله تعالى:« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَهُ »ظاهر الآيات-و هى فى سياق يشير إلى قيام الحجه على الذين كفروا بالدعوه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين و على الذين أوتوا الكتاب حينما بدا فيهم الاختلاف- أن المراد هو الإشاره إلى أن الرسول ص من مصاديق الحجه البينه القائمه على الناس التى تقتضى قيامها السنه الإلهيه الجاريه فى عباده فقد كانت توجب مجىء البينه إليهم كما أوجبته من قبل ما تفرقوا فى دينهم.

و على هذا فالمراد بالذين كفروا فى الآيه هم الكافرون بالدعوه النبويه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين،و« مِنْ »فى قوله:« مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ »للتبعيض لا للتبيين،و قوله:

و« اَلْمُشْرِكِينَ »عطف على« أَهْلِ الْكِتٰابِ »و المراد بهم غير أهل الكتاب من عبده الأصنام و غيرهم.

و قوله:« مُنْفَكِينَ »من الانفكاك و هو الانفصال عن شده اتصال،و المراد به-على ما يستفاد من قوله:« حَتّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَهُ »-انفكاكهم عما تقتضى سنه الهدايه و البيان كان السنه الإلهيه كانت قد أخذتهم و لم تكن تتركهم حتى تأتيهم البينه و لما أتتهم البينه تركتهم و شأنهم كما قال تعالى: «وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰاهُمْ حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مٰا يَتَّقُونَ» :التوبه:۱۱۵.

و قوله:« حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَهُ »على ظاهره من الاستقبال و البينه هى الحجه الظاهره و المعنى لم يكن الذين كفروا برساله النبى ص أو بدعوته أو بالقرآن لينفكوا حتى تأتيهم البينه و البينه هى محمد ص.

و للقوم اختلاف عجيب فى تفسير الآيه و معانى مفرداتها حتى قال بعضهم-على ما نقل-:إن الآيه من أصعب الآيات القرآنيه نظما و تفسيرا.انتهى،و الذى أوردناه من المعنى هو الذى يلائمه سياقها من غير تناقض بين الآيات و تدافع بين الجمل و المفردات،و من أراد الاطلاع على تفصيل ما قيل و يقال فعليه أن يراجع المطولات.

قوله تعالى:« رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَهً فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَهٌ »بيان للبينه و المراد به محمد رسول الله ص قطعا على ما يعطيه السياق.

و الصحف جمع صحيفه و هى ما يكتب فيها،و المراد بها أجزاء القرآن النازله و قد تكرر فى كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماويه و منها القرآن الكريم قال تعالى: «فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَيْدِي سَفَرَهٍ كِرٰامٍ بَرَرَهٍ» :عبس:۱۶.

و المراد بكون الصحف مطهره تقدسها من قذاره الباطل بمس الشياطين،و قد تكرر منه تعالى أنه حق مصون من مداخله الشياطين و قال: «لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ» :الواقعه:۷۹.

و قوله:« فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَهٌ » الكتب جمع كتاب و معناه المكتوب و يطلق على اللوح و القرطاس و نحوهما المنقوشه فيها الألفاظ و على نفس الألفاظ التى تحكى عنها النقوش،و ربما يطلق على المعانى بما أنها محكيه بالألفاظ،و يطلق أيضا على الحكم و القضاء يقال كتب عليه كذا أى قضى أن يفعل كذا قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيٰامُ» :البقره:۱۸۳ و قال: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ» :البقره:۲۱۶.

و الظاهر أن المراد بالكتب التى فى الصحف الأحكام و القضايا الإلهيه المتعلقه بالاعتقاد

ص :۳۳۷

و العمل،و من الدليل عليه توصيفها بالقيامه فإنها من القيام بالشىء بمعنى حفظه و مراعاه مصلحته و ضمان سعادته قال تعالى: «أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» :يوسف:۴۰،و معلوم أن الصحف السماويه إنما تقوم بأمر المجتمع الإنسانى و تحفظ مصلحته بما فيها من الأحكام و القضايا المتعلقه بالاعتقاد و العمل.

فمعنى الآيتين:الحجه البينه التى أتتهم رسول من الله يقرأ صحائف سماويه مطهره من دنس الباطل فى تلك الصحائف أحكام و قضايا قائمه بأمر المجتمع الإنسانى حافظه لمصالحه.

قوله تعالى:« وَ مٰا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ »كانت الآيه الأولى« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ »إلخ تشير إلى كفرهم بالنبى ص و كتابه المتضمن للدعوه الحقه و هذه الآيه تشير إلى اختلافهم السابق على الدعوه الإسلاميه و قد أشير إلى ذلك فى مواضع من القرآن الكريم كما قال تعالى: «وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ» :آل عمران:۱۹ إلى غير ذلك من الآيات.

و مجىء البينه لهم هو البيان النبوى الذى تبين لهم فى كتابهم أو أوضحه لهم أنبياؤهم قال تعالى: «وَ لَمّٰا جٰاءَ عِيسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزٰابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» :الزخرف:۶۵.

فإن قلت:ما باله تعرض لاختلاف أهل الكتاب و تفرقهم فى مذاهبهم و لم يتعرض لتفرق المشركين و إعراضهم عن دين التوحيد و إنكارهم الرساله.

قلت:لا يبعد أن يكون قوله:« وَ مٰا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ »إلخ شاملا للمشركين كما هو شامل لأهل الكتاب فقد بدل أهل الكتاب-و هم فى عرف القرآن اليهود و النصارى و الصابئون و المجوس أو اليهود و النصارى-من الذين أوتوا الكتاب، و التعبيران متغايران،و قد صرح تعالى بأنه أنزل الكتاب-و هو الشريعه المفروضه عليهم الحاكمه فى اختلافاتهم فى أمور الحياه-أول ما بدا الاختلافات الحيويه بينهم ثم اختلفوا فى الدين بعد تبين الحق لهم و قيام الحجه عليهم فعامه البشر آتاهم الله كتابا ثم اختلفوا فيه فمنهم من نسى ما أوتيه،و منهم من أخذ به محرفا و منهم من حفظه و آمن به،قال تعالى: «كٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّٰاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ

مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ» :البقره:۲۱۳ و قد مر تفسير الآيه.

و فى هـذا المعنى قوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ X-إلى أن قال-X وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ وَ لٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» :البقره:۲۵۳.

و بالجمله فالـذين أوتوا الكتاب أعم من أهل الكتاب فقوله:« وَ مٰا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ »إلخ يشمل المشركين كما يشمل أهل الكتاب.

قوله تعالى:« وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ »إلخ ضمير« أُمِرُوا » للذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين أى لم يتضمن رساله الرسول ص و الكتب القيمه التى فى صحف الوحى إلا أمرهم بعباده الله تعالى بقيد الإخلاص فى الدين فلا يشركوا به شيئا.

و قوله:« حُنَفٰاءَ »حال من ضمير الجمع و هو جمع حنيف من الحنف و هو الميل عن جانبى الإفراط و التفريط إلى حاق وسط الاعتدال و قد سمى الله تعالى الإسلام دينا حنيفا لأنه يأمر فى جميع الأمور بلزوم الاعتدال و التحرز عن الإفراط و تفريط.

و قوله:« وَ يُقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰاةَ »من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو الجزء بعد الكل اهتماما بأمره فالصلاه و الزكاه على أركان الإسلام و هما التوجه العبودى الخاص إلى الله و إنفاق المال فى الله.

و قوله:« وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَهِ »أى دين الكتب القيمه على ما فسروا،و المراد بالكتب القيمه إن كان جميع الكتب السماويه أعنى كتاب نوح و من دونه من الأنبياء(ع) فالمعنى أن هذا الذى أمروا به و دعوا إليه فى الدعوه المحمديه هو الدين الذى كلفوا به فى كتبهم القيمه و ليس بأمر بدع فدين الله واحد و عليهم أن يدينوا به لأنه القيم.

و إن كان المراد به ما كان يتلوه النبى ص من الكتب القيمه التى فى الصحف المطهره فالمعنى أنهم لم يؤمروا فى الدعوه الإسلاميه إلا بأحكام و قضايا هى القيمه الحافظه لمصالح المجتمع الإنسانى فلا يسعهم إلا أن يؤمنوا بها و يتدينوا.

فالآيه على أى حال تشير إلى كون دين التوحيد الذى يتضمنه القرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الكتاب و المهيمن (۱)عليه فيما يأمر المجتمع البشرى قائما بأمرهم حافظا

۱- ۱) سوره المائده،آيه ۴۸.

لمصالح حياتهم كما يبينه بأوفى البيان قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» :الروم:٣٠.

و بهذه الآيه يكمل بيان عموم رساله النبى ص و شمول الدعوه الإسلاميه لعامه البشر فقوله:« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ »إلخ يشير إلى أنه كان من الواجب فى سنه الهدايه الإلهيه أن تتم الحجه على من كفر بالدعوه من أهل الكتاب و المشركين،و هؤلاء و إن كانوا بعض أهل الكتاب و المشركين لكن من الضرورى أن لا فرق بين البعض و البعض فى تعلق الدعوه فتعلقها بالبعض لا ينفك عن تعلقها بالكل.

و قوله:« رَسُولٌ مِنَ اللّهِ »إلخ يشير إلى أن تلك البينه محمد ص،و قوله« وَ ما تَفَرَّقَ »إلخ يشير إلى أن تفرقهم و كفرهم السابق بالحق أيضا كان بعد مجىء البينه.

و قوله:« وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ »إلخ يفيد أن الذى دعوا إليه و أمروا به دين قيم حافظ لمصالح المجتمع البشرى فعليهم جميعا أن يؤمنوا به و لا يكفروا.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِى نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّهِ »لما فرغ من الإشاره إلى كفرهم بالبينه التى كانت توجبها سنه الهدايه الإلهيه و ما كانت تدعو إليه من الدين القيم أخذ فى الإنذار و التبشير بوعيد الكفار و وعد المؤمنين،و البريه الخلق،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ »فيه قصر الخيريه فى المؤمنين الصالحين كما أن فى الآيه السابقه قصر الشريه فى الكفار.

قوله تعالى:« جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ -إلى قوله- ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » العدن الاستقرار و الثبات فجنات عدن جنات خلود و دوام و توصيفها بقوله:« خالِدِينَ فِيها أَبَداً » تأكيد بما يدل عليه الاسم.

و قوله:« رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ »الرضى منه تعالى صفه فعل و مصداقه الثواب الذى أعطاهموه جزاء لإيمانهم و عملهم الصالح.

و قوله:« ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ »علامه مضروبه لسعاده الدار الآخره و قد قال تعالى:

«إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» :فاطر:٢٨ فالعلم بالله يستتبع الخشيه منه،و الخشيه منه تستتبع الإيمان به بمعنى الالتزام القلبى بربوبيته و ألوهيته ثم العمل الصالح.

و اعلم أن لهم فى تفسير مفردات هذه الآيات اختلافا شديدا و أقوالا كثيره لا جدوى فى التعرض لها من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال*: البینه محمد رسول الله ص.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن عائشه قالت*: قلت:یا رسول الله من أکرم الخلق علی الله؟قال:یا عائشه أ ما تقرئین« إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ- أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ »؟

و فیه،أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال*: کنا عند النبی ص فأقبل علی- فقال النبی ص:و الذی نفسی بیده-إن هذا و شیعته لهم الفائزون یوم القیامه-و نزلت « إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ-أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ »فکان أصحاب النبی ص إذا أقبل علی قالوا:جاء خیر البریه.

أقول:و روی هذا المعنی أیضا عن ابن عدی عن ابن عباس،و أیضا عن ابن مردویه عن علی(ع)و رواه أیضا فی البرهان،عن الموفق بن أحمد فی کتاب المناقب عن یزید بن شراحیل الأنصاری کاتب علی عنه،و کذا فی المجمع،عن کتاب شواهد التنزیل للحاکم عن یزید بن شراحیل عنه،و لفظه:سمعت علیا یقول: قبض رسول الله ص-و أنا مسنده إلی صدری فقال:یا علی أ لم تسمع قول الله:« إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ- أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ »هم شیعتک و موعدی و موعدکم الحوض-إذا اجتمع الأمم للحساب یدعون غرا محجلین.

و فی المجمع،عن مقاتل بن سلیمان عن الضحاک عن ابن عباس"*فی قوله:« هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ » قال:نزلت فی علی و أهل بیته.

(۹۹) سوره الزلزال مدنیه و هی ثمان آیات(۸)

[سوره الزلزله (۹۹): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ

إِذا زُلْزِلَتِ اَلْأَرْضُ زِلْزالَها (۱) وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها (۲) وَ قالَ اَلْإِنْسانُ ما لَها (۳) یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (۴) بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحی لَها (۵) یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ اَلنّاسُ أَشْتاتاً لِیُرَوْا أَعْمالَهُمْ (۶) فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ (۷) وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (۸)

بیان

ذکر للقیامه و صدور الناس للجزاء و إشاره إلی بعض أشراطها و هی زلزله الأرض و تحدیثها أخبارها.و السوره تحتمل المکیه و المدنیه.

قوله تعالی:« إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها » الزلزال مصدر کالزلزله،و إضافته إلی ضمیر الأرض تفید الاختصاص،و المعنی إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصه بها فتفید التعظیم و التفخیم أی أنها منتهیه فی الشده و الهول.

قوله تعالی:« وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها » الأثقال جمع ثقل بفتحتین بمعنی المتاع أو خصوص متاع المسافر أو جمع ثقل بالکسر فالسکون بمعنی الحمل،و علی أی حال المراد بأثقالها التی تخرجها،الموتی علی ما قیل أو الکنوز و المعادن التی فی بطنها أو الجمیع و لکل قائل و أول الوجوه أقربها ثم الثالث لتکون الآیه إشاره إلی خروجهم للحساب، و قوله:« یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النّاسُ »إشاره إلی انصرافهم إلی الجزاء.

قوله تعالی:« وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها »أی یقول مدهوشا متعجبا من تلک الزلزله الشدیده الهائله:ما للأرض تتزلزل هذا الزلزال،و قیل:المراد بالإنسان الکافر غیر المؤمن بالبعث،و قیل غیر ذلک کما سیجیء.

قوله تعالی:« یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحی لَها »فتشهد علی أعمال بنی آدم کما تشهد بها أعضاؤهم و کتاب الأعمال من الملائکه و شهداء الأعمال من البشر و غیرهم.

و قوله:« بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحی لَها »اللام بمعنی إلی لأن الإیحاء یتعدی بإلی و المعنی تحدث أخبارها بسبب أن ربک أوحی إلیها أن تحدث فهی شاعره بما یقع فیها من الأعمال خیرها و شرها متحمله لها یؤذن لها یوم القیامه بالوحی أن تحدث أخبارها و تشهد بما تحملت،و قد تقدم فی تفسیر قوله تعالی: «وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ» :إسراء:۴۴،و قوله: «قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِی أَنْطَقَ کُلَّ شَیْءٍ» حم السجده:۲۱ أن المستفاد من کلامه سبحانه أن الحیاه و الشعور ساریان فی الأشیاء

و إن كنا فی غفله من ذلک.

و قد اشتد الخلاف بینهم فی معنی تحدیث الأرض بالوحی أ هو بإعطاء الحیاه و الشعور للأرض المیته حتی تخبر بما وقع فیها أو بخلق صوت عندها و عد ذلک تکلما منها أو دلالتها بلسان الحال بما وقع فیها من الأعمال،و لا محل لهذا الاختلاف بعد ما سمعت و لا أن الحجه تتم علی أحد بهذا النوع من الشهاده.

قوله تعالی:« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ » الصدور انصراف الإبل عن الماء بعد وروده،و أشتات کشتی جمع شتیت بمعنی المتفرق،و الآیه جواب بعد جواب لإذا.

و المراد بصدور الناس متفرقین یومئذ انصرافهم عن الموقف إلی منازلهم فی الجنه و النار و أهل السعاده و الفلاح منهم متمیزون من أهل الشقاء و الهلاک،و إراءتهم أعمالهم إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فیه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء علی تجسم الأعمال.

و قیل:المراد به خروجهم من قبورهم إلی الموقف متفرقین متمیزین بسواد الوجوه و بیاضها و بالفزع و الأمن و غیر ذلک لإعلامهم جزاء أعمالهم بالحساب و التعبیر عن العلم بالجزاء بالرؤیه و عن الاعلام بالإراءه نظیر ما فی قوله تعالی: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» :آل عمران:۳۰،و الوجه الأول أقرب و أوضح.

قوله تعالی:« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » المثقال ما یوزن به الأثقال،و الذره ما یری فی شعاع الشمس من الهباء،و تقال لصغار النمل.

تفریع علی ما تقدم من إراءتهم أعمالهم،فیه تأکید البیان فی أنه لا یستثنی من الإراءه عمل خیرا أو شرا کبیرا أو صغیرا حتی مثقال الذره من خیر أو شر،و بیان حال کل من عمل الخیر و الشر فی جمله مستقله لغرض إعطاء الضابط و ضرب القاعده.

و لا منافاه بین ما تدل علیه الآیتان من العموم و بین الآیات الداله علی حبط الأعمال، و الداله علی انتقال أعمال الخیر و الشر من نفس إلی نفس کحسنات القاتل إلی المقتول و سیئات المقتول إلی القاتل،و الداله علی تبدیل السیئات حسنات فی بعض التائبین إلی غیر ذلک مما تقدمت الإشاره إلیه فی بحث الأعمال فی الجزء الثانی من الکتاب و کذا فی تفسیر قوله: «لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» Xالآیه X:الأنفال:۳۷.

و ذلک لأن الآیات المذکوره حاکمه علی هاتین الآیتین فإن من حبط عمله الخیر محکوم بأنه لم یعمل خیرا فلا عمل له خیرا حتی یراه و علی هذا القیاس فی غیره فافهم.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان عن أنس بن مالک أن رسول الله ص قال*: إن الأرض لتخبر یوم القیامه-بکل ما عمل علی ظهرها-و قرأ رسول الله ص« إِذٰا زُلْزِلَتِ اَلْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا »حتی بلغ« یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا »قال أ تدرون ما أخبارها؟جاءنی جبریل قال:خبرها إذا کان یوم القیامه أخبرت بکل عمل عمل علی ظهرها:.

أقول:و روی مثله عن أبی هریره .

و فیه،أخرج الحسین بن سفیان فی مسنده و أبو نعیم فی الحلیه عن شداد بن أوس قال*:

سمعت رسول الله ص یقول:.

أیها الناس إن الدنیا عرض حاضر-یأکل منه البر و الفاجر،و إن الآخره وعد صادق یحکم فیها ملک قادر-یحق فیها الحق و یبطل الباطل.

أیها الناس کونوا من أبناء الآخره-و لا تکونوا من أبناء الدنیا-فإن کل أم یتبعها ولدها- اعملوا و أنتم من الله علی حذر،و اعلموا أنکم معروضون علی أعمالکم-و أنکم ملاقوا الله لا بد منه-فمن یعمل مثقال ذره خیرا یره-و من یعمل مثقال ذره شرا یره.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا »قال:من الناس- « وَ قٰالَ اَلْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا »قال:ذلک أمیر المؤمنین(ع)« یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا -إلی قوله- أَشْتٰاتاً »قال:یجیئون أشتاتا مؤمنین و کافرین و منافقین« لِیُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ » قال:یقفون علی ما فعلوه.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله: « فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ »یقول:إن کان من أهل النار-قد عمل مثقال ذره فی الدنیا خیرا(کان علیه ظ) یوم القیامه حسره-إن کان عمله لغیر الله« وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ »یقول:إن کان من أهل الجنه-رای ذلک الشر یوم القیامه ثم غفر له.

(۱۰۰) سوره العادیات مدنیه و هی إحدی عشره آیه(۱۱)

[سوره العادیات (۱۰۰): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلْعٰادِیٰاتِ ضَبْحاً (۱) فَالْمُورِیٰاتِ قَدْحاً (۲) فَالْمُغِیرٰاتِ صُبْحاً (۳) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (۴) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (۵) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَکَنُودٌ (۶) وَ إِنَّهُ عَلیٰ ذٰلِکَ لَشَهِیدٌ (۷) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ اَلْخَیْرِ لَشَدِیدٌ (۸) أَ فَلاٰ یَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِی اَلْقُبُورِ (۹) وَ حُصِّلَ مٰا فِی اَلصُّدُورِ (۱۰) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ یَوْمَئِذٍ لَخَبِیرٌ (۱۱)

بيان

تذكر السوره كفران الإنسان لنعم ربه و حبه الشديد للخير عن علم منه به و هو حجه عليه و سيحاسب على ذلك.

و السوره مدنيه بشهاده ما فى صدرها من الإقسام بمثل قوله:« وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً »إلخ الظاهر فى خيل الغزاه المجاهدين على ما سيجىء،و إنما شرع الجهاد بعد الهجره و يؤيد ذلك ما ورد من طرق الشيعه عن أئمه أهل البيت(ع)أن السوره نزلت فى على (ع)و سريته فى غزوه ذات السلاسل،و يؤيده أيضا بعض الروايات من طرق أهل السنه على ما سنشير إليه فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

قوله تعالى:« وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً » العاديات من العدو و هو الجرى بسرعه و الضبح صوت أنفاس الخيل عند عدوها و هو المعهود المعروف من الخيل و إن ادعى أنه يعرض لكثير من الحيوان غيرها،و المعنى أقسم بالخيل اللاتى يعدون يضبحن ضبحا.

و قيل:المراد بها إبل الحاج فى ارتفاعها بركبانها من الجمع إلى منى يوم النحر،و قيل:

إبل الغزاه،و ما فى الآيات التاليه من الصفات لا يلائم كون الإبل هو المراد بالعاديات.

قوله تعالى:« فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحاً » الإيراء إخراج النار و القدح الضرب و الصك المعروف يقال:قدح فأورى إذا أخرج النار بالقدح،و المراد بها الخيل تخرج النار بحوافرها إذا عدت على الحجاره و الأرض المحصبه.

و قيل:المراد بالإيراء مكر الرجال فى الحرب،و قيل:إيقادهم النار،و قيل:

الموريات ألسنه الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به،و هى وجوه ظاهره الضعف.

قوله تعالى:« فَالْمُغِيرٰاتِ صُبْحاً » الإغاره و الغاره الهجوم على العدو بغته بالخيل و هى

صفه أصحاب الخيل و نسبتها إلى الخيل مجاز،و المعنى فأقسم بالخيل الهاجمات على العدو بغته فى وقت الصبح.

و قيل:المراد بها الآبال ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى و السنه أن لا ترتفع حتى تصبح،و الإغاره سرعه السير و هو خلاف ظاهر الإغاره.

قوله تعالى:« فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً » أثرن من الإثاره بمعنى تهييج الغبار و نحوه،و النقع الغبار،و المعنى فهيجن بالعدو و الإغاره غبارا.

قيل:لا بأس بعطف« فَأَثَرْنَ »و هو فعل على ما قبله و هو صفه لأنه اسم فاعل و هو فى معنى الفعل كأنه قيل:أقسم باللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن.

قوله تعالى:« فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً » وسط و توسط بمعنى،و ضمير« بِهِ »للصبح و الباء بمعنى فى أو الضمير للنقع و الباء للملابسه.

و المعنى فصرن فى وقت الصبح فى وسط جمع و المراد به كتيبه العدو أو المعنى فتوسطن جمعا ملابسين للنقع.

و قيل:المراد توسط الآبال جمع منى و أنت خبير بأن حمل الآيات الخمس بما لمفرداتها من ظواهر المعانى على إبل الحاج الذين يفيضون من جمع إلى منى خلاف ظاهرها جدا.

فالمتعين حملها على خيل الغزاه و سياق الآيات و خاصه قوله:« فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً » « فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً »يعطى أنها غزاه بعينها أقسم الله فيها بخيل المجاهدين العاديات و الفاء فى الآيات الأربع تدل على ترتب كل منها على ما قبلها.

قوله تعالى:« إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ » الكنود الكفور،و الآيه كقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ» :الحج:۶۶،و هو إخبار عما فى طبع الإنسان من اتباع الهوى و الانكباب على عرض الدنيا و الانقطاع به عن شكر ربه على ما أنعم عليه.

و فيه تعريض للقوم المغار عليهم،و كان المراد بكفرانهم كفرانهم بنعمه الإسلام التى أنعم الله بها عليهم و هى أعظم نعمه أوتوها فيها طيب حياتهم الدنيا و سعاده حياتهم الأبديه الأخرى.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ »ظاهر اتساق الضمائر أن يكون ضمير« وَ إِنَّهُ » للإنسان فيكون المراد بكونه شهيدا على كفران نفسه بكفران نفسه علمه المذموم و تحمله له.

فالمعنى و إن الإنسان على كفرانه بربه شاهد متحمل فالآيه فى معنى قوله: «بَلِ

الْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» :القيامه:۱۴.

و قيل:الضمير لله و اتساق الضمائر لا يلائمه.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »قيل:اللام فى« لِحُبِّ الْخَيْرِ »للتعليل و الخير المال،و المعنى و إن الإنسان لأجل حب المال لشديد أى بخيل شحيح،و قيل:المراد أن الإنسان لشديد الحب للمال و يدعوه ذلك إلى الامتناع من إعطاء حق الله،و الإنفاق فى الله.كذا فسروا.

و لا يبعد أن يكون المراد بالخير مطلقه و يكون المراد أن حب الخير فطرى للإنسان ثم إنه يرى عرض الدنيا و زينتها خيرا فتنجذب إليه نفسه و ينسيه ذلك ربه أن يشكره.

قوله تعالى:« أَ فَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِي الْقُبُورِ -إلى قوله- لَخَبِيرٌ » البعثره كالبحثره البعث و النشر،و تحصيل ما فى الصدور تمييز ما فى باطن النفوس من صفه الإيمان و الكفر و رسم الحسنه و السيئه قال تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ» :الطارق:۹،و قيل:هو إظهار ما أخفته الصدور لتجازى على السر كما تجازى على العلانيه.

و قوله:« أَ فَلاٰ يَعْلَمُ »الاستفهام فيه للإنكار،و مفعول يعلم جمله قائمه مقام المفعولين يدل عليه المقام.ثم استؤنف فقيل:إذا بعثر ما فى القبور إلخ تأكيدا للإنكار،و المراد بما فى القبور الأبدان.

و المعنى-و الله أعلم-أ فلا يعلم الإنسان أن لكنوده و كفرانه بربه تبعه ستلحقه و يجازى بها،إذا أخرج ما فى القبور من الأبدان و حصل و ميز ما فى سرائر النفوس من الإيمان و الكفر و الطاعه و المعصيه إن ربهم بهم يومئذ لخبير فيجازيهم بما فيها.

بحث روائى

فى المجمع،قيل": بعث رسول الله ص سريه إلى حى من كنانه-فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء-فتأخر رجوعهم فقال المنافقون:قتلوا جميعا-فأخبر الله تعالى عنها بقوله:« وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً »":عن مقاتل.

و قيل: نزلت السوره لما بعث النبى ص عليا(ع)-إلى ذات السلاسل فأوقع بهم- و ذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابه-فرجع كل منهم إلى رسول الله ص:.

و هو المروى عن أبى عبد الله(ع)فى حديث طويل .

قال:و سميت هذه الغزوه ذات السلاسل لأنه أسر منهم و قتل و سبى و شد أسراؤهم فى الحبال مكتفين كأنهم فى السلاسل.

:و لما نزلت السوره خرج رسول الله ص إلى الناس-فصلى بهم الغداه و قرأ فيها « وَ الْعٰادِيٰاتِ »فلما فرغ من صلاته قال أصحابه:هذه سوره لم نعرفها-فقال رسول الله ص:نعم إن عليا ظفر بأعداء الله-و بشرنى بذلك جبريل فى هذه الليله-فقدم على(ع) بعد أيام بالغنائم و الأسارى.

(۱۰۱) سوره القارعه مكيه و هى إحدى عشره آيه(۱۱)

[سوره القارعه (۱۰۱): الآيات ۱ الى ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

اَلْقٰارِعَةُ (۱) مَا اَلْقٰارِعَةُ (۲) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا اَلْقٰارِعَةُ (۳) يَوْمَ يَكُونُ اَلنّٰاسُ كَالْفَرٰاشِ اَلْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَكُونُ اَلْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ اَلْمَنْفُوشِ (۵) فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ (۶) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ (۷) وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ (۸) فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ (۹) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا هِيَهْ (۱۰) نٰارٌ حٰامِيَةٌ (۱۱)

بيان

إنذار و تبشير بالقيامه يغلب فيه جانب الإنذار،و السوره مكيه.

قوله تعالى:« اَلْقٰارِعَةُ مَا الْقٰارِعَةُ »مبتدأ و خبر،و القارعه من القرع و هو الضرب باعتماد شديد،و هى من أسماء القيامه فى القرآن.قيل:سميت بها لأنها تقرع القلوب بالفزع و تقرع أعداء الله بالعذاب.

و السؤال عن حقيقه القارعه فى قوله:« مَا الْقٰارِعَةُ »مع كونها معلومه إشاره إلى تعظيم أمرها و تفخيمه و أنها لا تكتنه علما،و قد أكد هذا التعظيم و التفخيم بقوله بعد:

« وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الْقٰارِعَةُ ».

قوله تعالی:« یَوْمَ یَکُونُ النّٰاسُ کَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ »ظرف متعلق بفعل مقدر نحو اذکر و تقرع و تأتی،و الفراش علی ما نقل عن الفراء الجراد الذی ینفرش و یرکب بعضه بعضا و هو غوغاء الجراد.قیل:شبه الناس عند البعث بالفراش لأن الفراش إذا ثار لم یتجه إلی جهه واحده کسائر الطیر و کذلک الناس إذا خرجوا من قبورهم أحاط بهم الفزع فتوجهوا جهات شتی أو توجهوا إلی منازلهم المختلفه سعاده و شقاء.و المبعوث من البث و هو التفریق.

قوله تعالی:« وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ » العهن الصوف ذو ألوان مختلفه، و المنفوش من النفش و هو نشر الصوف بندف و نحوه فالعهن المنفوش الصوف المنتشر ذو ألوان مختلفه إشاره إلی تلاشی الجبال علی اختلاف ألوانها بزلزله الساعه.

قوله تعالی:« فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ فَهُوَ فِی عِیشَهٍ رٰاضِیَهٍ »إشاره إلی وزن الأعمال و أن الأعمال منها ما هو ثقیل فی المیزان و هو ما له قدر و منزله عند الله و هو الإیمان و أنواع الطاعات،و منها ما لیس کذلک و هو الکفر و أنواع المعاصی و یختلف القسمان أثرا فیستتبع الثقیل السعاده و یستتبع الخفیف الشقاء،و قد تقدم البحث عن معنی المیزان فی تفسیر السور السابقه.

و قوله:« فِی عِیشَهٍ رٰاضِیَهٍ » العیشه بکسر العین کالجلسه بناء نوع،و توصیفها براضیه -و الراضی صاحبها-من المجاز العقلی أو المعنی فی عیشه ذات رضی.

قوله تعالی:« وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ فَأُمُّهُ هٰاوِیَهٌ »الظاهر أن المراد بهاویه جهنم و تسمیتها بهاویه لهوی من ألقی فیها أی سقوطه إلی أسفل سافلین قال تعالی: «ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِینَ إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا» :التین:۶.

فتوصیف النار بالهاویه مجاز عقلی کتوصیف العیشه بالراضیه و عد هاویه إما للداخل فیها لکونها مأواه و مرجعه الذی یرجع إلیه کما یرجع الولد إلی أمه.

و قیل:المراد بأمه أم رأسه و المعنی فأم رأسه هاویه أی ساقطه فیها لأنهم یلقون فی النار علی أم رأسهم،و یبعده بقاء الضمیر فی قوله:« مٰا هِیَهْ »بلا مرجع ظاهر.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا هِیَهْ »ضمیر هی لهاویه،و الهاء فی« هِیَهْ »للوقف و الجمله تفسیر تفید تعظیم أمر النار و تفخیمه.

قوله تعالی:« نٰارٌ حٰامِیَهٌ »أی حاره شدیده الحراره و هو جواب الاستفهام فی « مٰا هِیَهْ »و تفسیر لهاویه.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ »قال:العهن الصوف،و فی قوله:

« وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ »قال:من الحسنات،و فی قوله:« فَأُمُّهُ هٰاوِیَهٌ »قال:أم رأسه،یقذف فی النار علی رأسه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أبی أیوب الأنصاری أن رسول الله ص قال*:

إن نفس المؤمن إذا قبضت-یلقاها أهل الرحمه من عباد الله-کما یلقون البشیر من أهل الدنیا فیقولون:انظروا صاحبکم یستریح فإنه کان فی کرب شدید-ثم یسألونه ما فعل فلان و فلانه؟ هل تزوجت؟فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فیقول:هیهات قد مات ذاک قبلی فیقولون:إنا لله و إنا إلیه راجعون ذهب به إلی أمه الهاویه-فبئست الأم و بئست المربیه:.

أقول:و روی هذا المعنی عن أنس بن مالک و عن الحسن و الأشعث بن عبد الله الأعمی عنه(ص) .

(۱۰۲) سوره التکاثر مکیه و هی ثمان آیات(۸)

[سوره التکاثر (۱۰۲): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

أَلْهٰاکُمُ اَلتَّکٰاثُرُ (۱) حَتّٰی زُرْتُمُ اَلْمَقٰابِرَ (۲) کَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳) ثُمَّ کَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۴) کَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْیَقِینِ (۵) لَتَرَوُنَّ اَلْجَحِیمَ (۶) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَیْنَ اَلْیَقِینِ (۷) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِیمِ (۸)

بیان

توبیخ شدید للناس علی تلهیهم بالتکاثر فی الأموال و الأولاد و الأعضاء و غفلتهم عما وراءه من تبعه الخسران و العذاب،و تهدید بأنهم سوف یعلمون و یرون ذلک و یسألون عن

هذه النعم التی أوتوها لیشکروا فتلهوا بها و بدلوا نعمه الله کفرا.

و السوره بما لها من السیاق تحتمل المکیه و المدنیه،و سیأتی ما ورد فی سبب نزولها فی البحث الروائی إن شاء الله.

قوله تعالی:« أَلْهٰاکُمُ التَّکٰاثُرُ حَتّٰی زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ »قال فی المفردات،: اللهو ما یشغل الإنسان عما یعنیه و یهمه.قال،و یقال:ألهاه کذا أی شغله عما هو أهم إلیه،قال تعالی:

« أَلْهٰاکُمُ التَّکٰاثُرُ »انتهی.

و قال:و المکاثره و التکاثر التباری فی کثره المال و العز،انتهی.و قال: المقبره بکسر المیم-و المقبره-بفتحها-موضع القبور و جمعها مقابر،قال تعالی:« حَتّٰی زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ »کنایه عن الموت،انتهی.

فالمعنی علی ما یعطیه السیاق شغلکم التکاثر فی متاع الدنیا و زینتها و التسابق فی تکثیر العده و العده عما یهمکم و هو ذکر الله حتی لقیتم الموت فعمتکم الغفله مدی حیاتکم.

و قیل:المعنی شغلکم التباهی و التباری بکثره الرجال بأن یقول هؤلاء:نحن أکثر رجالا،و هؤلاء:نحن أکثر حتی إذا استوعبتم عدد الأحیاء صرتم إلی القبور فعددتم الأموات من رجالکم فتکاثرتم بأمواتکم.

و هذا المعنی مبنی علی ما ورد فی أسباب النزول أن قبیلتین من الأنصار تفاخرتا بالأحیاء ثم بالأموات،و فی بعضها أن ذلک کان بمکه بین بنی عبد مناف و بنی سهم فنزلت السوره،و سیأتی القصه فی البحث الروائی.

قوله تعالی:« کَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ »ردع عن اشتغالهم بما لا یهمهم عما یعنیهم و تخطئه لهم،و قوله:« سَوْفَ تَعْلَمُونَ »تهدید معناه علی ما یفیده المقام سوف تعلمون تبعه تلهیکم هذا و تعرفونها إذا انقطعتم عن الحیاه الدنیا.

قوله تعالی:« ثُمَّ کَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ »تأکید للردع و التهدید السابقین،و قیل:المراد بالأول علمهم بها عند الموت و بالثانی علمهم بها عند البعث.

قوله تعالی:« کَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ »ردع بعد ردع تأکیدا و الیقین العلم الذی لا یداخله شک و ریب.

و قوله:« لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ »جواب لو محذوف و التقدیر لو تعلمون الأمر علم الیقین لشغلکم ما تعلمون عن التباهی و التفاخر بالکثره،و قوله:« لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ »استئناف فی

الکلام،و اللام للقسم،و المعنی أقسم لترون الجحیم التی جزاء هذا التلهی کذا فسروا.

قالوا:و لا یجوز أن یکون قوله:« لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ »جواب لو الامتناعیه لأن الرؤیه محقق الوقوع و جوابها لا یکون کذلک.

و هذا مبنی علی أن یکون المراد رؤیه الجحیم یوم القیامه کما قال: «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِیمُ لِمَنْ یَری» :النازعات:۳۶ و هو غیر مسلم بل الظاهر أن المراد رؤیتها قبل یوم القیامه رؤیه البصیره و هی رؤیه القلب التی هی من آثار الیقین علی ما یشیر إلیه،قوله تعالی: «وَ کَذٰلِکَ نُرِی إِبْرٰاهِیمَ مَلَکُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ» :الأنعام:۷۵،و قد تقدم الکلام فیها،و هذه الرؤیه القلبیه قبل یوم القیامه غیر محققه لهؤلاء المتلهین بل ممتنعه فی حقهم لامتناع الیقین علیهم.

قوله تعالی:« ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَیْنَ الْیَقِینِ »المراد بعین الیقین نفسه،و المعنی لترونها محض الیقین،و هذه بمشاهدتها یوم القیامه،و من الدلیل علیه قوله بعد ذلک« ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ »فالمراد بالرؤیه الأولی رؤیتها قبل یوم القیامه و بالثانیه رؤیتها یوم القیامه.

و قیل:الأولی قبل الدخول فیها یوم القیامه و الثانیه إذ دخلوها.

و قیل:الأولی بالمعرفه و الثانیه بالمشاهده،و قیل:المراد الرؤیه بعد الرؤیه إشاره إلی الاستمرار و الخلود،و قیل غیر ذلک و هی وجوه ضعیفه.

قوله تعالی:« ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ »ظاهر السیاق أن هذا الخطاب و کذلک الخطابات المتقدمه فی السوره للناس بما أن فیهم من اشتغل بنعمه ربه عن ربه فأنساه التکاثر فیها عن ذکر الله،و ما فی السوره من التوبیخ و التهدید متوجه إلی عامه الناس ظاهرا واقع علی طائفه خاصه منهم حقیقه و هم الذین ألهاهم التکاثر.

و کذا ظاهر السیاق أن المراد بالنعیم مطلقه و هو کل ما یصدق علیه أنه نعمه فالإنسان مسئول عن کل نعمه أنعم الله بها علیه.

و ذلک أن النعمه-و هی الأمر الذی یلائم المنعم علیه و یتضمن له نوعا من الخیر و النفع-إنما تکون نعمه بالنسبه إلی المنعم علیه إذا استعملها بحیث یسعد بها فینتفع و أما لو استعملها علی خلاف ذلک کانت نقمه بالنسبه إلیه و إن کانت نعمه بالنظر إلی نفسها.

و قد خلق الله تعالی الإنسان و جعل غایه خلقته التی هی سعادته و منتهی کماله التقرب العبودی إلیه کما قال: «وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ» :الذاریات ۵۶ و هی

الولایه الإلهیه لعبده،و قد هیأ الله سبحانه له کل ما یسعد و ینتفع به فی سلوکه نحو الغایه التی خلق لها و هی النعم فأسبغ علیه نعمه ظاهره و باطنه.

فاستعمال هذه النعم علی نحو یرتضیه الله و ینتهی بالإنسان إلی غایته المطلوبه هو الطریق إلی بلوغ الغایه و هو الطاعه،و استعمالها بالجمود علیها و نسیان ما وراءها غی و ضلال و انقطاع عن الغایه و هو المعصیه،و قد قضی سبحانه قضاء لا یرد و لا یبدل أن یرجع الإنسان إلیه فیسأله عن عمله فیحاسبه و یجزیه،و عمله هو استعماله للنعم الإلهیه قال تعالی: «وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعی وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُری ثُمَّ یُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفی وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی» :النجم:۴۲،فالسؤال عن عمل العبد سؤال عن النعیم کیف استعمله أ شکر النعمه أم کفر بها.

بحث روائی

فی المجمع،قیل ":نزلت فی الیهود قالوا:نحن أکثر من بنی فلان،و بنو فلان أکثر من بنی فلان-ألهاهم ذلک حتی ماتوا ضلالا":عن قتاده.

و قیل ":نزلت فی فخذ من الأنصار تفاخروا":عن أبی بریده،و قیل ":نزلت فی حیین من قریش:بنی عبد مناف بن قصی-و بنی سهم بن عمر-و تکاثروا و عدوا أشرافهم-فکثرهم بنو عبد مناف.ثم قالوا:نعد موتانا حتی زاروا القبور-فعدوهم و قالوا:هذا قبر فلان و هذا قبر فلان-فکثرهم بنو سهم لأنهم کانوا أکثر عددا فی الجاهلیه":عن مقاتل و الکلبی.

و فی تفسیر البرهان،عن البرقی عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم عن أبی عبد الله(ع) *فی قوله تعالی:« لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ »قال:المعاینه.

أقول:الروایه تؤید ما قدمناه من المعنی.

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن جمیل عن أبی عبد الله(ع)قال*: قلت له:« لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ »قال:تسأل هذه الأمه عما أنعم الله علیها برسوله-ثم بأهل بیته.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی خالد الکابلی قال*: دخلت علی أبی جعفر(ع)فدعا بالغذاء فأکلت معه طعاما-ما أکلت طعاما أطیب منه قط و لا ألطف-فلما فرغنا من الطعام قال:یا أبا خالد کیف رأیت طعامک؟أو قال:طعامنا؟قلت:جعلت فداک

ما أكلت طعاما أطيب منه قط و لا أنظف-و لكن ذكرت الآيه التى فى كتاب الله عز و جل« ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ »فقال أبو جعفر(ع):إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق.

و فيه،بإسناده عن أبى حمزه قال: كنا عند أبى عبد الله(ع)جماعه-فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذه و طيبا-و أتينا بتمر تنظر فيه أوجهنا من صفائه و حسنه-فقال رجل:

لتسألن عن هذا النعيم الذى تنعمتم به-عند ابن رسول الله-فقال أبو عبد الله إن الله عز و جل أكرم و أجل-أن يطعم طعاما فيسوغكموه ثم نسألكم عنه-إنما يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد و آل محمد ص.

أقول:و هذا المعنى مروى عن أئمه أهل البيت(ع)بطرق أخرى و عبارات مختلفه و فى بعضها أن النعيم ولايتنا أهل البيت،و يئول المعنى إلى ما قدمناه من عموم النعيم لكل نعمه أنعم الله بها بما أنها نعمه.

بيان ذلك أن هذه النعم لو سئل عن شىء منها فليست يسأل عنها بما أنها لحم أو خبز أو تمر أو ماء بارد أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل مثلا و إنما يسأل عنها بما أنها نعمه خلقها الله للإنسان و أوقعها فى طريق كماله و الحصول على التقرب العبودى كما تقدمت الإشاره إليه و ندبه إلى أن يستعملها شكرا لا كفرا.

فالمسئول عنها هى النعمه بما أنها نعمه،و من المعلوم أن الدال على نعيميه النعيم و كيفيه استعماله شكرا و المبين لذلك كله هو الدين الذى جاء به النبى ص و نصب لبيانه الأئمه من أهل بيته فالسؤال عن النعيم مرجعه السؤال عن العمل بالدين فى كل حركه و سكون و من المعلوم أيضا أن السؤال عن النعيم الذى هو الدين سؤال عن النبى ص و الأئمه من بعده الذين افترض الله طاعتهم و أوجب اتباعهم فى السلوك إلى الله الذى طريقه استعمال النعم كما بينه الرسول و الأئمه.

و إلى كون السؤال عن النعيم سؤالا عن الدين يشير ما فى روايه أبى خالد من قوله:

«إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق».

و إلى كونه سؤالا عن النعيم الذى هو النبى و أهل بيته يشير ما فى روايتى جميل و أبى حمزه السابقتين من قوله:«يسأل هذه الأمه عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته»أو ما فى معناه،

و فى بعض الروايات: «النعيم هو رسول الله ص-أنعم الله به على أهل العالم-

فاستنقذهم من الضلاله» ،

و فی بعضها: أن النعیم ولایتنا أهل البیت ،و المال واحد و من ولایه أهل البیت افتراض طاعتهم و اتباعهم فیما یسلکونه من طریق العبودیه.

و فی المجمع،و قیل ":النعیم الصحه و الفراغ ":عن عکرمه،و یعضده ما

رواه ابن عباس عن النبی ص قال: نعمتان مغبون فیهما کثیر من الناس:الصحه و الفراغ.

و فیه،و قیل ": هو یعنی النعیم الأمن و الصحه ":عن عبد الله بن مسعود و مجاهد، و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

أقول:و فی روایات أخری من طرق أهل السنه أن النعیم هو التمر و الماء البارد و فی بعضها غیرهما،و ینبغی أن یحمل الجمیع علی إیراد المثال.

و فی الحدیث النبوی من طرقهم أیضا: ،ثلاث لا یسأل عنها العبد:خرقه یواری بها عورته-أو کسره یسد بها جوعته-أو بیت یکنه من الحر و البرد.الحدیث ،و ینبغی أن یحمل علی خفه الحساب فی الضروریات و نفی المناقشه فیه و الله أعلم.

(۱۰۳) سوره العصر مکیه و هی ثلاث آیات(۳)

[سوره العصر (۱۰۳): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلْعَصْرِ (۱) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ (۲) إِلاَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ (۳)

بیان

تخلص السوره جمیع المعارف القرآنیه و تجمع شتات مقاصد القرآن فی أوجز بیان، و هی تحتمل المکیه و المدنیه لکنها أشبه بالمکیه.

قوله تعالی:« وَ الْعَصْرِ »إقسام بالعصر و الأنسب لما تتضمنه الآیتان التالیتان من شمول الخسران للعالم الإنسانی إلا لمن اتبع الحق و صبر علیه و هم المؤمنون الصالحون عملا- أن یکون المراد بالعصر عصر النبی ص و هو عصر طلوع الإسلام علی المجتمع البشری و ظهور الحق علی الباطل.

و قیل:المراد به وقت العصر و هو الطرف الأخیر من النهار لما فیه من الدلاله علی

التدبير الربوبى بإدبار النهار و إقبال الليل و ذهاب سلطان الشمس،و قيل:المراد به صلاه العصر و هى الصلاه الوسطى التى هى أفضل الفرائض اليوميه،و قيل الليل و النهار و يطلق عليهما العصران،و قيل الدهر لما فيه من عجائب الحوادث الداله على القدره الربوبيه و غير ذلک.

و قد ورد فى بعض الروايات أنه عصر ظهور المهدى(ع)لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل.

قوله تعالى:« إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَفِي خُسْرٍ »المراد بالإنسان جنسه،و الخسر و الخسران و الخسار و الخساره نقص رأس المال قال الراغب:و ينسب ذلک إلى الإنسان فيقال:

خسر فلان و إلى الفعل فيقال:خسرت تجارته،انتهى.و التنكير فى« خُسْرٍ »للتعظيم و يحتمل التنويع أى فى نوع من الخسر غير الخسارات الماليه و الجاهيه قال تعالى: «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ أَلاٰ ذٰلِکَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ» :الزمر ١۵.

قوله تعالى:« إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ »استثناء من جنس الإنسان الواقع فى الخسر،و المستثنون هم الأفراد المتلبسون بالإيمان و الأعمال الصالحه فهم آمنون من الخسر.

و ذلک أن كتاب الله يبين أن للإنسان حياه خالده مؤبده لا تنقطع بالموت و إنما الموت انتقال من دار إلى دار كما تقدم فى تفسير قوله تعالى: «عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ» :الواقعه ۶١،و يبين أن شطرا من هذه الحياه و هى الحياه الدنيا حياه امتحانيه تتعين بها صفه الشطر الأخير الذى هو الحياه الآخره المؤبده من سعاده و شقاء قال تعالى: «وَ مَا الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا فِي الْآخِرَهِ إِلاّٰ مَتٰاعٌ» :الرعد ٢۶،و قال: «كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً» :الأنبياء ٣۵.

و يبين أن مقدميه هذه الحياه لتلک الحياه إنما هى بمظاهرها من الاعتقاد و العمل فالاعتقاد الحق و العمل الصالح ملاک السعاده الأخرويه و الكفر و الفسوق ملاک الشقاء فيها قال تعالى: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ ثُمَّ يُجْزٰاهُ الْجَزٰاءَ الْأَوْفىٰ» ،و قال: «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» الروم ۴۴،و قال: «مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسٰاءَ فَعَلَيْهٰا» :حم السجده ۴۶،و قد سمى الله تعالى ما سيلقاه الإنسان فى الآخره جزاء و أجرا فى آيات كثيره.

و يتبين بذلک كله أن الحياه رأس مال للإنسان يكسب به ما يعيش به فى حياته الآخره فإن اتبع الحق فى العقد و العمل فقد ربحت تجارته و بورک فى مكسبه و أمن الشر

فی مستقبله،و إن اتبع الباطل و أعرض عن الإیمان و العمل الصالح فقد خسرت تجارته و حرم الخیر فی عقباه و هو قوله تعالی:« إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ».

و المراد بالإیمان الإیمان بالله و من الإیمان بالله الإیمان بجمیع رسله و الإیمان بالیوم الآخر فقد نص تعالی فیمن لم یؤمن ببعض رسله (۱)أو بالیوم الآخر إنه غیر مؤمن بالله.

و ظاهر قوله:« وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ »التلبس بجمیع الأعمال الصالحه فلا یشمل الاستثناء الفساق بترک بعض الصالحات من المؤمنین و لازمه أن یکون الخسر أعم من الخسر فی جمیع جهات حیاته کما فی الکافر المعاند للحق المخلد فی العذاب،و الخسر فی بعض جهات حیاته کالمؤمن الفاسق الذی لا یخلد فی النار و ینقطع عنه العذاب بشفاعه و نحوها.

قوله تعالی:« وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ » التواصی بالحق هو أن یوصی بعضهم بعضا بالحق أی باتباعه و الدوام علیه فلیس دین الحق إلا اتباع الحق اعتقادا و عملا و التواصی بالحق أوسع من الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لشموله الاعتقادیات و مطلق الترغیب و الحث علی العمل الصالح.

ثم التواصی بالحق من العمل الصالح فذکره بعد العمل الصالح من قبیل ذکر الخاص بعد العام اهتماما بأمره کما أن التواصی بالصبر من التواصی بالحق و ذکره بعده من ذکر الخاص بعد العام اهتماما بأمره،و یؤکد تکرار ذکر التواصی حیث قال:« وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ »و لم یقل:و تواصوا بالحق و الصبر.

و علی الجمله ذکر تواصیهم بالحق و بالصبر بعد ذکر تلبسهم بالإیمان و العمل الصالح للإشاره إلی حیاه قلوبهم و انشراح صدورهم للإسلام لله فلهم اهتمام خاص و اعتناء تام بظهور سلطان الحق و انبساطه علی الناس حتی یتبع و یدوم اتباعه قال تعالی: «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلی نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَیْلٌ لِلْقاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللّهِ أُولئِکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ» :الزمر ۲۲.

و قد أطلق الصبر فالمراد به أعم من الصبر علی طاعه الله،و الصبر عن معصیته، و الصبر عند النوائب التی تصیبه بقضاء من الله و قدر.

۱- ۱) النساء:۱۵۰-۱۵۱.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر عن أبی عبد الله(ع) * فی قوله تعالی:« إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا »إلخ،فقال:استثنی أهل صفوته من خلقه.

أقول:و طبق فی ذیل الروایه الإیمان علی الإیمان بولایه علی(ع)،و التواصی بالحق علی توصیتهم ذریاتهم و أخلافهم بها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس "*فی قوله:« وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ »یعنی أبا جهل بن هشام« إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ »ذکر علیا و سلمان.

(۱۰۴) سوره الهمزه مکیه و هی تسع آیات(۹)

[سوره الهمزه (۱۰۴): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ (۱) اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ (۲) یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ (۳) کَلاّٰ لَیُنْبَذَنَّ فِی اَلْحُطَمَهِ (۴) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْحُطَمَهُ (۵) نٰارُ اَللّٰهِ اَلْمُوقَدَهُ (۶) اَلَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی اَلْأَفْئِدَهِ (۷) إِنَّهٰا عَلَیْهِمْ مُؤْصَدَهٌ (۸) فِی عَمَدٍ مُمَدَّدَهٍ (۹)

بیان

وعید شدید للمغرمین بجمع المال المستعلین به علی الناس المستکبرین علیهم فیزرون بهم و یعیبونهم بما لیس بعیب،و السوره مکیه.

قوله تعالی:« وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ »قال فی المجمع،: الهمزه الکثیر الطعن علی غیره بغیر حق العائب له بما لیس بعیب،و أصل الهمز الکسر.قال:و اللمز العیب أیضا و الهمزه و اللمزه بمعنی،و قد قیل:بینهما فرق فإن الهمزه الذی یعیبک بظهر الغیب، و اللمزه الذی یعیبک فی وجهک.عن اللیث.

و قیل:الهمزه الذی یؤذی جلیسه بسوء لفظه،و اللمزه الذی یکسر عینه علی جلیسه

و یشیر برأسه و یومئ بعینه.قال:و فعله بناء المبالغه فی صفه من یکثر منه الفعل و یصیر عاده له تقول:رجل نکحه کثیر النکاح و ضحکه کثیر الضحک و کذا همزه و لمزه انتهی.

فالمعنی ویل لکل عیاب مغتاب،و فسر بمعان أخر علی حسب اختلافهم فی تفسیر الهمزه و اللمزه.

قوله تعالی:« اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ »بیان لهمزه لمزه و تنکیر « مٰالاً » للتحقیر فإن المال و إن کثر ما کثر لا یغنی عن صاحبه شیئا غیر أن له منه ما یصرفه فی حوائج نفسه الطبیعیه من أکله تشبعه و شربه ماء ترویه و نحو ذلک و« عَدَّدَهُ » من العد بمعنی الإحصاء أی أنه لحبه المال و شغفه بجمعه یجمع المال و یعده عدا بعد عد التذاذا بتکثره.و قیل:المعنی جعله عده و ذخرا لنوائب الدهر.

و قوله:« یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ »أی یخلده فی الدنیا و یدفع عنه الموت و الفناء فالماضی أرید به المستقبل بقرینه قوله:« یَحْسَبُ ».

فهذا الإنسان لإخلاده إلی الأرض و انغماره فی طول الأمل لا یقنع من المال بما یرتفع به حوائج حیاته القصیره و ضروریات أیامه المعدوده بل کلما زاد مالا زاد حرصا إلی ما لا نهایه له فظاهر حاله أنه یری أن المال یخلده،و لحبه الغریزی للبقاء یهتم بجمعه و تعدیده، و دغاه ما جمعه و عدده من المال و ما شاهده من الاستغناء إلی الطغیان و الاستعلاء علی غیره من الناس کما قال تعالی: «إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ» :العلق ۷،و یورثه هذا الاستکبار و التعدی الهمز و اللمز.

و من هنا یظهر أن قوله:« یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ »بمنزله التعلیل لقوله:« اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ »، و قوله:« اَلَّذِی جَمَعَ »إلخ بمنزله التعلیل لقوله:« وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ ».

قوله تعالی:« کَلاّٰ لَیُنْبَذَنَّ فِی الْحُطَمَهِ »ردع عن حسبانه الخلود بالمال،و اللام فی « لَیُنْبَذَنَّ »للقسم،و النبذ القذف و الطرح،و الحطمه مبالغه من الحطم و هو الکسر و جاء بمعنی الأکل،و هی من أسماء جهنم علی ما یفسرها قوله الآتی:« نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَهُ ».

و المعنی لیس مخلدا بالمال کما یحسب أقسم لیموتن و یقذفن فی الحطمه.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْحُطَمَهُ »تفخیم و تهویل.

قوله تعالی:« نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَهُ الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ » إیقاد النار إشعالها و الاطلاع و الطلوع علی الشیء الإشراف و الظهور،و الأفئده جمع فؤاد و هو القلب،و المراد به فی

القرآن مبدأ الشعور و الفكر من الإنسان و هو النفس الإنسانيه.

و كـان المراد من اطلاعهـا على الأفئـده أنها تحرق باطن الإنسان كما تحرق ظاهره بخلاف النار الـدنيويه التى إنما تحرق الظاهر فقط قال تعالى: «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجٰارَةُ» :البقره ۲۴.

قوله تعالى:« إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ »أى مطبقه لا مخرج لهم منها و لا منجا.

قوله تعالى:« فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » العمـد بفتحتين جمع عمود و التمديـد مبالغه فى المد قيل:هى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النـار،و قيـل:عمـد ممـدده يوثقون فيهـا مثـل المقـاطر و هى خشب أو جـذوع كبار فيها خروق توضع فيها أرجل المحبوسـين من اللصوص و غيرهم،و قيل غير ذلك.

بحث روائى

فى روح المعـانى،":فى قوله تعـالى:« وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ »نزل ذلـك على مـا أخرج ابن أبى حـاتم-من طريق ابن إسـحاق عن عثمـان بن عمر فى أبى بن خلف،و على مـا أخرج عن السـدى فى أبى بن عمر و الثقفى-الشـهير بالأـخنس بن شـريق-فـإنه كان مغتابا كثير الوقيعه.

و على ما قال ابن إسحاق فى أميه بن خلف الجمحى-و كان يهمز النبى ص.

و على مـا أخرج ابن جرير و غيره عن مجاهـد فى جميـل بن عامر-و على ما قيل فى الوليـد بن المغيره-و اغتيابه لرسول الله ص و غضه منه،و على قول فى العاص بن وائل.

أقول:ثم قال:و يجوز أن يكون نازلا فى جمع من ذكر.انتهى و لا يبعد أن يكون من تطبيق الرواه و هو كثير فى أسباب النزول.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ »قال:الذى يغمز الناس و يستحقر الفقراء،و قوله:« لُمَزَةٍ »يلوى عنقه و رأسه-و يغضب إذا رأى فقيرا أو سائلا« اَلَّذِي جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ »قال:أعده و وضعه.

و فيه،":قوله تعالى:« اَلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ »قال:تلتهب على الفؤاد-قال أبو ذر رضـى الله عنه:بشـر المتكبرين بكى فى الصدور و سحب على الظهور.قوله« إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ »قال:مطبقه« فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ »قال:إذا مدت العمد عليهم أكلت و الله الجلود.

و فى المجمع،روى العياشـى بإسـناده عن محمـد بن النعمـان الأـحول عن حمران بن أعين عن أبى جعفر(ع)قـال*: إن الكفـار و المشركين يعيرون أهل التوحيد فى النار-و يقولون:

ما نری توحیدکم أغنی عنکم شیئا-و ما نحن و أنتم إلا سواء-قال:فیأنف لهم الرب تعالی فیقول للملائکه:اشفعوا فیشفعون لمن شاء الله-ثم یقول للنبیین:اشفعوا فیشفعون لمن شاء الله-ثم یقول للمؤمنین:اشفعوا فیشفعون لمن شاء الله-و یقول الله:أنا أرحم الراحمین اخرجوا برحمتی-فیخرجون کما یخرج الفراش.

قال:ثم قال أبو جعفر(ع):ثم مدت العمد و أوصدت علیهم و کان و الله الخلود.

(۱۰۵) سوره الفیل مکیه و هی خمس آیات(۵)

[سوره الفیل (۱۰۵): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحٰابِ اَلْفِیلِ (۱) أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ (۲) وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبٰابِیلَ (۳) تَرْمِیهِمْ بِحِجٰارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ (۴) فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ (۵)

بیان

فیها إشاره إلی قصه أصحاب الفیل إذ قصدوا مکه لتخریب الکعبه المعظمه فأهلکهم الله بإرسال طیر أبابیل ترمیهم بحجاره من سجیل فجعلهم کعصف مأکول، و هی من آیات الله الجلیه التی لا ستره علیها،و قد أرخوا بها و ذکرها الجاهلیون فی أشعارهم، و السوره مکیه.

قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحٰابِ الْفِیلِ »المراد بالرؤیه العلم الظاهر ظهور الحس،و الاستفهام إنکاری،و المعنی أ لم تعلم کیف فعل ربک بأصحاب الفیل، و قد کانت الواقعه عام ولد فیه النبی ص.

قوله تعالی:« أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ »المراد بکیدهم سوء قصدهم بمکه و إرادتهم تخریب البیت الحرام،و التضلیل و الإضلال واحد،و جعل کیدهم فی تضلیل جعل سعیهم ضالا لا یهتدی إلی الغایه المقصوده منه فقد ساروا لتخریب الکعبه و انتهی بهم إلی هلاک أنفسهم.

قوله تعالى:« وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ » الأبابيل -كما قيل-جماعات فى تفرقه زمره زمره،و المعنى و أرسل الله على أصحاب الفيل جماعات متفرقه من الطير و الآيه و التى تتلوها عطف تفسير على قوله:« أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ».

قوله تعالى:« تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ »أى ترمى أبابيل الطير أصحاب الفيل بحجاره من سجيل،و قد تقدم معنى السجيل فى تفسير قصص قوم لوط.

قوله تعالى:« فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » العصف ورق الزرع و العصف المأكول ورق الزرع الذى أكل حبه أو قشر الحب الذى أكل لبه و المراد أنهم عادوا بعد وقوع السجيل عليهم أجسادا بلا أرواح أو أن الحجر بحرارته أحرق أجوافهم،و قيل:

المراد ورق الزرع الذى وقع فيها الأكال و هو أن يأكله الدود فيفسده و فسرت الآيه ببعض وجوه أخر لا يناسب الأدب القرآنى.

بحث روائی

فى المجمع،":أجمعت الرواه على أن ملك اليمن الذى قصد هدم الكعبه هو أبرهه بن الصباح الأشرم و قيل: إن كنيته أبو يكسوم و نقل عن الواقدى أنه جد النجاشى الذى كان على عهد رسول الله ص.

ثم ساق الكلام فى قصه استيلائه على ملك اليمن إلى أن قال:ثم إنه بنى كعبه باليمن و جعل فيها قبابا من ذهب فأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهى بذلك البيت الحرام، و إن رجلا من بنى كنانه خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها يعنى لحاجه الإنسان فدخلها أبرهه فوجد تلك العذره فيها فقال:من اجترأ على بهذا؟و نصرانيتى لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج أبدا و دعا بالفيل و أذن قومه بالخروج و من اتبعه من أهل اليمن،و كان أكثر من اتبعه منهم عك و الأشعرون و خثعم.

قال:ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه فتلقاه أيضا رجل من الحمس من بنى كنانه فقتله فازداد بذلك حنقا و حث السير و الانطلاق.

و طلب من أهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه و هو من مكه على سته أميال فبعثوا مقدماتهم إلى

مکه فخرجت قریش عبادید فی رءوس الجبال و قالوا:لا طاقه لنا بقتال هؤلاء و لم یبق بمکه غیر عبد المطلب بن هاشم أقام علی سقایته و غیر شیبه بن عثمان بن عبد الدار أقام علی حجابه البیت فجعل عبد المطلب یأخذ بعضادتی الباب ثم یقول:

لا هم أن المرء یمنع رحله فامنع جلالک

لا یغلبوا بصلیبهم و محالهم عدوا محالک

لا یدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لک

ثم إن مقدمات أبرهه أصابت نعما لقریش فأصابت فیها مائتی بعیر لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلک خرج حتی أتی القوم،و کان حاجب أبرهه رجلا من الأشعرین و کان له بعبد المطلب معرفه فاستأذن له علی الملک و قال له:أیها الملک جاءک سید قریش الذی یطعم إنسها فی الحی و وحشها فی الجبل فقال له:ائذن له.

و کان عبد المطلب رجلا جسیما جمیلا فلما رآه أبو یکسوم أعظمه أن یجلسه تحته و کره أن یجلسه معه علی سریره فنزل من سریره فجلس علی الأرض و أجلس عبد المطلب معه ثم قال:ما حاجتک؟قال:حاجتی مائتا بعیر لی أصابتها مقدمتک فقال أبو یکسوم:

و الله لقد رأیتک فأعجبتنی ثم تکلمت فزهدت فیک فقال:و لم أیها الملک؟قال:لأنی جئت إلی بیت عزکم و منعتکم من العرب و فضلکم فی الناس و شرفکم علیهم و دینکم الذی تعبدون فجئت لأکسره و أصیبت لک مائتا بعیر فسألتک عن حاجتک فکلمتنی فی إبلک و لم تطلب إلی فی بیتکم.

فقال له عبد المطلب:أیها الملک أنا أکلمک فی مالی و لهذا البیت رب هو یمنعه لست أنا منه فی شیء فراع ذلک أبو یکسوم و أمر برد إبل عبد المطلب علیه ثم رجع و أمست لیلتهم تلک اللیله کالحه نجومها کأنها تکلمهم کلاما لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب.

إلی أن قال:حتی إذا کان مع طلوع الشمس طلعت علیهم الطیر معها الحجاره فجعلت ترمیهم،و کل طائر فی منقاره حجر و فی رجلیه حجران و إذا رمت بذلک مضت و طلعت أخری فلا یقع حجر من حجارتهم تلک علی بطن إلا خرقه و لا عظم إلا أوهاه و ثقبه، و ثاب أبو یکسوم راجعا قد أصابته بعض الحجاره فجعل کلما قدم أرضا انقطع له فیها إرب حتی إذا انتهی إلی الیمن لم یبق شیء إلا باده فلما قدمها تصدع صدره و انشق بطنه فهلک و لم یصب من الأشعرین و خثعم أحد،الحدیث.

أقول:و فی الروایات اختلاف شدید فی خصوصیات القصه من أراد الوقوف علیها فعلیه بمطولات السیر و التواریخ.

(١٠۶) سوره قریش مکیه و هی أربع آیات(۴)

[سوره قریش (١٠۶): الآیات ١ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

لِإِیلاٰفِ قُرَیْشٍ (١) إِیلاٰفِهِمْ رِحْلَهَ اَلشِّتٰاءِ وَ اَلصَّیْفِ (٢) فَلْیَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا اَلْبَیْتِ (٣) اَلَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (۴)

بیان

تتضمن السوره امتنانا علی قریش بإیلافهم الرحلتین و تعقبه بدعوتهم إلی التوحید و عباده رب البیت،و السوره مکیه.

و لمضمون السوره نوع تعلق بمضمون سوره الفیل و لذا ذهب قوم من أهل السنه إلی کون الفیل و لإیلاف سوره واحده کما قیل بمثله فی الضحی و أ لم نشرح لما بینهما من الارتباط کما نسب ذلک إلی المشهور بین الشیعه و الحق أن شیئا مما استندوا إلیه لا یفید ذلک.

أما القائلون بذلک من أهل السنه فإنهم استندوا فیه إلی ما روی أن أبی بن کعب لم یفصل بینهما فی مصحفه بالبسمله،و بما روی عن عمرو بن میمون الأزدی قال:صلیت المغرب خلف عمر بن الخطاب فقرأ فی الرکعه الأولی و التین و فی الثانیه أ لم تر و لإیلاف قریش من غیر أن یفصل بالبسمله.

و أجیب عن الروایه الأولی بمعارضتها بما روی أنه أثبت البسمله بینهما فی مصحفه، و عن الثانیه بأن من المحتمل علی تقدیر صحتها أن یکون الراوی لم یسمع قراءتها أو یکون قرأها سرا.علی أنها معارض بما روی عن النبی ص أن الله فضل قریشا بسبع خصال و فیها«و نزلت فیهم سوره من القرآن لم یذکر فیها أحد غیرهم:لإیلاف قریش».

الحدیث علی أن الفصل متواتر.

و أما القائلون بذلک من الشیعه فاستندوا فیه

إلی ما فی المجمع،عن أبی العباس عن أحدهما(ع)قال: أ لم تر کیف فعل ربک و لإیلاف قریش سوره واحده ،

و ما

فی التهذیب،بإسناده عن العلاء عن زید الشحام قال*: صلی بنا أبو عبد الله(ع)الفجر- فقرأ الضحی و أ لم نشرح فی رکعه ،

و ما فی المجمع،عن العیاشی عن المفضل بن صالح عن أبی عبد الله(ع)قال*:سمعته یقول: لا تجمع بین سورتین فی رکعه واحده إلا الضحی- و أ لم نشرح و أ لم تر کیف و لإیلاف قریش: و رواه المحقق فی المعتبر،نقلا من کتاب الجامع لأحمد بن محمد بن أبی نصر عن المفضل:مثله .

أما روایه أبی العباس فضعیف لما فیها من الرفع.

و أما روایه الشحام فقد رویت عنه بطریقین آخرین:أحدهما

ما فی التهذیب،بإسناده عن ابن مسکان عن زید الشحام قال*: صلی بنا أبو عبد الله(ع)فقرأ بنا بالضحی و أ لم نشرح ،و ثانیهما

عنه عن ابن أبی عمیر عن بعض أصحابنا عن زید الشحام قال*: صلی بنا أبو عبد الله(ع)فقرأ فی الأولی الضحی-و فی الثانیه أ لم نشرح لک صدرک.

و هذه أعنی صحیحه ابن أبی عمیر صریحه فی قراءه السورتین فی رکعتین و لا یبقی معها لروایه العلاء ظهور فی الجمع بینهما،و أما روایه ابن مسکان فلا ظهور لها فی الجمع و لا صراحه،و أما حمل ابن أبی عمیر علی النافله فیدفعه قوله فیها:«صلی بنا» فإنه صریح فی الجماعه و لا جماعه فی نفل.

و أما روایه المفضل فهی أدل علی کونهما سورتین منها علی کونهما سوره واحده حیث قیل:

لا تجمع بین سورتین ثم استثنی من السورتین الضحی و أ لم نشرح و کذا الفیل و لإیلاف.

فالحق أن الروایات إن دلت فإنما تدل علی جواز القرآن بین سورتی الضحی و أ لم نشرح و سورتی الفیل و لإیلاف فی رکعه واحده من الفرائض و هو ممنوع فی غیرها،و یؤیده

روایه الراوندی فی الخرائج،عن داود الرقی عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث قال*: فلما طلع الفجر قام فأذن و أقام-و أقامنی عن یمینه و قرأ فی أول رکعه الحمد و الضحی-و فی الثانیه بالحمد و قل هو الله أحد-ثم قنت ثم سلم ثم جلس.

قوله تعالی:« لِإِیلاٰفِ قُرَیْشٍ إِیلاٰفِهِمْ رِحْلَهَ الشِّتٰاءِ وَ الصَّیْفِ » الألف بکسر الهمزه اجتماع مع التئام کما قاله الراغب و منه الألفه،و قال فی الصحاح،:و فلان قد ألف هذا الموضع بالکسر یألفه ألفا و آلفه إیاه غیره،و یقال أیضا:آلفت الموضع أولفه إیلافا،انتهی.

و قریش عشیره النبی ص و هم ولد النضر بن کنانه المسمی قریشا،و الرحله حال السیر علی الراحله و هی الناقه القویه علی السیر کما فی المجمع،و المراد بالرحله خروج قریش

من مکه للتجاره و ذلک أن الحرم واد جدیب لا زرع فیه و لا ضرع فکانت قریش تعیش فیه بالتجاره،و کانت لهم فی کل سنه رحلتان للتجاره رحله فی الشتاء إلی الیمن و رحله بالصیف إلی الشام،و کانوا یعیشون بذلک و کان الناس یحترمونهم لمکان البیت الحرام فلا یتعرضون لهم بقطع طریقهم أو الإغاره علی بلدهم الأمن.

و قوله:« لِإِیلاٰفِ قُرَیْشٍ »اللام فیه للتعلیل،و فاعل الإیلاف هو الله سبحانه و قریش مفعوله الأول و مفعوله الثانی محذوف یدل علیه ما بعده،و قوله:« إِیلاٰفِهِمْ رِحْلَهَ الشِّتٰاءِ وَ الصَّیْفِ »بدل من إیلاف قریش،و فاعل إیلافهم هو الله و مفعوله الأول ضمیر الجمع و مفعوله الثانی رحله إلخ،و التقدیر لإیلاف الله قریشا رحله الشتاء و الصیف.

قوله تعالی:« فَلْیَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَیْتِ »الفاء فی« فَلْیَعْبُدُوا »لتوهم معنی الشرط أی أی شیء کان فلیعبدوا رب هذا البیت لإیلافه أیام الرحلتین أو لتوهم التفصیل أی مهما یکن من شیء فلیعبدوا رب هذا البیت إلخ، فهو کقوله تعالی: «وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ» :المدثر:۷.

و محصل معنی الآیات الثلاث لیعبد قریش رب هذا البیت لأجل إیلافه إیاهم رحله الشتاء و الصیف و هم عائشون بذلک فی أمن.

هذا بالنظر إلی کون السوره منفصله عما قبلها ذات سیاق مستقل فی نفسها،و أما علی تقدیر کونها جزء من سوره الفیل متممه لها فذکروا أن اللام فی« لِإِیلاٰفِ »تعلیلیه متعلقه بمقدر یدل علیه المقام و المعنی فعلنا ذلک بأصحاب الفیل نعمه منا علی قریش مضافه إلی نعمتنا علیهم فی رحله الشتاء و الصیف فکأنه قال:نعمه إلی نعمه و لذا قیل:إن اللام مؤدیه معنی إلی و هو قول الفراء.

و قیل:المعنی فعلنا ذلک بأصحاب الفیل لتألف قریش بمکه و یمکنهم المقام بها أو لنؤلف قریشا فإنهم هابوا من أبرهه لما قصدها و هربوا منه فأهلکناهم لترجع قریش إلی مکه و یألفوا بها و یولد محمد ص فیبعث إلی الناس بشیرا و نذیرا هذا،و الکلام فی استفاده هذه المعانی من السیاق.

قوله تعالی:« اَلَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ »إشاره إلی ما فی إیلافهم الرحلتین من منه الواضح و نعمته الظاهره علیهم و هو الإطعام و الأمن فیعیشون فی أرض لا خصب فیها و لا أمن لغیرهم فلیعبدوا ربا یدبر أمرهم أحسن التدبیر و هو رب البیت.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ إِيلاٰفِهِمْ »قال:نزلت فی قریش لأنه کان معاشهم من الرحلتین-رحله فی الشتاء إلی الیمن،و رحله فی الصیف إلی الشام، و کانوا یحملون من مکه الأدم و اللب-و ما یقع من ناحیه البحر من الفلفل و غیره-فیشترون بالشام الثیاب و الدرمک و الحبوب،و کانوا یتألفون فی طریقهم و یثبتون فی الخروج-فی کل خرجه رئیسا من رؤساء قریش-و کان معاشهم من ذلک.

فلما بعث الله نبیه استغنوا عن ذلک-لأن الناس وفدوا علی رسول الله ص و حجوا إلی البیت-فقال الله:« فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ- الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ »لا یحتاجون أن یذهبوا إلی الشام« وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ »یعنی خوف الطریق.

أقول:قوله:فلما بعث الله إلخ خفی الانطباق علی سیاق آیات السوره،و لعله من کلام القمی أخذه من بعض ما روی عن ابن عباس.

(۱۰۷)سوره الماعون مدنیه أو مکیه و هی سبع آیات(۷)

[سوره الماعون (۱۰۷): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

أَ رَأَيْتَ اَلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (۱) فَذٰلِكَ اَلَّذِي يَدُعُّ اَلْيَتِيمَ (۲) وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ اَلْمِسْكِينِ (۳) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (۴) اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ (۵) اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ (۶) وَ يَمْنَعُونَ اَلْمٰاعُونَ (۷)

بیان

وعید لمن کان من المنتحلین بالدین متخلقا بأخلاق المنافقین کالسهو عن الصلاه و الریاء فی الأعمال و منع الماعون مما لا یلائم التصدیق بالجزاء.

و السوره تحتمل المکیه و المدنیه،و قیل:نصفها مکی و نصفها مدنی.

قوله تعالی:« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یُکَذِّبُ بِالدِّینِ »الرؤیه تحتمل الرؤیه البصریه و تحتمل أن تکون بمعنی المعرفه،و الخطاب للنبی ص بما أنه سامع فیتوجه إلی کل سامع، و المراد بالدین الجزاء یوم الجزاء فالمکذب بالدین منکر المعاد و قیل المراد به الدین بمعنی المله.

قوله تعالی:« فَذٰلِکَ الَّذِی یَدُعُّ الْیَتِیمَ » الدع هو الرد بعنف و جفاء،و الفاء فی « فَذٰلِکَ »لتوهم معنی الشرط و التقدیر أ رأیت الذی یکذب بالجزاء فعرفته بصفاته اللازمه لتکذیبه فإن لم تعرفه فذلک الذی یرد الیتیم بعنف و یجفوه و لا یخاف عاقبه عمله السیئ و لو لم یکذب به لخافها و لو خافها لرحمه.

قوله تعالی:« وَ لاٰ یَحُضُّ عَلیٰ طَعٰامِ الْمِسْکِینِ » الحض الترغیب،و الکلام علی تقدیر مضاف أی لا یرغب الناس علی إطعام طعام المسکین قیل:إن التعبیر بالطعام دون الإطعام للإشعار بأن المسکین کأنه مالک لما یعطی له کما فی قوله تعالی: «وَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» :الذاریات:۱۹ و قیل:الطعام فی الآیه بمعنی الإطعام.

و التعبیر بالحض دون الإطعام لأن الحض أعم من الحض العملی الذی یتحقق بالإطعام.

قوله تعالی:« فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ »أی غافلون لا یهتمون بها و لا یبالون أن تفوتهم بالکلیه أو فی بعض الأوقات أو تتأخر عن وقت فضیلتها و هکذا.

و فی الآیه تطبیق من یکذب بالدین علی هؤلاء المصلین لمکان فاء التفریع و دلاله علی أنهم لا یخلون من نفاق لأنهن یکذبون بالدین عملا و هم یتظاهرون بالإیمان.

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ هُمْ یُرٰاؤُنَ »أی یأتون بالعبادات لمراءاه الناس فهم یعملون للناس لا لله تعالی.

قوله تعالی:« وَ یَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ » الماعون کل ما یعین الغیر فی رفع حاجه من حوائج الحیاه کالقرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البیت تعیره و إلی هذا یرجع متفرقات ما فسر به فی کلماتهم.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« أَ رَأَیْتَ الَّذِی یُکَذِّبُ بِالدِّینِ »قال: نزلت فی أبی جهل و کفار قریش،و فی قوله:« اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ »قال:عنی به تارکون لأن کل إنسان یسهو فی الصلاه-قال أبو عبد الله(ع):تأخیر الصلاه عن أول وقتها لغیر عذر.

و فی الخصال،عن علی(ع)فی حدیث الأربعمائه قال: لیس عمل أحب إلی الله عز و جل من الصلاه-فلا یشغلنکم عن أوقاتها شیء من أمور الدنیا-فإن الله عز و جل ذم أقواما فقال:« اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ »یعنی أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

و فی الکافی،بإسناده عن محمد بن الفضیل قال: سألت عبدا صالحا(ع)عن قول الله عز و جل:« اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ »قال هو التضییع.

أقول:و فی هذه المضامین روایات أخر.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم و البیهقی فی سننه عن علی بن أبی طالب *« اَلَّذِینَ هُمْ یُرٰاؤُنَ »قال:یراءون بصلاتهم.

و فیه،أخرج أبو نعیم و الدیلمی و ابن عساکر عن أبی هریره عن النبی ص *فی قوله « وَ یَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ »قال:ما تعاون الناس بینهم الفأس و القدر و الدلو و أشباهه.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث قال *:و قوله عز و جل:« وَ یَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ »هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه-و متاع البیت تعیره و منه الزکاه.

أقول:و تفسیر الماعون بالزکاه مروی من طرق أهل السنه أیضا

عن علی(ع)کما فی الدر المنثور،و لفظه: الماعون الزکاه المفروضه-یراءون بصلاتهم و یمنعون زکاتهم.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن قانع عن علی بن أبی طالب قال سمعت رسول الله ص یقول*: المسلم أخو المسلم إذا لقیه حیاه بالسلام-و یرد علیه ما هو خیر منه لا یمنع الماعون- قلت:یا رسول الله ما الماعون؟قال(ص):الحجر و الحدید و الماء و أشباه ذلک.

أقول:و قد فسر(ص)فی روایه أخری الحدید بقدور النحاس و حدید الفأس و الحجر بقدور الحجاره.

(۱۰۸)سوره الکوثر مکیه و هی ثلاث آیات(۳)

[سوره الکوثر (۱۰۸): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ اَلْکَوْثَرَ (۱) فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ اِنْحَرْ (۲) إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ اَلْأَبْتَرُ (۳)

بیان

امتنان علی النبی ص بإعطائه الکوثر و تطییب لنفسه الشریفه بأن شانئه هو الأبتر،و هی أقصر سوره فی القرآن و قد اختلفت الروایات فی کون السوره مکیه أو مدنیه،و الظاهر أنها مکیه،و ذکر بعضهم أنها نزلت مرتین جمعا بین الروایات.

قوله تعالی:« إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ »قال فی المجمع، الکوثر فوعل و هو الشیء الذی من شأنه الکثره،و الکوثر الخیر الکثیر،انتهی.

و قد اختلفت أقوالهم فی تفسیر الکوثر اختلافا عجیبا فقیل:هو الخیر الکثیر، و قیل نهر فی الجنه،و قیل:حوض النبی ص فی الجنه أو فی المحشر،و قیل:أولاده و قیل:أصحابه و أشیاعه(ص)إلی یوم القیامه،و قیل:علماء أمته(ص)،و قیل القرآن و فضائله کثیره،و قیل النبوه و قیل:تیسیر القرآن و تخفیف الشرائع و قیل:الإسلام و قیل التوحید،و قیل:العلم و الحکمه،و قیل:فضائله(ص)،و قیل المقام المحمود، و قیل:هو نور قلبه(ص)إلی غیر ذلک مما قیل،و قد نقل عن بعضهم أنه أنهی الأقوال إلی سته و عشرین.

و قد استند فی القولین الأولین إلی بعض الروایات،و باقی الأقوال لا تخلو من تحکم و کیفما کان فقوله فی آخر السوره:« إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ »و ظاهر الأبتر هو المنقطع نسله و ظاهر الجمله أنها من قبیل قصر القلب-أن کثره ذریته(ص)هی المراده وحدها بالکوثر الذی أعطیه النبی ص أو المراد بها الخیر الکثیر و کثره الذریه مراده فی ضمن الخیر الکثیر و لو لا ذلک لکان تحقیق الکلام بقوله:« إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ »خالیا عن الفائده.

و قد استفاضت الروایات أن السوره إنما نزلت فیمن عابه(ص)بالبتر بعد ما مات ابناه القاسم و عبد الله،و بذلک یندفع ما قیل:إن مراد الشانئ بقوله:« اَلْأَبْتَرُ »المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخیر فرد الله علیه بأنه هو المنقطع من کل خیر.

و لما فی قوله:« إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ »من الامتنان علیه(ص)جیء بلفظ المتکلم مع الغیر الدال علی العظمه،و لما فیه من تطییب نفسه الشریفه أکدت الجمله بإن و عبر بلفظ الإعطاء الظاهر فی التملیک.

و الجمله لا تخلو من دلاله على أن ولـد فاطمه(ع)ذريته(ص)،و هـذا فى نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقـد كثر الله تعالى نسـله بعده كثره لا يعادلهم فيها أى نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب و أفنى جموعهم من المقاتل الذريعه.

قوله تعـالى:« فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ »ظاهر السياق فى تفريع الأمر بالصـلاه و النحر على الامتنان فى قوله:« إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ »إنه من شكر النعمه و المعنى إذا مننا عليك بإعطاء الكوثر فاشكر لهذه النعمه بالصلاه و النحر.

و المراد بـالنحر على ما رواه الفريقان عن النبى ص و عن على(ع)و روته الشيعه عن الصادق(ع)و غيره من الأئمه هو رفع اليـدين فى تكبير الصلاه إلى النحر.

و قيل:معنى الآيه صل لربك صـلاه العيـد و انحر البـدن،و قيل:يعنى صل لربك و اسـتو قائما عنـد رفع رأسك من الركوع و قيل غير ذلك.

قوله تعالى:« إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » الشانئ هو المبغض و الأبتر من لا عقب له و هذا الشانئ هو العاص بن وائل.

و قيل:المراد بالأبتر المنقطع عن الخير أو المنقطع عن قومه،و قد عرفت أن روايات سبب نزول السوره لا تلائمه و ستجىء.

بحث روائى

فى الـدر المنثور،أخرج البخـارى و ابن جرير و الحـاكم من طريق أبى بشـر عن سـعيد بن جبير عن ابن عبـاس أنه قـال"*:الكوثر الخير الـذى أعطاه إياه-قال أبو بشـر قلت لسـعيد بن جبير-فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنه-قال:النهر الـذى فى الجنه من الخير الذى أعطاه الله إياه.

و فيه،أخرج ابن أبى حـاتم و الحـاكم و ابن مردويه و البيهقى فى سـننه عن على بن أبى طالب قال*: لما نزلت هـذه السوره على النبى ص« إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ »قال النبى ص لجبريل:ما هـذه النحيره التى أمرنى بها ربى؟قال:إنها ليست بنحيره-و لكن يأمرك إذا تحرمت للصـلاه-أن ترفع يـديك إذا كبرت-و إذا ركعت و إذا رفعت رأسـك من الركوع-فإنهـا صـلاتنا و صـلاه الملائكه الذين فى السماوات السبع،و أن لكل شىء زينه- و زينه الصلاه رفع اليدين عند كل تكبيره.

قال النبى ص:رفع اليدين من الاستكانه التى قال الله:« فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ

وَ مٰا يَتَضَرَّعُونَ »:.

أقول:و رواه فی المجمع،عن المقاتل عن الأصبغ بن نباته عنه(ع)ثم قال:أورده الثعلبی و الواحدی فی تفسیرهما

،

و قال أیضا:إن جمیع عترته الطاهره رووا عنه(ع):

أن معنی النحر رفع الیدین إلی النحر فی الصلاه.

و فیه،أخرج ابن جریر عن أبی جعفر *فی قوله:« فَصَلِّ لِرَبِّکَ »قال:الصلاه« وَ انْحَرْ » قال یرفع یدیه أول ما یکبر فی الافتتاح.

و فیه،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس"*فی قوله:« فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ »قال:إن الله أوحی إلی رسوله-أن ارفع یدیک حذاء نحرک إذا کبرت للصلاه فذاک النحر.

و فی المجمع،فی الآیه عن عمر بن یزید قال سمعت أبا عبد الله(ع)یقول *فی قوله « فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ »هو رفع یدیک حذاء وجهک:.

أقول:ثم قال:و روی عنه عبد الله بن سنان مثله،و روی أیضا قریبا منه عن جمیل عنه(ع) .

و فی الدر المنثور،أخرج ابن سعد و ابن عساکر من طریق الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس قال"*:کان أکبر ولد رسول الله ص القاسم-ثم زینب ثم عبد الله ثم أم کلثوم ثم فاطمه ثم رقیه-فمات القاسم و هو أول میت من ولده بمکه-ثم مات عبد الله-فقال العاص بن وائل السهمی قد انقطع نسله فهو أبتر- فأنزل الله« إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ ».

و فیه،أخرج الزبیر بن بکار و ابن عساکر عن جعفر بن محمد عن أبیه قال*: توفی القاسم بن رسول الله بمکه-فمر رسول الله ص و هو آت من جنازته-علی العاص بن وائل و ابنه عمرو-فقال حین رأی رسول الله ص:إنی لأشنؤه-فقال العاص بن وائل:لا جرم لقد أصبح أبتر-فأنزل الله« إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ ».

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن السدی قال"*:کانت قریش تقول-إذا مات ذکور الرجل-بتر فلان-فلما مات ولد النبی ص-قال العاص بن وائل:بتر و الأبتر الفرد.

أقول:و فی بعض الآثار أن الشانئ هو الولید بن المغیره،و فی بعضها أبو جهل و فی بعضها عقبه بن أبی معیط،و فی بعضها کعب بن الأشرف،و المعتمد ما تقدم.

و یؤیده ما

فی الاحتجاج الطبرسی،عن الحسن بن علی(ع): فی حدیث یخاطب فیه عمرو بن العاصی:و أنک ولدت علی فراش مشترک-

فتحاكمت فيك رجال قريش

ص :٣٧٢

منهم أبو سفيان بن حرب-و الوليد بن المغيره و عثمان بن الحارث-و النضر بن الحارث بن كلده و العاص بن وائل-كلهم يزعم أنك ابنه-فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا- و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغيه.

ثم قمت خطيبا و قلت:أنا شانئ محمد-و قال العاص بن وائل:إن محمدا رجل أبتر لا ولد له-قد مات انقطع ذكره-فأنزل الله تبارك و تعالى:« إِنَّ شٰانِئَكَ هُوَ اَلْأَبْتَرُ ».

الحديث.

و فى تفسير القمى،":« إِنّٰا أَعْطَيْنٰاكَ الْكَوْثَرَ »قال:الكوثر نهر فى الجنه أعطى الله محمدا ص-عوضا عن ابنه إبراهيم.

أقول:الخبر على إرساله و إضماره معارض لسائر الروايات و تفسير الكوثر بنهر فى الجنه لا ينافى التفسير بالخير الكثير كما تقدم فى خبر ابن جبير.

(۱۰۹) سوره الكافرون مكيه و هى ست آيات(۶)

[سوره الكافرون (۱۰۹): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

قُلْ يٰا أَيُّهَا اَلْكٰافِرُونَ (۱) لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ (۲) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۳) وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ (۴) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۵) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ (۶)

بيان

فيها أمره(ص)أن يظهر للكفار براءته من دينهم و يخبرهم بامتناعهم من دينه فلا دينه يتعداه إليهم و لا دينهم يتعداهم إليه فلا يعبد ما يعبدون أبدا و لا يعبدون ما يعبد أبدا فلييأسوا من أى نوع من المداهنه و المساهله.

و اختلفوا فى كون السوره مكيه أو مدنيه،و الظاهر من سياقها أنها مكيه.

قوله تعالى:« قُلْ يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ »الظاهر أن هؤلاء قوم معهودون لا كل كافر و يدل على ذلك أمره(ص)أن يخاطبهم ببراءته من دينهم و امتناعهم من دينه.

قوله تعالى:« لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ »الآيه إلى آخر السوره مقول القول،و المراد بما

تعبـدون الأصـنام الـتى كـانوا يعبـدونها،و مفعـول« تَعْبُـدُونَ »ضـمير راجع إلى الموصول محـذوف لـدلاله الكلاـم عليه و لرعـايه الفواصل،و كذا مفاعيل الأفعال التاليه:« أَعْبُدُ » و« عَبَدْتُّمْ »و« أَعْبُدُ ».

و قوله:« لاٰ أَعْبُدُ »نفى استقبالى فإن لا لنفى الاستقبال كما أن ما لنفى الحال،و المعنى لا أعبد أبدا ما تعبدونه اليوم من الأصنام.

قوله تعالى:« وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ »نفى اسـتقبالى أيضا لعبادتهم ما يعبده (ص)و هو إخبار عن امتناعهم عن الدخول فى دين التوحيد فى مستقبل الأمر.

و بانضـمام الأمر الذى فى مفتتح الكلام تفيد الآيتان إن الله سبحانه أمرنى بالدوام على عبادته و أن أخبركم أنكم لا تعبدونه أبدا فلا يقع بينى و بينكم اشتراک فى الدين أبدا.

فالآيه فى معنى قوله تعالى: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ» :يس:۷، و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ» :البقره:۶.

و كان من حق الكلام أن يقال:و لا أنتم عابدون من أعبد.لكن قيل:ما أعبد ليطابق ما فى قوله:« لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ ».

قوله تعالى:« وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَـدْتُّمْ وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِـدُونَ مٰا أَعْبُـدُ »تكرار لمضـمون الجملتين السابقتين لزياده التأكيـد،كقوله: «كَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ» التكاثر:۴ و قوله: «فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» :المدثر:۲۰.

و قيـل:إن مـا فى« مٰا عَبَـدْتُّمْ »و« مٰا أَعْبُـدُ »مصـدريه لا موصوله و المعنى و لا أنا عابـد عبادتكم و لا أنتم عابـدون عبادتى أى لا أشارككم و لا تشاركوننى لا فى المعبود و لا فى العباده فمعبودى هو الله و معبودكم الوثن و عبادتى ما شـرعه الله لى و عبادتكم ما ابتـدعتموه جهلا و افتراء،و على هـذا فالآيتان غير مسوقتين للتأكيـد،و لا يخلو من بعـد و سـيأتى فى البحث الروائى التالى وجه آخر للتكرار لطيف.

قوله تعالى:« لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ »تأكيد بحسب المعنى لما تقدم من نفى الاشتراک،و اللام للاختصاص أى دينكم و هو عباده الأصنام يختص بكم و لا يتعداكم إلى و دينى يختص بى و لا يتعدانى إليكم و لا محل لتوهم دلاله الآيه على إباحه أخذ كل بما يرتضيه من الدين و لا أنه(ص)لا يتعرض لدينهم بعد ذلک فالدعوه الحقه التى يتضمنها القرآن تدفع ذلک أساسا.

ص:۳۷۴

و قیل:الدین فی الآیه بمعنی الجزاء و المعنی لکم جزاؤکم و لی جزائی،و قیل:إن هناک مضافا محذوفا و التقدیر لکم جزاء دینکم و لی جزاء دینی،و الوجهان بعیدان عن الفهم.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم و ابن الأنباری فی المصاحف عن سعید بن میناء مولی أبی البختری قال"*: لقی الولید بن المغیره و العاص بن وائل-و الأسود بن المطلب و أمیه بن خلف-رسول الله ص-فقالوا:یا محمد هلم فلنعبد ما تعبد و تعبد ما نعبد-و لنشترک نحن و أنت فی أمرنا کله-فإن کان الذی نحن علیه أصح من الذی أنت علیه- کنت قد أخذت منه حظا-و إن کان الذی أنت علیه أصح من الذی نحن علیه-کنا قد أخذنا منه حظا-فأنزل الله« قُلْ یٰا أَیُّهَا الْکٰافِرُونَ لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ »حتی انقضت السوره.:

أقول:و روی الشیخ فی الأمالی،بإسناده عن میناء عن غیر واحد من أصحابه قریبا منه .

و فی تفسیر القمی،عن أبیه عن ابن أبی عمیر قال*: سأل أبو شاکر أبا جعفر الأحول عن قول الله:« قُلْ یٰا أَیُّهَا الْکٰافِرُونَ لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ- وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ- وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ »فهل یتکلم الحکیم بمثل هذا القول،و یکرر مره بعد مره؟فلم یکن عند أبی جعفر الأحول فی ذلک جواب.

فدخل المدینه فسأل أبا عبد الله(ع)عن ذلک-فقال:کان سبب نزولها و تکرارها- أن قریشا قالت لرسول الله ص:تعبد آلهتنا سنه و نعبد إلهک سنه-و تعبد آلهتنا سنه و نعبد إلهک سنه-فأجابهم الله بمثل ما قالوا فقال فیما قالوا:تعبد آلهتنا سنه: قُلْ یٰا أَیُّهَا الْکٰافِرُونَ لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ ،و فیما قالوا:نعبد إلهک سنه: وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ ،و فیما قالوا:تعبد آلهتنا سنه:« وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ »و فیما قالوا:نعبد إلهک سنه:« وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ ».

قال:فرجع أبو جعفر الأحول إلی أبی شاکر-فأخبره بذلک فقال أبو شاکر:

هذا حملته الإبل من الحجاز.

أقول:مفاد التکرار فی کلام قریش الاستمرار علی عباده آلهتهم سنه و عباده الله تعالی سنه.

(١١٠) سوره النصر مدنيه و هی ثلاث آيات(٣)

[سوره النصر (١١٠): الآيات ١ الی ٣]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (١) وَ رَأَيْتَ اَلنّٰاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اَللّٰهِ أَفْوٰاجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اِسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كٰانَ تَوّٰاباً (٣)

بيان

وعد له(ص)بالنصر و الفتح و أنه سيری الناس يدخلون فی الإسلام فوجا بعد فوج و أمره بالتسبيح حينئذ و التحميد و الاستغفار،و السوره مدنيه نزلت بعد صلح الحديبيه و قبل فتح مكه علی ما سنستظهر.

قوله تعالی:« إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ »ظهور«إذا»المصدره بها الآيه فی الاستقبال يستدعی أن يكون مضمون الآيه إخبارا بتحقق أمر لم يتحقق بعد،و إذا كان المخبر به هو النصر و الفتح و ذلك مما تقر به عين النبی ص فهو وعد جميل و بشری له(ص) و يكون من ملاحم القرآن الكريم.

و ليس المراد بالنصر و الفتح جنسهما حتی يصدقا علی جميع المواقف التی أيد الله فيها نبيه ص علی أعدائه و أظهر دينه علی دينهم كما فی حروبه و مغازيه و إيمان الأنصار و أهل اليمن كما قيل إذ لا يلائمه قوله بعد:« وَ رَأَيْتَ النّٰاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوٰاجاً ».

و ليس المراد بذلك أيضا صلح الحديبيه الذی سماه الله تعالی فتحا إذ قال «إِنّٰا فَتَحْنٰا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً» :الفتح:١ لعدم انطباق الآيه الثانيه بمضمونها عليه.

و أوضح ما يقبل الانطباق عليه النصر و الفتح المذكوران فی الآيه هو فتح مكه الذی هو أم فتوحاته«(ص)»فی زمن حياته و النصر الباهر الذی انهدم به بنيان الشرك فی جزيره العرب.

و يؤيده وعد النصر الذی فی الآيات النازله فی الحديبيه «إِنّٰا فَتَحْنٰا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِرٰاطاً مُسْتَقِيماً وَ يَنْصُرَكَ اللّٰهُ نَصْراً عَزِيزاً» :الفتح:٣ فإن من القريب جدا أن يكون ما فی الآيات وعدا بنصر عزيز يرتبط بفتح الحديبيه و هو نصره تعالی نبيه«ص»علی قريش حتی فتح مكه بعد

مضی سنتین من فتح الحدیبیه.

و هذا الذی ذکر أقرب من حمل الآیه علی إجابه أهل الیمن الدعوه الحقه و دخولهم فی الإسلام من غیر قتال،فالأقرب إلی الاعتبار کون المراد بالنصر و الفتح نصره تعالی نبیه «ص»علی قریش و فتح مکه،و أن تکون السوره نازله بعد صلح الحدیبیه و نزول سوره الفتح و قبل فتح مکه.

قوله تعالی:« وَ رَأَیْتَ النّٰاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللّٰهِ أَفْوٰاجاً »قال الراغب: الفوج الجماعه الماره المسرعه،و جمعه أفواج.انتهی.فمعنی دخول الناس فی دین الله أفواجا دخولهم فیه جماعه بعد جماعه،و المراد بدین الله الإسلام قال تعالی: «إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلاٰمُ» :آل عمران:۱۹.

قوله تعالی:« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کٰانَ تَوّٰاباً »لما کان هذا النصر و الفتح إذلالا منه تعالی للشرک و إعزازا للتوحید و بعباره أخری إبطالا للباطل و إحقاقا للحق ناسب من الجهه الأولی تنزیهه تعالی و تسبیحه،و ناسب من الجهه الثانیه-التی هی نعمه- الثناء علیه تعالی و حمده فلذلک أمره«(ص)»بقوله:« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ ».

و هاهنا وجه آخر یوجه به الأمر بالتسبیح و التحمید و الاستغفار جمیعا و هو أن للرب تعالی علی عبده أن یذکره بصفات کماله و یذکر نفسه بما له من النقص و الحاجه و لما کان فی هذا الفتح فراغه«(ص)»من جل ما کان علیه من السعی فی إماطه الباطل و قطع دابر الفساد أمر أن یذکره عند ذلک بجلاله و هو التسبیح و جماله و هو التحمید و أن یذکره بنقص نفسه و حاجته إلی ربه و هو طلب المغفره و معناه فیه«(ص)»-و هو مغفور-سؤال إدامه المغفره فإن الحاجه إلی المغفره بقاء کالحاجه إلیها حدوثا فافهم ذلک،و بذلک یتم شکره لربه تعالی و قد تقدم (۱)کلام فی معنی مغفره الذنب فی الأبحاث السابقه.

و قوله:« إِنَّهُ کٰانَ تَوّٰاباً »تعلیل للأمر بالاستغفار لا یخلو من تشویق و تأکید.

بحث روائی

فی المجمع،عن مقاتل: لما نزلت هذه السوره قرأها«(ص)»علی أصحابه-ففرحوا و استبشروا و سمعها العباس فبکی-فقال«(ص)»ما یبکیک یا عم؟قال:أظن أنه قد

۱- ۱) فی آخر الجزء السادس من الکتاب.

نعیت إلیک نفسک یا رسول الله-فقال:إنه لکما تقول فعاش بعدها سنتین-ما رئی بعدها ضاحکا مستبشرا.

أقول:و روی هذا المعنی فی عده روایات بألفاظ مختلفه و قیل فی وجه دلالتها أن سیاقها یلوح إلی فراغه«(ص)»مما علیه من السعی و المجاهده و تمام أمره،و عند الکمال یرقب الزوال.

و فیه،عن أم سلمه قالت: کان رسول الله«ص»بالآخره لا یقوم-و لا یقعد و لا یجیء و لا یذهب إلا قال:سبحان الله و بحمده استغفر الله و أتوب إلیه-فسألناه عن ذلک فقال :إنی أمرت بها-ثم قرأ« إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ ».

أقول:و فی هذا المعنی غیر واحد من الروایات مع اختلاف ما فیما کان یقوله«(ص)».

و فی العیون،بإسناده إلی الحسین بن خالد قال:قال الرضا(ع)سمعت أبی یحدث عن أبیه(ع): أن أول سوره نزلت« بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ »- و آخر سوره نزلت« إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ ».

أقول:لعل المراد به أنها آخر سوره نزلت تامه کما قیل.

و فی المجمع،فی قصه فتح مکه: لما صالح رسول الله ص قریشا عام الحدیبیه-کان فی أشراطهم أنه من أحب-أن یدخل فی عهد رسول الله ص-دخل فیه فدخلت خزاعه فی عقد رسول الله ص-و دخلت بنو بکر فی عقد قریش،و کان بین القبیلتین شر قدیم.

ثم وقعت فیما بعد بین بنی بکر و خزاعه مقاتله-و رفدت قریش بنی بکر بالسلاح- و قاتل معهم من قریش من قاتل باللیل مستخفیا،و کان ممن أعان بنی بکر علی خزاعه بنفسه-عکرمه بن أبی جهل و سهیل بن عمرو.

فرکب عمرو بن سالم الخزاعی-حتی قدم علی رسول الله ص المدینه-و کان ذلک مما هاج فتح مکه-فوقف علیه و هو فی المسجد بین ظهرانی القوم و قال:

لا هم إنی ناشد (۱)محمدا

حلف أبینا و أبیه الأتلدا (۲)

إن قریشا أخلفوک الموعدا

و نقضوا میثاقک المؤکدا

و قتلونا رکعا و سجدا

۱- ۱) الناشد:الطالب و المذكر.

۲- ۲) الأتلد:القديم.

فقـال رسول الله ص:حسـبک يا عمرو-ثم قام فـدخل دار ميمونه و قال:اسـکبی لی ماء فجعل يغتسل و هو يقول:لا نصـرت إن لم أنصر بنی کعب-و هم رهـط عمرو بن سـالم-ثم خرج بـديل بن ورقـاء الخزاعی-فی نفر من خزاعه-حتی قـدموا علی رسول الله ص-فأخبروه بما أصـيب منهم-و مظاهره قريش بنی بکر عليهم-ثم انصـرفوا راجعين إلی مکه-و قـد کان(ص)قال للناس:کأنکم بأبی سـفيان قد جاء ليشدد العقد-و يزيد فی المده و سـيلقی بديل بن ورقاء-فلقوا أبا سـفيان بعسفان-و قد بعثته قريش إلی النبی ص ليشدد العقد.

فلمـا لقی أبـو سـفيان بـديلا قـال:مـن أيـن أقبلـت يـا بـديل-قـال:سـرت فی هـذا الساحـل و فی بطن هـذا الـوادی-قـال:مـا أتيت محمـدا؟قال:لا فلما راح بـديل إلی مکه-قال أبو سـفيان:لئن کان جاء من المـدينه-لقـد علف بها النوی-فعمد إلی مبرک ناقته و أخذ من بعرها- ففته فرأی فيها النوی فقال:أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا.

ثم خرج أبو سـفيان حتی قـدم إلی رسول الله«ص»فقـال:يا محمـد احقن دماء قومک- و أجر بين قريش و زدنا فی المـده-فقال:أ غدرتم يا أبا سفيان؟قال:لا-فقال:

فنحن علی مـا کنـا عليه فخرج فلقی أبـا بکر فقـال:أجر بين قريش-قال:ويحک و أحـد يجير علی رسول الله ص؟ثم لقی عمر بن الخطاب-فقال له مثل ذلک ثم خرج-فـدخل علی أم حبيبه فذهب ليجلس علی الفراش-فأهوت إلی الفراش فطوته-فقال:يا بنيه أ رغبت بهذا الفراش عنی؟فقالت:نعم هذا فراش رسول الله«ص»ما کنت لتجلس عليه و أنت رجس مشرک.

ثـم خرج فـدخل علی فـاطمه(ع)-فقـال يـا بنـت سـيد العرب تجيرين بين قريش- و تزيـدين فی المـده فتکـونين أکرم سـيده فی النـاس؟فقالت:جواری جوار رسول الله ص.قال:أ تأمرين ابنيک أن يجيرا بين الناس؟قالت:و الله ما بلغ ابنای أن يجيرا بين الناس-و ما يجير علی رسول الله«ص»أحد-فقال:يا أبا الحسن إنی أری الأمور قد اشـتدت علی-فانصحنی فقال علی(ع):إنک شيخ قريش- فقم علی باب المسجد و أجر بين قريش-ثم الحق بأرضک-قال:و تری ذلک مغنيا عنی شيئا؟قال:

لا و الله ما أظن ذلک و لکن لا أجد لک غير ذلک-فقام أبو سفيان فی المسجد فقال:يا أيها الناس إنی قد أجرت بين قريش-ثم رکب بعيره فانطلق.

ص: ۳۷۹

فلما قدم على قريش قالوا:ما وراءك؟فأخبرهم بالقصه فقالوا:و الله إن زاد على بن أبى طالب-على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت؟قال:لا و الله ما وجدت غير ذلك.

قال:فأمر رسول الله ص بالجهاز لحرب مكه-و أمر الناس بالتهيئه و قال:اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش-حتى نبغتها فى بلادها،و كتب حاطب بن أبى بلتعه إلى قريش-فأتى رسول الله ص الخبر من السماء-فبعث عليا(ع)و الزبير حتى أخذا كتابه من المرأه-و قد مضت هذه القصه فى سوره الممتحنه.

ثم استخلف رسول الله ص أبا ذر الغفارى-و خرج عامدا إلى مكه لعشر مضين من شهر رمضان-سنه ثمان فى عشره آلاف من المسلمين-و نحو من أربعمائه فارس-و لم يتخلف من المهاجرين و الأنصار عنه أحد.

و قد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب -و عبد الله بن أميه بن المغيره-قد لقيا رسول الله ص بنيق العقاب-فيما بين مكه و المدينه-فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما- فكلمته أم سلمه فيهما فقالت:يا رسول الله ابن عمك و ابن عمتك و صهرك- قال لا حاجه لى فيهما أما ابن عمى فهتك عرضى،و أما ابن عمتى و صهرى-فهو الذى قال لى بمكه ما قال-فلما خرج الخبر إليهما بذلك-و مع أبى سفيان بنى له قال:و الله ليأذنن لى أو لآخذن بيد بنى هذا-ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا-فلما بلغ ذلك رسول الله ص رق لهما-فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما.

فلما نزل رسول الله ص مر الظهران-و قد غمت الأخبار عن قريش-فلا يأتيهم عن رسول الله ص خبر-خرج فى تلك الليله أبو سفيان بن حرب-و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء-يتجسسون الأخبار و قد قال العباس ليلتئذ:يا سوء صباح قريش-و الله لئن بغتها رسول الله ص فى بلادها-فدخل مكه عنوه أنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر- فخرج على بغله رسول الله ص و قال:أخرج إلى الأراك لعلى أرى خطابا-أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكه-فيخبرهم بمكان رسول الله ص فيأتونه فيستأمنونه.

قال العباس فوالله إنى لأطوف فى الأراك-ألتمس ما خرجت له-إذ سمعت صوت أبى سفيان-و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء-و سمعت أبا سفيان يقول:و الله ما رأيت كالليله قط نيرانا-فقال بديل:هذه نيران خزاعه -فقال أبو سفيان:خزاعه الأم من ذلك-

قـال:فعرفـت صـوته فقلت:يـا أبـا حنظله يعنى أبا سـفيان-فقـال:أبـو الفضـل؟فقلـت:نعـم- قـال:لبيـک فـداک أبی و أمی ما وراءک؟فقلت:هذا رسول الله وراءک-قد جاء بما لا قبل لکم به بعشره آلاف من المسلمین.

قـال:فما تأمرنی؟قلت:ترکب عجز هـذه البغله-فاستأمن لک رسول الله ص-فوالله لئن ظفر بک لیضـربن عنقک فردفنی-فخرجت أرکض به بغله رسول الله ص-فکلما مررت بنار من نیران المسـلمین قالوا:هذا عم رسول الله ص علی بغله رسول الله-حتی مررت بنار عمر بن الخطاب-فقال یعنی عمر:یا أبا سـفیان-الحمد لله الذی أمکن منک بغیر عهد و لا عقد-ثم اشتد نحو رسول الله ص-و رکضت البغله حتی اقتحمت باب القبه- و سبقت عمر بما یسبق به الدابه البطیئه الرجل البطیء.

فدخل عمر فقال:یا رسول الله-هذا أبو سـفیان عدو الله-قد أمکن الله منه بغیر عهد و لا عقد-فدعنی أضـرب عنقه-فقلت:یا رسول الله إنی قـد أجرته-ثم إنی جلست إلی رسول الله ص-و أخـذت برأسه و قلت:و الله لا یناجیه الیوم أحـد دونی-فلما أکثر فیه عمر قلت:مهلاـ یـا عمر-فوالله مـا یصـنع هـذا الرجل-إلا أنه رجل من آل بنی عبـد مناف-و لو کان من عـدی بن کعب ما قلت هـذا-قال:مهلا یا عباس لإسـلامک یوم أسـلمت-کان أحب إلی من إسلام الخطاب لو أسلم-فقال(ص):اذهب فقد آمناه حتی تغدو به علی فی الغداه.

قـال:فلمـا أصـبح غـدوت بـه علی رسـول الله ص-فلمـا رآه قـال:ویحـک یـا أبـا سـفیان- أ لـم یـأن لـک أن تعلـم أن لاـ إلـه إلا الله؟فقال:بأبی أنت و أمی ما أوصـلک و أکرمک- و أرحمک و أحلمک-و الله لقـد ظننت أن لو کان معه إله-لأغنی یوم بدر و یوم أحد-فقال:

ویحـک یـا أبا سـفیان أ لم یـأن لـک-أن تعلم أنی رسـول الله؟فقـال:بـأبی أنت و أمی أمـا هـذه فـإن فی النفس منهـا شـیئا-قـال العباس:فقلت له:ویحک-اشهد بشهاده الحق قبل أن یضرب عنقک فتشهد.

فقال(ص)للعباس:انصـرف یا عباس-فاحبسه عند مضـیق الوادی حتی یمر علیه جنود الله-قال:فحبسته عند خطم (۱)الجبل بمضیق الـوادی-و مر علیه القبائـل قـبیله قـبیله و هـو یقول:من هؤلاـء؟و أقول:أسـلم و جهینه و فلاـن-حـتی مر رسول الله ص فی الکـتیبه الخضراء-من المهاجرین و الأنصار فی الحدید-لا یری منهم إلا الحدق-فقال:

۱- ۱) خطم الجبل:أنفه.

من هؤلاء يا أبا الفضل؟قلت:هذا رسول الله فى المهاجرين و الأنصار-فقال:يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما،فقلت:ويحك أنها النبوه فقال:نعم إذا.

و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء-رسول الله ص-و أسلما و بايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ص-بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام-و قال:من دخل دار أبى سفيان و هى بأعلى مكه فهو آمن،و من دخل دار حكيم و هى بأسفل مكه فهو آمن، و من أغلق بابه و كف يده فهو آمن.

و لما خرج أبو سفيان و حكيم-من عند رسول الله ص عامدين إلى مكه-بعث فى أثرهما الزبير بن العوام -و أمره على خيل المهاجرين-و أمره أن يغرز رايته بأعلى مكه بالحجون- و قال له:لا تبرح حتى آتيك-ثم دخل رسول الله ص مكه و ضربت هناك خيمته، و بعث سعد بن عباده فى كتيبه الأنصار فى مقدمته،و بعث الخالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعه و بنى سليم-و أمره أن يدخل أسفل مكه-و يغرز رايته دون البيوت.

و أمرهم رسول الله ص جميعا-أن يكفوا أيديهم و لا يقاتلوا إلا من قاتلهم،و أمرهم بقتل أربعه نفر عبد الله بن سعد بن أبى سرح-و الحويرث بن نفيل و ابن خطل و مقبس بن ضبابه- و أمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ص-و قال:اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبه-فقتل على(ع)الحويرث بن نفيل-و إحدى القينتين و أفلتت الأخرى،و قتل مقبس بن ضبابه فى السوق،و أدرك ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبه-فاستبق إليه سعيد بن حريث و عمار بن ياسر-فسبق سعيد عمارا فقتله.

قال:و سعى أبو سفيان إلى رسول الله ص-و أخذ غرزه أى ركابه فقبله ثم قال:

بأبى أنت و أمى أ ما تسمع ما يقول سعد إنه يقول:

اليوم يوم الملحمه

اليوم تسبى الحرمه

فقال(ص)لعلى(ع):أدركه و خذ الرايه منه-و كن أنت الذى يدخل بها- و أدخلها إدخالا رفيقا-فأخذها على(ع)و أدخلها كما أمر.

و لما دخل رسول الله ص مكه-دخل صناديد قريش الكعبه-و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم -و أتى رسول الله ص و وقف قائما على باب الكعبه-فقال:لا إله إلا الله وحده وحده-أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده-ألا إن كل مال أو مأثره و دم يدعى- فهو تحت قدمى هاتين-إلا سدانه الكعبه و سقايه الحاج-فإنهما مردودتان إلى أهليهما،ألا إن

مکه محرمه بتحریم الله-لم تحل لأحد کان قبلی و لم تحل لی إلا ساعه من نهار-و هی محرمه إلی أن تقوم الساعه لا یختلی خلاها،و لا یقطع شجرها و لا ینفر صیدها،و لا تحل لقطتها إلا لمنشد.

ثم قال:ألا لبئس جیران النبی-کنتم لقد کذبتم و طردتم و أخرجتم و آذیتم-ثم ما رضیتم حتی جئتمونی فی بلادی تقاتلوننی-فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم-فکأنما أنشروا من القبور و دخلوا فی الإسلام،و کان الله سبحانه أمکنه من رقابهم عنوه-فکانوا له فیئا فلذلک سمی أهل مکه الطلقاء.

و جاء ابن الزبعری إلی رسول الله ص و أسلم و قال:

یا رسول الإله إن لسانی

راتق ما فتقت إذ أنا بور (۱)

إذ أباری (۲)الشیطان فی سنن (۳)

الغی و من مال میله مثبور

آمن اللحم و العظام لربی

ثم نفسی الشهید أنت النذیر

قال:و عن ابن مسعود قال: دخل النبی ص یوم الفتح-و حول البیت ثلاثمائه و ستون صنما-فجعل یطعنها بعود فی یده و یقول:« جٰاءَ الْحَقُّ وَ مٰا یُبْدِئُ الْبٰاطِلُ وَ مٰا یُعِیدُ جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ-إِنَّ الْبٰاطِلَ کٰانَ زَهُوقاً ».

و عن ابن عباس قال: لما قدم النبی ص إلی مکه-أبی أن یدخل البیت و فیه الآلهه- فأمر بها فأخرجت و صوره إبراهیم و إسماعیل(ع)-و فی أیدیهما الأزلام-فقال(ص) قاتلهم الله أما و الله-لقد علموا أنهما لم یستقسما بها قط.

أقول:و الروایات حول قصه الفتح کثیره من أراد استقصاءها فعلیه بکتب السیر و جوامع الأخبار و ما تقدم کالملخص منها.

(۱۱۱) سوره تبت مکیه و هی خمس آیات(۵)

[سوره المسد (۱۱۱): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

تَبَّتْ یَدٰا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ (۱) مٰا أَغْنیٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا کَسَبَ (۲) سَیَصْلیٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ (۳) وَ اِمْرَأَتُهُ حَمّٰالَهَ اَلْحَطَبِ (۴) فِی جِیدِهٰا

حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)

۱- ۱) البور:الهالک.

۲- ۲) المباراه:المباهاه.

۳- ۳) السنن:وسط الطریق.

بيان

وعيد شديد لأبى لهب بهلاك نفسه و عمله و بنار جهنم و لامرأته،و السوره مكيه.

قوله تعالى:« تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ » التب و التباب هو الخسران و الهلاك على ما ذكره الجوهرى، و دوام الخسران على ما ذكره الراغب،و قيل:الخيبه،و قيل الخلو من كل خير و المعانى-كما قيل-متقاربه فيد الإنسان هى عضوه الذى يتوصل به إلى تحصيل مقاصده و ينسب إليه جل أعماله،و تباب يديه خسرانهما فيما تكتسبانه من عمل و إن شئت فقل:بطلان أعماله التى يعملها بهما من حيث عدم انتهائها إلى غرض مطلوب و عدم انتفاعه بشىء منها و تباب نفسه خسرانها فى نفسها بحرمانها من سعاده دائمه و هو هلاكها المؤبد.

فقوله:« تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ »أى أبو لهب،دعاء عليه بهلاك نفسه و بطلان ما كان يأتيه من الأعمال لإطفاء نور النبوه أو قضاء منه تعالى بذلك.

و أبو لهب هذا هو أبو لهب بن عبد المطلب عم النبى ص كان شديد المعاداه للنبى ص مصرا فى تكذيبه مبالغا فى إيذائه بما يستطيعه من قول و فعل و هو الذى قال للنبى ص:تبا لك لما دعاهم إلى الإسلام لأول مره فنزلت السوره و رد الله التباب عليه.

و ذكر بعضهم أن أبا لهب اسمه و إن كان فى صوره الكنيه،و قيل:اسمه عبد العزى و قيل:عبد مناف و أحسن ما قيل فى ذكره فى الآيه بكنيته لا باسمه إن فى ذلك تهكما به لأن أبا لهب يشعر بالنسبه إلى لهب النار كما يقال أبو الخير و أبو الفضل و أبو الشر فى النسبه إلى الخير و الفضل و الشر فلما قيل:« سَيَصْلىٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ »فهم منه أن قوله:« تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ »فى معنى قولنا:تبت يدا جهنمى يلازم لهبها.

و قيل:لم يذكر باسمه و هو عبد العزى لأن عزى اسم صنم فكره أن يعد بحسب اللفظ عبدا لغير الله و هو عبد الله و إن كان الاسم إنما يقصد به المسمى.

قوله تعالى:« مٰا أَغْنىٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا كَسَبَ »ما الأولى نافيه و ما الثانيه موصوله

و معنی« مٰا کَسَبَ »الذی کسبه بأعماله و هو أثر أعماله أو مصدریه و المعنی کسبه بیدیه و هو عمله،و المعنی ما أغنی عنه عمله.

و معنی الآیه علی أی حال لم یدفع عنه ماله و لا عمله-أو أثر عمله-تباب نفسه و یدیه الذی کتب علیه أو دعی علیه.

قوله تعالی:« سَیَصْلیٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ »أی سیدخل نارا ذات لهب و هی نار جهنم الخالده،و فی تنکیر لهب تفخیم له و تهویل.

قوله تعالی:« وَ امْرَأَتُهُ حَمّٰالَهَ الْحَطَبِ »عطف علی ضمیر الفاعل المستکن فی« سَیَصْلیٰ » و التقدیر:و ستصلی امرأته إلخ و« حَمّٰالَهَ الْحَطَبِ »بالنصب وصف مقطوع عن الوصفیه للذم أی أذم حماله الحطب،و قیل:حال من« اِمْرَأَتُهُ »و هو معنی لطیف علی ما سیأتی.

قوله تعالی:« فِی جِیدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » المسد حبل مفتول من اللیف،و الجمله حال ثانیه من امرأته.

و الظاهر أن المراد بالآیتین أنها ستتمثل فی النار التی تصلاها یوم القیامه فی هیئتها التی کانت تتلبس بها فی الدنیا و هی أنها کانت تحمل أغصان الشوک و غیرها تطرحها باللیل فی طریق رسول الله ص تؤذیه بذلک فتعذب بالنار و هی تحمل الحطب و فی جیدها حبل من مسد.

قال فی مجمع البیان،:و إذا قیل:هل کان یلزم أبا لهب الإیمان بعد هذه السوره و هل کان یقدر علی الإیمان و لو آمن لکان فیه تکذیب خبر الله سبحانه بأنه سیصلی نارا ذات لهب.

فالجواب أن الإیمان یلزمه لأن تکلیف الإیمان ثابت علیه و إنما توعده الله بشرط أن لا یؤمن انتهی موضع الحاجه.

أقول:مبنی الإشکال علی الغفله من أن تعلق القضاء الحتمی منه تعالی بفعل الإنسان الاختیاری لا یستوجب بطلان الاختیار و اضطرار الإنسان علی الفعل فإن الإراده الإلهیه-و کذا فعله تعالی-إنما یتعلق بفعله الاختیاری علی ما هو علیه أی إن یفعل الإنسان باختیاره کذا و کذا فلو لم یقع الفعل اختیارا تخلف مراده تعالی عن إرادته و هو محال و إذا کان الفعل المتعلق للقضاء الموجب اختیاریا کان ترکه أیضا اختیاریا و إن کان لا یقع فافهم و قد تقدم هذا البحث فی غیر موضع من المباحث السابقه.

فقد ظهر بذلک أن أبا لهب کان فی اختیاره أن یؤمن و ینجو بذلک عن النار التی کان من المقضی المحتوم أن یدخلها بکفره.

و من هذا الباب الآیات النازله فی کفار قریش أنهم لا یؤمنون کقوله: «إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَیْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ» :البقره:۶،و قوله: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلیٰ أَکْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ» :یس:۷،و من هذا الباب أیضا آیات الطبع علی القلوب.

بحث روائی

فی المجمع، ":فی قوله تعالی:« وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ »عن ابن عباس قال:لما نزلت هذه الآیه صعد رسول الله ص الصفا-فقال:یا صباحاه فاجتمعت إلیه قریش فقالوا:

ما لک؟فقال:أ رأیتکم إن أخبرتکم أن العدو مصبحکم و ممسیکم-ما کنتم تصدقوننی؟ قالوا:بلی.قال:فإنی نذیر لکم بین یدی عذاب شدید-قال أبو لهب:تبا لک أ لهذا دعوتنا جمیعا؟فأنزل الله عز و جل« تَبَّتْ یَدٰا أَبِی لَهَبٍ ».

أقول:و رواه أیضا فی تفسیر السوره عن سعید بن جبیر عن ابن عباس "*و لم یذکر فیه کون الدعوه عند نزول آیه« وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ »الآیه.

و فیه،أیضا عن طارق المحاربی قال:بینما أنا بسوق ذی المجاز إذا أنا بشاب-یقول أیها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا،و إذا برجل خلفه یرمیه قد أدمی ساقیه و عرقوبیه- و یقول:یا أیها الناس إنه کذاب فلا تصدقوه-فقلت:من هذا؟فقالوا:هو محمد یزعم أنه نبی-و هذا عمه أبو لهب یزعم أنه کذاب.

و فی قرب الإسناد،بإسناده إلی موسی بن جعفر(ع)فی حدیث طویل یذکر فیه آیات النبی ص قال: من ذلک أن أم جمیل امرأه أبی لهب-أتته حین نزلت سوره تبت- و مع النبی ص أبو بکر بن أبی قحافه-فقال:یا رسول الله هذه أم جمیل محفظه- أی مغضبه تریدک و معها حجر ترید أن ترمیک به-فقال(ص):إنها لا ترانی-فقالت لأبی بکر:أین صاحبک؟قال:حیث شاء الله-قالت:جئته و لو أراه لرمیته-فإنه هجانی و اللات و العزی إنی لشاعره-فقال أبو بکر:یا رسول الله لم ترک؟قال(ص):

لا.ضرب الله بینی و بینها حجابا.

أقول:و روی ما یقرب منه بغیر واحد من طرق أهل السنه.

ص :۳۸۶

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ امْرَأَتُهُ حَمّٰالَةَ الْحَطَبِ »قال:کانت أم جمیل بنت صخر-و کانت تنم علی رسول الله ص و تنقل أحادیثه إلی الکفار.

(۱۱۲) سوره الإخلاص مکیه و هی أربع آیات(۴)

[سوره الإخلاص (۱۱۲): الآیات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ (۱) اَللّٰهُ اَلصَّمَدُ (۲) لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ (۳) وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ (۴)

بیان

السوره تصفه تعالی بأحدیه الذات و رجوع ما سواه إلیه فی جمیع حوائجه الوجودیه من دون أن یشارکه شیء لا فی ذاته و لا فی صفاته و لا فی أفعاله،و هو التوحید القرآنی الذی یختص به القرآن الکریم و یبنی علیه جمیع المعارف الإسلامیه.

و قد تکاثرت الأخبار فی فضل السوره حتی ورد من طرق الفریقین أنها تعدل ثلث القرآن کما سیجیء إن شاء الله.

و السوره تحتمل المکیه و المدنیه،و الظاهر من بعض ما ورد فی سبب نزولها أنها مکیه.

قوله تعالی:« قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ »هو ضمیر الشأن و القصه یفید الاهتمام بمضمون الجمله التالیه له،و الحق أن لفظ الجلاله علم بالغلبه له تعالی بالعربیه کما أن له فی غیرها من اللغات اسما خاصا به،و قد تقدم بعض الکلام فیه فی تفسیر سوره الفاتحه.

و أحد وصف مأخوذ من الوحده کالواحد غیر أن الأحد إنما یطلق علی ما لا یقبل الکثره لا خارجا و لا ذهنا و لذلک لا یقبل العد و لا یدخل فی العدد بخلاف الواحد فإن کل واحد له ثانیا و ثالثا إما خارجا و إما ذهنا بتوهم أو بفرض العقل فیصیر بانضمامه کثیرا،و أما الأحد فکل ما فرض له ثانیا کان هو هو لم یزد علیه شیء.

و اعتبر ذلک فی قولک:ما جاءنی من القوم أحد فإنک تنفی به مجیء اثنین منهم و أکثر کما تنفی مجیء واحد منهم بخلاف ما لو قلت:ما جاءنی واحد منهم فإنک إنما تنفی به مجیء واحد منهم بالعدد و لا ینافیه مجیء اثنین منهم أو أکثر،و لإفادته هذا المعنی لا یستعمل فی الإیجاب مطلقا إلا فیه تعالی و من لطیف البیان فی هذا الباب قول

علی علیه أفضل السلام فی بعض خطبه فی توحیده تعالی:کل مسمی بالوحده غیره قلیل،و قد أوردنا طرفا من کلامه(ع)فی التوحید فی ذیل البحث عن توحید القرآن فی الجزء السادس من الکتاب.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ الصَّمَدُ »الأصل فی معنی الصمد القصد أو القصد مع الاعتماد یقال:

صمده یصمده صمدا من باب نصر أی قصده أو قصده معتمدا علیه،و قد فسروا الصمد -و هو صفه-بمعانی متعدده مرجع أکثرها إلی أنه السید المصمود إلیه أی المقصود فی الحوائج،و إذا أطلق فی الآیه و لم یقید بقید فهو المقصود فی الحوائج علی الإطلاق.

و إذا کان الله تعالی هو الموجد لکل ذی وجود مما سواه یحتاج إلیه فیقصده کل ما صدق علیه أنه شیء غیره،فی ذاته و صفاته و آثاره قال تعالی: «أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» :الأعراف:۵۴ و قال و أطلق: «وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ الْمُنْتَهیٰ» :النجم:۴۲ فهو الصمد فی کل حاجه فی الوجود لا یقصد شیئا إلا و هو الذی ینتهی إلیه قصده و ینجح به طلبته و یقضی به حاجته.

و من هنا یظهر وجه دخول اللام فی الصمد و أنه لإفاده الحصر فهو تعالی وحده الصمد علی الإطلاق،و هذا بخلاف أحد فی قوله« اَللّٰهُ أَحَدٌ »فإن أحدا بما یفیده من معنی الوحده الخاصه لا یطلق فی الإثبات علی غیره تعالی فلا حاجه فیه إلی عهد أو حصر.

و أما إظهار اسم الجلاله ثانیا حیث قیل:« اَللّٰهُ الصَّمَدُ »و لم یقل:هو الصمد،و لم یقل:الله أحد صمد فالظاهر أن ذلک للإشاره إلی کون کل من الجملتین وحدها کافیه فی تعریفه تعالی حیث إن المقام مقام تعریفه تعالی بصفه تختص به فقیل:الله أحد الله الصمد إشاره إلی أن المعرفه به حاصله سواء قیل کذا أو قیل کذا.

و الآیتان مع ذلک تصفانه تعالی بصفه الذات و صفه الفعل جمیعا فقوله:« اَللّٰهُ أَحَدٌ » یصفه بالأحدیه التی هی عین الذات،و قوله:« اَللّٰهُ الصَّمَدُ »یصفه بانتهاء کل شیء إلیه و هو من صفات الفعل.

و قیل:الصمد بمعنی المصمت الذی لیس بأجوف فلا یأکل و لا یشرب و لا ینام و لا یلد و لا یولد و علی هذا یکون قوله:« لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ »تفسیرا للصمد.

قوله تعالی:« لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ »الآیتان الکریمتان تنفیان عنه تعالی أن یلد شیئا بتجزیه فی نفسه فینفصل عنه شیء سنخه بأی معنی أرید من الانفصال

و الاشتقاق كما يقول به النصارى فى المسيح(ع)إنه ابن الله و كما يقول الوثنيه فى بعض آلهتهم أنهم أبناء الله سبحانه.

و تنفيان عنه أن يكون متولدا من شيء آخر و مشتقا منه بأى معنى أريد من الاشتقاق كما يقول الوثنيه ففى آلهتهم من هو إله أبو إله و من هو آلهه أم إله و من هو إله ابن إله.

و تنفيان أن يكون له كفؤ يعدله فى ذاته أو فى فعله (۱)و هو الإيجاد و التدبير و لم يقل أحد من المليين و غيرهم بالكفؤ الذاتى بأن يقول بتعدد واجب الوجود عز اسمه،و أما الكفؤ فى فعله و هو التدبير فقد قيل به كآلهه الوثنيه من البشر كفرعون و نمرود من المدعين للألوهيه و ملاك الكفاءه عندهم استقلال من يرون ألوهيته فى تدبير ما فوض إليه تدبيره كما أنه تعالى مستقل فى تدبير من يدبره و هم الأرباب و الآلهه و هو رب الأرباب و إله الآلهه.

و فى معنى كفاءه هذا النوع من الإله ما يفرض من استقلال الفعل فى شيء من الممكنات فإنه كفاءه مرجعها استغناؤه عنه تعالى و هو محتاج من كل جهه و الآيه تنفيها.

و هذه الصفات الثلاث المنفيه و إن أمكن تفريع نفيها على صفه أحديته تعالى بوجه لكن الأسبق إلى الذهن تفرعها على صفه صمديته.

أما كونه لم يلد فإن الولاده التى هى نوع من التجزى و التبعض بأى معنى فسرت لا تخلو من تركيب فيمن يلد،و حاجه المركب إلى أجزائه ضروريه و الله سبحانه صمد ينتهى إليه كل محتاج فى حاجته و لا حاجه له،و أما كونه لم يولد فإن تولد شيء من شيء لا ـ يتم إلا مع حاجه من المتولد إلى ما ولد منه فى وجوده و هو سبحانه صمد لا حاجه له،و أما أنه لا كفؤ له فلأن الكفؤ سواء فرض كفوا له فى ذاته أو فى فعله لا تتحقق كفاءته إلا مع استقلاله و استغنائه عنه تعالى فيما فيه الكفاءه و الله سبحانه صمد على الإطلاق يحتاج إليه كل من سواه من كل جهه مفروضه.

فقد تبين أن ما فى الآـيتين من النفى متفرع على صمديته تعالى و مآل ما ذكر من صمديته تعالى و ما يتفرع عليه إلى إثبات توحده تعالى فى ذاته و صفاته و أفعاله بمعنى أنه واحد لا يناظره شيء و لا يشبهه فذاته تعالى بذاته و لذاته من غير استناد إلى غيره و احتياج إلى من سواه و كذا صفاته و أفعاله،و ذوات من سواه و صفاتهم و أفعالهم بإفاضه منه على ما يليق بساحه كبريائه و عظمته فمحصل السوره وصفه تعالى بأنه أحد واحد.

۱- ۱) لم نذكر الصفه لأنها إما صفه الذات فهى عين الذات و إما صفه الفعل منتزعه عن الفعل،منه.

و مما قیل فی الآیه إن المراد بالکفؤ الزوجه فإن زوجه الرجل کفؤه فیکون فی معنی قوله:« تَعالی جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً »و هو کما تری.

بحث روائی

فی الکافی،بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبی عبد الله(ع) قال*: إن الیهود سألوا رسول الله ص فقالوا:انسب لنا ربک فلبث ثلاثا لا یجیبهم-ثم نزلت« قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ »إلی آخرها.

أقول:و فی الاحتجاج،عن العسکری(ع): إن السائل عبد الله بن صوریا الیهودی ،

و فی بعض روایات أهل السنه": أن السائل عبد الله بن سلام سأله(ص)ذلک بمکه-ثم آمن و کتم إیمانه،و فی بعضها أن أناسا من الیهود سألوه ذلک،و فی غیر واحد من روایاتهم":أن مشرکی مکه سألوه ذلک ،و کیف کان فالمراد بالنسبه النعت و الوصف.

و فی المعانی،بإسناده عن الأصبغ بن نباته عن علی(ع)فی حدیث*: نسبه الله عز و جل قل هو الله.

و فی العلل،بإسناده عن الصادق(ع)فی حدیث المعراج: أن الله قال له أی للنبی ص:

اقرأ قل هو الله أحد کما أنزلت-فإنها نسبتی و نعتی.

أقول:و روی أیضا بإسناده إلی موسی بن جعفر(ع)ما فی معناه.

و فی الدر المنثور،أخرج أبو عبید فی فضائله عن ابن عباس عن النبی ص قال *قل هو الله أحد ثلث القرآن.

أقول:و قد تکاثرت الروایات من طرقهم فی هذا المعنی رووه عن عده من الصحابه کابن عباس و قد مر و أبی الدرداء و ابن عمر و جابر و ابن مسعود و أبی سعید الخدری و معاذ بن أنس و أبی أیوب و أبی أمامه و غیرهم عن النبی ص،و ورد أیضا فی عده من الروایات عن أئمه أهل البیت (ع)،و قد وجهوا کون السوره تعدل ثلث القرآن بوجوه مختلفه أعدلها أن ما فی القرآن من المعارف تنحل إلی الأصول الثلاثه:التوحید و النبوه و المعاد و السوره تتضمن واحدا من الثلاثه و هو التوحید.

و فی التوحید،عن أمیر المؤمنین(ع): رأیت الخضر(ع)فی المنام قبل بدر بلیله- فقلت له:علمنی شیئا أنصر به علی الأعداء-فقال:قل:یا هو یا من لا هو إلا هو-فلما أصبحت قصصتها علی رسول الله ص-فقال لی:یا علی علمت الاسم الأعظم-فکان علی

لسانی یوم بدر.

و إن أمیر المؤمنین(ع)قرأ قل هو الله أحد-فلما فرغ قال:یا هو یا من لا هو إلا هو-اغفر لی و انصرنی علی القوم الکافرین.

و فی نهج البلاغه،: الأحد لا بتأویل عدد.

أقول:و رواه فی التوحید،عن الرضا(ع)و لفظه: أحد لا بتأویل عدد.

و فی أصول الکافی،بإسناده عن داود بن القاسم الجعفری قال*: قلت لأبی جعفر الثانی (ع):ما الصمد؟قال(ع):السید المصمود إلیه فی القلیل و الکثیر.

أقول:و فی تفسیر الصمد معان أخر مرویه عنهم(ع)

فعن الباقر(ع):

الصمد السید المطاع الذی لیس فوقه آمر و ناه ،

و عن الحسین(ع): الصمد الذی لا جوف له و الصمد الذی لا ینام،و الصمد الذی لم یزل و لا یزال ،

و عن السجاد(ع) :الصمد الذی إذا أراد شیئا قال له:کن فیکون،و الصمد الذی أبدع الأشیاء- فخلقها أضدادا و أشکالا و أزواجا- و تفرد بالوحده بلا ضد و لا شکل و لا مثل و لا ند.

و الأصل فی معنی الصمد هو الذی رویناه عن أبی جعفر الثانی(ع)لما فی مادته لغه فی معنی القصد فالمعانی المختلفه المنقوله عنهم(ع)من التفسیر یلازم المعنی فإن المعانی المذکوره لوازم کونه تعالی مقصودا یرجع إلیه کل شیء فی کل حاجه فإلیه ینتهی الکل من دون أن تتحقق فیه حاجه.

و فی التوحید،عن وهب بن وهب القرشی عن الصادق عن آبائه(ع) *أن أهل البصره کتبوا إلی الحسین بن علی(ع)-یسألونه عن الصمد فکتب إلیهم:بسم الله الرحمن الرحیم أما بعد-فلا تخوضوا فی القرآن و لا تجادلوا فیه-و لا تتکلموا فیه بغیر علم-فقد سمعت جدی رسول الله ص یقول:من قال فی القرآن بغیر علم-فلیتبوأ مقعده من النار،و إن الله سبحانه فسر الصمد فقال:الله أحد الله الصمد ثم فسره فقال:لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوا أحد.

و فیه،بإسناده إلی ابن أبی عمیر عن موسی بن جعفر(ع)أنه قال*: و اعلم أن الله تعالی واحد أحد صمد-لم یلد فیورث و لم یولد فیشارک.

و فیه،فی خطبه أخری لعلی(ع): الذی لم یولد فیکون فی العز مشارکا-و لم یلد فیکون موروثا هالکا.

و فیه،فی خطبه له(ع): تعالی أن یکون له کفؤ فیشبه به.

أقول:و فی المعانی المتقدمه روایات أخری.

(۱۱۳) سوره الفلق مکیه و هی خمس آیات(۵)

[سوره الفلق (۱۱۳): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ اَلنَّفّٰاثٰاتِ فِی اَلْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ (۵)

بیان

أمر للنبی ص أن یعوذ بالله من کل شر و من بعضه خاصه و السوره مدنیه علی ما یظهر مما ورد فی سبب نزولها.

قوله تعالی:« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » العوذ هو الاعتصام و التحرز من الشر بالالتجاء إلی من یدفعه،و الفلق بالفتح فالسکون الشق و الفرق،و الفلق بفتحتین صفه مشبهه بمعنی المفعول کالقصص بمعنی المقصوص،و الغالب إطلاقه علی الصبح لأنه المشقوق من الظلام،و علیه فالمعنی أعوذ برب الصبح الذی یفلقه و یشقه و مناسبه هذا التعبیر للعوذ من الشر الذی یستر الخیر و یحجب دونه ظاهر.

و قیل:المراد بالفلق کل ما یفطر و یفلق عنه بالخلق و الإیجاد فإن فی الخلق و الإیجاد شقا للعدم و إخراجا للموجود إلی الوجود فیکون مساویا للمخلوق،و قیل هو جب فی جهنم و یؤیده بعض الروایات.

قوله تعالی:« مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ »أی من شر من یحمل شرا من الإنس و الجن و الحیوانات و سائر ما له شر من الخلق فإن اشتمال مطلق ما خلق علی الشر لا یستلزم الاستغراق.

قوله تعالی:« وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ »فی الصحاح،: الغسق أول ظلمه اللیل و قد غسق اللیل یغسق إذا أظلم و الغاسق اللیل إذا غاب الشفق.انتهی،و الوقوب الدخول فالمعنی و من شر اللیل إذا دخل بظلمته.و نسبه الشر إلی اللیل إنما هی لکونه بظلمته یعین

الشرير فی شره لستره علیه فیقع فیه الشر أکثر مما یقع منه بالنهار،و الإنسان فیه أضعف منه فی النهار تجاه هاجم الشر،و قیل:المراد بالغاسق کل هاجم یهجم بشره کائنا ما کان.

و ذکر شر اللیل إذا دخل بعد ذکر شر ما خلق من ذکر الخاص بعد العام لزیاده الاهتمام و قد اهتم فی السوره بثلاثه من أنواع الشر خاصه هی شر اللیل إذا دخل و شر سحر السحره و شر الحاسد إذا حسد لغلبه الغفله فیهن.

قوله تعالی:« وَ مِنْ شَرِّ النَّفّاثاتِ فِی الْعُقَدِ »أی النساء الساحرات اللاتی یسحرن بالعقد علی المسحور و ینفثن فی العقد.و خصت النساء بالذکر لأن السحر کان فیهن و منهم أکثر من الرجال،و فی الآیه تصدیق لتأثیر السحر فی الجمله،و نظیرها قوله تعالی:فی قصه هاروت و ماروت «فَیَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّینَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ» :البقره:۱۰۲ و نظیره ما فی قصه سحره فرعون.

و قیل:المراد بالنفاثات فی العقد النساء اللاتی یملن آراء أزواجهن إلی ما یرینه و یردنه فالعقد هو الرأی و النفث فی العقد کنایه عن حله،و هو بعید.

قوله تعالی:« وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ »أی إذا تلبس بالحسد و عمل بما فی نفسه من الحسد بترتیب الأثر علیه.

و قیل:الآیه تشمل العائن فعین العائن نوع حسد نفسانی یتحقق منه إذا عاین ما یستکثره و یتعجب منه.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید عن زید بن أسلم قال*: سحر النبی ص رجل من الیهود فاشتکی-فأتاه جبریل فنزل علیه بالمعوذتین و قال:إن رجلا من الیهود سحرک و السحر فی بئر فلان-فأرسل علیا فجاء به فأمره أن یحل العقد و یقرأ آیه-فجعل یقرأ و یحل حتی قام النبی ص کأنما نشط من عقال:.

أقول:و عن کتاب طب الأئمه،بإسناده إلی محمد بن سنان عن المفضل عن الصادق (ع):مثله

و فی هذا المعنی روایات کثیره من طرق أهل السنه باختلاف یسیره،و فی غیر واحد منها أنه أرسل مع علی(ع)زبیرا و عمارا و فیه روایات أخری أیضا من طرق أئمه أهل البیت(ع).

و ما استشکل به بعضهم فی مضمون الروایات أن النبی ص کان مصونا من تأثیر السحر کیف؟و قد قال الله تعالی: «وَ قالَ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً انْظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثٰالَ فَضَلُّوا فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً» :الفرقان:٩.

يدفعه أن مرادهم بالمسحور و المجنون بفساد العقل بالسحر و أما تأثره عن السحر بمرض يصيبه فی بدنه و نحوه فلا دليل على مصونيته منه.

و فی المجمع،و روى: أن النبی ص كان كثيرا ما-يعوذ الحسن و الحسين(ع) بهاتين السورتين.

و فيه،عن عقبه بن عامر قال:قال رسول الله ص: أنزلت علی آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان:، أورده فی الصحيح .

أقول:و أسندها فی الدر المنثور،إلى الترمذی و النسائی و غيرهما أيضا،و روى ما فی معناه أيضا عن الطبرانی فی الأوسط عن ابن مسعود،و لعل المراد من عدم نزول مثلهن أنهما فی العوذه فقط و لا يشاركهما فی ذلک غيرهما من السور.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و البزار و الطبرانی و ابن مردويه من طرق صحيحه عن ابن عباس و ابن مسعود" *أنه كان يحک المعوذتين من المصحف و يقول:لا تخلطوا القرآن بما ليس منه-إنهما ليستا من كتاب الله-إنما أمر النبی أن يتعوذ بهما،و كان ابن مسعود لا يقرأ بهما.

أقول:ثم قال السيوطی قال البزار:و لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابه و قد صح عن النبی ص أنه قرأ بهما فی الصلاه و قد أثبتنا فی المصحف انتهى.

و فی تفسير القمی،بإسناده عن أبی بكر الحضرمی قال*: قلت لأبی جعفر(ع)-إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف.فقال:كان أبی يقول:إنما فعل ذلک ابن مسعود برأيه-و هو[هماظ]من القرآن.

أقول:و فی هذا المعنى روايات كثيره من طرق الفريقين على أن هناک تواترا قطعيا من عامه المنتحلين بالإسلام على كونهما من القرآن،و قد استشكل بعض المنكرين لإعجاز القرآن أنه لو كان معجزا فی بلاغته لم يختلف فی كون السورتين من القرآن مثل ابن مسعود،و أجيب بأن التواتر القطعی كاف فی ذلک على أنه لم ينقل عنه أحد أنه قال بعدم نزولهما على النبی ص أو قال بعدم كونهما معجزتين فی بلاغتهما بل قال بعدم كونهما جزء من القرآن و هو محجوج بالتواتر.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن جرير عن أبی هريره عن النبی ص قال*: الفلق جب فی جهنم مغطى.

أقول:و فی معناه غير واحد من الروايات

فی بعضها:قال(ص): باب فی النار إذ

فتح سعرت جهنم:رواه عقبه بن عامر ،

و فی بعضها: بئر فی جهنم إذا سعرت جهنم فمنه تسعر:،رواه عمرو بن عنبسه إلی غیر ذلک.

و فی المجمع،و قیل":الفلق جب فی جهنم-یتعوذ أهل جهنم من شده حره":عن السدی و رواه أبو حمزه الثمالی و علی بن إبراهیم فی تفسیرهما.

و فی تفسیر القمی،عن أبیه عن النوفلی عن السکونی عن أبی عبد الله(ع)قال*:قال رسول الله ص: کاد الفقر أن یکون کفرا-و کاد الحسد أن یغلب القدر:.

أقول:الروایه مرویه بلفظها عن أنس عنه(ص) .

و فی العیون،بإسناده عن السلطی عن الرضا عن أبیه عن آبائه عن النبی ص قال*:

کاد الحسد أن یسبق القدر.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه عن أنس قال*:قال رسول الله ص: إن الحسد لیأکل الحسنات کما یأکل النار الحطب.

(۱۱۴) سوره الناس مدنیه و هی ست آیات(۶)

[سوره الناس (۱۱۴): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلنّٰاسِ (۱) مَلِکِ اَلنّٰاسِ (۲) إِلٰهِ اَلنّٰاسِ (۳) مِنْ شَرِّ اَلْوَسْوٰاسِ اَلْخَنّٰاسِ (۴) اَلَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ اَلنّٰاسِ (۵) مِنَ اَلْجِنَّهِ وَ اَلنّٰاسِ (۶)

بیان

أمر للنبی ص أن یعوذ بالله من شر الوسواس الخناس و السوره مدنیه کسابقتها علی ما یستفاد مما ورد فی سبب نزولها بل المستفاد من الروایات أن السورتین نزلتا معا.

قوله تعالی:« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّٰاسِ مَلِکِ النّٰاسِ إِلٰهِ النّٰاسِ »من طبع الإنسان إذا أقبل علیه شر یحذره و یخافه علی نفسه و أحسن من نفسه الضعف أن یلتجئ بمن یقوی علی دفعه و یکفیه وقوعه و الذی یراه صالحا للعوذ و الاعتصام به أحد ثلاثه إما رب یلی أمره و یدبره و یربیه یرجع إلیه فی حوائجه عامه،و مما یحتاج إلیه فی بقائه دفع ما یهدده من

الشر،و هذا سبب تام فی نفسه،و إما ذو قوه و سلطان بالغه قدرته نافذ حکمه یجیره إذا استجاره فیدفع عنه الشر بسلطته کملک من الملوک،و هذا أیضا سبب تام مستقل فی نفسه.

و هناک سبب ثالث و هو الإله المعبود فإن لازم معبودیه الإله و خاصه إذا کان واحدا لا شریک له إخلاص العبد نفسه له فلا یدعو إلا إیاه و لا یرجع فی شیء من حوائجه إلا إلیه فلا یرید إلا ما أراده و لا یعمل إلا ما یشاؤه.

و الله سبحانه رب الناس و ملک الناس و إله الناس کما جمع الصفات الثلاث لنفسه فی قوله: «ذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَأَنّٰی تُصْرَفُونَ» :الزمر:۶ و أشار تعالی إلی سببیه ربوبیته و ألوهیته بقوله: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَکِیلاً» المزمل:۹،و إلی سببیه ملکه بقوله: «لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَی اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» :الحدید:۵ فإن عاذ الإنسان من شر یهدده إلی رب فالله سبحانه هو الرب لا رب سواه و إن أراد بعوذه ملکا فالله سبحانه هو الملک الحق له الملک و له الحکم (۱)و إن أراد لذلک إلها فهو الإله لا إله غیره.

فقوله تعالی:« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّٰاسِ »إلخ أمر لنبیه(ص)أن یعوذ به لأنه من الناس و هو تعالی رب الناس ملک الناس إله الناس.

و مما تقدم ظهر أولا وجه تخصیص الصفات الثلاث:الرب و الملک و الإله من بین سائر صفاته الکریمه بالذکر و کذا وجه ما بینها من الترتیب فذکر الرب أولا لأنه أقرب من الإنسان و أخص ولایه ثم الملک لأنه أبعد منالا و أعم ولایه یقصده من لا ولی له یخصه و یکفیه ثم الإله لأنه ولی یقصده الإنسان عن إخلاصه لا عن طبعه المادی.

و ثانیا وجه عدم وصل قوله:« مَلِکِ النّٰاسِ إِلٰهِ النّٰاسِ »بالعطف و ذلک للإشاره إلی کون کل من الصفات سببا مستقلا فی دفع الشر فهو تعالی سبب مستقل لکونه ربا لکونه ملکا لکونه إلها فله السببیه بأی معنی أرید السبب و قد مر نظیر الوجه فی قوله « اَللّٰهُ أَحَدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ ».

و بذلک یظهر أیضا وجه تکرار لفظ الناس من غیر أن یقال:ربهم و إلههم فقد أشیر به إلی أن کلا من الصفات الثلاث یمکن أن یتعلق بها العوذ وحدها من غیر ذکر الأخریین لاستقلالها و لله الأسماء الحسنی جمیعا،و للقوم فی توجیه اختصاص هذه الصفات

۱- ۱) التغابن:۱.

و سائر ما مر من الخصوصيات وجوه لا تغنى شيئا.

قوله تعالى:« مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ الْخَنّٰاسِ »قال فى المجمع،: الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفى انتهى فهو مصدر كالوسوسه كما ذكره و ذكروا أنه سماعى و القياس فيه كسر الواو كسائر المصادر من الرباعى المجرد و كيف كان فالظاهر كما استظهر أن المراد به المعنى الوصفى مبالغه،و عن بعضهم أنه صفه لا مصدر.

و الخناس صيغه مبالغه من الخنوس بمعنى الاختفاء بعد الظهور قيل:سمى الشيطان خناسا لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع و تأخر ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته.

قوله تعالى:« اَلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّٰاسِ »صفه للوسواس الخناس،و المراد بالصدور هى النفوس لأن متعلق الوسوسه هو مبدأ الإدراك من الإنسان و هو نفسه و إنما أخذت الصدور مكانا للوسواس لما أن الإدراك ينسب بحسب شيوع الاستعمال إلى القلب و القلب فى الصدر كما قال تعالى: «وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» :الحج:۴۶ قوله تعالى:« مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّٰاسِ »بيان للوسواس الخناس و فيه إشاره إلى أن من الناس من هو ملحق بالشياطين و فى زمرتهم كما قال تعالى: «شَيٰاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» :الأنعام:۱۱۲.

بحث روائى

فى المجمع،:أبو خديجه عن أبى عبد الله(ع)قال*: جاء جبرئيل إلى النبى ص و هو شاك-فرقاه بالمعوذتين و قل هو الله أحد و قال:بسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل داء يؤذيك-خذها فلتهنيك فقال:بسم الله الرحمن الرحيم-قل أعوذ برب الناس إلى آخر السوره.

أقول:و تقدم بعض الروايات الوارده فى سبب نزول السوره.

و فيه،روى أن أنس بن مالك قال*:قال رسول الله ص: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم-فإذا ذكر الله خنس و إذا نسى التقم-فذلك الوسواس الخناس.

و فيه،روى العياشى بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد(ع)قال*:قال رسول الله ص: ما من مؤمن إلا و لقلبه فى صدره أذنان-أذن ينفث فيها الملك و أذن ينفث فيها الوسواس الخناس-فيؤيد الله المؤمن بالملك،و هو قوله سبحانه:« وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ».

و فی أمالی الصدوق،بإسناده إلی الصادق(ع)قال: لما نزلت هذه الآیه« وَ الَّذِینَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَهً-أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ »صعد إبلیس جبلا بمکه یقال له ثویر-فصرخ بأعلی صوته بعفاریته فاجتمعوا إلیه-فقالوا:یا سیدنا لم دعوتنا؟ قال:نزلت هذه الآیه فمن لها؟فقام عفریت من الشیاطین فقال:أنا لها بکذا و کذا.

قال:لست لها فقام آخر فقال مثل ذلک فقال لست لها.

فقال الوسواس الخناس:أنا لها.قال:بما ذا؟قال:أعدهم و أمنیهم حتی یواقعوا الخطیئه-فإذا واقعوا الخطیئه أنسیتهم الاستغفار-فقال:أنت لها فوکله بها إلی یوم القیامه.

أقول:تقدم بعض الکلام فی الشیطان فی أوائل الجزء الثامن من الکتاب.

تم الکتاب و الحمد لله و اتفق الفراغ من تألیفه فی لیله القدر المبارکه الثالثه و العشرین من لیالی شهر رمضان من شهور سنه اثنتین و تسعین و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره و الحمد لله علی الدوام،و الصلاه علی سیدنا محمد و آله و السلام.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

